الدر المخزون

فى

شرح رسالة ابن زيدون

وهى الرسالة الجدية التى بعث بها الى ابن جهور

من ملوك الطوائف بالاندلس

تأليف

العبد المفتقر الى ربه الكريم

أبو بكر محمد غانم

الموظف بوزارة الحربية المصرية عفا الله عنه

طبع على نفقة حضرته وشريكه

محمود عزت المفتى

صاحب المكتبة المصرية

بأم درمان سودان ويطلب منهما وثمنه ٢٥ قرشاً صاغاً

وقام بتصحيحه المطبعى نخبة من علماء الأزهر الشريف

(الطبعة الاولى سنة ١٣٤٥ هـ — ١٩٢٦ م)

مطبعة الشرق

لصاحبيها : عبد العزيز قايد وأخيه

روحي بهذا البناء استودعت زمنا والدهر يمهل حينا ثم لا يذر
تغادر الروح مثواها فتهدمه يد الفناء ويبقى الرسم والخبر

للمؤلف

لساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل والوزير والنزيل كتاب ملىءٌ عِلْما وظرفٌ حُشِيَ ظَرْفاً وإناء شُحِن مُزاحاً وجِدّاً ان شئت كان أبْيَنَ من سحبان وائل وإن شئت كان أعيا من باقل وإن شئت ضحكت من نوادره وان شئت عجبتَ من غرائب فرائده

لا يعجب السامون من صفتى كذلك الثلج باردٌ حارٌّ

ولستُ مبالغا إذا قلتُ إننى قطعتُ أيام محنتى وآلام مرضى فى المطالعة صباح مَسَاء ولولا تسلية نفسى بها لما عُدِدتُ اليوم فى الاحياء

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فان أهْمِلَت تاقت والا تسلّت

أستغفر الله إذ العمر محدود وحبل الامل ممدود فقد أتاح الله عودتى إلى الخُرطوم محمولا على عربة يجرها ثوران ضخمان يمخضانى مخض الزُّبدة ويضيفان إلى شدتى شدة إلى أن وصلت إلى التونجة ومنها ركبت النيل إلى الخرطوم والله يخلق من التعب راحة ومن الراحة تعبا فتذكرت الحديث الشريف سافروا امرضى يَشفيكم الله فأخذت فى الأبلال بعد أن كنت على شفا ومَنَّ الله علىّ باتمام الشفاء

وضاقت خُطّةٌ فخلصتُ منها خلوص الماء من نسج الفِدام

وقد حصلت على عُطلة (اجازة) اقطعت فيها عن الأشغال ثلاثة أشهر متوالية لترويح النفس من عناء الامس شاكراً الله على ما أولانى من نعمة العافية وخلاصى من الضيق إلى السعة

وكنت قد قرأت فى المجلد السادس للسنة الحادية عشرة بعد التسعمائة والالف الميلادية من مجلة المقتبس الغرّاء لمنشئها الكاتب الاديب محمد كرد على الذى كان يصدرها بدمشق الشام رسالة لأبى الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون إلى أبى الوليد محمد بن جهور من ملوك الطوائف بالأندلس أيام اعتقاله وتنكر حاله وفيها ضروب من البلاغة تَسحَرُ العقول وتَخلُبُ الالباب ثم فى استعطاف

وتواضع فى استنكاف وحرارة فؤاد تذيب الصفّات الصمّاء وشكوى حال ترق لها البهيمة العجماء فجعلت أكرر تلاوتها . وأستطعم حلاوتها وكلما فرغت منها عدتُ إليها (والمكرر أحلى وأغلى) وتمنيت لشدة اعجابى بنمطها العجيب وأسلوبها الغريب أن يشاطرنى كل قارئٍ وسامع الالمام بمعانيها واستيطان مغانيها لصوغها فى قوالب الاستعارات المجازيّة والامثال الرائقة العربية بما يغنى الى البحث عن شرح لها يُشبع الغرثان ويروى الظمآن كى يسهل على المبتدئ فهمها كما سهل على العالم علمها

وقد علمت من تعليق صاحب المجلة عليها حين أوردها أن الاديب المؤرخ والعالم المحقق الشيخ صلاح الدين الصفَدِىّ قد شرحها شرحاً مُسهباً فى نحو مائتي ورقة وسمى شرحه تمام المتون فى شرح رسالة ابن زيدون وأنه رأى ذلك الشرح نسخةً مخطوطةً محفوظةً فى خزانة مكتبة صديقه الاديب السيد عبد الباقي الحسنى الجزائرى كتبت عام ألف ومائتين وست وخمسين هجرية فاجتهدت أن أحصل على نسخة منه مطبوعة وبحثت فى طلبها من مكاتب القاهرة الشهيرة فلم أجدها وقيل لي انه لم يطبع فى مطابعها وربما كان قد طبع فى البلاد الاوربية ونفدت نُسَخُهُ إلا ما كان فى مكاتب الخاصة

وحينئذ حدثتني النفس بأن أشرح الرسالة المذكورة وأجعل ذلك الشرح تاريخاً لشفائى من المرض وعودتي من بلاد الشؤم والنكد مستمدا من الله المعونة والتوفيق فى انتهاجى أقوم طريق

وكنتُ قد تشبعت ببعض الشيء من معرفة مقاصد منشئها وناسج بردها ولكني استعظمت الاقدام عليه لأنى لم أكن من رجال هذا الميدان ولا ممن سبق له الأستنان فى حَلْبَةِ البيان ولا سيما أن المتصدى لمثل هذا العمل قلّما ينجو من أسنَّة النقد وسهام القدح ولطالما كان الإنسان فى فسحة من أمره ما لم يقل قولا

أو ينظم شعرا فلن أصاب استهدف وان أخطأ استهدف فما أحرانى أن أنزوى خلف الستار وتأمن نفسى زلة العثار . لذلك ترددت بين الاقدام والاحجام لما فى ذلك من هول المقام إلا أن إرادتى فى الاقدام غلبت مشيئتى فى الاحجام ولجت فى العناد وشمست فى القياد وهى تناجينى بأن فى سماحة أهل الادب وتساهلهم ما يحملها على حسن الظن بهم فيتجاوزون عن هفواتى ويغتفرون زلاتى فأخذت استجمع الادلة وأستحضر الشواهد التى كانت تجيش فى صدرى وتتوارد على مخيلتى

إلا أنى رأيت عقبة كؤودا أصعب من الأولى هى ما أعانيه من جمع ما تفرق فى هذه الرسالة البديعة من الحكم والامثال الكثيرة والنزوات والقصص التى أشار اليها صاحب الرسالة وأن لا بد من الاتيان على بسط كل مسألة وذكر السبب فيها أو الباعث إليها وترجمة ذويها وذلك ما يحوجنى إلى مراجعة كتب كثيرة ومادة فى الذوق وفيرة فلم يثننى ذلك عن التمشى فى الوعر لأسلك منه إلى الجدد . فدأبت على البحث والاستقصاء أراجع وأدقق فيما آخذ ما استطعت وأخذت فى تسويدة الشرح حتى أتيت على الكثير منها والله يعلم ما عانيت فيها وما بذلت من الوقت فى ترتيبها وتهذيبها فما استلفتنى إلا نظر أديب اجتمعت به صدفة وجرنا الحديث الى ذكر هذه الرسالة (والحديث شجون) فأخبرنى بأن إمام اللغة والأدب الشيخ حمزة فتح الله مفتش اللغة العربية بوزارة المعارف المصرية قد شرحها فى كتابه المسمى المواهب الفتحية فى علوم اللغة العربية فاشتقت لمرءاه ورجوته أن يعيرنى إياه فأعارنيه فلما استوعبته واستقريته ألفيته شرحا وجيزا لا يرمى الى غرضى وقد ترك كثيرا من حل معانى الرسالة الى مدارك القارئ الرجوع به الى التفصيلات فى مظانها لشهرتها وأشار ضمنا إلى شرح العلامة الصفدى الذي لم تقع إلى نسخته وقال انه عدته فيما كتب

ولما كان غرضى التوسع فى الشرح بما لا يدعو القارئ إلى بحث آخر عقدت

النّيةَ على مَضاء عزيمتي مهما نالني من التعب والمشقة لِيَبْرُزَ كتابي غُنْيَةً للطالب ومنتجاً للراغب فسهّل الله لى ما أردت وسدّد خُطاى فبما أقدمت وعددت ذلك جُرأة منى شأن من لم تَعُقْه همتُه عن ارتقاء العَقَبة علي ما فيها من المزالق وما توفيقى إلا بالله

وها أنذا أقدّمه لأبناء عصرى ولن أعْدَمَ منهم نصيرا على الاعتقاد بحسن قصدى وخُلوص نيتي وليعلموا أن ليس لى فيه إلا فضلَ الاختيار فان أصبتُ فذاك ما أردت وان أخطأت فما من قلّة احتفال بالاصابة

ولا يخفى علي القارئ أن الخطأ كثير عامّ والصواب قليل خاصّ فليكُنْ عَجَبُه من الصواب أن يقول كيف أصاب ولا يقولَ كيف أخطأ

وأنا أعيذه ونفسى بالله من خَطَل القول وسوء العمل وأسأله تعالى أن يوفقنى واياه الي عمل الخير وخير العمل والسلام م؟ كتبه

أبو بكر محمد عليم

ترجمة صاحب الرسالة

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومىّ الأندلسىّ القُرْطُبىّ الشاعر المشهور والناثر البليغ . بلغ من صِنَاعَتَىْ النظم والنثر المَبْلَغ الطائل وله ديوان شعر ورسائل نثر أفرغ فيها جهد ما تصل إليه قرائح البلغاء من أمثال العرب وأشعار المتقدّمين إلى أن قيل إن رسائله أشبَهُ بالمنظوم منها بالمنثور وكان يسمى بُحْتُرِىّ المَغْرِب لحسن ديباجة لفظه ووضوح معانيه وذكره ابن بسّام فى الذخيرة . وقال عنه . كان ابو الوليد غاية منثور ومنظوم وخاتمة شعراء بنى مخزوم ، أخذ من حرّ الأيام حرًّا . وفاق الأنام طرًّا ، وصرف السلطان نفعا وضرا ووسّع البيان نظما ونثرا . إلى أدب ليس للبحر تدفقه . ولا للبدر تألقه وشعرٍ ليس للسحر بيانه ، ولا للنجوم الزُهْر اقترانه . وحظ من النثر غريب المبانى ، شعرىّ الألفاظ والمعانى . وكان من أبناء وجوه الفقهاء بقُرْطُبَة وبرُع أدبه ، وجاد شعره وعلا شأنُه وانطلق لسانُه ، ودوّن ابن حيّان نُبَذًا من أخباره وفضائله . وذكر ابن بشكوال أباه فى كتابه الصلة وأثنى عليه وقال كان يكنى أبابكر وكان أبو الوليد رحمه الله منقطعا إلى أبى الوليد ابن جَهْوَر[1] من ملوك

---

(١) واسمه أبو الوليد محمد بن جهور بن محمد بن جهور بن عبد الله بن محمد بن الغمر بن يحيى بن أبى المعافر بن أبى عبيدة الكلبى . وأبوه جهور كان رئيس الجماعة بقرطبة أيام فتنة بنى أمية ويكنى أبا الحزم ولما خلع الجند المعتد بالله آخر خلفاء بنى أمية بالأندلس استبد جهور بالأمر واستولى على المملكة بقرطبة سنة ٤٢٢ ﻫ وكان على

الطوائف بالأندلس فاشتهر عنده واعتمد في السفارة عليه بينه وبين ملوك الأندلس الى أن نَقَمَ عليه أشياء بلغته عنه فحبسه زمنا فأنشأ هذه الرسالة يستعطفه بها العفو عنه فلم تنجع عنده فهرب من سجنه واتصل بالمعتضد عبّاد بن محمد صاحب اشبيلية (١) في سنة احدى وأربعين وأربعمائة فتلقاه بالقَبُول والاكرام وولاه وزارته وجعله من خواصه يجالسه في خلواته وَيَرْكَن إلى إشاراته وذكر له شيءٌ كثيرٌ من الرسائل والنظم فمن ذلك قوله

بيني وبينك مالو شئت لم يُضَع	سر اذا ذاعت الأسرار لم يُذَع
ياباثعاً حَظَّهُ مني ولو بُذِلت	لي الحياة بحظي منه لم أبِع
يكفيك أنك إن حَمّلت قلبيَ ما	لا تستطيع قلوب الناس يستطع
تِهِ أحْتَمِلْ واستطل أصبِر وعز أهُن	وولِّ أقْبِل وقل أسمع ومُرْ أطِع

منن أهل الفضل ثم مات في المحرم سنة ٤٣٥ فاستولى على المملكة ابنه أبو الوليد صاحب الترجمة فخلع في سنة ٤٦١ وانما سموا ملوك الطوائف لأنه لما اضمحل أمر الخلافة من بني أمية وبني حمود بالأندلس وثب الأمراء من الموالي والوزراء وكبار العرب والبربر على الجهات وقام كل منهم بأمر ناحية وتفرق مُلْك الأندلس في طوائف منهم وتغلَّب بعضهم على بعض وضَعُفَ أمرهم حتى أعطوا الاتاوة لملوك الفرنجة من بني اذفونش الى أن جاء يوسف بن تاشفين ملك الملثمين من مراكش فملك الأندلس وانتزعها منهم

(١) هو عباد بن القاضي أبي القاسم بن محمد بن ذي الوزارتين إبي الوليد بن اسماعيل من ملوك الطوائف المار ذكرهم وابنه الذي اعقبه في الملك ويقال له ابو القاسم محمد الملقب بالمعتمد هو الذي نزع بني جهور عن قرطبة واستولى عليها بعدهم الى أن انتزعها منه أخيرا يوسف بن تاشفين ونفاه الى اغمات قرية من قرى مراكش سنة ٤٨٤ فمات بها فقيرا معدما

ومن شعره أيضاً

ودع الصبر محب ودعك ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن على أن لم يكن زاد فى تلك الخطا اذ شيعك
يا أخا البدر سناء وسنى حفظ الله زمانا اطلعك
أن يَطُل بعدك ليلى فلَكَمْ بِتُّ أشكو قصر الليل معك

ومما قاله فى ابن جهور بعد هروبه من سجنه قوله

قل للوزير وقد قطعت بمدحه عمرى فكان السجن منه ثوابى
لاتخش لاثمى بما فرطته من ذاك فىَّ ولا توق عتابى
لم تخطُ فى أمرى الصواب موفقا هذا جزاء الشاعر الكذاب

وكتب إلى بعض أصحابه عقيب فراره من السجن كتابا يعتذر فيه من الهرب يقول فيه : وفى علمك أنى سجنتُ مغالبة بالهوى وهو أخو العمى وقد نهى عنه تعالى فقال : ولاتتبع الهوى الآية . وشهد عليَّ فلان الناشر لأذنيه طمعا ، ليأكل بيديه جشعا ، وقال : فكان القول ماقالت حذام ، وليتنى مع قبول مالاتحل شهادته علىَّ يُعذر فيه الىَّ ولم يقرن الخشف وسوء الكيله وكنت أول حبسى بموضع جرت العادة بوضع مستورى الناس وذوى الهيئات منهم فيه . وفى الشر خيارٌ [(١)] وبعضه أهون من بعض ، ثم نقلت بعدُ حيث الجُناة المفسدون ، واللصوص المقيدون ومُنع منى عوادى فشكوت إلى الحاكم الحابس لى فصمَّ عنى ولو ذات سوار لطمتنى .

وانك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

ولم أستطع صبرا ، وعلمت أن العاجز من لايستبد . فالمرء يعجز لا محاله ولم

(١) يريد اختيار أخف الضررين وأهون الشرين والحقيقة ليس فى الشر خيار لأنه شر حيثما كان

أستخز أن أكون ثالث الأذلين العَيْر والوتد وذكرت أن الفرار من الظلم والهرب من لا يطاق من تشريع المرسلين وقد قال الله تعالى على لسان موسى عليه السلام « ففررت منكم لما خفتكم » الخ وله الرسالة الهزلية وهى من أبدع رسائله فقد جمعت كثيرا من كلام المتقدمين وأخبارهم وأمثالهم كتبها على لسان ولّادة بنت المستكفى بالله [1] أحد خلفاء الغرب الأمويين إلى الوزير أبي عامر بن عبدوس وكان معاصرا له وكانت ولّادة هذه قد ابتُذِل حجابها بعد نكبة أبيها وزوال ملك الاندلس عنه فكانت تجالس الشعراء والكتاب وتحاضرهم وتطارحهم ولها جمال وأدب وميلها إلى ابن زيدون أكثر من ابن عبدوس وأكثر تشبيبه فى شعره فيها فكتب عن لسانها تلك الرسالة وضمنها كثيرا من أنواع التهكم والهجاء فبلغت من ابن عبدوس كل مبلغ فما جاء فيها قوله : ما كنت لأتخلّى المسك الى الرماد ولا أمتطى الثور بعد الجواد وانما يتيمم من لا يجد ماء ويرعى الهشيم من عَدِم الجميم ويركب الصعب من لا ذلول له . ولعلك انما غرك من عُلِمَتْ صبوتى اليه وشهرت مساعفتى له من أقمار العصر وريحين المِصْر الذين هم الكواكب علو

(١) المستكفى بالله لقبه واسمه محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر وجده عبد الرحمن هذا أبوه معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم المعروف بالداخل أول من ملك الاندلس من الامويين واتخذ قرطبة دارا له وكان السبب فى ذلك أن بنى العباس لما تتبعوا بنى أمية بالقتل هرب عبد الرحمن المذكور ودخل الاندلس فى جماعة من أنصاره واستولى عليها فى سنة ١٣٩ هجرية وقصده بنو أمية من المشرق والتجأوا إليه وصار أولاده وأهل بيته من بعده يتوارثون ملك الاندلس باسم الخلافة إلى أن كان المستكفى بالله ثم المعتز بالله هشام بن محمد المخلوع وهو آخرهم وقد مات فى سنة ٤٢٨ فانقطع أمر خلافتهم ودولتهم من الاندلس وتملكها الموالي والوزراء فعرفوا بملوك الطوائف كما تقدم

همم والرياض طيب شيم . ومنها فان بادرتَ بالندامة ورجعت على نفسك بالملامة كنتَ كمن اشتريت العافية لك بالعافية منك . وان قلت جعجعة ولا طحن وربُّ صلف تحت الراعدة وأنشدتُ

لا يؤيسنّك من مخدرة قول تغلظه وان جرحا

فعدت لما نهيت عنه وراجعت ما استعفيت منه . بعثت من يزعجك إلى الخضراء دفعا ، ويستحثك نحوها وكزا وصفعا . فاذا صرت إليها عبث أكاروها بك وتسلطت نواطيرها عليك فمن قرعةٍ تقوم في قفاك ومن فجلة مُنْتنة ترمى بها تحت خصاك الخ وكلها على هذا النمط وقد شرحها الامام الاوحد جمال الدين بن نُباتة السعدى وسمى شرحه « سرح العيون » ومن شعر المترجم أيضا قوله

شحطنا وما بالدار نأي ولا شحط وشط بمن تهوى المزار وماشطوا
أأحبابنا الوت بحادث عهدنا حوادث لا عهد عليها ولا شرط
لعمركمو إن الزمان الذى مضى بشت جميع الشمل منا لمشتط
فأما الكرى مذ لم أزركم فهاجر زيارته غب والمامه فرط
كأن فؤادي يوم أهوى مودّعا هوى خافقا منه بحيث هوى القرط
اذا ما كتاب الوجه أشكَلَ سطره فمن زفرتي شكل ومن عبرتي نقط

وله القصيدة النونية التي اشتهرت بين أهل الادب وهي التى كتبها الى ولادة بنت المستكفي ومطلعها

أضحى التنائى بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

يقول منها

تكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضى علينا الاسى لولا تأسينا
حالت لبعدكم أيامنا فغدت سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
بالامس كنا وما يخشى تفرقنا واليوم نحن ولا يرجى تلاقينا

وكانت ولادته بقرطبة سنة ٣٩٤ هـ ووفاته باشبيليةَ سنة ٤٦٣ وعمره نحو

سبعين سنة ونشأ له ابن يقال له أبو بكر وتولى وزارة المعتمد بن عباد وقتل يوم أخذ يوسف بن تاشفين قرطبة من ابن عباد المذكور لما استولى على مملكته في صفر سنة ٤٨٤ وابن عباد هذا هو الذى انتزع ابن جهور عن قرطبة واتخذها عاصمة مملكه

متن الرسالة

يَا مَوْلاَيَ وَسَيِّدِي الَّذِي وِدَادِي لَهُ واعتِمادِي عَلَيْهِ واعتِدادِي بِهِ ومَنْ أبقاهُ اللهُ ماضِيَ حَدِّ العَزْمِ وارِيَ زَنْدِ الأمَلِ ثابِتَ عَهْدِ النِّعمةِ إذَا سَلَبْتَنِي أعزّكَ اللهُ لِبَاسَ إنعامِكَ وعَطَّلْتَنِي مِنْ حَلْيِ إيناسِكَ وأظْمأتَنِي الى بَرُودِ إسعافِكَ ونَفَضْتَ بِي كَفَّ حِياطَتِكَ وغَضَضْتَ عَنِّي طَرْفَ حِمايَتِكَ بَعْدَ أنْ نَظَرَ الأعمَى الى تأمِيلِي لَكَ وسَمِعَ الأصَمُّ ثَنائِي عَلَيْكَ وأحَسَّ الجَمادُ باسْتِنادِي إلَيْكَ فَلاَ غَرْوَ قَدْ يَغَصُّ المَاءَ شارِبُهُ ويَقتُلُ الدَّواءُ المُسْتَشْفَى بِهِ ويُؤتَى الحَذِرُ مِنْ مأمَنِهِ وتَكُونُ مَنِيَّةُ المُتَمَنِّي فِي أُمْنِيَّتِهِ والحَيْنُ قَدْ يَسْبِقُ جُهْدَ الحَرِيصِ

كُلُّ المَصَائِبِ قَدْ تَمُرُّ عَلَى الفَتَى ... فَتَهُونُ غَيْرَ شَمَاتَةِ الحُسَّادِ

وإنِّي لأتجلَّدُ وأُرِي الشامِتِينَ أنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أتَضَعْضَعُ فأقولُ

هَلْ أنَا الأيْدُ أدْماهَا سِوارُهَا ... وجَبِينٌ عَضَّ بِهِ إكْلِيلُهُ

ومَشْرَفِيٌّ ألْصَقَهُ بالأرضِ صاقِلُهُ وسَمْهَرِيٌّ عَرَضَهُ عَلَى النَّارِ مُثَقِّفُهُ وعَبْدٌ ذَهَبَ بِهِ سَيِّدُهُ مَذْهَبَ الَّذِي يَقُولُ

فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا ومَنْ يَكُ حَازِماً ... فَلْيَقْسُ أحْيَاناً عَلَى مَنْ يَرْحَمُ

هَذَا العَتْبُ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ وهَذِهِ النَّبْوَةُ غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي وهَذِهِ النَّكْبَةُ سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقَشَّعُ

ولَنْ يُرِيبَنِي مِنْ سَيِّدِي أنْ أبْطَأَ سَحَابُهُ أوْ تَأخَّرَ غَيْرَ ضَنِينٍ غَنَاؤُهُ فَأبْطَأُ الدِّلاءِ فَيْضاً امْلَؤُهَا وأثْقَلُ السَّحَابِ مَشْياً أحْفَلُهَا وأنْفَعُ الحَيَا مَاصَادَفَ جَدْبًا وألَذُّ الشَّرَابِ مَاأصَابَ غَلِيلاً ومَعَ اليَوْمِ غَدٌ ولِكُلِّ

أجل كتاب له الحمد على اهتباله ولا عتب عليه في إغفاله

وإن يكن الفعل الذي ساء واحداً * فأفعاله اللاتي سررن ألوف

وأعود فأقول ماهذا الذنب الذي لم يسعه عفوك والجهل الذي لم يأت من ورائه حلمك والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك والتحامل الذي لم يف به احتمالك لاأخلو من أن أكون بريئاً فأين عدلك أو مسيئاً فأين فضلك

إلا يكن ذنب فعدلك واسع * أو كان لي ذنب ففضلك أوسع

حنانيك قد بلغ السيل الزبى * ونالني ماحسبي به وكفى (١)

وما أراني إلا لو أمرت بالسجود لآدم فأبيت واستكبرت وقال لي نوح اركب معنا فقلت سآوي إلى جبل يعصمني من الماء وأمرت ببناء صرح لعلى أطلع إلى إله موسى وعكفت على العجل واعتديت في السبت تعاطيت فعقرت وشربت من النهر الذي ابتلى به جيوش طالوت وقدت الفيل لأبرهة وعاهدت قريشاً على مافي الصحيفة وتأولت في بيعة العقبة ونفرت إلى العير ببدر وانخذلت بثلث الناس يوم أحد وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة وجئت بالإفك على عائشة الصديقية وأنفت من إمارة أسامة وزعمت أن خلافة أبي بكر كانت فلتة ورويت رمحي من كتيبة خالد ومزقت الأديم الذي باركت يد الله عليه وضحيت بالأشمط الذي عنوان السجود به وبذلت لقطام

ثلاثة آلاف وعبداً وقينة * وضرب علي بالحسام المصمم

(١) في نسخة بيت ثان وهو

فهبني مسيئاً كالذي قلت ظالماً   قصاصاً فأين الأخذ يا عز بالفضل

وكتبت الى عمر بن مسعدة أن جمعني بالحسين وتمثلت عنده ما بلغني من وقعة الحرة

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا • جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلِ

ورجمت الكعبة وصلبت العائذ على الثنية لكان فيما جرى على ما يحتمل أن يكون نكالاً ويدعى ولو على المجاز عقاباً

وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بِامْرِئٍ • تَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِمِينَا

فكيف ولا ذنب الا نميمة أهداها كاشح ونبأ جاء به فاسق وهم الهمازون المشاؤون بنميم والواشون الذين لا يلبثون أن يصدعوا العصا والغواة الذين لا يتركون أديماً صحيحاً والسعاة الذين ذكرهم الأحنف ابن قيس فقال ما ظنك بقوم الصدق محمود الا منهم

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً • وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ

والله ما غششتك بعد النصيحة ولا انحرفت عنك بعد الصاغية ولا نصبت لك بعد التشيع فيك ولا أزمعت يأساً منك مع ضمان تكفلت به الثقة عنك وعهد أخذه حسن الظن عليك ففيم عبث الجفاء بأذمتي وعاث العقوق في مواتي وتمكن الضياع من وسائلي ولم ضاقت مذاهبي وأكدت مطالبي وعلام رضيت من المركب بالتعليق بل من الغنيمة بالإياب وأنى غلبني المغلب وفخر على العاجز الضعيف ولطمتني غير ذات سوار وما لك لم تمنع مني قبل أن افترس وتدركني ولما أمزق أم كيف لا تتضرم[1] جوانح الأكفاء حسداً لي على الخصوص بك وتتقطع[2] أنفاس النظراء منافسة في الكرامة عليك وقد زانني اسم خدمتك وزهاني وسم نعمتك

(١) فى رواية تضطرم (٢) فى رواية تنقطع

أَلَسْتُ المُوَالِيَ فِيكَ غُرَّ قَصَائِدٍ • هِيَ الأَنْجُمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجُمَا
ثَنَاءٌ يَظُنُّ الرَّوْضُ مِنْهُ مُنَوِّرًا • ضُحًى وَيُخَالُ الوَشْيُ فِيهِ مُنَمْنَمَا

وَهَلْ لَبِسَ الصَّبَاحُ الأَ بُرْدًا طَرَّزَتْهُ بِفَضَائِلِكَ وَتَقَلَّدَتِ الجَوْزَاءُ إِلَّا عِقْدًا فَصَّلَتْهُ بِمَآثِرِكَ واسْتَمْلَى الرَّبِيعُ الأَ ثَنَاءً أَمْلَأْتُهُ مِنْ مَحَاسِنِكَ وَبَثُّ المِسْكِ الأَ حَدِيثاً أَذَعْتُهُ فِي مَحَامِدِكَ (مَا يَوْمُ حَلِيمَةَ بِسِرٍّ) وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَكْسُكَ سَلِيباً وَلَا حَلَّيْتُكَ عُطُلاً وَلَا وَسَمْتُكَ غُفْلاً بَلْ وَجَدْتُ آجُرًّا (٢) وَجَصًّا فَبَنَيْتُ وَمَكَانَ القَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَقُلْتُ وَحَاشَا لَكَ أَنْ أَعُدَّ مِنَ العَامِلَةِ النَّاصِبَةِ وَأَكُونَ كَالذُّبَالَةِ المَنْصُوبَةِ (تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ) فَلَكَ المَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ بِي وَبِكَ أَوْلَى

وَلَعَمْرُكَ مَا جَهِلْتُ أَنَّ صَرِيحَ الرَّأْيِ أَنْ أَتَحَوَّلَ إِذَا بَلَغَتْنِي الشَّمْسُ وَنَبَا بِيَ المَنْزِلُ وَأَصْفَحَ عَنِ المَطَامِعِ الَّتِي تَقْطَعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ فَلَا أَسْتَوْطِئُ العَجْزَ وَلَا أَطْمَئِنُّ إِلَى الغُرُورِ وَمِنَ الأَمْثَالِ المَضْرُوبَةِ (خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ) وَإِنِّي مَعَ المَعْرِفَةِ بِأَنَّ الجَلَاءَ سِبَاءٌ وَالنُّقْلَةَ مُثْلَةٌ

وَمَنْ يَغْتَرِبْ عَنْ قَوْمِهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى • مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجَرًّا وَمَسْحَبَا
وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسِئْ • يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارَ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا

عَارِفٌ بِأَنَّ الأَدَبَ الوَطَنُ لَا يُخْشَى فِرَاقُهُ وَالخَلِيطُ لَا يُتَوَقَّعُ زِيَالُهُ وَالنَّسِيبُ لَا يُجْفَى وَالجَمَالُ لَا يَخْفَى ثُمَّ مَا قِرَانُ السَّعْدِ لِكَوَاكِبِ أَبْهَى أَثَرًا وَلَا أَسْنَى خَطَرًا مِنَ اقْتِرَانِ غِنَى النَّفْسِ بِهِ وَانْتِظَامِهِمَا نَسَقًا مَعَهُ فَإِنَّ الحَائِزَ لَهُمَا الضَّارِبَ بِسَهْمٍ فِيهِمَا .

---

(١) فى رواية جصا

(وقليلٌ ماهمْ) أينما توجّهَ وردَ منهلَ برٍّ وحطَّ في جنابِ قبولٍ وضوحكَ قبلَ إنزالِ رحلِهِ وأُعطيَ حكمَ الصبيِّ على أهلِهِ

وقيلَ لهُ أهلاً وسهلاً ومرحباً * فهذا مبيتٌ صالحٌ ومَقيلُ

غيرَ أنَّ الوطنَ محبوبٌ والمنشأَ مألوفٌ والّلبيبَ يحنُّ إلى وطنِهِ حنينَ النجيبِ الى عطنِهِ

والكريمَ لا يجفو أرضاً فيها قوابلُهْ * ولا ينسى بلداً فيها مراضعُهْ

أحبُّ بلادِ اللهِ ما بينَ منعجٍ * اليَّ وسلمى أنْ يصوبَ سحابُها

بلادٌ بها حلَّ الشبابُ تمائمي * وأوّلُ أرضٍ مسَّ جلدي ترابُها

هذا إلى مُغالاتي بعقدِ جوارِكَ ومنافستي بالمحَلّةِ من قُربِكَ واعتقادي أنَّ الطمعَ في غيرِكَ طبعٌ والغنا من سواكَ عنا والبدلَ منكَ أعورٌ والعوضَ لَنا

وإذا نظرتُ الى أميري زادني * ضنّاً بهِ نظري إلى الأمراءِ

كلُّ الصيدِ في جوفِ الفرا وفي كلِّ شجرٍ نارٌ واستمجدَ المرخُ والعفارُ فما هذهِ البراءةُ ممنْ يتولّاكَ والميلُ عمّنْ لا يميلُ عنكَ وهلاّ كانَ هواكَ فيمنْ هواهُ فيكَ ورضاكَ فيمنْ رضاهُ لكَ

يامَنْ يعزُّ علينا أنْ نفارقَهمْ * وجداننا كلَّ شيءٍ بعدكمْ عدمُ

أُعيذكَ ونفسي منْ أنْ أشيمَ خُلّباً واستمطرَ جهاماً وأكرمَ غيرَ مكرمٍ (١) وأشكوَ شكوى الجريحِ إلى العقبانِ والرخمِ فما أبسستُ لكَ إلاّ لتدرَّ وحرّكتُ الحوارَ إلاّ لتحنَّ ونبّهتكَ الاّ لأنامَ وسريتُ إليكَ الاّ لأحمدَ

---

(١) وفي رواية وأكرم في غير مكرم

السرى لديك وانك إن سنيت عقد أمري تيسر ومتى أعذرت في فك أمري لم يتعذر وعلمك محيط بأن المعروف ثمرة النعمة والشفاعة زكاة المروءة وفضل الجاه تعود به صدقة

وإذا امرؤ أهدى إليك صنيعة * من جاهه فكأنها من ماله

لعلي ألقي العصا بذراك وتستقر بي النوى في ظلك وأستأنف التأدب بأدبك . والاحتمال على مذهبك فلا أوجد للحاسد مجال لحظة ولا أدع للقادح مساغ لفظة والله ميسرك من طلابي بهذه الطلبة وإشكائي من هذه الشكوى بصنيعة تصيب منها مكان المصنع وتستودعها أحفظ مستودع حسبما أنت خليق له وأنا منك حري به

ولما توالت غرر هذا النثر واتسقت درره فهز عطف غلوائه وجر ذيل خيلائه عارضه النظم مباهيا بل كايده مداهيا حين أشفق من أن يعطفك استعطافه وتميل بنفسك ألطافه فاستحسن العائدة منه واعتد بالفائدة له وما زال يستكد الذهن العليل والخاطر الكليل حتى زف إليك منه عروسا مجلوة في أثوابها منصوصة بحليها وملابها

الهوى في طلوع تلك النجوم * والمنى في هبوب ذاك النسيم
سر أنا عيشنا الرقيق الحواشي * لو يدوم السرور للمستديم
وطر ما انقضى إلى أن تقضى * زمن ما ذمامه بالذميم
إذ ختام الرضا المسوغ مسك * ومزاج الوصال من تسنيم
وغريض الدلال غض جنى الصبـ * ـوة نشوان من سلاف النعيم
طالما نافر الهوى منه غر * لم يطل عهد جيده بالتميم
زار مستخفيا وهيهات أن يخـ * ـفى سنى البدر في الظلام البهيم

قَوَّسَنِى الحَلْىُ إِذْ مَشَى وَهَنَا الطِّيـ * ـبُ إِلَى حِسِّ كَاشِحٍ بِالنَّسِيمِ
أَيُّهَا المُؤْذِنِى بِظُلْمِ اللَّيَالِى * لَيْسَ يَوْمِى بِوَاحِدٍ مِنْ ظَلُومِ
قَمَرُ الأُفْقِ إِنْ تَأَمَّلْتَ وَالشَّمْـ * ـسُ هُمَا يُكْسَفَانِ دُونَ النُّجُومِ
وَهُوَ الدَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكُّ يَنْحُو * بِالْمُصَابِ العَظِيمِ نَحْوَ العَظِيمِ
بَوَّأَ اللهُ جَهْوَرًا أَشْرَفَ السُّو * دَدِ فِى السَّرْوِ وَاللُّبَابِ الصَّمِيمِ
وَاحِدٌ سَلَّمَ الجَمِيعُ لَهُ الأَمْـ * ـرَ فَكَانَ الخُصُوصُ وِفْقَ العُمُومِ
قَلَّدَ الغَمْرُ ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ * وَاكْتَفَى جَاهِلٌ بِعِلْمِ العَلِيمِ
خَطَرٌ يَقْتَضِى الكَمَالَ بِنَوْعَيْـ * ـنِ خُلُقٍ بَارِعٍ وَخَلْقٍ وَسِيمِ
إِسْوَةُ الرَّوْضِ مِنْ بِطِيبِكَ يَحْظَى * نَظَرِى مَا اعْتَمَدْتُهُ وَشَمِيمِى
أَبِهَذَا الوَزِيرُ هَا أَنَا أَشْكُو * وَالعَصَا بَدْءُ قَرْعِهَا لِلْحَلِيمِ
مَا عَنَانَا أَنْ يَأْنَفَ السَّابِقُ المَرْ * بِطَ مِنْهُ فِى العِتْقِ وَالتَّطْهِيمِ
وَثَوَاءُ الحُسَامِ فِى الجَفْنِ يَثْنِى * مِنْهُ بَعْدَ المَضَاءِ وَالتَّصْمِيمِ
أَفَصَبْرٌ مِئِينَ خَمْسٍ مِنَ الأَيَّا * مِ نَاهِيكَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمِ
وَمُعَنًّى مِنَ الضَّنَا بِهَنَاتٍ * نَكَأَتْ بِالكُلُومِ قَرْحَ الكُلُومِ
سَقَمٌ لَا أُعَادُ مِنْهُ وَفِى العَا * ئِدِ أُنْسٌ يَفِى بِبُرْءِ السَّقِيمِ
نَارُ بَغْىٍ سَعَى إِلَى جَنَّةِ الإِنْـ * ـسِ لَظَاهَا فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ
بِأَبِى أَنْتَ إِنْ تَشَأْ تَكُ بَرْدًا * وَسَلَامًا كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ
لِلشَّفِيعِ الثَّنَاءُ وَالحَمْدُ فِى صَوْ * بِ الحَيَا لِلرِّيَاحِ لَا لِلغُيُومِ
وَزَعِيمٌ بِأَنْ يُذَلِّلَ لِى الصَّعْـ * ـبَ مَثَابِى إِلَى الهُمَامِ الزَّعِيمِ
وَثَنَاءٌ أَرْسَلْتُهُ سَلْوَةَ الظَّا * عِنِ عَنْ شَوْقِهِ وَلَهْوَ المُقِيمِ
وَوِدَادٌ يُغَبِّرُ الدَّهْرُ مَاشَا * ءَ وَيَبْقَى بَقَاءَ عَهْدِ الكَرِيمِ

فَهُوَ رَيْحَانَةُ الجَلِيسِ وَلَا فَخْـ • ـرَ وَفِيهِ مِزَاجُ كَأْسِ النَّدِيمِ
لَمْ يَزَلْ مُغْضِياً عَلَى هَفْوَةِ الجَا • نِي مُصِيخاً إِلَى اعْتِذَارِ المُلِيمِ
وَمَتَى تَبْدَأُ الصَّنِيعَةُ يُولِيـ • ـكَ تَمَامُ الخِصَالِ بِالتَّتْمِيمِ

هٰكَهَا أَعَزَّكَ اللّٰهُ يَبْسُطُهَا الأَمَلُ وَيَقْبِضُهَا الخَجَلُ لَهَا ذَنْبُ التَّقْصِيرِ وَحُرْمَةُ الإِخْلَاصِ فَهَبْ ذَنْباً لِحُرْمَةٍ وَاشْفَعْ نِعْمَةً بِنِعْمَةٍ لِيَتَأَتَّى لَكَ الإِحْسَانُ مِنْ جِهَاتِهِ وَيَسْلُكُ إِلَى الفَضْلِ مِنْ طُرُقَاتِهِ انتهت

الحمد لله منطق الفصحاء بأبلغ الكلام ومفضل لغة العرب على سائر لغات العجم والصلاة على سيدنا ومولانا محمد شمس الآداب الطالعة وبدر الفضائل الساطعة الذى نزل الكتابُ الكريم على لسانه بالمآثر والحكم فتحدى (١) به جميعَ الامم وأرهص (٢) بمعجزات نبوته محاسن الاخلاق والشيَم وعلى آله وأصحابه الناهجين منهجه والسالكين طريقه وسنته

وبعد فان حبي للادب وأهله وتطفلي على موائد كرمه وفضله حدا بي الى شرح هذه الرسالة البديعة لما حوته من الحكم والامثال الرشيدة التى يشتاق كل أديب الى استطلاع طِلعها واجتلاء محاسنها كالحديقة الزاهرة بأنواع الزَّهر والخميلة (٣) الدانية القطوف بيانع الثمر فاستخرت الله تعالى فى ذلك وسألته التوفيق لما هنالك فسهل بتوفيقه ويسر

وإنى موقن بضعف مادتى وقلة بضاعتى وما كنت لاسلك هذا المسلك على ما فيه من المتاعب إلا لخدمة أقدمها بين يدىّ لاخوانى الافاضل الذين يميلون إلى المفاكهة بأحاديث السلف الصالح ويمقتون الاستهتار (٤) بأقاصيص الغرام الملفق (٥)

وقد سميته الدر المخزون فى شرح رسالة ابن زيدون والله أسأل أن ينفع به المريدين ويتقبله منى كما يتقبل من عباده المخلصين بمنه وكرمه

---

(١) التحدى المنازعة والمباراة (٢) الارهاص من معانيه الاثبات يقال أرهص الشىء اذا أثبته وأسسه ومنه إرهاص النبوة (٣) الخميلة الشجر المجتمع الكثيف (٤) الاستهتار التولع بالشىء (٥) الروايات الخيالية المؤلفة أو المعربة

قال العلامة ابن زيدون

المتن (يَامَوْلَايَ وَسَيِّدِي الَّذِي وِدَادِي لَهُ وَاعْتِمَادِي عَلَيْهِ وَاعْتِدَادِي بِهِ)

(الشرح) يا حرف لنداء البعيد وقد ينادى بها القريب كما هنا وهى أكثر حروف النداء استعمالا ولا يقدّر عند الحذف سواها نحو يوسفُ أعرض عن هذا كما لا ينادى اسم الله أو الاسم المستغاث الا بها ولذلك حسن استهلال المصنف بها مخاطباً ابن جهور بلسان الاستغاثة والخضوع والمولى والسيد كلمتان يكتب بهما من صغير الى كبير لدلالتهما على معنى التعظيم ولكل منهما تعريف خاص فالاولى تقع فى اللغة على المالك ويعبر عنه بالمولى من أعلى وتقع على المملوك والمعتق ويعبر عنه بالمولى من أسفل والثانية من السيادة والإجلال تقول ساد فلان قومه يسودهم سيادة وسيدودة وسوددا وسؤددا بالهمز وهو اسود من فلان أى اجل قدرا منه ويجمع السيد على سيائدة بالهمز كما فى الصحاح مثل أفيل وافائلة وتبع وتتابعة على غير قياس . ولفظة المولى أعم من السيد لانها تقال للملك الكبير أو السلطان وان كان من نعته السيد الاجلّ وأما السيد فمن نعت ذوى المراتب الدينية . وقد كان ابن جهور من ملوك الطوائف ويطلق عليه لفظة الوزير وقد خاطبه بها ابن زيدون فى قصيدته التى ذيل بها هذه الرسالة بقوله

أيهذا الوزير هاأنا أشكو * والعصا بعد قرعها للحليم

وانما رفعه الى مراتب كبار الملوك بقوله يامولاى وسيدى توسعا أو تزلفا لأنه فى مقام يدعو الى ذلك . والذى اسم موصول والصلة قوله ودادي له واعتمادي عليه واعتدادى به . والودّ مثلثة الحب ويكون بمعنى التمنى قال الشاعر

وددت ودادة لوان حظى * من الخلان ان لا يصرمونى

أى تمنيت والمراد الاول والاعتماد القصد والاتكاء مصدر اعتمد كاستند

تقول فلان عمدتنا ومعتمدنا . والاعتداد افتعال من العدّ وهو الحساب . تقول اعتددت بالشيء أدخلته في الحساب فهو معتد غير ساقط . والضمير في له وعليه وبه راجع الى المولى والسيد (والمعنى) يامليكي الذي بذلتُ حبي له وقصدي اليه وكنت معدودا ومحترما به

(المتن) (ومَنْ أبقاهُ اللهُ ماضيَ حدّ العَزْمِ واريَ زَنْدِ الأَملِ ثابتَ عهْدِ النِّعْمةِ)

(الشرح) . من موصول أيضا عطفا على الأول . وأبقاه الله من البقاء ضد الفناء . وقد نص علماء الكتابة في مراتب الدعاء على أن اطالة البقاء أرفع من إطالة العُمُر والأولى خصصت الخلفاء وما سواها لمن دونهم وذلك لأن البقاء لا يدل علي مدة تنقضي والعمر يدل علي مدة تنقضي . فلذلك يوصف الله بالبقاء ولا يوصف بالعمر . وقوله ماضي حد العزم من المضاء أى النفوذ . تقول مضى في الأمر اذا نفذ فيه ويتعدى بالألف أمضيته كا نفذته والحد من كل شيء منتهاه وحد السيف ظُبَتُهُ والعزم الجدّ ومنه أولو العزم من الرسل لأنهم عزموا على أمر الله بما عهد اليهم ووَرْيُ الزند خروج ناره والزند زناد القدح معلوم والأمل الرجاء والتأميل مثله يقال أمّل خيرا وأمّل شرا أى رجاه والثابت من الثبات . وهو الدوام والاستقرار ثبت الشيء يثبت ثبوتا وثباتا ويتعدى بالهمزة والتضعيف . تقول أثبته وثبّته والعهد من معانيه العَقد بالفتح من باب ضرب كأن النعمة عاقدته وعاقدها على استقرارها فيه وقوله ماضي حد العزم الى آخر الجملة جملة حاليّة أى حال كونه قوي العزم في نفاذ الأمور كمضاء حد السيف في الضريبة سخي الكف في بذل المعروف لمن أمله ورجاه كالزند في خروج ناره عند الحاجة عقيد النعمة كالثابت فيها

(والمعنى) ويامن أبقاه الله نافذ الكلمة منيلا آمل الآمل مستديم النعمة محفوظ الحرمة

(المتن) اذا سلبتني أعزّكَ الله لِباسَ إنعامِكَ وعطّلتني من حُلَى إيناسِكَ وأظمأتني الى برودِ إسعافِكَ ونفضتَ بي كفَّ حياطتِكَ وغضضتَ عني طرفَ حمايتِكَ بعدَ أنْ نظرَ الأعمى الى تأميلي لكَ وسمِعَ الأصمُّ ثنائي عليكَ وأحسَّ الجمادُ باستنادي إليكَ فلا غروَ فقد يغصُّ الماءُ شاربَهُ ويقتلُ الدواءُ المستشفيَ بهِ ويؤتى الحذِرُ من أمنِهِ وتكونُ منيّةُ المتمنّي في أمنيّتِهِ والحَينُ قد يسبقُ جهدَ الحريصْ

(الشرح) اذا ظرف لما يستقبل من الزمان والسلب الأخذ والاختلاس سلَبَ فلان مال فلان اذا أخذه أو اختلسه واعزك الله جملة معترضة وهي دعائية اذا حُذفت بقى الكلام على افادته كقول الله تعالى ويجعلون لله البنات (سبحانه) ولهم مايشتهون فقوله سبحانه اعتراض والمراد به تنزيه الخالق عن النسل ومثلها فى الشعر قول امرئ القيس

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفانى (ولم اطلب) قليل من المال

فقوله لم أطلب اعتراض وهو كثير فى كلام الفصحاء وليست فائدته اصلية وانما تكون للتحسين والتكلة واللباس ماستر الجسم والنعمة الخفض والدعة ضد البؤس والعطل محركة خلوجيد المرأة من القلائد تقول عطلت المرأة فهى عاطل وتستعمل مجازا فى الخلو من الشيء وان كان أصله في الحلى تقول عطل الرجل من المال والأدب فهو عُطْل وعُطُل والحلى ما تزين به المراة من المصوغ جمع حَلْيٍ والايناس ضد الايحاش قال ابو العلاء المعرى

قد آنسونى بايحاشى اذا بعدوا وأوحشونى من قرب بايناس

فجمع بينهما والظمأ محركا العطش والبرود بفتح الباء الماء البارد وتضعف فى المبالغة كبرده والاسعاف والانجاد والاغاثة والنَّفَضُ محركة اصله ما يسقط من ورق الأشجار ثم استعمل لغيرها تقول نفضت الثوب من الغبار اذا حركته

ونفضت كفي عن موالاة زيد اذا هجرته والكف من اليدين معلوم والحياطة الحفظ والصون والغض انخفاض الطرف ويطلق الطَّرفُ بسكون الراء على العين خاصة ويقال للطرف الفاتر غضيض والمراد الأول والحماية المنع ضد الاباحة تقول احميت المكان اذا جعلته حمى لايُقرَب وفى الحديث لاحمى الا لله ولرسوله وقوله بعد أن نظر الأعمى الى قوله (واحس الجماد بمستنادي اليك) غلو مفرط[1] فى التمسك بولاء مولاه واعتماده عليه وانما اراد المبالغة فى التأثير عليه والا فالاعمى لايبصر والاصم لايسمع والجماد لايحس وفى هذه الجملة المطابقة[2] بين السلب

(١) الغلو الافراط فى وصف الشيء بالمستحيل عقلا وعادة كقول أبي نواس (واخفت أهل الشرك حتى انه لتخافك النطف التي لم تخلق) لان قيام العرض الموجود وهو الخوف بالمعدوم وهى النطف التى لم تخلق مستحيل عقلا وعادة ولكن أهل العلم بالمعانى تقضوه ووجههم فى ذلك أن من خاف شيئاً خافه بجوارحه وسمعه وبصره ولحمه ودمه والنطف داخلة فى هذه الجملة فهو اذا اخاف اهل الشرك اخاف النطف التى فى اصلابهم وبذلك يخرج معنى البيت من الاستحالة الى الممكن البعيد ويقال له فى اصطلاح البديعيين الأغراق وهو وصف الشيء بما يمكن عقلا ولكنه بعيد الوقوع اما البيت المستحسن فى الغلو فكقول بعضهم (وكان لى فيما مضى خاتم: فالان لو شئت تمنطقت به) فهذا مستحيل عقلاوعادة

(٢) المطابقة أوالطباق معناه فى اللغة ان يضع البعير رجله مكان يده فاذا فعل ذلك قالوا طابق البعير وفى اصطلاح البديعيين الجمع بين الشيء وضده فى جزء من اجزاء الرسالة أو البيت من القصيدة كالجمع بين البياض والسواد والليل والنهار والحر والبرد وبعضهم يقول هو ايراد لفظتين متشابهتين فى البناء والصيغة مختلفتين فى المعنى واحسن ماقيل من الشعر فيه قول أبي تمام

اصم بك الناعى وان كان أسمعا واصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

واللباس والعطل ولحلى والظمأ والشراب وفيها استعارات مجازية بديعة فقد جعل انعام مولاه عليه لباسا وإيناسه به حليا واغاثته وانجاده برودا وحفظ حرمته كفا صائلا واحتماءه به عينا باصرة فلما حرمه منها صرفها الى الضد كأنه يقول اذا ابدلتنى من لباسك سلباً ومن ايناسك وحشة ومن شرابك ظمأ ومن كلاءتك ضياعا ومن حمايتك ابلحة الخ فلا غرو جواب اذا الظرفية أى لاعجب وهى كلمة يسبقها حرف النفى غالبا وقد جاء الفعل بين الحرف وبينها فى قول البحترى

ولو كان ماخبرته أو ظننته　　لما كان غروا ان الوم وتكوما

يقول لاعجب فيما بدا منك فقد يأتى الشر من طريق الخير فالماء الذى جعل منه كل شىء حى قد يغص بالحلق فيشرَقُ به والدواء الذى ينال به الشفاء قد يميت المتداوى به والحَذِرُ الكثير التيقظ قد يأتيه الخوف من جهة مأمنه والمتمنى منى قد يكون هلاكه فيما تمنى كما أن جهد الحريص على الحياة قد لا يُنجيه حرصه من الموت قلت وكل هذا على ما اعتقد ناشىء من الافراط والتفريط والاعتدال فى الأمور كلها يدرأ الخطر ويجلب الرفق وقوله بعد أن نظر الاعمى الى تأميلى لك الى قوله باستنادى اليك أخذه من قول المتنبى

انا الذى نظر الاعمى الى أدبى　　واسمعت كلماتى من به صمم

من قصيدة يمدح بها سيف الدولة على بن حمدان ويعاتبه فيها ومطلعها

واحر قلباه ممن قلبه شبم　　ومن بجسمى وحالى عنده سقم

يقول فى اثنائها

انا الذى نظر الاعمى الى أدبى　　واسمعت كلماتى من به صمم

انام ملء جفونى عن شواردها　　ويسهر الخلق جراها ويختصم

وجاهل مده فى جهله ضحكي　　حتى أتته يد فراسة وفم

اذا نظرتَ نُيوبَ الليث بارزةً　　فلا تظنن ان الليث مُبْتَسِمُ

ومهجة مهجتى من هم صاحبها ... ادركتها بجواد ظهره حرم
رجلاه فى الركض رجل واليدان يد ... وفعله ماتريد الكف والقدم
ومرهف سرت بين الجحفلين به ... حتى ضربت وموج الموت يلتطم
فالخيل والليل والبيداء تعرفنى ... والضرب والطعن والقرطاس والقلم

ذكر المتنبي وبعض اخباره

هو ابو الطيب احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجُعْفِىّ الكوفى الشاعر المشهور وقيل احمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار وهو من أهل الكوفة وقدم الشام فى صباه واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها واكثر من نقل اللغة غريبها وحوشيها حتى كان لايسأل عن شيء الا استشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر وله ديوان من الشعر كبير حوى من جيد المديح والحكم والمراثى والهجاء ماجعله فى مقدمة دواوين الشعراء واعتني العلماء بشرحه فيقال لمزله أربعين او خمسين شرحا بين مطوّل ومختصر ولم يفعل هذا بديوان شعر غيره ورزق بالشعر سعادة تامة وانما قيل له المتنبي لانه ادعى النبوة فى بادية السماوة موضع بين الكوفة والشام وتبعه خلق كثير فخرق عليهم باشياء هى بالسحر أشبه منها بالمعجزات كصدحة المطر التى كان قد تعلمها من بعض الاعراب وهى ايقافه المطر فى البقعة التى يريدها ومسيره من حلة الى حلة وبينهما مسيرة أربعة أيام فى ليلة واحدة وكان مشاء وله خبرة بالطريق فيختصرها ويأتى فيغسل يديه ورجليه ويخبرهم أن الارض تطوى له وقال فى دعاويه أن رسول الله قال لا نَبِىَّ بعدى فانا اسمى فى السماء لاجل الحرف اسما) وقال

أى محل أرتقى ... أى عظيم أتقى
وكل ما خلق الله ... وما لم يخلق
محتقر فى همتي ... كشعرة فى مفرقى

وقيل لأنه قال فى شعره

ما مقامى بأرض نخلة الا　　كمقام المسيح بين اليهود

ولقوله أيضاً

أنا من أمة تداركها اللـــه غريب كصالح فى ثمود

فشبه نفسه بعيسى بن مريم وصالح عليهما السلام وقد افتخر فى هذه القصيدة بأبيات منها قوله

مفرشى صهوة الحصان ولكنـ　　ـنّ قميصى مسرودة من حديد

أين فضلى اذا قنعت من الدهـ　　ـر بعيش معجل التنكيد

عش عزيزا أو مُتْ وأنت كريم　　بين طعن القنا وخفق البنود

لا بقومى شَرُفْتُ بل شَرُفوا بى　　وبنفسى فخرت لا بجدودى

ان أكن معجباً فعُجْب عجيب　　لم يجدْ فوق نفسه من مزيد

أنا تِربُ الندى وربُّ القوافى　　وسِمَامُ العدا وغيظُ الحسود

قالوا ولما ظهر أمره خرج اليه لؤلؤ أمير حِمْصَ من قِبَلِ الاخشيدىّ بمصر فأسره وفرق عنه أصحابه وحبسه زمنا ثم استتابه وأطلقه بعد ان استعطفه المتنبى مرارا وبعث له وهو فى السجن بقصيدته التى أولها

أَيا خَدَّدَ اللهُ وَرْدَ الخدود　　وقَدَّ قُدُود الحسان القدود

يقول فى اثنائها يمدحه ويتنصّل مما اتهم به

لقد حال بالسيف دون الوعيد　　وحالت عطاياه دون الوعود

فأنجم أمواله فى النُّحوس　　وأنجم سؤّاله فى السعود

دعوتك لما براني البلَى　　وأوهن رجلىّ ثِقْلُ الحديد

وقد كان مشيُهما فى النِّعال　　فقد صار مشيُهما فى القيود

فلا تسمَعَنَّ من الكاشحين　　ولا تَعْبَأَنْ بمحك اليهود

وكن فارقا بين دعوى أردتُ ودعوى فعلتُ بشأوٍ بعيد

وبعد انطلاقه التحق بسيف الدولة بن حمدان (١) وأفرغ جبة مدحه فيه ورثى أمه وأخته وبعض أقاربه حتى مملوكه ونال منه حظوة تامة وأكثر قصائده المختارة كانت فيه ولم يقل في غيره مثله سوى كافور الاخشيدى ذلك لان سيف الدولة كان عربيا صبيا عالما بالشعر فطنا بجيده ورديئه حتى قال المتنبي ما رد عليّ أحد شيئا قبلته إلا سيف الدولة أنشدته

وكأن بها مثل الجنون فأصبحت ومن جيَفِ القتلى عليها تمائم

فقال لي مَهْ قُل ومن جثث القتلى فقبلت وقلت كما قال لي وهذه القصيدة من جيد مدحه فيه ومنها

اذا كان ما تنويه فعلا مضارعا مضى قبل ان تُلْقَى عليه الجوازم

وكيف ترجي الروم والروس هدمها وذا الطعن آساس لها ودعائم

يريد القلعة التي بناها سيف الدولة بثغر الحدث وغار عليها الدُمُسْتُقِ في خمسين ألف فارس وراجل من جموع الروم والأرمن والبلغار والصقالب فصدهم عنها بمقتلة عظيمة

---

(١) هو أبو الحسن علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون وينتهي نسبه الى عمرو بن تغلب التغلبي وكان سيدا من سادات تغلب ولقبه الخليفة المستكفي بالله العباسي بسيف الدولة وولاه حلب وذلك في سنة ٣٣٠ هجرية وأخوه ناصر الدولة أبو محمد الحسن كان والياً على الموصل فلما قتل خلفه ولده ناصر الدولة وكان سيف الدولة واسطة عقدهم مقصد الوفود ومطلع الجود وقبلة الآمال ومحط الرحال وموسم الأدباء وحلبة الشعراء ويقال انه لم يجتمع بأحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه وكان أديبا شاعرا محبا لجيد المديح وأحب المتنبي وعلمه الفروسية وبه اشتهر اسمه ولد في ١٧ ذي الحجة سنة ٣٠٣ وتوفي بحلب في ٥ صفر سنة ٣٥٦

وقد حاكموها والمنايا حواكم ... فما مات مظلوم ولا عاش ظالم

أتوك يجرون الحديد كأنهم ... سَرَوْا بجياد ما لهن قوائم

اذا برقوا لم تُعْرَف البيض منهم ... ثيابهم من مثلها والعمائم

خميس بشرق الارض والغرب زحفه ... وفى أذن الجوزاء منه زمازم

تجمع فيه كل لَسْنٍ وأمّة ... فما تُفْهِمُ الحدّاث الا التراجِمُ

الى أن قال

وقفت وما للموت شك لواقف ... كأنك فى جفن الردى وهو نائم

تمر بك الابطال كَلْمَى هزيمةً ... ووجهك وضاح وثغرك باسم

فيقال ان سيف الدولة أنكر عليه تطبيق عَجُزَيِ البيتين على صدرَيْهما وقال ينبغى أن تطبق عَجُزَ الأول على الثانى وعجز الثانى على الأول هكذا

وقفت وما فى الموت شك لواقف ... ووجهك وضاح وثغرك باسم

تمر بك الابطال كلمى هزيمة ... كأنك فى جفن الردى وهو نائم

ثم قال له وأنت فى هذا مثل امرئ القيس فى قوله

كأنى لم أركب جوادا للذة ... ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزِّق الرّوِيَّ ولم أَقُلْ ... لخيلى كُرِّى كرة بعد اجفال

والوجه أن يكون عَجُزُ الأول على الثانى والثانى على الأول كما قال أهل العلم بالشعر يستقيم الكلام فقال أبو الطيب أدام الله عز مولانا ان صح ان الذى استدرك على امرئ القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ومولانا يعرف ان البزاز (بايع الثياب) لا يعرف الثوب معرفة الحائك لان البزاز يعرف جملته والحائك يعرف جملته وتفصيله وانما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماحة فى شراء الخمر للاضياف بالشجاعة فى منازلة الاعداء وانا لما ذكرت الموت فى أول البيت اتبعته بذكر الرَّدى ليجانسه ولما كان المنهزم لا يخلو من أن

يكون وجهه عبوسا وعينه من ان تكون باكية قلت ووجهك وضاح وثغرك باسم لأجمع بين الاضداد فى المعنى فاعجب سيف الدولة كلامه ووصله بخمسمائة دينار قلت ورأيت فى شرح ديوان امرىء القيس للوزير أبى بكر عاصم بن أيوب قوله وقد اعترض امرئ القيس فى هذين البيتين وقيل خالف وافسد ولو جمع الشئ وشكله فذكر الجواد والكر فى بيت واحد فقال

كأنى لم أركب جوادا ولم أقل لخيلى كرى كرة بعد اجفال

وكذلك لو ذكر النساء والخمر فى بيت فقال

ولم أسبأ الزق الروى للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

لأصاب والذى قال امرؤ القيس أصوب لان اللذة التى ذكرها انما هى الصيد ثم حكى عن شبابه وغشيانه النساء فجمع البيت المعنيين ولو نظمه كما قال المعترض لنقص فائدة تدل على الملك والسلطان وكذلك البيت الثانى لو كان على ما قال لكان ذكره اللذة زائدا فى المعنى لان الزق لا يُسبأ الا للذة فوصف نفسه بالفتوة والشجاعة بعد ان وصفها بالتملك والرفاهية ومن مختارات شعره قوله من قصيدة يهنئ فيها سيف الدولة بعيد الاضحى

هنيأ لك العيد الذى أنت عيده وعيد لمن سمى وضحى وعيدا
ولا زالت الاعياد لبسك بعده تسلم مخروقا وتعطى مجددا
فذا اليوم فى الايام مثلك فى الورى كما كنت فيهم أوحدا كان أوحدا

ومنها وقد تخلص الى مدحه بالحلم والكرم

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا
اذا أنت أكرمت الكريم ملكته وان أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى فى موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف فى موضع الندى

فى البيت الاخير ان من استحق العطاء لم يستعمل معه السيف ومن استحق

ضرب السيف لم يكرم بالعطاء وهذا عبارة عن وضع الشيء فى محله فمن لم يفعل ذلك أضر بملاه

ومنها يفتخر بقول الشعر

وما الدهر الا من رواة قصائدى　　اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا　　وغنّى به من لا يغنّى مغردا
أجزنى اذا أُنشدْتَ شعرا فانما　　بشعرى أتاك المادحون مُردَّدا
ودع كل صوتٍ غير صوتى فاننى　　أنا الصائح المحكىُّ والآخَر الصدى

ومن مختاراته أيضا قوله من قصيدة أخرى فى مدحه أيضا

إذا الدولة استكفت به فى ملمة　　كفاها فكان السيف والكف والقلبا
تُهاب سيوفُ الهند وهى حدائد　　فكيف اذا كانت نِزارية عُرْبا
ويُرهب نَاب الليثِ والليثُ وحده　　فكيف اذا كان الليوث له صحبا
ويُخشَى عُباب البحر وهو مكانه　　فكيف بمن يغشى البلاد اذا عَبَّا

وهى طويلة الى ان قال وهو من الحكم

ارى كلنا يبغى الحياة بسعيه　　حريصا عليها مستهاما بها صبا
فحب الجبان النفس اورده التقى　　وحب الشجاع النفس اورده الحربا
ويختلف الرزقان والفعل واحد　　الى أن يرى احسانُ هذا لذا ذنبا

هذا البيت الاخير معناه أن الرجلين ليفعلان فعلا واحدا فيرزق احدهما ويحرم الاخر حتى كأن احسان المرزوق ذنب المحروم مثاله أن يحضر الحرب رجلان يغنم احدهما ويحرم الاخر فالاخذ من المغانم ذنب المحروم وكلاهما فعل فعلا واحدا وكذلك مسافران سافرا فى تجارة فربح احدهما وخسر الثانى فسفر الرابح احسان يحمد عليه وسفر الخاسر ذنب يلام عليه قال شارح الديوان وهذا من أحسن المعانى التي تميل النفس اليها ولو لم يكن له غير هذين البيتين والذى

قبلهما لكفاه ومما رثى به أم سيف الدولة قوله من أبيات فيها

نَصِيبك فى حياتك من حبيب   نصيبك فى منامك من خيال

جعل العمر كالمنام والموت كالانتباه يريد أن نصيب الانسان من وصال حبيبه فى حياته كنصيبه من وصال خياله فى منامه باتفاق الامرين فى سرعة انقطاعهما واشتباههما فى عجلة زوالهما

رمانى الدهر بالارزاء حتى   فؤادى فى غشاء من نبال

فصرت اذا أصابتنى سهام   تكسرت النصال على النصال

وهان فما أبالى بالرزايا   لأنى ما انتفعت بأن أبالى

ومنها وقد تخلص الى ذكر الفقيدة

اسائل عنك بعدك كل مجد   وما عهدى بمجد عنك خالى

يمر بقبرك العافى فيبكى   ويشغله البكاء عن السؤال

بعيشك هل سلوت فان قلبى   وان جانبت أرضك غير سالى

نزلت على الكراهة فى مكان   بَعُدْتِ عن النعامى والشمال

النعامى بضم النون الجنوب وهى الريح القبلية والشمال الريح البحرية أى صرت فى مكان لا رياح به

بدا لو كل ما كنها غريب   طويل الهجر مُنْبَتُّ الحبال

مشى الامراء حوليها حفاة   كأن المرو من زف الرئال

وأبرزَتِ الخدور مخبآت   يضعن النقس أمكنة الغوالى

المرو حجارة بيض براقة فيها النار والزف صغار ريش والرئال جمع رال وهو ولد النعام والنقس المداد وهو السواد والغوالى جمع غالية نوع من الطيب يقول لشرف ولدها مشى الامراء حول جنازتها حفاة يطئون الحجارة لا يحسون بألم وطئها فكأنهم يمشون على الريش لشدة حزنهم وخرج الجوارى من الخدور وقد كن

مخبآت وجعلن السواد على وجوههن مكان الطيب

اتتهن المصيبة غافلات فدمع الحزن فى دمع الدلال

هذا البيت من بدائعه التى لا يدانيه فيها أحد فانظر كيف يكون خلطهن بكاء الدلال ببكاء الحزن وقد كن غافلات حين أتت المصيبة عليهن

ولو كان النساء كمن فقدنا لفضلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

الى أن قال

يُدَفِّن بعضنا بعضا وتمشى أواخرنا على هام الاوالى

يريد الاوائل فقلبَ وهو كثير فى أشعارهم

وكم عين مقبلةِ النواحى كحيل بالجنادل والرمال

ومُغضٍ كان لا يُغضى لخطب وبال كان يَفكُرُ فى الهُزال

وقال وقد تخلص الى العزاء

أسيف الدولة استنجد بصبر وكيف بمثل صبرك للجبال

فأنت تعلّم الناس التعزّي وخَوضَ الموت فى الحرب السجال

وحالات الزمان عليك شتى وحالك واحد فى كل حال

فان تَفُقِ الأنام وأنت منهم فان المسكَ بعضُ دم الغزال

ومما رثى به أخته قوله من قصيدة طويلة

طوى الجزيرةَ حتى جاءنى خبرٌ فزعت فيه بآمالى الى الكذب

حتى اذا لم يدع لي صدقه أملا شرِقتُ بالدمع حتى كاد يشرق بى

ومنها وقد تخلص الى وصف سجاياها

فان تكن خلقت أنثى لقد خلقت كريمةً غير أنثى العقل والحسب

وان تكن تغلِبُ الغلباءُ عنصرَهَا فانّ فى الخمر معنًى ليس فى العنب

ومنها وقد التفت الى العزاء

جزاك ربك بالاحزان مغفرة   فحزن كلِّ أخي حزن أخو الغضب

أي ان الحزن أخو الغضب على القدَرِ ولا غضب على المقدور

فلا تنلك الليالي ان أيديها   اذا ضربن كسرن النبع بالغرَبِ

وما قضى أحد منها لبانته   ولا انتهى أرَبٌ الا الى أرَب

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم   إلاّ على شجبٍ والخُلْفُ في الشجب

الشجب الهلاك

فقيل تخلص نفسُ المرء سالمة   وقيل تَشْرَكُ جسمَ المرء في العطب

ومن تفكر في الدنيا ومهجته   أقامه الفكر بين العجز والتعب

القول بخلاص النفس سالمةً من الهلاك وهي الروح قولُ الأديان المقرة بالبعث الأخروي وأما القول بفنائها كما يفنى الجسم فانما يقوله الدهريون ومن يعتقد بقدم العالم وهذا بحث لا محل له هنا

ومما رثى به ابن عمه تَغْلِبَ أبا وائل قوله من قصيدة مطلعها

ما سدكت علة بمولود   أكرم من تغلب بن داؤد

سدكت بمعنى لزمت يقول فيها

فما ترجّى النفوسُ من زمن   أحمَدُ حاليهْ غير محمود

ان نيوب الزمان تعرفني   أنا الذي طال عجمها عودي

وفيَّ ما قارع الخطوب وما   آنسني في المصائب السود

ومنها وقد تخلص الى عزاء سيف الدولة

يا أكرم الأكرمين يامالك الـ   ـأملاك طرًا يا أصيدَ الصيَدِ

قد مات مِنْ قبلها فأنشرهُ   وقعُ قنا الخطّ في اللغاديد

اللغدود لحمة عند اللهاة في باطن الحلق وقنا الخطّ الرماح وكان هذا المرثي

ثم أسر فى الحرب فاستنقذه سيف الدولة من الأسر فكأنه كان ميتا فنشره الى أن قال

مهما يُعَزَّ الفتى الأميرُ به فلا بإقدامه ولا الجود
ومن مُنَانَا بقاؤُه أبدا حتى يعزَّى بكل مولود

وعندى ان معنى البيت الأخير يشق على النفس اليوم سماعه فان من يبقى بعد موت أولاده كلهم يَعِشْ تَعِساً حِلْفَ أحزان والأليق الدعاء للمُعزَّى بطول العمر بغير تعرض الى بقائه حتى تتقدم أولاده الى الموت ومن التعازى التى فشا استعمالها اليوم قول بعضهم لا أعاد الله اليك مصيبة أبدا وهذا الدعاء وان كان يخف سماعه على النفس فليس بصحيح البتة وغير الصحيح يحسن تركه واستعمال كلمة أحسن الله عزاءك ورزقك الصبر والسلوّ

ومن أحسن ما رثى به مملوك سيف الدولة يماك التركى قوله

وقد فارق الناسُ الأحبّةَ قبلنا وأعيا دواء الموت كل طبيب
سُبِقْنَا الى الدنيا فلو عاش أهلها مُنِعْنَا بها من جيئة وذهوب

فى البيت الثانى معنى دقيق وقليل من الناس من يتفكر فيه يقول أن من سبقونا الى هذه الدنيا ماتوا ولو عاشوا لضاقت بنا وبهم الارض حتى لا نطيق الذهاب والمجيء من كثرتهم فالخيرة فيما اختاره الله لنا وقدّره فى سابق أزله علينا فانما يستقيم أمر الدنيا بموت قوم وحياة آخرين وهذا من أحسن ما يعزى به انسان

تملكها الآتى تملك سالب وفارقها الماضى فراق سليب
ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب
واوفى حياة الغابرين لصاحب حياة امرىء خانته بعد مشيب

وهذا البيت من أغرب المعانى يريد أن المرء اذا عاش الى أن بلغ المشيب

وخاتمه للحياة يعنى فى المرء قد امهلته الدنيا ووفت له الى أبعد غاية من العمر ما بعدها سوى الموت الذى لا مفر منه على كل حال

ومن مختارات للمتنبى القصيدة التى مدح بها ابن العميد ومنها

صفت السوار لأىّ كفّ بشّرت   بابن العميد وأىّ عبد كبّرا
ان لم تغثني خيلهُ وسلاحه   فمتى اقود الى الأعادى عسكرا
بأبى وأمى ناطق فى لفظه   ثمن تباع له القلوب وتشترى
يتكسب القصب الضعيف بكفه   شرفا على صم الرماح ومفخرا
يامن اذا ورد البلادَ كتابهُ   قبلَ الجيوش ثنى الجيوش تحيّرا
ويبين فيما حس منه بنانه   تيه المدِل فلو مشى لتبخترا

الى أن قال

من مبْلِغُ الأعراب أنى بعدها   شاهدت رسطاليس والاسكندرا
ومَلِلتُ نحو عشارها فأضافنى   من ينحْرُ البِدَرَ النضارلمن قرى
ولقيت كل الفاضلين كأنما   ردّ الالهُ نفوسهم والاعصرا
نسقوا لنا نَسَقَ الحساب مقدما   وأتى فذلك ان أتيتَ مؤخرا
وترى الفضيله لا ترد فضيلة   الشمسُ تشرق والسحابُ كنهوَرا
انا من جميع الناس أطيب منزلا   وأسر راحلة واربح متجرا
زُحَلٌ على ان الكواكب قومُهُ   لو كان منك لكان اكرم معشرا

وله فيه ايضاً من قصيدة اخرى قوله

هل لعذرى الى الهمام ابى الفضـل قبولٌ سوادُ عينى مدادُه
انا من شدة الحياء عليل   مكرمات المعِلّه عوّادُه
انى أُصَيّدُ البُزاةِ ولكنّ   أجلّ النجوم لا اصطاده
رُب ما لا يعبّرُ اللفظُ عنه   والذى يضمر الفؤادَ اعتقاده

ما تعوّدت ان أرى كأبي الفضـــل وهذا الذى اتاه اعتياده

يريد بالبيت الاخير أنه لم يمتدح مثله فلذلك قصر عن وصفه له والذى أتاه من الكرم عادة له قال شارح الديوان وهذا يدل على تحرز ابي الطيب منه وتواضعه له ولم يتواضع لأحد فى شعره ما تواضع له وقد مدح المتنبي غير سيف الدولة وخواصه واشياعه وغير ابن العميد جماعةً من الأكابر والرؤساء ورثى وهجا كثيرا ممن يحبهم ويقليهم اما بالمراسلة واما بالرحيـل اليهم أو فى طريقـه مجتازا بلادهم ولما اتّصل بكافور الاخشيدى مدحه بأجود القصائد فمن ذلك قصيدته البائية التى مطلعها

مَن الجآذرُ فى زىّ الأعاريب حُمْرُ الحُلى والمطايا والجلابيب

يقول فى ابيات منها فى الغزل

كم زورةٍ لك فى الأعراب خافيةٍ أدهى وقد رقدوا من زورة الذيب

أزورهم وسواد الليل يشفع لى وأنثنى وبياض الصبح يُغرى بى

قال الثعالبى البيت الثانى امير شعره وفيه تطبيق بديع ولفظٌ حسن جمع بين الزيارة والانثناء والانصراف وبين السواد والبياض والليل والصبح والشفاعة والاغراء وبين لى وبى من المطابقة وقد اجمع الحذاق والنقّاد أن لابى الطيب نوادر لم تأت فى شعر غيره وهى ممّا تخرق العقول منها هذا البيت وفي هذه القصيدة تعريض بسيف الدولة كقوله

قالوا هجرت اليه الغيث قلت لهم الى غيوث يديه والشآبيب

الى الذى تهب الدُولات راحتهُ ولا يمُن على آثار موهوب

جعل فى البيت الأول سيف الدوله غيثا وكافور غيوثا وجعله فى الثانى موهوبا وكافور واهبا .

وكقوله من قصيدة أخرى فى كافور أيضاً

قواصد كافورٍ تواركُ غيرَه ومن قصد البحر استقلَّ السواقيا

فجاءت بنا إنسانَ عينِ زمانه وخلّت بياضاً خلفها وماَقيا

فى البيت الاول تعريض بسيف الدولة أيضاً فقيل انه لما سمعه قال له الويل جعلني ساقية وجعل الاسودَ بحرا وفى الثانى معنى لم يمدح أسود بمثله اذ جعل كافور عين الزمانِ وان مَن سواه فضول لا حاجة بأحد اليها كالتي حول العين من جفون وماَقى

ولما قال فى كافور من قصيدة أخرى فى الغزل والمدح

اذا سارت الاحداج فوق نباته تفاوح مسك الغانيات ورندهُ

أخذ شعراء مصر لفظة تفاوح فتداولوها بينهم وأنكروها حتى حققوها وهى لفظة فصيحة مستعملة تقول تفاوح المسك تفاعل من فاح يفوح اذا عبق ريحه قال شارح الديوان عن بعض مشايخه كان شعر المتنبي في كافور وسيف الدولة أجود منه في عضد الدولة وأبى الفضل بن العميد وانما كان يعمل الشعر للناس لا للممدوح فان عضد الدولة وابن العميد كانا فى بلادخاليةٍ من الفضلاء والشعراء وكان بمصر جماعةٌ منهم وكذلك كان بحلب عند سيف الدولة مثلهم فكان يعمل الشعر للجيِّد لمن يكون بالمكان من الفضلاء ولا يبالى بالممدوح وقال أبو الفتح ابن جنّى لما قرأت الديوان على المتنبى ووصلت الى قوله من قصيدة فى كافور

ألاليت شعرى هل أقول قصيدةً ولا أشتكي فيها ولا أتعتب

وبى ما يَذُود الشعر عنى أقله ولكن قلبى ياأبنة القوم قُلَّب

سألته كيف يكون هذا الشعر فى ممدوح غير سيف الدولة فقال لى حذّرناه وأنذرناه فما نفع ألستُ القائل فيه

أخا الجود أعط الناس ما أنا مالك ولا تعطين الناس ما أنا قائل

فهو الذى أعطانى لكافور لسوء تدبيره وقلة تمييزه على أنه أقام بمصر نحو

من خمس سنوات من سنة ٣٤٦ الى سنة ٣٥٠ وكانت نفسه تحدثه بأماني كبيرة ينالها من كافور فلم يتحقق له شيء من ذلك وبدأ يتذمر من كافور ويتعرض لا يقاظه وحثه على العطاء كقوله

أبا المسك هل في الكأس فضل أناله فاني أغني من زمان وتشرب

وهبتَ على مقدار كفّيْ زماننا ونفسي على مقدار كفيك تطلب

اذا لم تَنُطْ بي ضَيعةً أو ولايةً فجودك يكسوني وشغلك يسلب

ذلك لانه لم يعطه عطاء يَسدُّ نهمته ولا ولاه ولاية من ولايات الدولة الى أن قال يعرض به

وَمَا طربي لما رأيتك بِدعةً لقد كنت أرجو أن أراك فاطرب

وتعذلني فيك القوافي وهمتي كأني بمدح قبل مدحك مذنب

وهذان البيتان وان يكن ظاهرهما المديح يجوز قلبهما هجاء لأنه يقول طربت لرؤيتك كما يطرب الانسان على رؤية القرد الذي يُضحِك منه قال شارحه قلتُ للمتنبي لما قرأت الديوان عليه قد جعلت الرجل أبا زَنَةَ (كنية القرد) فضحك من قولي والمصراع الأول من البيت الثاني ظاهر الهجاء لولا الثاني فتأمله ولما لم يفُزْ منه بطائل فوق ما رأى كافور فيه من التعالي في شعره (وسُمُوِّهِ بنفسه) حتى قال فيه ياقوم من أدعى النبوة أما يدعي المملكة مع كافور وكان قد هجره وضيق عليه وكثرت وشاية الناس فيه تهيأ للهروب حتى تمكن منه فهرب في ليلة عيد النحر سنة ٣٥٠ وقصد الكوفة ولما خلص منه هجاه اشد هجو بقوله من قصيدة

صار الخَصِيُّ إمام الآبقين بها فالحُرّ مستعبدٌ والعبد معبود

العبد ليس لحر صالح بأخ لو أنه في ثياب الحر مولود

لا تشتر العبد الا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد

ما كنت احسبنى أبقى الى زمن ... يسيء بى فيه كلب وهو محمود
ولا توهمت ان الناس قد فقدوا ... وان مثل ابى البيضاء موجود
يريد بأبى البيضاء سواده تهكما
وأن ذا الاسود المثقوب مشفره ... تطيعه ذى العضاريط الرعاديد

العضاريط الاتباع وقيل العضريط الأجيرالذى يخدم بطعام بطنه والرعاديد الجبناء

من علم الأسود المخصى مكرمة ... اقومه البيض أم اباؤه الصيد

وخاطب أهل مصر فيه بقوله

أغاية الدين أن تحفوا شواربكم ... يا أمة ضحكت من جهلها الأمم
آلا فتى يورد المندى هامته ... كيما تزول شكوك الناس والتهم

وقصد بلاد فارس فيمم عضد الدولة بن بويه [1] الديلمى و بعث من هنالك

(١) عضد الدولة لقبه وكنيته ابو شجاع فناخسرو ويلقب أيضا تاج الدولة وتاج الملة ابن ركن الدولة ابى على الحسن بن بويه الديلمى ملك فارس فى الاسلام وهو ثالث لخوته معز الدولة ابو الحسين احمد صاحب العراق والاهواز وابو على الحسن صاحب اصبهان والرى وهمذان وجميع عراق العجم وهو اصغرهم والمملك عمه عماد الدولة بفارس تسلمها هو من بعده ومع عظم شأن عمه واخوته وجلالة اقدارهم لم يبلغ احد منهم مابلغه هو من سعة المملكة والاستيلاء على الملوك وممالكهم فانه جمع بين مملكة المذكورين كلهم وضم الى ذلك الموصل وبلاد الجزيرة وغير ذلك ودانت له البلاد ودخل فى طاعته كل صعب القياد وهو أول من خوطب بالملك فى الاسلام وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة وكان فاضلا محبا للفضلاء وقصده فحول الشعراء ومدحوه باحسن المدائح وكان مع ذلك كاتبا بليغا وشاعرا لطيفا ومن بلاغته ما كتب به الى أحد عماله بدمشق يحذره وينذره

قصيدة الى سيف الدولة وكان قد علم به حين فارق مصر فارسل اليه هدية فلذلك مدحه بقوله منها

نفص البعد عنك قرب المطايا　　مرتعى مُخْصب وجسمى هزيل
ان تبوأت غير دنياى دارا　　واتانى نيل فانت المنيل
من عبيدى ان عشت لى الف كافو　　ر ولى من نداك ريف ونيل

ثم مدح عضد الدولة بقصيدته الكافية وهى آخر ماقال فيه يقول فى ابيات منها يشكره وودعه

أروح وقد ختمت على فؤادى　　بحبك أن يحل به سواك
لحاذر أن يشق على المطايا　　ولا يمشى بنا الا سواك

السواك مشى ضعيف من مشى الابل المهازيل الى ان قال

اذا التوديع اعرض قال قلبى　　عليك الصمت لا صاحبت فاكا
ولولا ان أكثر ما تمنى　　معاودة لقلت ولا مناكا
فزل يا بعد عن ايدى ركاب　　لها وقع الاسنة فى حشاكا
وأيا شئت ياطرقى فكونى　　اذاة أو نجاة أو هلاكا
وألبس من رضاه فى طريقى　　سلاحا يذعُرُ الابطال شاكا

وقد جرى فى هذه القصيدة كلام كأنه ينعى نفسه فيه وان لم يقصد ولما فارق مجلسه اتبعه بعض جلسائه وقال له سله كيف شاهد مجلسنا وأين الامراء الذين لقيهم منا فلما جارى المتنبى فى هذا الميدان وأطال معه القول كان جواب المتنبى

قوله غرك عزك فصار قصار ذلك ذُلك فاخش فاحش فعلك فعلك بهذا تهدا وقد ابدع في المجانسة المصحفة كل الابداع وترجمته كبيرة ومات رحمه الله فى شوال سنة ٣٧٢ ببغداد ودفن بها ثم نقلت رفاته الى الكوفة وكان عمره حين وفاته سبعا وأربعين سنة انتهى

عن جميع ماسمه ان قال ماخدمتْ عيناى قلبى كاليوم وقد اختصر اللفظ وأطال المعنى قلت يريد والله أعلم أن عينيه حققتا ماخامر قلبه من كرم عضد الدولة وفضائله فذلك معنى خدمة العين للقلب وقد أجزل عضد الدولة صلته فاعطاه ثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مسرجة محلاة فانصرف منه باحسن حال وقيل ان عضد الدولة دس اليه من يسأله أين هذا من عطاء سيف الدولة فقال ان سيف الدولة يعطى طبعا وهذا يعطى تَطَبّعا فغضب عضد الدولة فلما انصرف جهز اليه قوما من بنى ضبة فقتلوه بعد ان قاتل قتالا شديدا ثم أراد الانهزام فقال له غلامه اين قولك

فالخيل والليل والبيداء تعرفنى   والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فقال قتلتنى قتلك الله فرجع وقاتل حتى قتل قلت أما قوله ماخدمت عيناى قلبى كاليوم فحتمل تصديقه وأما ماقيل مِنْ دس عضد الدولة اليه من يسأله عن الفرق بينه وبين سيف الدولة الى آخر ماقيل بعده فعندى شك فى صحته فأولا لم يأت المتنبى بما يستحق عليه القتل من عضد الدولة بعد ذلك المدح البليغ الذى ضمنه وداعا حارا يشهد له بعاطفة الحب لممدوحه حتى تمنى الموت فى طريقه الذى قضى عليه بمفارقته اياه وما أثابه عليه من جزيل العطاء ولو قال فيه يعطى تطبعا فليس فيه هجو ولا مايشم منه رائحة العداوة المفضى الى قتله فان كان فيه ما أغضب عضد الدولة فأكثر ما يقال انه تخلى عن البحث عن قاتليه بعد أن علم بهم وقد كان عضد الدولة ملكا كبيرا وأديباً فاضلا وما كانت شيمة الملوك العظام تتنزل الى مثل هذه السفالة فى الانتقام من شاعر يطلب المعروف ولم تبلغ اساءته (ذنبه) حد القتل وثانيا انما قيل فى سبب قتله ان خادمه نبّهه بعار الفرار حينما قال له كيف تفر وأنت القائل فالخيل والليل الخ فلعمرى لا ينقل هذا الخبر الا من شاهد الوقعة ممن كان مرافقاً للمتنبى ثم نجا من القتل وقد صح عندنا انه لم ينج أحدٌ منهم وما كان معه غير نفسه وولده

وغلامه وقد قتلوا جميعاً هذا من وجه ومن آخر غير معقول أن ينقل أعداؤه عنه ذلك لأن المجال أضيق من التسمع لما قيل ويقال فى مأزق تُحصَدُ فيه الأرواح حصدا وعلى فرض الأمر البعيد فليس فيما قاله المتنبى خِزْيٌ يحسن بأعدائه نشرهُ عنه وانما فيه منقبة له فكيف يذيعونها عنه وهم أعداؤه ولا يجاب على هذا بأنهم إنما أرادوا إلصاق عار الفرار به قبل ان ينبهه غلامهُ فانَّ من همَّ بأمر ولم يفعله لا يُعَدّ فاعلا وقد قاتل وقتل فعلا ولم ينكص فأين الفرار . لذلك أرى ان هذه الأخبار نقلت عنه بغير تمحيص وتدقيق بقصد المبالغة والله أعلم ونعود الى ما كنا فيه ثم سافر المتنبى قاصدا الكوفة مجتازا بجبل دير العاقول من طريق واسط فتعرض له فاتك بن أبى جهل الأسَدىّ فقتله وانتهب أمواله وقد ذكر صاحب كتاب الصبح المتنبى عن حيثية المتنبى خبر قتله مطولا عن أبى نصر محمد الجبلى فاختصرنا فيه بقدر الامكان قال كان مسير أبى الطيب من واسط فى يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ٣٥٤ هـ وقتله بِضَيْعَةٍ تقرب من دير العاقول فى يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من الشهر المذكور والذى تولى قتله وقتلَ ابنه محمدا وغلامه مفلحا رجل من بنى أسد يقال له فاتك بن أبى جهل بن فراس الأسدى وتحرير الخبر ان فاتكا هذا كان خالَ ضبة بن يزيد العُتْبي الذى هجاه أبو الطيب بقوله

ما أنصف الناس ضبه ... وأمه الطُّرْطُبَّه
وانما قلت ما قلـ ... ـت رحمةً لا محبّه
وما عليك من العا ... رِ أنَّ أمّكَ قحبه
وما يشق على الكلـ ... ـب أن يكون ابن كلبه

والقصيدة حوت سخافة وقبحا أضربنا عن الزيادة منها فيقال ان فاتكا داخلته الحَمِيَّة لما سمع ذكر أخته بالقبيح فى هذا الشعر فأضمر له السوء وعول على

قتله قال أبو نصر وكان فاتك صديقاً لي وكان سفاكاً للدماء فلام ابن أخته وقال له كان يجب عليك ان لا تجعل لشاعر عليك سبيلا واتصل به انصراف المتنبي من بلاد فارس وتوجهه الى بلاد العراق وعلم ان اجتيازه بجبل دير العاقول فلم يكن ينزل عن فرسه بلحثا عنه ومعه جماعة من بني عمه رأيهم في المتنبي مثل رأيه من طلبه واستعلام خبره من كل صادر ووارد وكان كثيرا ما ينزل عندي وقد جاءني فسألته عن سبب اهتمامه بهذا الرجل وأي شيء يريده منه فقال ما أريد إلا الجميل وعدلة عن هجاء ضبة فلمت منه الغدر وقلت له لا يليق ذلك بأخلاقك فتضاحك ثم قال يا أبا نصر والله لئن اكتحلت عيني به أو جمعتني واياه بقعة لأسفكن دمه فقلت له عافاك الله أزل هذا الرأي من قلبك فان الرجل شهير الاسم بعيد الصيت ولا يحسن بمثلك قتله على شعر قاله وقد هجت الشعراء الملوك في الجاهلية والخلفاء في الاسلام فما سمعنا بشاعر قتل بهجائه فقال يفعل الله يشاء وانصرف ولم يمض على هذا القول غير ثلاثة أيام حتى وافاني المتنبي ومعه بغال موقرة من الذهب والفضة والطيب والتجملات النفيسة والكتب الثمينة والآلات لأنه اذا سافر لم يترك في منزله درهما ولا ما يساويه من الاشياء وأكثر اشفاقه على دفاتره (كتبه) التي كان قد انتخبها وأحكم قراءتها وتصحيحها قال فنزل عندي في داري فلما أمسينا قلت له يا أبا الطيب علي أي شيء أجمعت قال على أن أتخذ الليل مركبا فان السير فيه يخف علي قلت هذا هو الصواب رجاء أن يخفيه الليل ولا يصبح الا وقد قطع بلدا بعيدا وقلت له الرأي أن يكون معك من رجالة هذا البلد الذين يعرفون مواقعها المخيفة جماعة يمشون بين يديك الى بغداد فقطب وجهه وقال أما والجراز في عنقي فما بي حاجة الى مؤنس فأعدت عليه قبول رأيي الذي أشرت به فقال لي تلويحك ينبيء عن تعريض وتعريضك ينبيء عن تصريح فعرفني الأمر وبين لي الخطب فأخبرته حينئذ عن فاتك وما أضمر عليه

من الفتك به ومعه نحو العشرين من بنى عمه وقال له غلامه وكان عاقلا الرأى ماقال أبو نصر خذ معك عشرين رجلا يسيرون بين يديك فاغتاظ أبو الطيب من غلامه وشتمه شتما قبيحا وقال والله لا أرضى أن يتحدث الناس بأنى سرت فى خفارة أحد غير سيفى فقلت له أنا أوجه معك قوما من قِبَلِى يسيرون بمسيرك ويكونون فى خفارتك فحلف علىّ لا فعلتَ شيئا من ذلك وقال لى يا أبا نصر أمن نجو الطير تخيفنى ومن عبيد العصا تخاف علىّ والله لو أنّ مخصرتى (عصاى) هذه ملقاة على شاطئ الفرات وبنو أسد معطشون بخمس وقد نظروا الى الماء كبطون الحيّات ما جسر لهم خُفٌّ ولا ظلف ان يَرِدَه معاذ الله أن أشغل فكرى بهم لحظة عين فقلت له قل ان شاء الله فقال هى كلمة لا تدفع مقضيا ولا تستجلب آتيا ثم ركب فكان آخر العهد به وقال ابن خلكان قتل المتنبى وولده وغلامه لست بقين وقيل لثلاث وقيل لاثنتين بقيتا من شهر رمضان ٣٥٤ بالقرب من النعمانية فى موضع يقال له الصافية من الجانب الغربى من سواد بغداد ونقل صاحب كتاب الصبح المنبى عن على بن حمزة قال بلوت من المتنبى ثلاث خلال محمودة وثلاث خلال مذمومة فالمحمودة أنه ما كذب ولا زنا ولا لاط والمذمومة أنه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن قلت كذب فى ادعائه النبوة فقد نقل عنه أنه قال أنزِلَ علىّ قرآن فيه والنجمِ السيّارِ والفلكِ الدوّارِ والليلِ والنهارِ ان الكافر لفى أخطار امضِ على سَنَنِك وَاقْفُ أثَرَ من كان قبلك من المرسلين فان الله قامعٌ بكَ زيغَ من ألحدَ فى الدّين وضلّ عن السبيل (سامحه الله) وانما جرّ الناس الى عدائه ماعرف عنه من خُنْزوانة وعَنْجهيّة (١) وترفّعُه عن مدح بعض الوزراء والأفاضل كالوزير المهلّبى بدار السلام وكوزير كافور بمصر الذى كان من الواشين به عند كافور وكان قد أكثر من وصف كافور بالسواد فى غالب شعره تارة بالمسك وأخرى بسواد العين مما لا يعدّ فخرا وكالصاحب بن

---

(١) الخنزوانة الكبر والعنجهية الحمق والعظمة اه قاموس

عبّاد قبل أن يَستَوزَرَ وكان قد تلطّف فى استدعائه وضمن له مشاطرته جميع ماله فلم يقم له وزنًا ولم يُجبْهُ عن كتابه وقال ابن غُلَيْماً (بالتصغير) مطالعا بالرى يريد أن نزوره ولاسبيل الى ذلك وكما وقع له مع أبى علىّ الحاتمى من المحاورة المشهورة فضلا عن هجائه من لا يأمن غائلته وقد كان صلفا متعاظما حتى تصدّى له كثيرون فانتقدوا شعره وثلبوا عرضه على أنه كان مع ذلك شجاعا حافظا للآداب عارفا بأخلاق الملوك وقد انتشر شعره وسار سير المثل فى الناس قيل ولما بلغ عضد الدولة قتله قال لقد تطيرت عليه حين قال

وأيًّا شئت ياطُرُق فكونى　　　أذاةً أونجـاةً أوهلا كا

لوضعه النجاة بين الاذاةِ والهلاك وقد أطنبنا فى ترجمته وان تكن أطولَ كثيرا مما نقلناه وكان مولده فى محلة تسمى كِنْدة سنة ٣٠٣ هـ فنسب اليها وليس هو من كندة القبيلة ولما قتل رثاه أبو القاسم المُظفَّر بن على الطبسي بقوله

لا رعى الله سرب هذا الزمان　　　اذ دهانا فى مثل ذاك اللسان

ما رأى الناسُ ثانىَ المتنبّى　　　أىُّ ثان يُرى لبكر الزمان

كان من نفسه الكبيرة فى جيـ　　　ـشٍ وفى كبرياء ذى سلطان

هو فى شعره نبيٌّ ولكنْ　　　ظهرت معجزاته فى المعانى

وقول ابن زيدون قد يَغَصُّ الماء شاربه مثل يضرب لمن يوثق به ثم يؤتي الواثق من قبله ذكره الميدانى فى امثاله وغصة الماء أشد من غصة الاكل قال الشاعر

لعلك أن تغص برأس عظم　　　وعلك فى شرابك ان تحينا

وقوله يؤتى الحذر من مأمنه مثل آخر وهو قريب المعنى من الأول قاله اكثم ابن صيفى حكيم العرب المشهور وجاء فى الحديث الشريف لاينفع حذر من قدر وقيل لاينفعك من رديىء حذر وكان نقش خاتم المستنصر بالله العباسى (يؤتى الحَذِر من مأمنه

﴿ ذكر أكثم بن صيفي التميمي وبعض أخباره ﴾

هو أكثم بن صيفي بن رَباح وقيل رياح التميمي حكيم العرب المشهور واخطب خطبائهم ادرك الاسلام آخر عمره ولم يطعه قومه بنو تميم على الاسلام قال المدائني ومحمد بن سلام الجمحي كان من حديث اكثم بن صيفي انه لما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ودعا الناس الى الاسلام بعث اكثم ابنه حُبَيْشاً اليه فاتاه بخبره وبكتاب منه فقال لقومه يابني تميم لاتُحضرُوني سفيها فان من يسمع يخل ان السفيه يوهنُ من فوقه ويُثَبِّتُ من دونه لاخير فيمن لاعقل له كَبِرَت سنى ودخلتني زلة فان رأيتم مني حسنا فاقبلوه وان رأيتم غير ذلك فقوّموني أستقم ان ابني شافه هذا الرجل (يعني محمدا) واتاني بخبره وبكتاب منه يأمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر ويأخذ بمحاسن الأخلاق ويدعو الى توحيد الله تعالى وخلع الاوثان وترك الحَلف بالنيران وقد عرف ذوو الرأي منكم أن الفضل فيما يدعو اليه وأن الرأي ترك ماينهى عنه إن أحق الناس بمعونة محمد ومساعدته على امره أنتم فان يكن الذي يدعو اليه حقا فهو لكم دون الناس وان يكن باطلا كنتم احق الناس بالكف عنه والستر عليه وقد كان أُسْقُفُّ نجران يُحَدّث بصفته وكان سفيان بن مجاشع يحدّث به قبله وسمى ابنه محمدا فكونوا في أمره أولا ولا تكونوا آخرا ائتوا طائعين قبل تؤتوا كارهين ان الذي يدعو اليه محمد لولم يكن دينا كان في أخلاق الناس حسنا أطيعوني واتبعوا أمري اسأل لكم أشياء لاتنزع منكم أبدا وأصبحتم أعز حيٍّ في العرب وأكثرهم عددا وأوسعهم دارا فاني أرى أمرا لايجتنبه عزيز الا ذلّ ولا يلزمه ذليل الا عزّ ان الأول لم يدع للآخر شيئا وهذا أمر له مابعده من سبق اليه غمر المعالي واقتدى به التالي والعزيمة حزم والاختلاف عجز فقال مالك بن نُوَيرة قد خرِف شيخكم فقال أكثم ويل الشجي من الخلي والَهفي على أمر لم أشهده ولم يسعني ثم رحل الى النبي صلى الله عليه وسلم هو ومن

تبعه من قومه فمات فى الطريق وذكر ابن عباس ان الآية (ومن يَخرُجْ من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) نزلت فيه وكان من حكماء العرب ونقل الميدانى كثيرا من أمثاله فى كتابه مجمع الامثال فمن ذلك قوله انك لاتجني من الشوك العنب وأول الحزم المشورة . والحزم سوء الظن بالناس ورضا الناس غاية لاتدرك ورُب ملوم لاذنب له والدنيا دُول فما كان منها لك أتاك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك والشماتة لؤم وحب المدح رأس الضياع والحلم دعامة العقل والانقباض عن الناس مكسبة للعداوة وافراط الانس مكسبة لقرناء السوء وسئل عن البلاغة فقال دُنُوُّ المأخذ وقرع الحجة ويقال انه أول من حكم فى الجاهلية بأن الولد للفراش وللعاهر الحجرَ ثم جاء الاسلام بتقريره وله غير ذلك من الحكم كثير ومن ذريته يحيى بن أكثم بن محمد بن سمعان بن مشنج بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد النون المفتوحة التميمي الاسيدى قاضى قضاة المأمون الخليفة العباسي وكان أحد أعلام الدنيا فضلا وعلما وأدبا حتى لم يتقدمه عنده أحد وقد ذكر ابن خلّكان ترجمته فى حرف الياء وقال توفى سنة ٢٤٢ بالرَّبَذة وهي قرية من قرى المدينة على طريق الحاج انتهت أخباره

وقول ابن زيدون والحَيْنُ قد يسبق جهد الحريص عَجزُ بيت أخذه من شعر عدِيّ بن زيد العَبادى من أبيات يقول فيها

أبلغ خليلى عند هند فلا زلتَ قريبا من سواد الخصوص (١)
موازِىَ القُرّةِ أو دونها غير بعيد من عُمَيرِ اللصوص (٢)
انك ذو عهد وذو مَصدَق مخالف عهد الكذوب اللموص (٣)

---

(١) جمع خص وهو حانوت الخمار (٢) القرة ويقال دير القره وعمير اللصوص قريتان من الحيره قريبتان من القادسية (٣) الخداع والمماذق

تأكل ماشئت وتعتلها خمرا من النُّص كلون الفصوص (١)
ينفح من أردانك المسكُ والـ هندىُّ والغار ولُبنَى قَفُوص (٢)
قد يُدْرِكِ المبطئُ من حظه والخيرُ قد يسبق جهد الحريص (٣)

ذكر عدى بن زيد العبادى و بعض أخباره

هو عدى بن زيد بن حماد وقيل حمار بن زيد بن ايوب بن محروف بن عامر ابن عصية بن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم شاعر فصيح من شعراء الجاهلية ومولده بالحيرة في نحو سنة ٤٨٠ ميلاديه وكان نصرانيا ديّانًا وصاحب كتب ومن دهاة أهل ذلك العصر قال صاحب الاغاني ويقال أنه لا يُعَدُّ من فحول الشعراء ووصفه بأنه منهم كسهيل فى النجوم يعارضها ولا يجرى معها مجراها ومدحه صاحب يتيمة الدهر وقال ان شعره وهو جاهلى أسلس من شعر الفرزدق وجرير وهما اسلاميان لملازمة عدى الحضارة وبعده عن سكنى البادية وقد جاء فى اخباره كما ذكر صاحب الأغانى وغيره انه رُبّىَ مع شاهان مَرْدْ بن فَرُّوخ ماهان احد مرازبة كسرى أنو شَرْوان من ملوك الفرس الذى كان صديقا لأبيه زيد بن حماد فتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس وأفصحهم بالعربية والفارسية وقال الشعر وتعلم الرمى بالنشاب فخرج من الاساورة الرُّماة وتعلم لعب العجم على الخيل بالصولجة ثم ان المرْزَبان وفد على كسرى ومعه ابنه شاهان مرد فبينما هما واقفان

(١) جمع فص وهو حدقة العين تشبيها بها فى الصفاء (٢) الغار ضرب من الشجر يخرج منه دهن طيب الرائحة يُتبخّر به وقد ذكره عدىّ فى شعر آخر قال

رب نار بت أرمقها تقضم الهندى والغارا

وقفوص بالفتح وتضم بلد واليه ينسب اللُّبنى وهو عسل ينضح من شجرة يكون طيبا يتبخر به وهو المشهور عند العامة بحصى لبان (٣) معنى البيت ظاهر وفى رواية والجبن بدل الخير وليس بشىء :

بين يديه اذ سقط طائران على السور فتطاعما كما يتطاعم الذكر والانثى فجعل كل واحد منقاره في منقار الآخر فقال كسرى للمرزبان وابنه ليرم كل واحد منكما هذين الطائرين فان قتلتماهما ادخلتكما بيت المال فملأت افواهكما جوهرا ومن اخطأ عاقبته فاعتمد كل واحد منهما طائرا ورميا فقتلاهما فسر كسرى منهما ووفى لهما بشرطه وأثبت شاهان مرد وسائر أولاد المرزبان فى حاشيته فقال المرزبان عند ذلك للملك ان عندى غلاما من العرب مات أبوه وخلفه فى حجرى فربَّيْتُهُ فهو أفصح الناس بالعربية والفارسية والملك محتاج الى مثله فان رأى ان يُثْبِتَهُ فى ولدى فعل فقال الملك ادعه فارسل الى عدى فحضر وكان جميلا وسيما فكلمه فوجده ذكيا فرغب فيه وأثبته مع ولد المرزبان فكان عدى أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى فرغب أهل الحيرة [1] اليه ورهبوه فلم يزل بالمدائن [2] فى ديوان كسرى يؤذن له عليه فى الخاصة وهو معجب به قريب منه ويقال ان أباه زيد بن حماد كان وقت ذاك حيا الا ان ذكر عدى قد ارتفع وخمل ذكر أبيه فكان اذا دخل على المنذر ملك العرب قام جميع من عنده حتى يقعد عدى فعلا له بذلك صيت عظيم فكان اذا اراد المقام بالحيرة استأذن كسرى فأقام بها الشهر والشهرين واقل واكثر ثم يرجع الى المدائن ثم هلك كسرى انو شروان وتولى بعده ابنه هُرْمُز فأرسل عديا الى ملك الروم واسمه طيبار يُوس الثانى بهدية من طُرَف ما عنده فلما وصل الى ملك الروم بالهدية اكرمه وحمله على البريد ليُرِيَهُ سَعَةَ ارضه وعظيم ملكه وكذلك كانوا يصنعون فمن ثَمَّ وقع عدى

---

(١) اسم مدينة قديمة على ثلاثة اميال من الكوفة وكانت منازل آل النعمان ابن المنذر وهى فى موضع يقال له النجف وبها الخورنق المشهور وفيها تنصر المنذر ابن أمرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة ويقال ان بانيها تبع الحيرى (٢) المدائن مدينة كسرى عظيم الفرس قرب بغداد وسميت المدائن لكبرها

بدمشق وفيها قال الشعر ثم عاد الى المدائن حاملا هدية قيصر ملك الروم الى هرمز فصادف أباه والمرزبان قد ماتا فاستأذن كسرى فى الالمام بالحيرة فلما بلغ المنذر ابن ماء السماء خبر قدومه تلقاه فى الناس واكرمه فأصبح انبل اهل الحيرة فى انفسهم وكانوا يبغضون المنذر ولو أرادوا ان يملكوا عديا لملكوه ولكن عديا كان يؤثر الصيد واللهو فمكث سنين يتردد بين الحيرة والمدائن ويخدم كسرى وتزداد مكانته عند المنذر ملك العرب حتى زوجه ابنته هندا وهي يومئذ قد بلغت أو كادت وكان عدى لا يؤثر على بنى يربوع مبدى من مبادي العرب ولا ينزل فى حى من احياء بنى تميم غير حيهم وكان اخلاؤه من العرب كلهم بنى جعفر وكانت إبله في بنى ضبة وبلاد بنى سعد ولما احتضر المنذر أوصى ببنيه كلهم ألى اياس بن قبيصة الطائى وملكه الحيرة الى ان يرى كسرى رأيه فيمن يوليه على العرب بعده فمكث أشهرا مملكا عليهم وكسرى فى طلب رجل يملكه عليهم فقال يوما لعدي ياعدى هل بقى من آل المنذر أحد فيه خير فقال نعم أيها الملك ان فى ولده بقية وفيهم خير فقال ابعث اليهم فبعث اليهم وانزلهم عدى عنده وكان له هوى فى تمليك النعمان لأنه كان ربيبا فى حجره وكان أولاد المنذر عشرة أو أكثر ويقال لهم الاشاهب لجمالهم وفيهم يقول الأعشى

وبنو المنذر الاشاهب بالحيـرة يمشون غدوة كالسيوف

إلا أن النعمان كان من بينهم احمر ابرش قصيرا فاحتال له عدى على الملك حتى ملكه كسرى فى خبر اضربنا عنه لطوله وخلع عليه والبسه تاجا قيمته ستون ألف درهم فيه الذهب واللؤلؤ واستمر عدى يتنقل كعادته بين الحيرة والمدائن مبجّلاً عند النعمان لا يقطع أمرا دون مشورته حتى سعى عليه عدى بن مَرينا اللَّخمى عند النعمان فقتله وبنوا مرينا قوم من لخم قبيلة المنذر وهم الذين ربوا الاسود بن المنذر أخا النعمان لابيه وكان هواهم فى تمليكه بدلا من النعمان فلما تغلب عدى على تمليك

النعمان حتى ملك حقدوا عليه وسعوا فى هلاكه فيقال أن عدي بن مرينا المذكور اتفق مع آخرين وَزَوَّرُوا كتابا على لسان عدى الى قهرمان النعمان ثم أوصلوا الكتاب الى النعمان فقرأه فغضب على عدي واحتال عليه حتى احضره عنده من المدائن ثم حبسه فجعل يقول الشعر فى السجن يستعطف به النعمان وهو كثير فمن ذلك قوله

أبلغا النعمان عنى مألكا ... أنني قد طال حبسى وانتظارى
لو بغير الماء حلقى شرق ... كنت كالغصان بالماء اعتصارى
ليت شعرى عن دخيل يفترى ... حيثما أدرك ليلى أو نهارى
قاعدا يكرُبُ نفسى بثها ... وحراما كان سجنى واحتصارى

وقوله أيضا

ألاَ مَن مُبلغُ النعمان عني ... وقد تهوى النصيحة بالمغيب
أحظى كان سلسلةً وقيدا ... وغلا والبيان لدى الطبيب
أتاك بأنني قد طال حبسى ... ولم تسأم بمسجون حريب
وبيتى مقفر الا نساءا ... أرامل قد هلكن من النحيب
يُحاذِرْنَ الوشاة على عديٍّ ... وما اقترفوا عليه من الذنوب
فان أظلم فقد عاقبتمونى ... وان أُظلم فذلك من نصيبى
فهل لك أن تدارك ما لدينا ... ولا تغلب على الرأى المصيب
فانى قد وكلت اليوم أمرى ... الى ربٍّ قريب مستجيب

وقوله

أبلغ النعمان عنى مألكا ... قول من قد خاف ظنا فاعتذر
انني والله فاقبل حلفى ... لأبيل كلما صلى جأر
مُرعَدٌ أحشاؤه فى هيكلٍ ... حسن لمته وافى الشعر

ماحملت الفُلُّ من أعدائكم ولدى الله من العلم المبير
لاتكونن كآسى عظمه بأسى حتى اذا العظم جبر
عاد بعد الجبر يَبغى وهنه يَنْحُوَنَّ للمشى منه فانكسر
واذكر النعمى التى لم أنسها لك فى السعى اذا العبد كفر

وقوله

ألا من مبلغ النعمان عنى فبينا المرء أغرب اذ أراحا
أطعت بنى بُقيلة فى وثاقى وكنا من حلوقهم ذباحا
مَنَحْتَهُم الفرات وجَانِبَيهِ وتسقينا الأواجن والملاحا

ولما أعيته الحيلة قال يحرض اهله على انجاده

وتقول الوشاة أودى عدي وبنوه قد أيقنوا بسلاق
ياأبا مسهر فابلغ رسولا إخوتى إن أتيت صحن العراق
أبلغا عامرا وابلغ أخاه أننى موثق شديد وثاقى
فى حديد القسطاس يرقبنى الحا رس والمرء كل شيء يلاقى
فى حديد مضاعف وغلول وثياب منضحات خلاق
فاركبوا فى الحرام فكوا أخاكم ان عيرا قدجهزت لانطلاق

فلم يجد ذلك نفعا حتى قتله أخيرا فى سجن الحيرة وأخفى أمره على كسرى ويقال أن هندا زوجته ترهبت بعدئذ فى دير عرف بدير هند وظهر أخيرا للنعمان خطؤه فندم على قتله وكان قد رأى ابناله يقال له زيد فقربه واعطاه وأسف على قتل أبيه فكتب الى كسرى بن هرمز يطلب اليه أن يجعل زيدا مكان أبيه فلما بعثه اليه اعجب به كسرى وقربه فصار يكثر الدخول عليه والخدمة له وكان هو الذى يلى الكتابة عن الملك الى ملوك العرب فى أمورها فلما تمكن منه تحرك فى نفسه طلب الثار لأبيه عدى من النعمان فأخذ يدبر المكائد والحيل الى أن

اغضب عليه كسري في مسألة النسوة اللاتى طلبهن منه وكتب اليه بصفتهن بإغراء زيد فلم يجبه النعمان الى طلبه فسكت عنه كسرى ثم طلبه اليه فهرب منه وتنقل فى قبائل العرب فلم يقبله أحد فاشار عليه هانئ بن قبيصة أن يرجع الى كسرى و يستسلم اليه فان عفا عنه والا فالموت نازل بكل احد ولئن مات كريما خير له من تجرع الذُلّ وعيشة السوقة بعد الملك فرجع الى كسري بهدايا جليلة من طُرَفِ ماعنده بعد أن كتب يعتذر اليه فقبل كسرى الهدايا فلما وصل الى المدائن لقيه زيد بن عدى على قنطرة ساباط فقال له انجُ نُعيم ان استطعت النجاء فقال له النعمان أفعلتها يازيد أما والله لان عشت لأ قتلنّك قتلة لم يقتلها عربي قط فقال له زيد امض لشأنك نعيم فقد والله آخيت لك آخية [1] لم يقطعها المُهْر الأرنّ ولما وصل الى باب كسرى لم يأذن له بالدخول عليه وأمر به الى السجن فسجن وقيد ولم يزل فيه الى أن مات بالطاعون وقيل سجنه فى سباط ثم أمر بالقائه تحت أرجل الفيلة حتى مات وفى ذلك يقول الشاعر

ان ذا التاج لا أبا لك أضحى   وَذَرى بيته بجَوْزِ الفُيول

ان كسرى عدا على الملك النعـ   ـمان حتى سقاه أُمّ البليل

وكان النعمان قبل ذهابه الى كسرى أودع ماله ونعمه وحَلْقَتَه وهى سلاح ألف فارس شاكة (تامه) الى بنى شيبان فلما هلك كما مرّ بعث كسرى إياس بن قبيصة الذى ولاه على العرب مكان النعمان الى هانئ بن مسعود رئيس شيبان يطالبه بحلقة النعمان وكانت اربعمائة درع وقيل ثمانمائة فمنعها هانئ فغضب كسرى وأراد استئصال بكر بن وائل فامهلهم الى فصل القيظ عند ورودهم مياه ذى قار

(١) الآخِيّة عود فى حبل يدفن طرفاه فى الأرض ويُبرَزُ طَرَفُه كالحلقة تُشَدّ فيها الدابة وهي المسماة عند العامة فى السودان بلشاية والمعنى أحكمت لك أخيّة لاتستطيع قطعها

فلما وردوها وقع الحرب فانتصرت العربُ على جيوش كسرى انتصارا عظيما وعرفت الوقعة بيوم ذى قار وخبرها طويل وكان قد بعث النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر أصحابه بها وقال اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبى نصروا وأخبار عدى كثيرة وروايتها مختلفة فاخترنا منها مانقلناه هنا وقد عثرنا له على قصيدة نادرة يقال أنها من مجمهرات العرب ضمنها اجود الحكم فآثرنا نقل أبيات منها لفائدتها وهى

أعاذِلَ ماأدنى الرشاد من الفتى ... وأبعدَه منه اذا لم يُسَدَّد

اعاذل قد لاقيتُ مايزع الفتى ... وطابقت فى الحِجلين مشى المقيد

اعاذل مايُدريك أن منيتى ... الى ساعة فى اليوم أو فى ضحى غد

أعاذل من يكتب له الموت يلقه ... كفاحا ومن يكتب له الفوز يسعد

اعاذل ان الجهل من لذة الفتى ... وان المنايا للرجال بمَرْصَدِ

أعاذل من لايُصلح النفس خاليا ... عن اللب لايرشد لقول المفند

كفى زاجرا للمرء أيام دهره ... تروح له بالواعظات وتغتدى

فلست بمن يخشى حوادث تعترى ... رجالا فبادوا بعد بؤس وأسعد

فنفسك فاحفظها عن الغى والردى ... متى تُغوِها يغو الذى بك يهتدى

وان كانت النعماء عندك لامرئٍ ... فمثل بها واجزِ المطالب وَازْدُدِ

اذا ماامرؤ لم يرج منك مودة ... فلا ترجها منه ولا دفع مشهد

إذا أنت نازعت الرجال نوالهم ... فَعِفَّ ولا تطلب بجهد فتنكد

عسى سائل ذو حاجة ان منعته ... من اليوم سؤلا أن يسرك فى غد

ستعرفُ من ذى الفُحش حقك كله ... بحلمك فى رفق ولم تتشدد

ووارثِ مجدٍ لم ينله وماجد ... اصاب بمجد طارف غير متلد

فلا تقعدنْ عن سعى ماقد ورثته ... وما استطعت من خير لنفسك فازدد

اذا ما رأيت الشر يبعث أهله ‏ وقام جناة الشر بالشر فاقعد

وبالعدل فانطق ان نطقت ولا تجر ‏ وذا الذم فاذممه وذا الحمد فاحمد

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ‏ فكل قرين بالمقارن مقتد

وفى الخلق ازلال لمن كان باخلا ‏ ضنينا ومن يبخل يَذِلَّ ويزهد

انتهت اخبار عدى ‏ (المتن)

كُلُّ المَصَائِبِ قَدْ تَمُرُّ عَلَى الفَتَى ‏ فَتَهُونُ غَيْرَ شَمَاتَةِ الحُسَّادِ

الشرح الكل ضد البعض وهو اسم جامع للأجزاء واضافة المصائب اليه دليل التناهى فى كثرتها كما تقول زيد العالم كل العلم اذا بالغت فى كثرة علمه والمصائب جمع مصيبة وهى النازلة القبيحة تستعمل فى الشر خاصة وقد بالتسكين حرفية لا تدخل الا على الأفعال ومن معانيها التقليل وهو المراد هنا كقولك قد يصدق الكاذب أى ربما يصدق وتمر تجوز من المرور والفتى الشاب وخصه بالذكر لأنه أقوى حملا لها من غيره وتهون تسهل وغير اداة استثناء بمعنى إلا والشماتة الفرح ببلية الغير والحساد جمع حاسد وهو المتمنى زوال نعمة غيره وحاصل المعنى جميع المصائب على كثرتها ربما مرت بالفتى وهانت عليه إلا شماتة الحساد فانها لا تهون بل يبقى أثرها فى نفسه فهى اذا اشد المصائب هولا عليه والبيت بتمامه مأخوذ من قصيدة لعبد الله بن محمد بن عيينة يقول فيها .

من مُبلِغٌ عنى الامير رسالة ‏ محصورة عندى عن الانشاد

كل المصائب قد تمر على الفتى ‏ فتهون غير شماتة الحساد

وأظن لى منها لديك خبيئة ‏ ستكون عند الزاد آخر زاد

مالى أرى امرى لديك كأنه ‏ من ثقله طود من الاطواد

وأراك ترجيه وتُمضِى غيره ‏ فى ساعة الاصدار والايراد

الله يعلم ما اتيتك زائرا ‏ من ضيق ذات يدو ضيق بلاد

لكن أتيتك زائراً لك أرتجى　　بك رتبة الآباء والأجداد

فى الارض منفسح ورزق واسع　　لى عنك فى غورى وفى انجادى

وهى طويلة اختصرناها ونأتى على ترجمته وان لم نوفق الى مايشفى منها

﴿ ذكر عبد الله بن أبى عيينة ﴾

هو عبد الله بن محمد بن أبى عيينة بن المهلب بن أبى صفرة الأزدى العتكى شاعر لطيف مطبوع ذكره الجاحظ فى البيان والتبيين وقرنه بالسيد الحميرى وأبى العتاهية وبشار بن برد

إلاّ أنه قال بشارُ أطبعهم ولم يذكر صاحب الأغانى من ترجمته شيئاً كثيرا وانما رأينا فى كتاب الكامل للمبرد بعضا من أخباره والسبب الذى قال من أجله الأبيات التى تقدمت يعاتب بها ذا اليمينين طاهر بن الحسين قائد جيوش الخليفة المأمون بن هارون الرشيد العباسى فى حرب أخيه محمد الأمين المخلوع فى سنة ١٩٥ هجرية وهو الذى قتل على بن عيسى بن ماهان قائد جيوش محمد الأمين وهزم جيشه بالرىّ وانما لُقِّب ذا اليمينين لأنه أخذ السيف بيديه أو لأنه ضرب شخصا فى الوقعة فقطعه نصفين وكانت الضربة بيساره أما سبب عتابه لطاهر بن الحسين فى شعره المتقدم وفى شعر آخر سنذكر بعضه بعد فان ابن عُيَيْنة هذا كان معاضدا لطاهر ومن رؤساء الجند الذين أخذوا البصرة للمأمون فى أيام أخيه المخلوع فاتصل بطاهر فولاه اليمامة والبحرين وغوص البحر وكان له صديق يسمى اسماعيل ابن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس رجلا جليل القدر مطاعا فى مواليه وأهله فوصله بذى اليمينين فولاه البصرة ولم يكن غير قليل حتى تنكر اسماعيل لابن أبى عيينة فهاج بينهما من التباعد على مثل ما كان بينهما من المقاربة ثم عُزِل ابن أبى عيينة و لم يُعزل اسماعيل فهجاه ابن أبى عيينة وسأل ذا اليمينين عزله فدافعه وضنّ بالرجل فكان يهجو من أهله المهالبة من يواصل اسماعيل بن

جعفر وكان أكبرَ أهله في ذلك الوقت يزيد بن المنجاب وكان أعورَ قائم العين لم يُطَّلع على عِلته إلاّ بشعر ابن أبى عيينة وكان سَيِّدَ أهل البصرة أجمعين مُحَمَّدُ بن عَبّاد بن حبيب بن المهلب وكان أحول العينين ومنهم سعيد بن المهلب ابن المغيرة بن حرب بن محمد بن المهلب بن أبى صفرة وكان قصيرا فذلك حيث يقول ابن أبى عُيينة فيهم

تستقدم النجتان والبَرَقُ　　فى زمن سرو أهله الملق

عُورٌ وحُول وثالث لهم　　كأنه بين أسطرٍ لَحَق

ولهم يقول ولاثنين ظن انهما معهم وقد مرّوا به يريدون اسماعيل بن جعفر

ألاَ قل لرهط خمسة أو ثلاثة　　يُعَدّون من أبناء آل المهلب

على باب اسماعيل روحوا وبكّروا　　دجاجَ القُرَى مبثوثة حول ثعلب

وأثنوا عليه بالجميل فانه　　يصرّ لكم حُبًّا هو الحُبُّ واقلب

يلين لكم عند اللقاء مواريا　　ويخافكم منه بناب ومِخْلَبِ

أبعد بلائى عنده اذ وجدته　　طريحا كنصل القدح لما يُرَكَّبِ

به صَدأٌ قد عابه فجلوته　　بكفّىّ حتى ضوءه ضوء كوكب

وركّبته فى خُوطِ نبع ورشتُهُ　　بِقَادِمَتَيْ نَسر ومتن مُعَقَّب

فما إن أتانى منه الا مُبوّأٌ　　إلىّ بنصل كالحريق مذرب

فَقَلَّلْتُ منه حَدَّهُ وتركته　　كهُدْبة ثوب الخزّ لمّا يُهدّب

رضيتم بأخلاق الدنىّ وعفتم　　خلائق ماضيكم من العمّ والأب

ثم جعل يعاتب طاهر بن الحسين بعد ذلك ومنه تلك الابيات التى مرت وقوله أيضا

ما لى رأيتك تُدنى كل منتكث　　اذا تغيَّب مُلْتَاثٍ اذا حضرا

اذا تنسّم ريحُ الغدر قابلها　　حتى اذا نفخت فى أنفه غدرا

ومن يجيء على التقريب منك له وأنت تعرف فيه الميل والصعرا
أحلك الله من قحطان منزلة فى الرأس حيث أحل السمع والبصرا
فلا تضيع حق قحطان فتغضبها ولا ربيعة كلا لا ولا مضرا
أعط الرجال على مقدار أنفسهم وأول كلا بما أولى وما صبرا

وقال له فى أخرى

هو الصبر والتسليم لله والرضا اذا نزلت بى خطة لا أشاؤها
اذا نحن أبنا سالمين بأنفس كرام رجت أمرا فخاب رجاؤها
فأنفسنا خير الغنيمة أنها تؤوب وفيها ماؤها وحياؤها
هى الأنفس الكبر التى إن تقدمت أواستأخرت فالقتل بالسيف داؤها

وهذا لعمرى من أحسن الكلام وله أن يقول مفتخرا فان آل المهلب كانوا ذوى بأس ونجدة وكرم ورئاسة وجده المهلب بن أبى صفرة ممن حمى البصرة من الخوارج وله معهم وقائع مشهورة بالاهواز حتى سموا البصرة بصرة المهلب لذلك وكان بنوه نجوم الدهر وغرة العصر ومنهم يزيد بن المهلب المعروف بالشجاعة والسخاء ومخلد ابنه ومنهم المغيرة بن المهلب وكان شجاعا وسيدا معروفا والمفضل وحبيب وغيرهم ومن أحفاده يزيد بن حاتم وأخوه روح والوزير المهلبى وغيرهم قال ابن قتيبة فى كتاب المعارف ويقال انه وقع الى الارض من صلب المهلب ثلثماية ولد وفى يزيد بن حاتم يقول الشاعر صفوان بن صفوان فى دولة العباسيين نقلتها لجودتها

لم ادر ما الجود الا ماسمعت به حتى لقيت يزيدا عصمة الناس
لقيت اجود من يمشى على قدم مفضلا برداء الجود والباس
لو نيل بالجود مجد كنت صاحبه وكنت أولى به من آل عباس

وقال ابن خلكان اجمع علماء التاريخ على انه لم يكن فى دولة بنى أمية اكرم

من بنى المهلب كما انه لم يكن فى دولة بنى العباس اكرم من البرامكة فذلك حين يفتخر ابن أبى عيينة بقوله

انا ابن الذى شادلى منصبا ... وكان السماك اذا حلقا
قريع العراق وبطريقهم ... وعزهم المرتجى المتقى
فمن يستطيع اذا ما ذهبـت ... أطلق فى المجد أن ينطقا
انا ابن المهلب ما فوق ذا ... لعال الى شرف مرتقى
فدعنى أغلى ثياب الصبا ... بجدتها قبل أن تخلقا
أدنياى من غمر بحر الهوى ... خذى بيدى قبل أن أغرقا
انا لك عبد فكونى كمن ... اذا سره عبده أعتقا

وله غير ذلك شعر رقيق وأكثر ماعرفناه منه فى عتاب ذى اليمينين اكتفينا منه بما قلناه هنا ولم نقف على تاريخ وفاته الا أن ماعرف من أخباره يدل على أن حياته كانت الى أواخر القرن الثانى فاذا لم يتوف فيه تُوفّى فى أوائل القرن الثالث انتهى

(المتن) وانىّ لأتَجَلّدُ وأُرِى الشَّامتِينَ أنّى لرَيْبِ الدَّهْرِ لا أتَضَعْضَعُ

(الشرح) الجَلَد الصلابة والقوة واراد بالتجلد تكلف الجَلَد وريب الدهر حِدْثانه ونوائبه والتضعضع التخاذل والضعف وفى الحديث ماتضعضع امرؤ لآخر يريد به عرض الدنيا الا ذهب ثلثا دينه ولما ذكر فى البيت السابق شدة وقع شماتة الحساد فى النفس عطف عليه بقوله وانى لأتجلد بقوة عزيمتى على صدمات الدهر ونوائبه دفعا لتلك الشماتة فاذا رآنى من يفرح ببليتى لايجد محلا للشماتة بى والجملة بتمامها حل بيت من الشعر لأبى ذؤيب الهذلى وهو

وتجلّدى للشامتين أُريهم ... أنى لريب الدهر لاأتضعضع

وابن زيدون أتى فيه بتقديم وتأخير على صيغة النثر كعادته فى رسائله

ذكر أبي ذُؤيب الهذليّ الشاعر

أبو ذؤيب كنيته واسمه خويلد بن خالد بن محرز بن زبيد من هذيل شاعر فحل بل اشعر شعراء هذيل متمكن من اللغة وغريبها وهو من المخضرمين الذين ادركوا الجاهلية والاسلام وأسلم وحسن اسلامه وقد جمع شعره فى ديوان خاص وشرحه الامام المرزوقى رحمه الله وهذا البيت الذي ذكرناه من قصيدة طويلة من مختارات شعره اوردها الضبي فى مختاراته وافتتاحها

أمن المنون وريبه تتوجع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع

قالها فى رثاء اولاده وكانوا خمسة وقيل سبعة ماتوا كلهم بالطاعون وهى طويلة ومنها

أودَى بَنِيَّ واعقبونى حسرة ... بعد الرُّقاد وعَبرةً لا تُقْلِعُ

سبقوا هَوِيَّ واعنقوا لهواهم ... فتُخُرِّمُوا ولكل جَنب مصرع

فغَبَرْتُ بعدهم بعيش ناصب ... واخال أنى لاحق مُسْتَتْبَعُ

ولقد حَرِصْتُ بأن أدافع عنهم ... فاذا المنيّة أقبلت لا تُدفع

واذا المنيّة أنشبتْ أظفارَها ... ألفيْتَ كلَّ تميمة لا تنفع

فالعينُ بعدهم كأن حِداقها ... سُمِلَتْ بشوك فهى عور تدمع

حتى كأنى للحوادث مروة ... بصفا المشرّق كل يوم تقرع

قوله بصفا المشرق أى بحجارة المَرْوِ المُصْلاَةِ بالنار وروى بعصا المشقّر وعصا المشقة

وتجلّدى الشامتين أريهم ... انى لريْب الدهر لا أتضعضع

ومنها وهو أبدع بيت قالته العرب

والنفس راغبةٌ اذا رغّبتها ... واذا تُرَدُّ الى قليل تقنع

ومنها فى وصف حُمُرِ الوحش واردة لتشرب فرصد لها صيّاد

فَشرعْنَ فى حُجُراتِ عَذْب بارد ... حَصِب البِطاح تغيب فيه الأكْرُعُ

فشربن ثم سمن رِحساً دونه   شرف الحجاب وريب قرع يقرع
ونميمة من قانص متلبب   فى كفه جشء أجش وأقطع
فنكرنه فنفرن وامترست به   سطعاء هادية وهاد جرشع
فرمى فأقصد من نجود عائط   سهما فخر وريشه متصمع

معنى هذه الابيات أن الحمر شرعن أى وردن بطحاء ذات حصب أي حصا تغور فيه الأرجل الى الأكارع . فيها ماء بارد فشربن ثم تسمعن من مكان مشرف عند منقطع الحرة وهى الحجارة حركة الصائد وفى كفه جشء أى قوس يشبه صوتها صوت جشة الماء فى حلق الانسان وأقطع أى أسهم قلرتين منه فأنكرنه ونفرن ناجيات فدنت منه متقدمتهن أتان نجود أى عبلة ممتلئة لحما يتقدمها الفحل فرماها بسهمه فأصابها والعرب كثيرا ما تذكر فى شعرها الصيد والصائد والغرض منه اظهار مقدرة الشاعر فى دقة الوصف . وقال أيضا من أبيات فى الغزل

وان حديثا منك لو تبذلينه   جنى النحل فى ألبان عوذ مطافل
مطافل أبكار حديث نتاجها   تشاب بماء مثل ماء المفاصل

المطافل أو المطافيل جمع مطفل أى ذات طفل يستوى فيه الانس والوحش واراد بها النياق ذوات الألبان وتشاب تخلط وماء المفاصل قيل ماء بين السهل والجبل ومنه أصفى من ماء المفاصل وقيل أراد التشبيه بماء مفاصل الجمل لأن لكل مفصل حقا يستنقع فيه ماء لا تجده صفى منه وذكر الجوهرى البيت وأبدل المفاصل بالمعاقل وفسره بأن المراد بهذا الماء ماء يجرى فى مواضع صلبة بين الجبال وله من قصيدة أخرى فى امرأة من قومه كان يهواها فخانه فيها خالد ابن زهير وكان رسوله اليها

تريدين كيما تجمعينى وخالدا   وهل يجمع السيفان ويحك فى غمد

وفي رواية تردين كيما تُضمّديني وخالدا والضمد أن تتخذ المرأة خليلين

أخالد ما رعيت مني قرابة ... فتحفظني في الغيب أو بعض ما تبدي

وخالد هذا يقول

فما حمل البختيّ عام غياره ... عليه الوسوق برها وشعيرها

بأكثر مما كنتُ حملتُ خالدا ... وشرّ أمانات الرجال غرورها

ولو أنني حمّلته البُزْلَ لم تَقُمْ ... به البُدْل حتى تتلئبّ صدورها

فشأنكما إني أمين وإنني ... اذا ما لحى لي مثلها لا أطورها

فانّ حراما ان أخون أمانةً ... وآمن نفسا ليس عندي ضميرها

وما يحفظ المكتوم من سر أهله ... اذا عقّد الأسرار ضاع كبيرها

من الناس الاّ ذو وفاء يصينه ... على ذاك منه صدق نفس وخِيرُها

رعي خالد سِرّي ليالي نفسه ... تُوالي على قصد السبيل أمورها

ولما تحاماه الشبابُ وغيه ... وفي النفس منه غَدْرة وفجورها

لوي رأسه عني ومال بودّه ... أغانيج خُود كان قدما يزورها

وله في وصف خرّته

مطأطأة لم يُنبطوها وانها ... ليرضى بها فُرّاطها أم واحد

قضوا ما قضوا من رمّها ثم أقبلوا ... اليّ بطاء المشي غُبر السواعد

فكنتُ ذَنوبَ البئر لما توشّلت ... وأُدرجتا أكفاني ووُسّدت ساعدي

ويروي لما تلحبّت أي توطأت

أعاذلُ لا إهلاك مالي ضَرّني ... ولا وارثي ان ثمّر المال حامدي

وله أشعار بليغة يستعمل فيها كثيراً من غريب اللغة يستشهد بها العلماء في المعاجم اللغوية ومات في سنة ست وعشرين هجرية في غَزاةٍ بأرض الروم وقيل

انه خرج مع عبد الله بن الزبير فى مغزى نحو المغرب فمات بها وفى ذلك يقول

أبا عُبَيْدَ رفع الكتاب   واقترب الموعد والحساب

وعند رحلى جمل نجاب   أحمر فى حاركه انصباب

انتهت أخباره

(المتن)

وأهود فأقول هَلْ أنَا الأَيْدُ أدْماهَا سِوارُهَا وَجَبِينٌ غَضّ بِهِ إكْليلُهُ ومَشْرَفِيٌّ أَلْصَقَهُ بالأَرْضِ صَاقِلُهُ وَسَمْهَرِيٌّ عَرَضَهُ عَلَى النَّار مُثَقِّفُهُ

(الشرح) فأقول يجوز أن تكون الجملة بتمامها مستأنفة للكلام ويجوز أن تكون الفاء عاطفة وهل حرف استفهام وهو هنا بمعنى لا النافية أي ماأنا الايد أدماها سوارها والسّوار ما يُلبس فى المِعصم للزينة والجبين فوق الصدغ عن يمينه ويساره والعض المسك بالأسنان والاكليل التاج أوشبه عصابة تزين بالجواهر والمَشرِفيّ السيف نسب الى مشارف الشام وهى قرى تدنو من الريف وقيل ينسب الى موضع باليمن والصق كالزق والصاقل الصانع ويقال له الصَّيقل أيضاً لأنه يشحذ السيوف ويُجليها والسمهريّ الرمح نسب الى سمهر وزوجه رُدَينَة يقال رمح سمهرى ورمح ردَيني أوالى قرية بالحبشة ومثقفه صانعه من التثقيف وهو تقويم المعوجّ ووضع السيف على الأرض وقناة الرمح على النار كلاهما لمنفعة تعود عليهما لأن المراد بالأول صقله وبالثانى اعتداله وابن زيدون يريد بهذا الكلام تحسين القبيح كاعتقاله فى سجن ابن جَهور والتضييق عليه وهذا من المجاز البديع ضرب به مثلا لنفسه وهو بهذه الحال باليد التى أدماها سوارها والاكليل الذى عض بجبهة لابسه وكلاهما للزينة والسيف الذى ألصق بالتراب وهو يحمل بالحمائل والرمح الذى وضع على النّار وهو يرفع على العاتق مغالطةً منه والمعنى ما كانت أساءة مولاى الا لفائدتى وصلاحى فما ذلك عارٌ علىّ ولا زِرَاية فى حقى وهذا المعنى الى قوله سوارها أخذه من قول المتنبي

بنو كعب وما أثَّرت فيهم   يدٌ لم يدمِها إلا السوار

من قصيدة مطلعها

طِوَالُ قَناً تُطاعنُها قِصارٌ   وقطرُكَ في ندى ووغى بحار

يمدح بها سيف الدولة لما وقع بينى عقَيل وقُشَير وبنى العجلان وبنى كلاب حين عاثو فى عمله وخالفوا عليه وأراد تاديبهم وقد كانوا شركاءه فى النسب وجيرانه فى الدار والمتنبي ضرب لهم مثلا بهذا البيت وبالبيت التالى

بها من قطعة ألَمٌ ونقص   وفيها من جلالته افتخار

يريد أنه وان أوقع بهم الأذى فهم كاليدا التى أدماها السوار وهو جمال لها وان مافعله بهم لم يكن ألا من قبيل أصلاح حالهم انتهى

(المتن) وَعَبْدٌ ذَهَبَ بِهِ سيدُهُ مَذْهَبَ الَّذِي يقولُ

فقسَا لِيَزْدَجِرُوا ومَنْ يَكُ حَازِماً   فَلْيَقْسُ أحْيَاناً عَلَى مَنْ يَرْحَمُ

(الشرح) هذه الجملة من تمام الجملة قبلها وضمير الاستفهام الانكاري والاستثناء مضمر فيها أى وهل أنا إلاَّ عبد ذهب به سيّده وقوله مذهبَ الذى يقول بالنصب على المصدر وبيت الشعر بعده مقول القائل وقسا من القساوة والازدجار افتعال من الزجر وهو المنع مما لايراد والحزم ضبط الأمر وأحيانا جمع حين أي الوقت طال أوقصر ومعنى البيت أن الحازم فى أموره قد يكون قاسيا فى بعض الأحيان على عبده الذى اعتاد منه الشفقةَ والمرحمةَ زَجراً له عن المفسدة وحملا له على الاصلاح وهذا شبيه بمعنى الجملة السابقة يريد أن عقابَ مولاه له بالاعراض عنه والسجن انما هو من قبيل التأديب له لا النكاية به والبيت لأبي تمام من قصيدة مطلعها

أرضٌ مُصَرَّدة وأخرى تُثجَمُ   تلك التي رزقت وأخري تحرَمُ

يمدح بها مالِكَ بن طوق حينما عزل عن الجزيرة وهي من جياده المختارة ومنها

تلك الجزيرة مذ تحمل مالك ... أضحت وباب الغيث عنها مبهم
وعلت قُراها غُبرةٌ ولقد تُري ... فى ظله وكأنما هى أنجم
كانت زمانا جنّةً فكأنما ... فُتحت اليها منذ سار جهنم
الجوُّ أكلف والجناب لفقده ... محلٌ وذاك الشقّ شقٌ مظلم

ومنها

إن القبابَ المستقلّةَ بينها ... ملكٌ يَطيبُ به الزمان ويُكرمُ
لاتألفُ الفحشاء بُردَيه ولاَ ... يسرى اليه مع الظلام المأثمُ
متبذّلٌ في القوم وهو مُبجل ... متواضع فى الحيّ وهو معظّم
يعلو فيعلم أن ذاك حقه ... ويذيل فيهم نفسه فَيُكرَّمُ

ومنها يعاتب التغلبيّين رهط الممدوح

مالى رأيتُ تراكم يَبَساً له ... مالى أرى أطوادَكم تتهدم
ماهذه القُربى التي لاتتّقي ... ما هذه الرِحمُ التى لاتُرحم
حسد العشيرة للعشيرة قَرْحَةٌ ... تَلِدَت وسائلها وجرح أقدم
إن تنهبوا عن مالك أوتجهلوا ... نعماه فالرّحم الضعيفة تعلم
كانت لكم أخلاقه معسولة ... فتركتموها وهي ملح علقم
حتى اذا أجنت لكم داوتكم ... من دائكم ان الثقاف يقوّم
فقسا ليزدجروا ومن يك حازما ... فليقس أحيانا على من يرحم

وهى كبيرة نقلنا منها مادعت الحاجة اليه

ذكر ابى تمّام وبعض أخباره

أبو تمام كنيته واسمه حبيب بن أوس بن الحرث بن قيس بن الاشج بن مروان بن قيس بن الاشج بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عديّ بن الغوث بن طيء الطائي الشاعر المشهور ومولده فى نحو سنة اثنتين وسبعين ومائة أو ثمان

وثمانين ومائة أو تسعين ومائة بقرية يقال لها جاسم من أعمال مَنبجَ بين دمشق وطبريّة أو شرقيّ حلب على نحو مرحلتين منها ونشأ بمصر وقيل أنه كان فيها يسق الناس الماء بالجرّة فى جامع مصر وقيل كان يخدم حائكا ويعمل عنده بدمشق واشتغل بالأدب وتنقل الى أن صار الى ماصار اليه من الشهرة بقول الشعر فقد كان لطيف الفطنة مطبوعا دقيق المعانى . غوّاصا على مايستصعب منها ويعسر متناوله على غيره وله مذهب فى المطابقة فاق به الكثيرين من الشعراء الذين قالوه قبله والسليم من شعره النادر شىء لايتعلق به أحد من الناس وقد فضله بعضهم على البحتريّ وأبى الطيب المتنبيّ وبعضهم يفضلهما عليه ولهم فى ذلك أقوال لامحل لشرحها هنا وديوان شعره أشهر من أن يذكر والادباء تعنى به وتستشهد ببلاغته وحكمه حتى جرى مجري الامثال وكان أوحدَ عصره فى ديباجة لفظه وحسن اسلوبه وقد نال شهرة خاصة فى الرثاء . على أن جميع الاغراض الذى نظم فيها قد أجاد فى أكثرها وله كتاب الحماسة الذى دل على غزارة فضله واتقان معرفته بحسن الاختيار فقد جمع فيه عيون الشعر ووجوهه وله مجموع آخر سماه فحول الشعراء جمع فيه بين طائفةٍ كبيرةٍ من شعراء الجاهليّة والمخضرمين والاسلاميين وله أيضا كتاب الاختيارات من شعر الشعراء . وكان له من المحفوظات مالايلحقه فيه غيره قيل انه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع ومدح الخلفاء وأخذ جوائزهم وجاب البلاد ولما قصد البصرة وكان فى جماعة من غلمانه وأتباعه سمع به عبد الصمّد بن المعذّل الشاعر فخافه وخشى أن يميل الناس اليه . ويعرضوا عنه فكتب اليه رقعة فيها

أنت بين اثنتين تبرز للنا … س وكلتاهما بوجه مذال
لست تنفكّ راجيا لوصال … من حبيب أو طالبا لنوال
أىّ ماء يبقى لوجهك هذا … بين ذل الهوى وذل السؤال

ثم دفعها الى ورّاق كان هو وأبو تمام يجلسان اليه ولا يعرف احدهما الآخر وأمره أن يدفعها الى أبي تمام فلما وافى ابو تمام ودفعها اليه قرأها ثم قلبها وكتب عليها

أفي تنظم قول الزور والفند ... وأنت أنقص من لا شيء في العدد
اشرجت قلبك من غيظ على حنق ... كأنها حركات الروح في الجسد
اقدمت ويلك من هجوي على خطر ... كالعير يقدم من خوف على الاسد

وحضر عبد الصمد فلما قرأ البيت الأول قال ما أحسن علمه بالجدل أوجب زيادة ونقصانا على معدوم ولما نظر الى البيت الثاني قال الاشراج من عمل الفراشين ولا مدخل له هنا فلما قرأ البيت الثالث عض على شفته . هذه رواية ابن خلكان والذى رأيته في ديوان ابى تمام خمسة أبيات تختلف فيها بعض الالفاظ عن هذه وانه كتبها الى محمد بن يزيد وهي

أفيّ تنظم قول الزور والفند ... وأنت أنزر من لا شيء في العدد
اشرَجت قلبك من بغضى على حرُق ... أضر من حرقات الهجر للجسد
أنحفت جسمك حتى لو همت بأنّ ... ألهو بصفعك يوما لم تجدك يدى
لا تنتسب قد حويتَ الفخر مجتمعا ... والذكر أن صرت منسوبا الى جسدى
اطمعتَ روعكَ حتى صرت لي غرضا ... قد يقدم العير من خوف على الاسد

قال بن خلكان وقد قيل اغفل الجاحظ في كتابه الحيوان عند ذكر انقياد بعض المأكولات لبعض الآكلات ذكر الحمار الذى يرمي بنفسه على الاسد إذا شم ريحه قلت لم يغفل الجاحظ بل لم يروها صحيحا يذكره فان الحمار قد يخاف من الأسد خوفا شديدا اذا رآه وتخور قواه عن الفرار منه فأما انه يرمي بنفسه اليه فلا اللهم الا اذا اريد انه لا يستطيع الفرار ولا الدفاع امام الاسد بل يقف مستسلما اليه دهشاً منه فكأنه رمى بنفسه اليه والله اعلم رجعنا الى الحديث وقال صاحب الأغاني قدم عمارة بن عقيل بغداد فاجتمع الناس اليه وكتبوا شعره وشعر

ابيه فقال له البعض ههنا شاعر يزعم انه اشعر الناس طرا فقال أنشدونى قوله فأنشدوه أبياتا من قصيدته فى مدح ابى سعيد محمد بن يوسف الطائى وهى

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد ... وعاد قتادا عندها كل مرقد
وانقذها من غمرة الموت انه ... صدود فراق لا صدود تعمد
فأجرى لها الاشفاق دمعا مورّدا ... من الدم يجرى فوق خد مورد
هى البدر يغنيها تورد وجهها ... الى كل من لاقت وان لم تودد

ثم قطع المنشد فقال عمارة زدنا من هذا فوصل نشيده وقال

ولكننى لم أحو وفرا مُجمعا ... ففزت به إلا بشمل مبدد
ولم تعطنى الايام نوما مسكنا ... ألذ به الا بنوم مشرد
وطول مقام المرء فى الحى مُخلِقٌ ... لديباجتيه فاغترب تتجدد

فقال عمارة لله دره لقد تقدم فى هذا المعنى من سبقه حتى لقد حبب الى الاغتراب هيه فانشده

فانى رأيت الشمس زيدت محبة ... الى الناس ان ليست عليهم بسرمد

فقال عمارة لئن كان الشعر بجودة اللفظ وحسن المعانى واطراد المراد واتساق الكلام فان صاحبكم هذا اشعر الناس قلت وهذه القصيدة طويلة وجيدة يقول فى ختامها

اليك هتكنا جنح ليل كانه ... قد اكتحلت من البلاد بإثمدِ
تخب بنا أدم المهارى وشيمها ... على كل نشز متلبب وفدفد
تقلّبُ فى الآفاق صِلا كأنما ... يقلب فى فكيه شقة مبرد
تلاقى جداك المجتدين فأصبحوا ... ولم يبق مذخور ولم يبق مجتد
اذا مارحى دارت أدرت سماحة ... رحى كل إنجاز على كل موعد
أتيتك لم أفزع الى غير مفزع ... ولم أنشد الحاجات فى غير منشد

ومن يرج معروف البعيد فانما ... يدى عولت فى النائبات على يدى

وحضر جابر الكرخى ابا دُلَف القاسم بن عيسى وعنده ابو تمام وقد أنشد قصيدته التى أولها

على مثلها من أربع وملاعب ... أذيلت مصونات الدموع السواكب

فلما بلغ الى قوله

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها ... وزادت على ما وطدت من مناقب

فانتم بذى قار أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس حاجب (١)

محاسن من مجد متى تقرنو بها ... محاسن أقوام تكن كالمعائب

معال تمادت فى العلو كأنما ... تحاول ثاراً عند بعض الكواكب

قال ابو دلف يامعشر ربيعة ما مدحتم بمثل هذا الشعر قط واثابه عليها قلت وقد ختمها بالابيات الآتية

اليك أرحنا عازب الشعر بعدما ... تمهل فى روض المعانى العجائب

---

(١) يشير الى حاجب ابن زرارة بن عدس التميمى وله حكاية لطيفة وذلك أنه وفد على كسرى ملك الفرس فى سنة مجدبة فسأله حاجب الملك من أنت قال رجل من العرب فلما أُذن له بالدخول على كسرى ودخل عليه قال له من أنت قال سيد العرب قال ألم تقل بالباب أنك رجل من العرب قال كنت بالباب رجلا منهم فلما حضرت بين يدى الملك سدتهم فأعجب منه كسرى ثم سأله حاجته فشكى اليه محل الحجاز وطلب اليه ألف بعير بُرّاً على أن يعيد قيمتها اليه فقال وما ترهننى عليها قال قوسي هذه فاستعظم كسري همته وأمر له بما سأل ثم مات حاجب فاحضر بنوه المال بعد موته وطلبوا منه ان يرد اليهم قوس ابيهم ففعل فافتخر بنوتميم بذلك وأبو تمام يقول للممدوح وقومه أنكم فى يوم ذي قار أهلكتم جيوش الذي استرهن قوس حاجب فخركم أعظم

غرائب لاقت فى فنائك أنسها ... من المجد فهى الآن غير غرائب
ولو كان يفنى الشعر افناه ماقرت ... حياضك منه فى العصور الذواهب
ولكنه صوب العقول اذا انجلت ... سحائب منه أعقبت بسحائب
أقول لاصحابى هو القاسم الذى ... به شرح الجود التباس المذاهب
وانى لارجو عاجلا أن تردنى ... مواهبهُ بحرا ترجى مواهبى

ثم قال ابو دلف انشدنى قولك فى رثاء محمد بن حميد الطوسى واخويه قحطبة وابى نصر

كذا فليجلّ الخطب وليفدح الامر ... فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

وهى التى يقول فيها وقد يتعذر على الشعراء ان يأتوا بمثلها لجودة معانيها

وما مات حتى مات مضربُ سيفه ... من الضرب واعتلت عليه القنا السمر
وقد كان فوت الموت سهلا فردّه ... اليه الحفاظُ المرّ والخلق الوعر
ونفس تعاف العار حتى كأنما ... هو الكفر يوم الروع أودونه الكفر
فأثبت فى مستنقع الموت رجله ... وقال لها من تحت أخمصك الحشر
غدا غدوة والحمد نسجُ ردائه ... فلم ينصرف إلا وأكفانه الاجر
تردّى ثياب الموت حُمرا فما دجا ... لها الليل الا وهى من سندس خضر
كأن بنى نبهان يوم وفاته ... نجوم سماء خر من بينها البدر
يعزّون عن ثاو تعزّى به العلى ... ويبكى عليه البأس والجود والشعر
وأنى لهم صبرٌ عليه وقد مضى ... الى الموت حتى استشهدا هو والصبر
فتى كان عذب الروح لا من غضاضة ... ولكنَّ كبرا أن يقال به كبر
فتى سلبته الخيلُ وهو حِمًى لها ... وبزّته نارُ الحرب وهو لها جمر
وقد كانت البيضُ المآثيرُ فى الوغى ... بواترَ فهى الآن من بعده بُتر
أمن بعد طيّ الحادثات محمدا ... يكون لأثواب الندى أبدا نشر

اذا شجراتُ العرف جُذَّت أصولها ... ففى أىّ فرع يوجَد الورقُ النضر
لئن أُبغِضَ الدهر الخؤون لفقده ... لعهدى به ممن يُحَبُّ له الدهر
لئن غدرت فى الروع أيامه به ... فما زالت الأيام شيمتُها الغدر
لئن أُلبِست فيه المصيبة طيء ... فما عريَت منها تميم ولا بكر
كذلك ما ننفك نفقدُ هالكا ... يُشارِكُنا فى فقده البَدو والحضرُ
سقى الغيثُ غيثا وارت الارض شخصَه ... وان لم يكن فيه سحابٌ ولا قطرُ
وكيف احتمالى للغيوث صنيعةً ... باسقائها قبرا وفى لحده البحرُ
مضى طاهرُ الأثواب لم تبق روضة ... غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبر
ثوى فى الثرى من كان يحيا به الثرى ... ويغمُرُ صرفَ الدهرِ نائلُه الغَمر
عليك سلام الله وقفاً فاننى ... رأيتُ الكريمَ الحرَّ ليس له عُمر

فأنشده إياها كلها فقال وددتُ والله انها لى قال بل أفدى الأمير بنفسى وأهلى وأكون المقدم عليه فقال انه لم يمت من رثى بهذا الشعر وابن حميد هذا كان من قواد الخليفة المأمون العباسى وقُتل فى موضع يقال له البَذّ كورة بين أرّان وأذربيجان فى قتال بابك المشهور من ولد مطهر بن فاطمة بنت أبى مسلم التى يُنسب اليها الفاطميةُ من الخرّمية لا الى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال يمدح المعتصم بالله الخليفة العباسى من قصيدة مطلعها

الحق أبلج والسيوف عوار ... فحذارِ من أسد العرين حذار

يقول فى أبيات منها عقب قتله للافشين

والهاشميون استقلّت عيرُهُم ... من كربلاء بأوثق الاوتار
فشفاهم المختار منه ولم يكن ... فى دينه المختارُ بالمختار

وقد عرّض فيه بالمختار بن أبى عبيد الثقفى الذى ثأر للحسين بن علىّ رضى الله عنه فقتل قاتليه وادعى أنه يدعو لآل البيت كذبا فسموه الكذاب وبعده يقول

حتى اذا انكشفت سرائره اغتدوا　　منه بُرآء السمع والأبصار
ما كان لولا فحش غدرة خيذر　　ليكون فى الاسلام عام فِجَارِ

فجار يوم من أيام العرب فى الجاهلية وهى أربعة أفجرة وانما سميت فجارا لأنها كانت فى الأشهر الحرم فقالت قريش لما قاتلوا فيها قد فجرنا . ومنها يصف رجال جيش الافشين ويمدح المعتصم

سود اللباس كأنما نسجت لهم　　أيدى السَّموم مدارعا من نار
بكروا وأسْرَوْا فى متون ضوامر　　قِيدت لهم من مَربط النجار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم　　ابدا على سفر من الاسفار
كادوا النبوّةَ والهدى فتقطعت　　أعناقُهم فى ذلك المضمار
جهلوا فلم يستكثروا من طاعةٍ　　معروفةٍ بعمارة الأعمار
فاشدد بهارون الخلافة إنه　　سكنٌ لوحشتها ودارُ قرار
بفتى بني العباس والقمر الذى　　حفته أنجمُ يعرُب ونزار
كرم الخؤولة والعمومة مجه　　سلفا قريش فيه والانصار
هو نوء يمن فيهم وسعادة　　وسراج ليل فيهم ونهار
فاقمع شياطينَ النفاق بمهتد　　ترضى البرية هديه والبارى
ليسيرَ فى الآفاق سيرةَ رأفة　　ويسوسها بسكينة ووقار
فالصينُ منظوم بأندلُسٍ الى　　حيطان رُميةٍ فملك ذمار
ولقد علمت بأن ذلك مِعْصم　　ما كنت تتركه بغير سوار
فالأرض دار أقفرت مالم يكن　　من هاشم ربٌّ لتلك الدار
سورُ القُران الغُرُّ فيكم أنزلت　　ولكم تصاغ محاسنُ الاشعار

وله أيضا القصيدة البديعة التشبيه ومطلعها

رقت حواشي الدهر فهي تمرمر　　وغدا الثرى فى حليهِ يتكسر

يقول في أبيات منها

كم ليلة آسى البلاد بنفسه | فيها ويوم وَبْله مُثْعَنْجِرُ
مطر يذوب الصحو منه وبعده | صحو يكاد من النضارة يمطر
وندًى اذا أدَّهنت به لمم الثرى | خلت السحاب أتاه وهو معذِّر
ما كانت الأيامُ تسلُبُ بهجةً | لو أن حُسْنَ الروض كان يعمر
يا صاحِبيَّ تقصَّيا نظريكما | تريا وجوهَ الأرض كيف تصوَّر
تريا نهارا مشمسا قد شابَهُ | زهرُ الربى فكأنما هو مقمر
أضحت تصوغ بطونها لظهورها | نَوْرًا تكاد له القلوب تنوَّر
من كل زاهرة ترقرقُ بالندى | فكأنها عَيْنٌ اليك تحدَّر
تبدو ويَحْجُبُها الجميمُ كأنها | عَذْرَاء تبدو تارةً وتخفَّر
حتى غدت وهَدَاتُها ونِجادُها | فئتين في حلل الربيع تبختر
مُصْفَرَّةٌ مُحْمَرَّةٌ فكأنها | عصبٌ تيمَّنُ في الوغى وتمضَّر
من فاقع غَضِّ النبَاتِ كأنه | درر تُشَقَّقُ قبلُ ثم تزعفر
أو ساطعٍ في حُمْرَةٍ فكأنما | يدنو اليه من الهواء معصفر

الى ان تخلص الى المدح فقال

في الأرض من عدل الامام وجودِه | ومن النبات الغَضِّ سُرْجٌ تزهر
ان الخليفة حين يُظْلِمُ حادث | عَينُ الهدى وله الخلافة محجر
بالثامن المستخلف اتَّسَقَ الهدى | حتى تخيَّر رُشْدَه المتخيِّر

كان المعتصم ممن اتفق له العدد الثامن في جميع أدواره فانه ولد في الثامن من شهور سنة ١٨٠ ورزق من الأولاد ثمانية بنين وثمانيَ بنات وملك ثمانيَ سنين وثمانية أشهر وعاش ثماني وأربعين سنة تقريبا ومات لثماني عشرة ليلة من شهر ربيع الاول سنة ٢٢٧

سكن الزمان فلا يد مذمومةٌ للحادثات ولا سوامٌ تُذعرُ
نَظَمَ البلادَ فأصبحتْ وكأنها عِقدٌ كأنّ العدلَ فيه جوهر
لم يبقِ مُبتدي موحشٌ الا ارتوى من ذكره فكأنما هو مُحضَر
ملكٌ يَضِلُّ الفكرُ في أيامه ويقلُّ في نفحاته ما يكثُر

وله القصيدة السينية في مدح احمد بن المعتصم وهي من جياده أيضاً ومطلعها

ما في وقوفك ساعةً من باس تقضي ذِمامَ الأربع الأدراس

يقول فيها وقد تخلص الى المدح

ان الذي خلق الخلائقَ قاتها أقواتَها لتصرُّف الاحراس
فالأرضُ معروفُ السماءِ قِرىً لها وبنو الرجاء لهم بني العباس
القوم ظِلُّ الله أسكَنَ دينه فيهم وهم جبلُ الملوك الراسي
في كل جوهرة فِرِندٌ مُشرِقٌ وهم الفرندُ لهؤلاء الناس
هدأتْ على تأميلِ أحمد همّتي وأطاف تقليدي به وقياسي
فرعٌ نَما من هاشم في تربة كان الكَفِيء لها من الأغراس
لا تَهجُرُ الانواءُ مَنبتها ولا قلبُ الثرى القاسي عليها قاسي
نورُ العَرَارَةِ نورُه ونسيمُه نَشْرُ الخزامى في اخضرار الآس
أبليتَ هذا المجدَ أبعدَ غايةٍ فيه وأكرَمَ شيمةٍ ونُحاس
إقدامُ عمرو في سماحة حاتم في حِلمِ أحنَفَ في ذكاء إياس
لا تُنكِروا ضربي له مَن دونه مثلا شروداً في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقلَّ لنوره مثلا من المشكاة والنبراس
ان تحوِ خَصلَ المجدِ في أنفِ الصِّبا يا ابن الخلائف يا أبا العباس
فلَرُبَّ نارٍ منكم قد أُنتِجت بالليل من قَبَسٍ من الأقباس

تركنا باقيها خوف الاطالة قيل انه لما بلغ الى قوله اقدام عمرو في سماحة حاتم .

البيت وكان حاضرا فى المجلس يعقوب بن الصباح الكندى الفيلسوف قال له الأمير فوق من وصفت فأطرق قليلا ثم زاد البيتين بعده ولما أخذت القصيدة من يده لم يجدوهما فيها فعجبوا من سرعته وفطنته ولما خرج قال أبو يوسف يعقوب هذا الفتى يموت قريبا لشدة ذكائه وكذا كان فانه مات دون الاربعين وله أيضا القصيدة البائية يهنئ بها المعتصم بفتح عمورية ويمدحه وأولها

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

يقول فى أبيات منها وهى طويلة

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به نظم من الشعر أو نثر من الخطب
فتح تفتح أبواب السماء له وتبرز الأرض فى أثوابها القشب
يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنك المنى حفلا معسولة الحلب
تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتقب فى الله مرتهب
لم يغز قوما ولم ينهض الى بلد إلا تقدمه جيش من الرعب
لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا من نفسه وحدها فى جحفل لجب
إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

ولما مدح محمد بن عبد الملك الزيات الوزير بقصيدته التى منها

ديمة سمحة القياد سكوب مستغيث بها الثرى المكروب
لو سعت بقعة لاعظام أخرى لسعى نحوها المكان الجديب

قال له ابن الزيات يا أبا تمام انك لتحلى شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ما يزيد حسناً على بهى الجواهر فى أجياد الكواعب وما يدخر لك شىء من جزيل المكافأة إلا ويقصر عن شعرك فى الموازاة فشكره قالوا وما كان أحد من الشعراء فى حياته يقدر أن يأخذ درهما بالشعر فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه وكان أسمر طويلا حلو الكلام فيه تمتمة يسيرة ويقال ان أباه كان نصرانيا

من أهل جاسم يقال له تدوس العطار هذا قول ابن خلكان وقال القلقشندى فى صبح الأعشى تدوس العطار غير اسم أبيه واندس فى بنى طيء والله أعلم وتوفى بالموصل عام ٢٣١ هـ وقال الطبرى عام ٢٢٨ هـ ورثاه الحسن بن وهب وقيل ديك الجن بالبيتين الآتيين

فجع القريض بخاتم الشعراء ‏ ‏ ‏ وغدير روضتها حبيب الطائى
ماتا معاً فتجاوروا فى حفرة ‏ ‏ ‏ وكذاك كانا قبل فى الأحياء

وقد اكتفينا بما أوردناه من ترجمته خوف الاطالة انتهى

(المتن) هَذَا العَتْبُ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ

(الشرح) العتب الموجدة أى الغضب ومحمود من الحمد ضد الذم وعواقبه أواخره يشير الى غضب مولاه عليه بما أدّى الى تأديبه وأنه سيعقبه الرضا عليه وهذا المعنى أخذه من قول أبى الطيب المتنبى

لعل عتبك محمود عواقبه ‏ ‏ ‏ فربما صحت الأجسام بالعلل

قال شارحه أى رب علة انقادت بعد شدة وكانت سبب السلامة والصحة وهذا من كلام الحكيم قد يفسد العضو لصلاح الأعضاء كالكىّ والفصد اللذين يفسدان الأعضاء لصلاح غيرها وقد نقله من قول الآخر

لعل سباً يفيد حباً ‏ ‏ ‏ فالشر للخير قد يجر

وهذه القصيدة يمدح بها سيف الدولة ويعتذر له فيها ومنها

ناديت مجدك فى شعرى وقد صدرا ‏ ‏ ‏ ياخير منتحل فى غير منتحل
بالشرق والغرب أقوام نحبهم ‏ ‏ ‏ فطالعاهم وكونا أبلغ الرسل
وعرفاهم بأنى فى مكارمه ‏ ‏ ‏ أقلب الطرف بين الخيل والخول
يا أيها المحسن المشكور من جهتى ‏ ‏ ‏ والشكر من قبل الاحسان لا قبلى
ما كان نومى إلا فوق معرفتى ‏ ‏ ‏ بأن رأيك لا يؤتى من الزلل

أقل أَنِلْ أَقطعْ احملْ علّ سلْ أعدْ   زِدْ هشّ بشّ تفضل إدنُ سُرّ صل

ولمناسبة البيت الأخير يقال ان سيف الدولة وقع تحت أقل أقلناك وتحت أنل نحمل اليك من الدراهم ما تحب وتحت اقطع اقطعناك ضيعة كذا بباب حلب وتحت احمل نحمل اليك الفرس الفلانية وتحت علّ قد فعلنا وتحت سلْ قد فعلنا فاسل وتحت أعد أعدناك الى حالك من حسن رأينا وتحت زد يزاد كذا وكذا وتحت تفضل قد فعلنا وتحت ادن أدنيناك وتحت سر [1] قد سررناك فقال المتنبي انما أردت من التسرية فأمر له بجارية وتحت صِلْ قد فعلنا وكان بحضرة سيف الدولة شيخ يضحك منه يقال له المغلي حسد المتنبي على ما أعطاه سيف الدولة فقال هلا قلت له يامولاى هِى هِى لما قال هش بش يعني (حكاية الضحك) فضحك سيف الدولة وقال له ولك أيضا ما تحب وأمر له بصلة انتهى

المتن وهَذِهِ النَّبْوَةُ غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي

الشرح النَّبْوَةُ مصدر نبا الشيء ينبو غير مهموز اذا تجافى وتباعد وفى المثل الصدق يُنبِي عنك لا الوعيد اى ان الصدق يدفع عنك المكروه لا التهديد والغمرة الشدة وجمعها غمرات وتنجلي تذهب والمعنى وهذه الجفوة التى لحقتني شِدّةٌ نزلت بي وستزول عني بزوال غضبك والجملة مأخوذة من قول الأغلب العِجليّ الراجز

الغَمَرَاتُ ثم تنجلينا   عنا وينزلن بآخرينا

وقد ذهبت مثلا يضرب فى احتمال الأمور العظام والصبر عليها ذكرها الميداني فى أمثاله ونأتى هنا على بعض ما وقفنا عليه من أخبار الأغلب الراجز

---

(١) الذى فى الديوان مضبوطة بضم فتشديد وعلى ذلك فمناها من السرور لا من التسرية والا لقال سر بفتح أوله وتشديد ثانيه مكسورا

ذكر الأغلب العجلى الراجز

هو الاغلب العجلى الراجز بن جشم بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعب بن على ابن بكر بن وائل وهو القائل يفتخر بقومه (إنّ سرّك العز فجحجح بجشم) وكان أحد المعمرين عاش فى الجاهلية طويلا وأدرك الاسلام فأسلم ذكر ذلك صاحب الأغانى وقال أنه أول من رجز الأراجيز الطوال فى العرب وكانت العرب تقولها فى الحرب والحُدَاء والمفاخرة ومن رَجَزِه قوله فى سَجاح بنت الحارث بن سويد لما تزوجت مُسيلمة الكذاب

قد أبصرت سجاح من بعد العمى ... ملوّحا فى العين مجلود القرى
مثل العتيق فى شباب قد أتى ... من اللجيميين أصحاب القرّى
ليس بذي واهنة ولا نَسا ... نشا بلحمٍ وبخبزٍ ما اشتوى
حتى شتا ينتح ذِفراه الندى ... خاظى البضيع لحمه خَظًا بَظًا
كأنما جُمِع من لحم الخُصى ... اذا تمطى بين بُرديْه صأى
كان عِرق أيرِه اذا ورى ... حَبْلُ عجوزٍ ضفرت سبع قُوى

الى أن قال

قال ألاَ أُدْخِلُه قالت بلى ... فشال فيها مثل محراث الغضا
يقول لما غاب فيها واستوى ... لمثلها كنت أُحسيكِ الحسا

يشير بذلك الى أبيات قالها مسيلمة الكذاب الى سجاح أضربنا عنها لفحشها وكانت سجاح المذكورة قد ادّعت النبوة فى بني تميم وادعت انه أنزل عليها قرءانا فيه يا أيها المتقون لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريش قوم يبغون وكان ادعاؤها النبوة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع عليها بنو تميم واتّبعُوهَا فكانت تسجع لهَم الأسجاعَ الموزونة فمنها قولها يامعشر تميم اقصدوا اليمامة فاضربوا فيها كل هامة واضرموا فيها ناراً ملهابة حتى تتركوها

سوداء كالحمامة فلما استفحل أمرها وكان مسيلمة الكذاب بن حبيب الحنفي قد ادعى النبوة وتحصن في حَجْرِ اليمامة وتبعه خلق كثير قصدته سَجاح بجموعها وأحاطت به فضاق بها ذرعا فاستشار وجوه قومه فقالوا نرى أن تسلم هذا الأمر اليها وكان مسيلمةُ ذادهاء فأرسل اليها ان الله تبارك وتعالى أنزل عليّ وحيا فهلمي نجتمع ونتدارس ماأنزل الله علينا فمن عرف الحق اتبعه واجتمعنا فأ كلنا العرب بقومي وقومك أ كلا فاجتمعت به وقالت هاتِ ما أنزل عليك فقال أنزل عليّ ألم تر كيف فعل ربك بالحُبْلَى أخرج منها نطفة تسعى بين صفاق وحشى من بين ذكر وأنثى وأموات واحيا ثم الى ربهم يكون المنتهى . قالت وماذا قال ألم تر ان الله خلقنا أفواجا وجعل النساء لنا أزواجا فنولج فيهن الغراميل إيلاجا ونخرجها منهن اذا شئنا اخراجا قالت فبأى شيء أمرك فقال الابيات التى أضربنا عنها لقبحها فخضعت له وصدقته وصالحته ثم خطبها بأمرها من قومها فزوجوه إياها قال الطبري ثم فارقته على أن يحمل اليها نصف غلات اليمامة وانصرفت الى الجزيرة وبقيت في بني تغلب وانتهى أمر مسيلمة الكذاب بقتله في إمارة خالد بن الوليد رضى الله عنه قتله وحشي غلام جُبَيْر بن مُطعم الذي كان قتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم في وقعة أُحدٍ وهو مشرك وعاشت سجاح الى زمن معاوية بن أبي سفيان بعد أن أسلمت وتابت و بقي الأغلب العِجْلي حيا الى زمن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلحق بجيش سعد بن أبي وقّاص رضى الله عنه ثم قُتل في وقعة نهاوند في أول سنة ١٩ هـ لسبع سنين من خلافة عمر رضى الله عنه وقال غيره استشهد الأغلب في هذه الوقعة في سنة ٦٤٣ ميلادية والله أعلم ولم أقف له على أخبار أخري

(المتن) وهذهِ النَّكبةُ سَحابةُ صَيفٍ عَنْ قَلَيلٍ تَقَشَّعُ

الشرح النكبة واحدة نكبات الدهر أى مصائبه تقول أصابته نكبة ونكب فلان فهو منكوب و تَقَشَّعُ أي تتقشع حذفت احدي التائين تخفيفا ومعناه تتكشف

وتبدد وهو مثل يضرب فى اقتضاء الشيء بسرعة ذكره الميدانى فى أمثاله ومما يستطرد بالمناسبة ماقيل ان أبا صفوان خالد بن صفوان التميمى الشاعر المشهور بالبلاغة وقع بينه وبين بلال بن أبى بردة عامر بن أبى موسى الاشعرى كلام فعيّره بلال بكثرة لحنه فى الكلام حتى انقطع فى المسجد يتعلم الاعراب وقد كف بصره وكان بلال بن أبى بردة أحد نواب خالد بن عبد الله القسري الذي تولى العراقين فى سنة ١٠٥ هـ من قبل هشام بن عبد الملك فكان اذا مر بموكبه يقول خالد من هذا فيقال الأمير فيقول خالد سحابة صيف عن قليل تقشع فسمعه بلال يوما فقال والله لا تقشع حتى يصيبك شؤبوب بَرَدٍ منها وأمر به فضرب مائتي سوط وانما ذكر خالد المثل استثقالا لبلال وتوقعه سرعة زوال امارته وعلى ذلك يكون المثل قديما ولم أقف على قائله ومعني ابن زيدون وهذه النازلة التى أصابتنى ستزول قريبا لتقى بحلمك وعدلك

(المتن) ولنْ يُرِيبَنِي منْ سَيِّدِي أنْ أبْطَأَ سَحابُهُ أوْ تأخَّرَ غيرَ ضَنِينٍ غَنَاؤه

الشرح لن حرف لنفي الاستقبال ويريبنى من الريبة وهي الشك ضد اليقين والبطء من الابطاء ضد السرعة والضنين البخيل والغناء بالفتح والمد النفع فاذا كسرت الغين وقصرت فهو ضد الفقر وان مددت فهو التغني بالاصوات والمراد الاول والمعني ولست أشك فى كرم مولاي ونفعه اذا تأخر عنى لا عن بخل ولما وصف السحاب بالبطء والغَناء بالتأخر عاد الى شرح حاليهما فقال

(المتن) فأبطأُ الدِّلاءِ فَيْضاً أمْلَؤُهَا وأَثقَلُ السَّحَاب مَشْياً أَحْفَلُها

الشرح الدلاء جمع دلو مايسقى به من بئر ونحوها والفيض مصدر فاض الماء اذا كثر وسال والثقيل ضد الخفيف والحفل محركا الامتلاء يقال احتفل الوادى ماءا والضرع لبنا وحفلت السماء حفلا جدّ وقع مطرها وهذا الكلام يؤكد إزالة الريبة من نفسه فى الجملة السابقة لأنه اثبت فيها ابطاء افراج مولاه

وعفوه عنه وهنا شرح مافى هذا الابطاء من زيادةفائدة تعودمنه كأنه يقول لاريب ولاخوف من عاقبته فان الملاء البطيئة فى السقى هى الأكثر امتلاء والسحاب المتثاقل فى مشيته هو الأكثر مطرا فمدح البطء والثقل فى هذه الجملة وان يكن من لوازمهما الذم تفننا واقتدارا . ويعجبنى ماحفظته قريبا من هذا المعنى من قول احمد شوقى بك شاعر مصر الشهير فى مدح أميرها . وكان قد أبطأ عليه قليلا فى وعد وعده به

شر الوعود كمر السحاب ووعدك كالبحر يمشى المهل
يعم العباد ويغشى البلاد اذا الغيث فى أرض قوم نزل
ويارب ريث أفاد الجزيل اذا ما أفاد اليسير العجل

الريث هنا هو البطء وجاء فى المثل رب عجلة وهبت ريثا ويروى تهب ريثا

(المتن) وأَنْفَعُ الحَيا مَاصَادَفَ جَدْبًا وأَلَذُّ الشَّرَابِ مَاأَصَابَ غَلِيلاً

(الشرح) هذه الجملة فى معنى ماقبلها والحيا مقصور المطر والجدب خلاف الخِصب والغليل من الغُلّة وهو العطش والمعنى وأنفع المطر ما أصاب أرضا جدبة فأنبتها وأحلى الماء ماوافى ظمآن فأرواه قال الشاعر

هذا الشراب أخو الحياة وماله من لذة حتى يصيب غليلا

وكنّى بذلك عما يناله من عذاب السجن وصغاره وان الافراج عنه وان تأخر عليه يقع منه موقع حياة الارض الميتة بالمطر والعطشان بالماء البارد وهى أمثال ضربها لتحسن فى عين مولاه فيستميل بها رضاه والمعنى كل قضاء قضيته علىّ حلو مقبول حسن العاقبة

(المتن) (ومَعَ اليَوْمِ غَدٌ ولِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ)

(الشرح) نصف الجملة مأخوذ من المثل ان مع اليوم غداً يامُسْعَدة يضرب فى تنقل الدّول على مرّ الايام ذكره الميدانى ونصفها الثانى لفظ الكتاب العزيز

(وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب) وجاء في المثل أيضاً
لكل حي أجل والمثلان فيهما تسلية لنفسه بالصبر على المكاره
والمعنى سيعقب يومي غده بسرور رضاك على وان مالحقني من العذاب فانما
هو مقدر على في الأزول (المتن)

لَهُ الحَمْدُ عَلَى اهْتِبَالِهِ وَلاعَتْبَ عَلَيْهِ فِي إِغْفَالِهِ

الشرح الضمير للسيد والاهتبال الاغتنام والاحتيال ومنه يقال للصائد
هبال قال الشاعر (ومطعم الصيد هَبَّالٌ لبغيته) وهنا بمعنى الاقتصاص والعتب
اللوم قال الشاعر

اذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب

والاغفال ترك الشيء اهمالا واعراضا واصله غيبة الشيء عن بال الانسان
وروى في اغتفاله يقال غفل زيد اذا سها وتغافل اذا تعمد الغفلة والمعنى لك الحمد
على اقتصاصك مني اذا كان فيه رضاك ولا لوم عليك في تغافلك عني اذا
شملني عفوك (المتن)

وَإِنْ يَكُنِ الفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا * فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَرْنَ أُلُوفُ

الشرح الفعل ما يصدر عنك من خير أو شر وقد فسر ذلك بقوله الفعل
الذي ساء واحدا والافعال التي سرت أُلوف فدل ذلك على فعل الاساءة وأفعال
السرور من خير وشر وهذا البيت لأبي الطيب المتنبي من أبيات خمسة قالها
في أبي العشائر الحسين بن علي بن حمدان وكان السبب في ذلك ان المتنبي كان
قد أنشد سيف الدولة قصيدته الميمية ومطلعها

واحر قلباه ممن قلبه شَبِمُ ومن بجسمي وحالي عنده سقم

وكانت قد حوت عتابا مرا خرج به عن حد الأدب مع الملوك حتى اغضب
عليه سيف الدولة فرماه بدواة كانت بين يديه وهم جماعة بقتله ثم عفا عنه في

ذلك المجلس بسبب بيت من هذه القصيدة قاله لما اصابته الدواة وهو

ان كان سركم ماقال حاسدنا فما لجرح اذا أرضاكم ألم

فأعجب سيف الدولة منه لسرعة خاطره ووصله بمال وكان فى المجلس رجل يعادي أبا الطيب فكتب الى أبى العشائر بانطاكية كتابا شرح له فيه القصيدة الميمية واغراه بالمتنبي فوجه ابو العشائر عشرة من غلمانه ليغتالوه فلما وصلوا الى حلب وقفوا قريبا من باب سيف الدولة فى الليل وانفذوا رسولا الى أبي الطيب على لسان سيف الدولة ليأتيهم به فلما قرب منهم ضرب احدهم بيده الى عنان فرس أبي الطيب فسل أبو الطيب سيفه فوثبوا عليه فلما رأى ذلك منهم تقدم بفرسه فعبر قنطرة كانت بين يديه وقد أصاب الفرس احدهم بسهم فانتزعه منه حتى اذا أتى تشابهم عطف عليهم فضرب احدهم بالسيف فقطع الوتر وبعض القوس وجرحه فى ذراعه فوقفوا على صاحبهم المجروح وسار المتنبي وتركهم فلما يئسوا منه قال أحدهم نحن غلمان ابى العشائر فحينئذ قال

ومنتسب عندى الى من احبه والنبل حولى من يديه حفيف
فهيج من شوقى وما من مذلة حننت . ولكن الكريم ألوف
وكل وداد لايدوم على الاذى دوام ودادى للحسين ضعيف
وان يكن الفعل الذى ساء واحدا فأفعاله اللاتى سررن ألوف
ونفسى . له نفسى الفداء لنفسه ولكن بعض المالكين عنيف

ومراد ابن زيدون ان احسان مولاه عليه أكثر من اساءته له فان ساءه بفعل واحد فقد سره بأفعال كثيرة . والكثير لايغلبه القليل : وهو معنى بيت أبى الطيب المتقدم

(المتن)

وَأَعُودُ فَأَقُولُ مَاهَذَا الذَّنْبُ الَّذِي لَمْ يَسَعْهُ عَفْوُكَ

(الشرح) التفت من الغيبة الى الخطاب متسائلا عن ذنبه الذى ضاقت

سعة العفو عن اغتفاره وهو استفهام انكارى معناه الجحد اى لاذنب تضيق عنه ساحة عفوك

(المتن) والجَهلُ الَّذىلم يأتِ مِنْ وَرَائِهِ حِلمُكَ

(الشرح) الجهل ضد العلم وهنا بمعنى السفه والخطإ وقد جاء بهذا المعنى فى مواضع من التنزيل كقول الله تعالى بل أنتم قوم تجهلون أى تسفهون وفى شعر القدماء الاسلاميين كقول حسان ابن قيس الصحابى رضى الله عنه

ولا خير فى حلم اذا لم يكن له   بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له   حليم اذا ما أورد الامر اصدرا

فقابل بين الحلم والجهل أى لا خير فى حلم ليست له بادرة من غضب أو حدّة تمنع من الاستهانة والتحقير ومنه ذل من لا سفيه له كما لا خير فى جهل لا حلم معه يورد الأمر ويصدره أي يجهل فى موضع الجهل ويحلم فى موضع الحلم وهذا كمعنى الآخر

ولى فرس للحلم بالحلم ملجم   ولى فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمى فانى مقوّم   ومن شاء تعويجى فانى معوج

ويأتى من ورائه أي يقضي عليه والضمير للجهل يقال أتى عليه الدهر أى أهلكه والمعنى ولا جهل لى يستعصى على حلمك القضاء عليه بالصفح والستر

(المتن) (والتَّطَاوُلُ الَّذِي لَمْ يَسْتَغْرِقْهُ تَطَوُّلُكَ)

الشرح (التطاول من الطول خلاف القِصَرِ تقول طاولنى فطلته أى علوته طولا كخاصمنى فخصمته أي قهرته وغلبته ولم يستغرقه من التغريق وهو القتل وأصله ان القابلة . كانت تغرّق المولود فى ماء السَّلَى حين ولادته عام القحط فيموت فسمي التغريق قتلا والتطوّل من الطَّول والطائل بفتح الطاء المشدّدة وهو الفضل والقدرة والمعنى لم أذنب ذنباً تقصر قدرتك عن تجاوزه وغفرانه

(المتن) (والتَّحَامُلُ الَّذِي لَمْ يَفِ بِهِ احْتِمَالُكَ)

(الشرح) التحامل تكليف الأمر على مشقة تقول تحامل عليه وبه أى تكلفه ويستعار الحمل معنويا للوزر الذى يرتكبه المرء من المآثم فى الدنيا قال الله تعالى (فانَّهُ يَحْمِلُ يوم القيامة وِزْراً) أى إثماً ولم يف من الوفاء ضد الغدر والاحتمال افتعال من الحلم وهو الحلم تقول حمل عنه فهو حمول أى ذو حلم قيل للأحنف بن قيس انك لحليم فقال لم أكن حليما ولكني صَبُورٌ أى حمول والمعنى لم أحملك حملا ينوء بحلمك حمله

(المتن) لاَ أخْلُو مِنْ أَنْ أَكُونَ بَرِيئًا فَأَيْنَ عَدْلُكَ أَوْ مُسِيئًا فَأَيْنَ فَضْلُكَ

(الشرح) لاَ أخلوا أى لا ابرأ تَقُولُ أنا منك خلاء أى براء وخلاك ذم أى تبرأ وسقط عنك الذم وأين سؤال عن مكان تقول أين زيد اذا سألت عن مكانه وحاصل المعنى لست أخلو من أحد أمرين إما أن أكون بريئا فيما رُميت به وأما مسيئا أي مذنبا فان كان الاول فأين عدلك وان كان الثانى فأين فضلك أي عفوك وفيه المقابلة بين البراءة والذنب والتقسيم البديعى (١) حيث قدم

(١) التقسم فى اصطلاح البديعين هو أن يورد المتكلم معانى ثم يحتاج الى شرح أحوالها أو بعبارة أخرى فذكر أشياء متعددة ثم ترجع الى بيان حالتها مثاله ما كتب به أحد العمال الى عامله: انك لا تخلو فى هربك من صارفك ان تكون قدمت اليه اساءة خفته معها أولجترمت فى عملك خيانة رهبت بكشفه اياك عنها فان كنت أسأت

(فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها ... فأول راض سنةً من يسيرها)

وان كنت خنت خيانة فلا بد من مطالبتك بها ومن قول زهير بن أبي سلمى

فان الحق مقطعه ثلاث ... يمين أو نفار أو جلاء

فذلكم مقاطع كل حق ... ثلاث كلهن لكم شفاء

البراءة والذنب الى العدل والعفو ولا تجد لها ثالثا والمعنى اطلب عدلك وعفوك في الحالتين (المتن)

إلاَّ يكُنْ ذَنبٌ فَعَدْلُكَ واسِعٌ * أَوْ كَانَ لِي ذَنبٌ فَفَضْلُكَ أَوْسَعُ

الشرح إن حرف شرط مدغمة في لا النافية وقد تكون بغير ادغام كما قال ثابت قطنة

فان لا أقم فيكم خطيبا فانني بسيفي اذا جدّ الوغى لخطيب

والبيت مُفسر لما تقدم وهو لأبي عبادة البحترى الشاعر من قصيدة يمدح بها المتوكل على الله الخليفة العباسي ومطلعها

شوقي اليك تفيض منه الأدمع وجوى عليك تضيق عنه الاضلع

يستشفع اليه ليصمّ عن سماع كلام الوشاة فيه يقول في أثنائها

انى وما قصد الحجيج ودونهم خرق تخب به الركاب وتُوضِعُ

أصفيك أقصى الود غير مقلّل ان كان أقصى الود عندك ينفع

وأراك أحسن من أراه وان بدا منك الصدود وبان وصلك أجمع

يعتادُنى طربى اليك فيغتلى وجدى ويدعونى هواك فأتبع

ومنها

شرفاً بني العباس ان أباكم عَمُّ النبي وعِيصه المتفرّع

إن الفضيلة للذي استَسقى به عُمر وشُفع إذْ غدا يستشفع

وأرى الخلافة وهي أعظمُ رتبةً حقا لكم ووراثة ماتنزع

أعطاكُمُوها الله عن عِلم بكم والله يُعطى من يشاء ويمنع

وهى طويلة الى قال مستشفعا

قسم الثلاث الاولى بالثلاث الثانيـة ومعنى ذلك ان يحلفوا انهم ما فعلوا أو يتنافروا الى الحاكم ليحكم بينهم أو يكشفوا الامر حتى ينجلى وهو تقسيم جيد

هل يجلبنّ الىّ عطفَك موْقِفٌ ثبَتٌ لديك أقول فيه وتسمع
مازال لى من حسن رأيك موئلٌ آوِى اليه من الخطوب ومفزع
فعلامَ انكرتَ الصديق وأقبلتْ نحوى ركاب الكاشحين تطلّعُ
وأقام يطمع فى تهضم جانبي من لم يَكُنْ من قبلُ فيه يطمع
الاَّ يكن ذنب فعدلك واسع أو كان لى ذنب فعفوك أوسع

ولفظة العفو فى البيت الأخير أوقع فى كلام البحترى وابن زيدون أبدلها بلفظة (فضلك) أو ربما كانت الرواية كما قال ابن زيدون ولكنى وجدت البيت فى الديوان كما نقلته هنا

ذكر البحتري الشاعر وبعض أخباره

البحترىّ نسبة الى جده بُحتر واسمه الوليد بن عبيدالله بن يحيى بن عبيد ابن شملال بن جابر وينتهى نسبه الى طيّء ويكنى أبا عبادة شاعر مفلق فصيح اللسان حسن المذهب نقى الكلام مطبوع وله تصرف فى ضروب الشعر سوى الهجاء فان بضاعتَهُ فيه نَزْرَة وجيّده منه قليل وكان يتشبه بأبى تمام فى شعره ويحذو حذوه ويراه صاحبا واماما ويقدمه على نفسه ويقول فى الفرق بينه وبين أبى تمام ان جَيد أبى تمام خير من جيده ووسطهُ ورديئه خير من وسط أبى تمام ورديئه وقد جُمعَ ديوانُ شعره فكان أكبر من ديوان أبى تمام والمتأمل فيه يري ان الفاظهُ مصقولةٌ كالمرآة وحواشىَ نظمه مطرزةٌ كالثياب الموشاة وقلما يجدُ فيه كلماتٍ نافرةً أو معنى مبتذلا بل هو السهل الممتنع والمورد الصافى يدخل الى القلب فيعقله الفهم ويستلذه الطبع ولم أر من برّز عليه فى مدح الخلفاء والأمراء خاصة فكأنه خُلق للمديح أكثر مما خُلق له من أنواع الشعر قال ابن خلكان ومولده بمَنْبِجَ وقيل بِزَرْدَفْنَةَ قرية من قراها ونشأ وتخرّج بها ثم خرج الى العراق ومدح جماعةً من الخلفاء أولهم المتوكلُ على الله وخلقا كثيرا من الأكابر والرؤساء

وأقام ببغداد دهرا طويلا ثم عاد الى الشام ويقال لشعره سلاسل الذهب وهو فى الطبقة الأولى . قيل لأبى العلاء المعرى أىُّ الثلاثة أشعر أبو تمام أم البحترى أم المتنبى فقال أبو تمام والمتنبى حكيمان والشاعر البحترى ولعمرى ما أنصفه ابن الرّومى فى قوله

والفتى البحترىُّ يَسْرِق ماقا ل ابنُ اوسٍ فى المدح والتشبيب

وقال صاحب الأغانى قيل للبحتري يوما إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبى تمام فقال والله لاينفعني هذا القول ولا يضرّ أبا تمام ولوددت الأمر على ماقالوا ولكنى والله تابع له آخذ منه نسيمى يركدُ عند هوائه وأرضى تنخفض عند سمائه وحدّث عن نفسه فقال كان أول أمرى فى الشعر أنى صرت الى أبى تمام وهو بحمص فعرضت عليه شعرى وكان الشعراء يعرضون عليه اشعارهم فأقبل علىّ وترك سائر من حضر فلما تفرقوا قال لى أنت أشعر من حضرنى فشكوت اليه خلة فكتب لى الى أهل المعرة كتابا يشهد لى بالحَذْقِ فى الشعر وقال لى امتدِحْهُم فصرتُ اليهم فأكرمونى بكتابه ووظّفوا لى اربعة آلاف درهم فكان اولَ مال أصبتهُ وقال أول مارأيت ابا تمام أنى دخلت على أبى سعيد محمد بن يوسف وقد مدحته بقصيدتى التى اولها

أأفاق صَبٌّ من هوى فأفيقا أم خان عهدا أم اطاع شفيقا

فسرّ بها ابو سعيد وقال احسنت والله يافتى واجدت قال وكان فى مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس فوق من حضر عنده وتكاد ركبته تمس ركبتهُ فأقبل علىّ وقال لى يافتى أما تستحى منى هذا شعر لى تنتحله وتنشده بحضرتى فقال أبو سعيد احقا ماتقول قال نعم وانما سمعه منى فسبقنى به اليك وزاد فيه ثم اندفع فأنشد اكثر هذه القصيدة حتى شككت علم الله فى نفسى وبقيت متحيرا فأقبل الىّ ابو سعيد وقال يافتى قد كان فى قرابتك الينا وودك مايغنيك عن هذا فجعلت أحلف له ان

الشعر لى ماسبقنى اليه أحد ولا سمعته منه ولا انتحلته فلم ينفع ذلك شيئا واطرق أبو سعيد وقُطِعَ بي حتى تمنيت انى سُخْتُ فى الأرض فقمت منكسر البال أجرّ رجليّ فخرجت فما هو الا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان فردوني اليه فأقبل عليّ الرجل وقال الشعر لك يا بُنيّ والله ماقلته قط ولا سمعته الا منك ولكنني ظننت انك تهاونتَ بموضعي فأقدمتَ على الانشاد بحضرتي من غير معرفة سابقة بيننا تريد بذلك مضاهاتي ومكاثرتي حتى عرّفني الأمير نسبك وموضعك ولوددت أن لا تلد طائية الا مثلك ودعاني وضمني اليه وأقبل يقرّظني ولزمته بعد ذلك قلت سبب التعارف هنا يخالف قوله السابق من أنه صار الى أبى تمام وهو بحمص وعرض عليه شعره وانه قال له انت اشعر من حضرني فلعل هذا التعارف كان سابقا لتعرفه به بحمص فيستقيم الخبرانِ والله اعلم فأمّا القصيدةُ التي مدح بها ابا سعيد وذكرنا مطلعها فيقول فى أبيات منها

غدتِ الجزيرة فى جناب محمد ... ريًا الجناب مغاربا وشروقا
برقت مخايله لها وتخرّقت ... فيها عزالى جوده تخريقا
صفحت له عنها السنون وواجهت ... اطرافُها وَجهَ الزمانِ طليقا
رفع الأمير ابو سعيد ذكرها ... واقام فيها للمكارم سوقا
يستمطرون يداً يفيض نوالها ... فيغرّق المحروم والمرزوقا
يَقِظٌ اذا اعترض الخطوب برأيه ... ترك الجليل من الخطوب دقيقا
هلا سألت محمدا بمحمد ... تَجِدَ الخبيرَ الصادق المصدوقا
وسلِ الشُراةَ فانهم اشقى به ... من اهل موقان الاوائل مُوقا

وهى طويلة اجتزأنا بهذا القدر منها ونقل صاحب خزانة الأدب عنه فقال لما انقطعتُ الى أبي تمام واتكلت عليه فى تعريف الشعر وطرقه قال لي يا أبا عُبادة تخير الأوقات وأنت قليل الهموم خال من الغموم فان العادة اذا قصد الانسان

تأليف شيء أوحفظه فعليه أن يختار وقت السحر فان النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وخف عنها ثقلُ الغذاء وصفا من أكثر الأبخرة والأدخنة جسم الهواء وسكنت الأصوات ورق النسيم واذا شرعت فى التأليف فان الغناء مضماره الذى يجرى فيه واجتهد فى ايضاح معانيه ولملُك فى النسيب مسلكَ الألفاظ الرقيقة والمعانى الرشيقة وأكثر من ذكر الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الأشواق ولوعة الفراق والتعلل باستنشاق النسائم وغناء الحمائم والبروق اللامعة والنجوم الطالعةوالتبرم من العزال والوقوف على الأطلال واذا أخذت في مدح سيد فاشهر مناسبهوارهبْ عزائمهورغبْ فى مكارمه واحذر المجهول من المعاني وأياك أن تشين شعرك بالعبارة الرديةوالألفاظ الوحشية وناسب بين الألفاظ والمعاني وكن كأنك خياطا يقدر الثياب على مقادير الاجسام وإذا عارضك الضجرُ فأرحْ نفسك ولاتعمل الاوانت فارغ القلب ولاتنظم الا بشهوة فان الشهوة تعينك على حسن النظم وجملة الحال أن تعتبر بما سلف من أشعار الماضين فما استحسن العلماءفاقصده وما استقبحوهفاجتنبهُ انتهى قال وانشدتهيوما من شعري فتمثل ببيت أوس بن حجر

اذا مُقْرَمٌ مناذَرَا حدُّنابهِ　　　تخمطُ فيناناب آخرُ مُقرَم

ثم قال لى نعيت الى والله نفسى فقلت أعيذك بالله من هذا القول فقال عمرى لن يطول وقد نشأ فى طيء مثلك أما علمت أن خالد بن صفوان رأي شبيب بن شيبة وهو من رهطه يتكلم فقال يابنى لن احسانك فى كلامك نعى الى نفسى لأنا أهل بيت مانشأ فينا خطيب قط الا مات من قبله فقلت بل يبقيك الله ويجعلنى فداءك قال ومات ابوتمام بعد هذا الحديث بسنة ومن شعر البحترى فى مدح المتوكل على الله العباسي قوله من قصيدة يهنئه فيها بعيد الفطر

بالبرصمت وأنت أفضل صائم　　　وبسنة الله الرضية تفطرُ

فانعم بيوم الفطر عينا انه | يوم أغر من الزمان مشهر
اظهرت عز الملك فيه بجحفل | لجب يحاط الدين فيه وينصر
فالخيل تصهل والفوارس تدعى | والبيض تلمع والاسنة تزهر
والارض خاشعة تميد بثقلها | والجو معتكر الجوانب أغبر
والشمس مائلة تَوَقَّد بالضحى | طورا ويطفئها العجاج الأكدر
حتى طلعت بنور وجهك فانجلت | تلك الدجى وانجاب ذاك العِثْيَرُ

الى أن قال

فلو أن مشتاقا تكلف غير ما | فى وسعه لسعى اليك المنبر
صلوا وراءك آخذين بعصمة | من ربهم وبذمة لاتخفر
فاسلم بمغفرة الآله فلم يزل | يهب الذنوب لمن يشاء ويغفر

ومن شعره فى وصف البركة وتخلصه الى المدح بإحسن التخالص

يامن رأى البركة الحسناء رؤيتها | والآنسات اذا لاحت مغانيها
بحسبها أنها فى فضل رتبتها | تعد واحدة والبحر ثانيها
مابال دِجلةَ كالغَيرَى تنافسها | فى الحسن طورا واطوارا اتباهيها
فلو تمر بها بِلقيس عن عُرُض | قالت هى الصرح تمثيلا وتشبيها
تنصب فيها وفود الماء معجلة | كالخيل خارجة من حبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة | من السبائك تجرى فى مجاريها
اذا علتها الصبا أبدت لها حبكا | مثل الجواش مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها | ورَيِّقُ الغيث أحيانا يباكيها
اذا النجوم تراءت فى جوانبها | ليلا حسبتَ سماءً ركبت فيها
لايبلغُ السَّمَكُ المحصور غايتها | لبعد مابين قاصيها ودانيها
يَعُمْنَ فيها بأوساطٍ مُجنحة | كالطير تنقض فى جوٍّ خوافيها

لهنَّ صحن رحيب فى أسافلها ... اذا انحططن وبهو فى أعاليها

تغنى بساتينها القصوى برؤيتها ... عن السحائب منحلا عزاليها

كأنها حين جلت فى تدفقها ... يدُ الخليفة لما سال واديها

ومن قوله يصف الزّو وهى سفينة بناها المتوكل لنفسه

تعجبت من فرعون اذ ظنّ انه ... الهٌ لأن النيل من تحته يجرى

ولو شاهد الدنيا وجامعَ ملكها ... لقلّ لديه ما يُكثّرُ من مصر

ولو بَصُرت عيناه بالزوّ لازدري ... حقير الذى نالت يداه من الأمر

إذاً لرأي قصرا على ظهر لجةٍ ... يروح ويغدو فوق أمواجها يجرى

تصاد الوحوش فى حفافىْ طريقه ... وتُستنزَلُ الطير العوالى على قسر

ومن قوله يصف إيوان كسري من قصيدة طويلة

فكان الجرمازَ من عدم الانـ ... ـس واخلاله بنيةُ رمس

لو تراه علمت أنّ الليالى ... جعلت فيه مأتماً بعد عرس

وهو يُنبئكَ عن عجائب قوم ... لايشاب البيان فيهم بلُبس

فاذا مارأيتَ صورة أنطا ... كيةَ ارتعت بين روم وفرس

والمنايا مواثلٌ وانوشر ... وان يزجى الصفوف تحت الدّرَفْسِ

الدرفس هو العلم الكبير

وعراك الرجال بين يديه ... فى خفوت منهم واغماض جَرسِ

من مُشيح يهوي بعامل رمح ... ومليح من السنان بِتُرْس

تصف العين أنهم جدُّ أحيا ... ء لهم بينهم اشارة خرس

وكأن الايوان من عجب الصنـ ... ـعة جَوْبٌ فى جنب أرعن جلس

وكأن الوفود ضاحين حسرى ... من وقوف حولَ الزحام وخُنس

وكأنّ القيانَ وسط المقاصيـ ... ـر يُرجّعن بين حوٍّ ولُعس

عَمُرَتْ للسرور دهراً فصارت ... للتعزى رباعهم والتأسي

ومن قوله مرتجزا فى وصف الغيث

ذات ارتجاز بحنين الرعد ... مجرورة الذيل صدوق الوعد
مسفوحة الدمع لغير وجد ... لها نسيم كنسيم الورد
ورنةٌ مثل زئير الأسد ... ولمع برق كسيوف الهند
جاءت بها ريح الصبا من نجد ... فانتثرت مثل انتثار العقد
فراحتِ الأرضُ بعيش رغدِ ... من وشيِ انوار الربى فى بُرُد
كأنما غدرانها فى الوهد ... يلعبن من حبابها بالنرد

ومن افتتاحه فى التشبيب قوله

يوُدّى لو يهوَى العزُول ويعشق ... فيعلم أسباب الهوى كيف تعلق
أرى خُلُقًا حبي لهوًة دائما ... اذا لم يسم بالعاشقين التخلق
وزَورٌ أتانى طارقا فحسبته ... خيالا أتى من آخر الليل يطرق
أقسّم فيه الظنّ طورا مكذبا ... به أنه حق وطورا أصدق
فلو فهم الناس التلاقى وحسنه ... لحُبّب من أجل التلاقى التفرق

ومن قوله أيضا

ليس فى العاشقين أنقص حظا ... فى التصابى من واصل مهجور
حسُنَتْ ليلة الكثيب فكانت ... لى أنسا ووحشة للغيور
ضلّ بدرُ السماء أو كاد لما ... واجهته وجوه تلك البدور
اللواتى ينظرن بالنظر الفا ... تر من اعين الظباء الحور
يتبسمن من وراء حواشى الـ ... ـسر يُطعن بَرْد أقحوان الثغور
ويسارقن والرقيب قريب ... لحظَات يُعلنّ سر الضمير

ومن أحسن ما مدح به محمد بن عبد الملك الزيات من قصيدة يصفه فيها

بالفصاحة والبلاغة قوله

لَتَفَنَّنْتَ فى البلاغة حتى　　عطل الناسُ فن عبد الحميد
فى نظام من البلاغة ما شـ　　ـك امرؤ انه نظامُ فريد
وبديع كأنه الزَّهَرُ الضا　　حِكُ فى رونق الربيع الجديد
مشرق فى جوانب السمع ما يخ　　لقه عوده على المستعيد
ما أعيرت منه بطون القراطيـ　　س وما حُمِّلت ظهور البريد
مستميل سمع الطروب المعنّى　　عن أغانى مُخارق وعقيد
حجج تخرس الألدّ بألفا　　ظٍ فرادى كالجوهر المعدود
ومعان لو فصلتها القوافى　　هجّنت شعر جَرْوَلٍ ولبيد

وله فى مدح مالك بن طوق من قصيدة مطلعها

رحلوا فأيّة عبرة لم تسكب　　أسفاً وأىّ عزيمة لم تغلب

يقول فى ختامها يمدحه ويمدح قومه التغلبيين ويصفهم بالشجاعة والكرم

ومتى تغالب فى المكارم والندى　　بالتغلبيين الأكارم تُغْلَبِ
قوم اذا قيل النجاء فمالهم　　غير الحفائظ والرّدى من مهرب
حصّ التريكُ رؤوسهم فرؤوسهم　　فى مثل لألاء التريك المذهب

التريكة البيضة من الحديد تلبس على الرأس وقت الحرب تشبيها ببيضة النعام والحص ازالة شعر الرأس يقال رجل أحص أى قليل شعر الرأس

يمشون تحت ظُبَى السيوف الى الردى　　مشى العطاش الى بَرود المشرب
يتراكمون على الأسنة فى الوغى　　كالصبح فاض على نجوم الغيهب
يُنْسِيكَ جُودَ الغيث جُودُهُم اذا　　عثرت أكفهم بعام مجدب
حتى لو ان الجود خُيِّرَ فى الورى　　نسبا لأصبح ينتمى فى تغلب

وله فى الفخر قصيدة طويلة يذكر فيها مجد آبائه وأجداده يقول منها

إن قومي قوم الشريف قديما … وحديثاً أبوّة وجدودا
واذا ما عددت يحيى وعمرا … وَإِبَانَاً وعامرا والوليدا
وعُبَيْدًا ومُسْهِرا وجَديًا … وتَدُولاَ وبُحترا وعتودا
لم أدع من مناقب المجد ما يَفْـ … ـنِيعُ مَن ثَمَّ أن يكون مجيدا
ذهبتْ طيّئ بسابقة المَجْـ … ـد على العالمين بأسا وجودا
معشرٌ أمسكت حلومهم الأرْ … ضَ وكادت من عزّهم أن تميدا
نزلوا كاهلَ الحجاز فأضحى … لهمُ سا كنوه طرا عبيدا
فاذا قوتُ وائلٍ وتميم … كان ان كان حنظلاً وهبيدا
ظل ولداتُنا يغادون نخلا … مُوْتياً أكلهُ وطلحاً نضيدا

الطلح هنا الموز ونضيدا موضوعا بعضه فوق بعض

فاذا المَحْلُ جاء جاءوا سيولا … وإذا النقعُ ثار ثاروا أسودا
يحسُنُ الذكر عنهم والأحادِيـ … ـث إذا حدّث الحديدُ الحديدا
معشر ينجزون بالخير والشـ … ـرِّ يدَا الدهر موعدا ووعيدا
عدلوا الهضب من تِهامةَ أحلاً … ما ثقالا ورمل نجد عديدا
ملكوا الأرض قبل أن تُملكَ الأرْ … ضُ وقادوا في حافتيها الجنودا
فهمُ قومُ تُبَّعٍ خيرُ قوم … لهم الله بالفخار شهيدا

ومن مراثيه قوله في المتوكل على الله لما قتل وهي طويلة ومنها

ولم أنس وحشَ القصر إذ ريع سربُهُ … واذ ذعرت اطلاؤه وجآذره
واذ صيح فيه بالرحيل فَهُتِّكَتْ … على عجل أستاره وستائره
ووحشته حتى كأن لم يقم به … أنيس ولم تحسُن لعين مناظره
كأنْ لم تَبِتْ فيه الخلافةُ طَلْقَةً … بشاشتها والملك يُشرق زاهره
ولم تجمع الدنيا اليه بهاءها … وبهجتها والعيش غضٌّ مكاسره

فأين الحجاب الصعب حيث تمنعت ... بهيبتها أبوابه ومقاصره
وأين عبيد الناس فى كل نوبة ... تنوب وناهى الدهر فيهم وآمره

وشعره كله من الطبقة الاولى ولم اقف له على شرح ويقال ان أبا العلاء المعرى شرحه وسماه عَبَثَ الوليد كما هو مذكور فى ترجمة ابى العلاء فى كتاب سقط الزند ولم اقف عليه أيضا قلت وتسميته بعبث الوليد يقصد به المدح لا الذم وان يكن العَبَثُ فى اللغة اللَّعِب فانما اراد تلاعبه بالألفاظ والمعانى كما تقول سحر نى زيد ببيانه والله اعلم وكانت ولادة البحترى فى سنة ٢٠٥ هـ ووفاته فى سنة ٢٨٤ وهو ابن ثمانين سنة تقريبا بمنبج بلده ومن ذريته حفيداه عبيد الله وابو عبادة وكانا رئيسين فى زمانهما ومدحهما المتنبى فيمن مدح . انتهت اخباره

(المتن) حَنَانَيْكَ قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى وَنَالَنِي مَاحَسْبِي بِهِ وكفى

الشرح حنانيك مثنى حنان وهى كلمة تَرَحُّمٍ اى اطلب حنانك مرّة بعد مرّة قاله طَرَفَةُ بن العبد الشاعر الجاهلىّ الذى قتله النعمان بن المنذر

ابا منــذرٍ كانت غُروراً صحيفتي ... ولم أُعطكم بالطوع مالى ولا عرضى
ابا منــذر أفنيْتَ فاستَبْقِ بعضنَا ... حنانيْك بعض الشر اهون من بعض

والسَّيل ماسال من مياه الأمطار حتى فاض وزاد على الكفاية والزُّبي جمع زُبْيَة واصلها حفرة تحفر للأسد فى مكان مرتفع ليقع فيها فاذا جاء السَّيلُ غزيرا حتى وصل اليها قالوا بلغ السيل الزُّبى اى جاء جارفا فصار مثلا يضرب لما جاوز الحد من كل شيء ومثله بلغتِ الدماء الثُّنَنَ والثُّنَّةُ شعرات تخرج فى مؤخر رُسْغ الدابة وجاوز الحِزَام الطُّبْيَيْن والجمع طُبيٌ وهو الحافر والسباع كالضَّرع لغيرها ومن كتاب عثمان بن عفان رضى الله عنه الى على بن ابى طالب كرم الله وجهه قوله أمّا بعد فقد بلغ السيلُ الزُّبى وجاوز الحِزَامُ الطُّبْيَيْن (اى بلغ الشر نهايته) وطمع فىّ من كان يضعف عن نفسه

وانك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مُغلَّب

ورأيت القوم لا يَقْصُرون دون دمي فأَقبِلْ اليَّ على احد امرَيكَ وكن لي أم عليَّ صديقا كنت أم عدُوًّا

فان كنتُ مأكولا فكن خيرَ آكل وإلاَّ فأدركني ولما أُمزَّقِ

وقوله نالني من النوال وهو العطاء وهنا بمعنى وصلني من المكروه تستعمل في الخير والشر وما موصولة وصلتها قوله حسبي به وكفى والمعنى اطلب حنانيك فقد بالغت في عقُوبتي وجاوزت الحد وكان ما وصلني من عذاب السجن ما كفاني وزاد على الكفاية

(متن) وَمَا أرَانى إلاَّ لَوْ أمِرْتُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ فأبَيْتُ واسْتَكْبَرْتُ

(الشرح) أى ولست أرى نفسي لِعِظَمِ جرائمي إلا كأني لو أمرتُ بالسجود لآدم أبيتُ واستكبرتُ من الكبرِ بكسر الكاف وسكون الباء وهو العظمة والتجبر ولو حرف امتناع لامتناع غيره وانما أراد بهذه الجملة وما يأتى بعدها من الأمور الموجبة لارتكاب المآثم والخذلان انه لو وقع فيما وقع فيه أولئك المخالفون لكان جرُمُه عظيما وعقابه حقا ويظهر ان القصد من سَوْقِهِ تلك الجمل متتالية بقوله أبيتُ واستكبرتُ وقلتُ وأمرتُ وعكفتُ الخ مما سيجيء ببناء ضمير المتكلم بعدُ المبالغةُ في استعطاف مولاه ليحمله على استصغار جرْمه بالقياس اليها فيكف عن التمادي في عقوبته يريد انه لو نظر بحق وعدل لعلم ان ذنبه لا يماثل واحدةً من تلك الجرائم مع ان العقوبة تحتمل ان تكون نكالا عن أية واحدة منها وهذا من المجاز المشبه بالحقيقة لأن الحقيقة هي الاصل في الدلالة على المعنى المُشَبَّهِ بها وقد أشار في هذه الجملة الى قوله تعالى (وإذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ)

﴿ ذكر القصة فى ذلك ﴾

قال المفسرون إن الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق آدم أبا البشر الأول أوحى الى الأرض انى خالق منك خليقة فنهم من يطيعنى ومنهم من يعصينى فمن أطاعنى أدخلته الجنة ومن عصانى أدخلته النار فقالت الأرض أتخلق منى خلقا يكون للنار قال نعم فبكت الأرض فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة فبعث اليها عزرائيل ليأتيه بقبضة منها من أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها فلما أتاها ليقبض منها قالت أعوذ بعزة الله الذى أرسلك ان تأخذ منى شيئا فقال لها أعوذ بعزته ان اعصى له امرا وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها وملحها وحلوها ومرها وطيبها وخبيثها وصعد بها الى السماء فسأله ربه عز وجل وهو أعلم بما صنع فأخبره بما قالت الأرض وبما رد عليها فقال الله تعالى وعزتى وجلالى لأخلقن خلقا مما جئت به ولأسلطنك على قبض أرواحهم لقلة رحمتك ثم جعل الله تلك القبضة نصفها فى الجنة ونصفها فى النار ثم تركها ماشاء الله ثم اخرجها فعجنها طينا لازبا (أى مشتدا يلزق باليد) ثم حمأ مسنونا (أى أسود منتنا) ثم صلصالا (أى جافا) ثم جعلها جسدا وألقاه على باب الجنة فكانت الملائكة تراه وتعجب من صورته لأنهم لم يكونوا رأوا مثله فلما أراد الله تعالى ان ينفخ فيه الروح أمرها ان تدخل ذلك الجسد فنظرت فرأت مدخلا ضيقا فقالت يارب كيف أدخل هذا الجسد فقال الله عز وجل ادخليه كرها وستخرجين منه كرها فدخلت فى يافوخه فوصلت الى عينيه فجعل ينظر الى سائر جسده طينا الى أن وصلت الى منخريه فعطس فلما بلغت الى لسانه قال الحمد لله رب العالمين وهى اول كلمة قالها فناداه الله تعالى رحمك ربك ولما بلغت الركبتين هم ليقوم فلم يقدر فقال الله تعالى خلق الانسان من عجل فلما بلغت الساقين استوى قائما بشرا سويا لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا وأحشاء وكساه الله لباسا يستتر به وجعل

عقله فى دماغه وصرامته فى قلبه وشرهه فى كُليتيه وغضبه فى كبده ورغبته فى رئته وضحكه فى طحاله وفرحه وحزنه فى وجهه فسبحان من خلقه يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم ثم ركب فيه الشهوة وحجزه بالحياء وطوله ستين ذراعا ثم قال الله له اذهب إلى أولئك النفر من الملائكة فاسمع مايحيونك به فانها تحيتك وتحية ذريتك فذهب اليهم وقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله ثم علم آدم اسماء الاشياء واسماء الملائكة وذلك لأن الملائكة قالوا ليخلق ربنا ماشاء فلن يخلق خلقا أكرم عليه منا وان خلق فنحن أعلم منه لأننا خلقنا قبله ورأينا مالم يره فأظهر الله فضل آدم عليهم بالعلم وفيه دليل على أن الأنبياء أفضل من الملائكة وان كانوا رسلا ثم عرضهم على الملائكة ولم يقل عرضها لأن المسميات اذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل عُبِّرَ عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلاء فقال الله تعالى لهم اخبرونى باسماء تلك الأشخاص ان كنتم كما تقولون لم يخلق الله خلقا الا كنتم أفضل منه وأعلم فقالت الملائكة سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم فقال الله تعالى يا آدم انبئهم باسمائهم وذلك لما ظهر عجزهم فأنبأهم بها فقال الله تعالى يا ملائكتى ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وما كان وما يكون وأعلم ماتبدون أى ما قلتمونه أتجعل فيها الآية وما كنتم تكتمون من قولكم لن يخلق الله خلقا أكرم عليه منا وقيل معنى وما كنتم تكتمون يعنى ابليس من المعصية وحينئذ قال الله تعالى للملائكة اسجدوا لآدم ومعنى السجود هنا انحناء فقط لا وضع الجبهة على الأرض لأن السجود بمعناه المعروف لا يليق الا لله تعالى فسجدوا كلهم الا ابليس أبي واستكبر فسماه الله أبليس لأنه أبْلَسَ من رحمة الله أى يئس ويقال أنه كان يسمى عزازيل بالسريانية والحرث بالعربية وكان من أكثر الملائكة عبادة فتارة يعبد الله فى السماء وتارة فى الأرض وكان رئيسا للملائكة

الذين اسكنهم الله الأرض بعد طرد الجن الذين أفسدوا فيها الى جزائر البحار وشعاب الجبال وأعطاه الله ملك الأرض وملك السما الدنيا وخزانة الجنة فدخله العجب وظن نفسه أكرم الملائكة عليه قيل كان ينظر الى آدم جوفا قبل أن تنفخ فيه الروح فيقول هذا خلق لم يتمالك فأنا خير منه خلقني ربي من نار وخلقه من طين قال المفسرون فهو أول من أخطأ فى القياس لأن ما ألقى الى جوهر الطين زاد ونما وما ألقى الى جوهر النار اضمحل وتلاشى ثم قال ولئن فضله الله على لأعصينه ولئن فضلني عليه لأهلكنه فلما أمره الله بالسجود لآدم مع باقى الملائكة أبى وتعاظم لما سبق له فى علم الله من الشقاوة فجزاه الله سبحانه وتعالى بالطرد من رحمته وسماه شيطانا وحكم عليه بالكفر نعوذ بالله من عُجْبِ النفس وغرورها انتهى

(المتن) وقالَ لِي نوحٌ ارْكَبْ مَعَنَا فَقُلْتُ سَآوِي إلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ

(الشرح) يشير الى قصة نبى الله نوح عليه السلام وابنه الذى تخلف عن ركوب السفينة معه حين وقوع الطوفان فى قوله تعالى (ونَادَى نُوحٌ ابْنَهُ يابُنَيَّ اركب مَعَنَا ولاَ تَكُنْ مَعَ الكافِرِينَ قَالَ سَآوِى الى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أمْرِ الله إلاَّ مَنْ رَحِمَ وحَالَ بَيْنَهُمَا الموجُ فَكانَ مِنَ المُغْرَقِينَ)

ذكر نبى الله نوح ونسبه وقصته

هو نبى الله نوح عليه السلام بن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو نبى الله ادريس عليه السلام بن يرد بن مهليل بن قينين بن يانش بن شيث بن آدم عليه السلام أبى البشر الأول أول نبى بعث بشريعة واول نذير على الشرك وكان أبا البشر الثانى بعد آدم وأطول الأنبياء عمراً بعث الى قومه يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة غيره نحوا من تسعمائة سنة وخمسين الا قليلا فكذبوه فأنذرهم وصبر

عليهم وتحمل أذاهم فما ازدادوا الا كفرا وحينئذ دعا الله عليهم فأوحى الله اليه أن لاتخاطبني في الذين ظلموا أنهم مغرقون وأمره أن يصنع فلكا أي سفينة لنجاته عليها هو ومن معه ممن آمن به حين وقوع العذاب اي الطوفان فصنعها وهم يسخرون منه وحمل معه أهله وقومه المؤمنين ومن كل زوجين اثنين من الدواب والوحوش والطير ونحو ذلك فلما جاء أمر الله وفار الماء من التنور علي وجه الأرض ركب نوح السفينة فيمن معه وكان ابنه ويقال له يام وقيل كنعان في معزل عنه فناداه يابني اركب معنا في السفينة ولا تكن مع الكافرين قال له ابنه سآوى الى جبل يعصمني من الماء اى يمنعني منه ولم يركب معه قال له ابوه لاعاصم اليوم من أمر الله اي عذابه الامن رحم فينجيه من الغرق فلما تناهى الطوفان حال بينهما الموج فكان من المغرقين قال ابن عباس رضي الله عنه كان فوران الماء بالهند اما الشعبي فكان يحلف بالله مافار التنور الا من ناحية الكوفة والتنور هو الذي يخبز فيه وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه هو وجه الأرض والله اعلم وقد اخبر الله عزوجل نوحا عليه السلام بأن ابنه ليس منه إنه عمل غير صالح وقد اغرقه الله مع قوم نوح الكافرين جزاء كفرهم وعصيانهم انتهى

(وَأَمَرْتُ بِبِنَاءِ صَرْحٍ لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى)

(الشرح) يشير الى قوله تعالى (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَيُرْجَعُونَ) قال المفسرون فرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط والعماليق وفرعون هذا اسمه الوليد بن مصعب ابن الريان وعمر اكثر من اربعمائة سنة وكان يسوم بني اسرائيل سوء العذاب يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم اى يستبقيهم من الذبح فكانوا خولا وخدما له

والخَوَل هم العبيد والاماء فأراد الله سبحانه وتعالى ان يُنْجِيَهُم منه و[illegible] واهل دينه فبعث الله اليه موسى بنُ عِمران نبيّا

ذكر موسى بن عمران عليه السلام ونسبه وبعثه

هو نبي الله موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام وهو اسرائيل تركت باقى نسبه لشهرته وكان مولده بمصر وفى زمنه امر فرعون بقتل كل مولود يولد من بنى اسرائيل والسبب فى ذلك ان المنجمين اخبروه بقرب ظهور نبى منهم يَسْلُبُه ملكه ويغلبه على سلطانه فلما وُلد موسى عليه السلام خافت عليه أُمه القتلَ وإراد الله سبحانه وتعالى ان يحفظه من فرعون ليبعثه اليه نبيا فأوحى الله الى أم موسى ان أرْضِعِيه فاذا خِفْتِ عليه فَألقيه فى اليم [1] اي النهر فلما ولدته وضعته فى تابوت من خشب وألقته فى نهر النيل فالْتَقَطَهُ جوارى آسيةَ بنتُ مزاحم امرأةُ فرعون واَتَيْنَ لها به وكانت صالحة فألقى الله الرحمة فى قلبها عليه فأخذته وفَرِحَتْ به ومنعت فرعون من قتله وطلبت له المراضع فلم يقبل ثَدْىَ واحدة منهنّ حتى أتت أمه فيمن أتَيْنَ لرضاعه فلما عَرَضت عليه ثديها قبله وردّه الله اليها كما قال تعالى فرجعناك الى أُمِك كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وانما سمى موسى لأنه وجد بين ماء وشجر والماء بالقبطيه اسمه مو والشجر شا فنشأ ربيبا لفرعون الى ان بلغ اشده ثم جنى جناية وهى أنه قتل رجلا من القبط عدا على اسرائيلى فاستنصره عليه فطلبه فرعون ففر الى ارض مَدْيَن بالشام قال سعيد بن جُبَيْر رضى الله عنه بين مصر ومدين مسيرة ثمان ليالى فتزوج فيها بابنة شعيب عليه السلام واقام معها زمنا ثم سار بأهله قاصدا مصر فضل عن الطريق فاتاه الناموس وهو بالوادى المقدس وكلمه الله من طور سيناء وهو جبل قرب أَيْلَةَ وقيل

(١) اليم اسم البحر والبحر يطلق على البحر الملح وعلى كل نهر عظيم كالنيل والفرات قال عدى بن زيد العبادى (سره كثرة مايملك والبحر مُعْرِضًا والسدير) اى الفرات

جبل بالشام وهو المضاف اليه سِيناء واكرمه الله بالرسالة الى فرعون واستوزر له اخاه هارونَ عليه السلام فذهبا الى فرعون وقالا إنا رسول ربك اليك فقال فرعون لموسى ومن ربك قال رب السموات والارض فكذبه وقال للملأ من قومه ماعلمت لكم من إله غيرى وقال لهامان وكان وزيره أوقد لى على الطين أى أطبخ لى الآجرّ واعمل لى منه صرحا أى قصرا عاليا وقيل منارة لعلى أطلع منه الى إله موسى أى أنظر اليه وأقف على حاله وانى لأظن موسى من الكاذبين قيل انه أول من اتخذ الآجر وبنى به والآجر الطين المحروق يضرب مربعا للبناء وهو اللبن كـكتف وإبل فجمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء ثم طبخ الآجر والجص وهو مايطلى به البناء ونجر الخشب وضرب المسامير وأمر بالبناء فبنوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق واراد الله أن يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه ويقال كان يصعده راكبا على البرذَونِ وهى دابة للركوب أطول من الحمار ودون البغل فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه على عسكر فرعون فقتلت منهم نحو ألف رجل ووقعت الثانية فى البحر والثالثة فى المغرب وابتلى الله فرعون وقومه بالآيات التسع وأخذهم بالسنين فلم يؤمنوا الا ما كان من أمر السَّحَرَة الذين أبطل موسى سحرهم بعصاه فانهم آمنوا وصدّقوا فقتلهم فرعون ولما استكبر هو وجنوده ولم ينقادوا للحق جازاهم الله سبحانه وتعالى بأن نبذهم فى اليم أى ألقاهم فى بحر القلزُم وكان ذلك عاقبة الظالمين والقلزم كقنفذ يقال إنه اسم البلد المعروف الآن بالسويس بين مصر ومكة وهو مِيناء معروف واليه يضاف هذا البحر المسمى بالبحر الاحمر لأنه على ساحله أو لعله سمى القلزم من القَلْزَمَةِ وهو الابتلاع كأنه يبتلع راكبه والله أعلم

(المتن) وصَكَكْتُ عَلَى العِجْلِ

(الشرح) الاعتكاف فى اللغة الاقبال على الشىء والمواظبة عليه أو حبس النفس على ملازمته ومنه الاعتكاف فى المسجد للعبادة والعجل ولد البقرة مادام له شهر ثم ينتقل عنه يشير الى قوله تعالى (انّ الّذين اتّخذوا العجلَ سينالهم غضبٌ من ربّهم وذلّةٌ فى الحياة الدّنيا الآية) قال المفسرون هم بنو اسرائيل من قوم موسى عليه السلام الذين عبدوا العجل يعنى اتخذوه الهاقيل أن ذلك وقع منهم بعد انطلاق موسى الى جبل طور سيناء الذى ناجى ربه وكانوا قبل هلاك فرعون استعاروا من القبط حليهم ليتزينوا بها فى يوم عيدهم فبقيت عندهم الى أن أهلك الله فرعون وجنوده فامتلكوها فلما أبطأ موسى عليهم فى المناجاة جمع السامرى تلك الحلىّ وكان رجلا منهم مطاعا فيهم واسمه موسى ابن ظفر فصاغها عجلا من ذهب وفضة فى غياب موسى وجعله مجوفا ووضع فى جوفه أنابيب بوضع مخصوص فاذا هبت الريح سمع له صوت كصوت البقر وقيل أن الله حوله لحما ودما وللمفسرين فى ذلك أقوال اضربنا عنا فعكفوا عليه يعبدونه وقالوا (لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى) فلما رجع من المناجاة ورآهم يعبدونه غضب عليهم وذبح العجل أو حكه بالمبرد وذراه فى البحر وقد أخذهم الله سبحانه وتعالى بأن جعلهم بعد أمة لاجامع لها ولا رابطة الى يوم القيامة وهذا معنى قوله تعالى سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا والله أعلم

(المتن) واعتديتُ فى السّبت

(الشرح) الاعتداء والتعدّى من العداء وهو الظلم والسبت يوم معلوم من أيام الاسبوع والمراد به سبت اليهود وكانوا يعظمونه وينقطعون فيه عن أعمالهم يشير الى قوله تعالى (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السّبت فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين) قال المفسرون هم اليهود فى زمن نبى الله داود عليه السلام وذلك أن الله تعالى كان قد حرم عليهم صيد السمك يوم السبت وكانوا بقرية يقال

لها أيْلَةَ بالشام فكانوا لا يصطادونه فى ذلك اليوم وكانت الحيتان تظهر على وجه الماء فى هذا اليوم آمنــة مطمئنة لا يتعرض لها أحـد وفى ذلك يقول الله تعالى (وَسْئَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ الَّتِى كانَتْ حَاضِرَةَ البَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِم الآية) ثم وسوس لهم الشيطان فتحالوا على صيده بأن احتفروا أنهـارا بجانب البحر فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فتنساب اليها الاسماك فى المدة من الليل الى صباح الاحد بقوة الموج ولا تعود ثانية الى البحر لعمق الانهار المحتفرة فيأتى أهل القرية ويأخذونها ثم زاد اعتداؤهم الى أن استحلوا الصيد فى السبت فمسخهم الله تعالى قردة خاسئين ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين وهو أمر تحويل وتكوين والمسخ تحويل صورة الى ماهو أقبح منها والقردة جمع قرد وهو الحيوان المعروف وذلك جزاءهم لمخالفتهم أمر ربهم انتهى

(المتن) وَتَعَاطَيْتُ فَعَقَرْتُ

(الشرح) التعاطى التناول باليد والعقر ضرب قوائم البعير ونحوه بالسيف ولا يطلق فى غير القوائم وربما قيل عقره اذا نحره يشير الى قصة سالف بن قدار من ثمود عاقر ناقة صالح عليه السلام المذكور فى قوله تعـالى (إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ المَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ فَنَادَوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ) قال المفسرون هم ثمود قوم نبى الله صالح عليه السلام

ذكر نبى الله صالح عليه السلام ونسبه وقصة عقر الناقة

هو نبى الله صالح عليـه السلام بن عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيـد ابن خادر بن ثمود بن جاثر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقد تقدم ذكر

باقي النسب في قصة نوح عليه السلام وكان قومه يسكنون الحِجْر الى وادى القُرى بين الحجاز والشام واتخذوا بيوتهم من الجبال نحتوها وجابوها أى قطعوها وجوّفوها وكانوا طِوَل الأعمارِ وفى سعَةٍ من معايشهم فلما بعث الله اليهم صالحا عليه السلام رسولا كذبوه وقالوا أَنَتَّبِعُ بشرا آدمياً مثلنا إنّا اذاً لفى ضلال وسُعُرٍ أي خطأ عن الصواب وجُنُون لأن السعر من السعار كغراب الجنون فلما كذبوه قال الله تعالى سيعلمون غدا مَنِ الكذاب الأَشِر والاشَرُ البطَرُ أى حين ينزل بهم العذاب فأرسل الله الناقة فتنة لهم أى محنة واختبارا وأمر نبيَّهم صالحا ان يرتقبَهُم ويصبرَ على أذاهم ويُنَبِّئَهُم أى يخبرهم ان الماء قسمةٌ بينهم للناقة يوم تشرب فيه ولهم يوم يشربون فيه فاذا كان يوم الناقة حضروا لَبَنَها فتكفيهم وتغنيهم عن الماء واذا كان يومهم حضروا الماء فلا تحضر الناقة فلما أراد الله فتنتهم كرهوا الناقة ولبنها وحرّضوا أشقاهم وهو سالف بن قدار على عَقْرِها وكان لها فصيل فتناولها بالسيف فعقرها قيل أقام على أطراف أصابع رجليه ثم رفع يديه فضربها فقتلها وغاب الفصيل عنهم فجازاهم الله سبحانه وتعالى بأن أرسل اليهم جبريل عليه السلام فصاح بهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر والصيحة فى اللغة رفع الصوت بأقصى الطاقة والهشيم المحتظر الشجر البالى الذى تَذْرُوهُ الرياح أى أي تُطَيِّرُهُ وتذهب به والمعنى انهم من شدة الصيحة صاروا كيبيس الشجر اذا بَلِيَ وتحطم وذهبت به الريح كل مذهب لتكذيبهم انذار نبيهم صالح عليه السلام انتهى

(المتن) وشَرِبْتُ مِنَ النَّهَرِ الَّذِى ابْتُلِيَ بِهِ جُيُوشُ طَالُوتَ

(الشرح) النَّهرُ بالتحريك الماء الجارى المتّسع وبالسكون مجرى الماء وقيل معناهما واحد أو هما لغتان والابتلاء الامتحان والاختبار من البلوى والبلية وطالوت اسم ملك من ملوك بنى اسرائيل وهو الذى قاتل العمالقة وتغلب عليهم

وقتل ملكهم جالوت على يد داود عليه السلام يشير الى قوله تعالى (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لاَطَاقَةَ لَنَا اليَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ الآية .)

قال المفسرون لما مات نبى الله موسى بن عمران عليه السلام خلف من بعده فى بنى اسرائيل يوشع بن نون من ولد يوسف بن يعقوب عليه السلام لأن أخاه هارون مات قبله فحكم فيهم بالتوراة الى أن قبضه الله اليه ثم اعقبه كالب بن يوفنا كذلك ويقال انه زوج مريم ابنة عمران أخت موسى عليه السلام ثم حزقيل بن بودى وحدثت فترة عظمت فيها الأحداث حتى نسوا عهد الله وعبدوا الأصنام فبعث الله اليهم إلياس بن ياسين من ولد هارون أخى موسى نبياً فجدد لهم مانسوا من التوراة وأمرهم بالعمل بأحكامها ثم مات وأخلفه اليسع بن أخطوب فكان فيهم ماشاء الله ثم قبضه الله اليه فخلف من بعده خُلُوف عظمت فيها الخطايا وظهر لهم عدو من العمالقة وهو جالوت وقومه وكانوا يسكنون بحر الروم بين مصر وفِلَسْطين فغلبوهم على كثير من أرضهم وسبوا ذراريهم وأسروا من بنات ملوكهم عدة وضربوا عليهم الجزية فكانوا فى بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر امورهم لأن سبط النبوة هلكوا كلهم الا امرأة حبلى فحبسوها فولدت غلاما سمته أشمويل بن بالى ومعناه بالعربية اسماعيل وربى فى بيت المقدس فلما بلغ أتاه جبريل عليه السلام وقال له اذهب بأمر ربك الى قومك فبلغهم رسالته فقد بعثك فيهم نبياً فذهب اليهم ودعاهم الى الايمان فكذبوه وقالوا استعجلت علينا بالنبوة فان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل معه فى سبيل الله آية على نبوتك وانما كان قوام بنى اسرائيل . بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك انبياءهم وكان الملك هو الذى

يسير بالجوع للحرب والنبي يشير عليه ويأتيه بالخبر من ربه فقال لهم نبيهم اشمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا من أين يكون له الملك وكيف يستحقه ولم يؤت سعة من المال وانما قالوا ذلك لأن طالوت لم يكن من سبط الملوك والملك يحتاج الى المال قال لهم ان الله اصطفاه واختاره عليكم وخصه بالملك وزاده بسطة أي فضيلة بالعلم أى علم الحرب والجسم لأنه كان طويلا جسيما جميلا وقيل المراد به القوة لأن العلم بالحروب والقوة على الاعداء فيه حفظ المملكة والله يؤتى ملكه من يشاء وهو واسع الفضل وقال لهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون قيل كان التابوت من خشب يضع فيه موسى التوراة ومتاعا من متاعه وقيل من ذهب وكان أنبياء بنى اسرائيل يتوارثونه بعد موسى ويطمئنون به ويسكنون اليه ويحملونه معهم الى أى مكان يذهبون اليه واذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم فلما عصوا وافسدوا وسلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على أمرهم كامر سلبوه منهم فيما سلبوا ثم أن العمالقة تشاءموا منه لما فى علم الله من ارادة رجوعه الى بنى اسرائيل فأخرجوه عنهم ووضعوه فى أرض فيها حصاد لبنى اسرائيل فلم يرعهم الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى وكانت الملائكة تحمله أى تسوقه حتى وضعته فى دار طالوت فأقروا بملكه لصدق نبيهم فيما أخبرهم به فلما جاءهم التابوت تأهب طالوت للخروج الى الجهاد فأسرعوا لطاعته وخرجوا معه ولما فصل أى خرج من بيت المقدس بالجنود وكانوا على مايقال سبعين الفا أو أكثر وكان مسيرهم فى حر شديد شكوا الى طالوت قلة الماء بينهم وقالوا له ادع الله أن يجرى لنا نهرا نشرب منه قال لهم ان الله مبتليكم بنهر ليتبين به طاعتكم وهو اعلم بذلك فمن شرب منه فليس منى أى ليس من أهل دينى وطاعتى ومن لم يطعمه أى ومن لم يذقه فانه منى إلا من اغترف منه غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا

منهم أي نحو ثلثماية وبضعة عشرة قيل ان هذا النهر كان بين الاردن وفلسطين فالذين اغترفوا بأيديهم كما أمروا كفتهم الغرفة لشربهم وقوت قلوبهم فعبروا النهر مع طالوت وقاتلوا جالوت وقومه وهزموهم بأذن الله وقتل داود جالوت والذين شربوا من النهر وهم الأكثرون اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وجبنوا عن القتال وبقوا على شط النهر لم يجاوزوه ولم يقاتلوا لمخالفتهم أمر الله تعالى انتهى

(المتن) وقُدْتُ الفيلَ لِأَبْرَهَةَ

الشرح القود والقياد والقيادة والمقادة بمعنى وهو أن يكون الرجل أمام الدابة آخذاً بقيادها ضد السوق والفيل الحيوان المعروف وابرهة صاحبه وهو أبرهة بن الصبّاح ابن يكسوم وقيل أبرهة الاشرم ابو يكسوم وكان كبير الحبشة بأرض اليمن من قبل النجاشي ملك الحبشة واسم فيله محمود اهداه اليه النجاشي حين غزا البيت الحرام بمكة

ذكر قصة أصحاب الفيل

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى قصة أصحاب الفيل في قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بأصحَابِ الفِيلِ أَلَم يَجعَل كَيدَهُم في تَضلِيل الى آخر السورة)؛ قال المفسرون إن أبرهة بن الصباح ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القُلَّيسَ وأراد ان يصرف اليها حج العرب وكتب الى النجاشي إني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست منتهيا حتى أصرف إليها حج العرب فسمع بذلك رجل من بني كنانة فخرج اليها فدخلها ليلا فقعد فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترأ على فقيل صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع الذي قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فكتب الى النجاشي يخبره بذلك وسأله ان يبعث اليه بفيله وكان له فيل يقال له

محمود وكان فيلا عظيما جسيما فبعث به اليه فخرج ابرهة فى الحبشة سائرا الى مكة وخرج معه بالفيل واثنى عشرة فيلا غيره وقيل أكثر فسمعت العربُ بذلك فأعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه ابرهة واخذ ذا نفر فقال له أيها الملك استبقنى فان استبقائى خير لك من قتلى فاستبقاه فأوثقه وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنا من بلاد خَثْعَم خرج له نُفَيْل بن حبيب الخثعمى فى قومه ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيلا فقال نفيل ايها الملك إنى دليل أرض العرب وهاتان يَدَاىَ على قومى بالسمع والطاعة فاستبقاهُ وخرج معه يدله حتى اذا مَرَّ بالطائف خرج له مسعود بن معتب فى رجال من ثقيف فقال ايها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك إنما تريد البيت الذى بمكة نحن نبعثُ معك من يَدُلُّكَ عليه فبعثوا أبَا رِغَال مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمَغَمَّسِ مات ابو رِغَال وهو الذى يُرْجَمَ قبره وبعث ابرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مسعود على مقدمة خيله وامره بالغارة على نَعَم الناس فجمع الأسود اليه اموال الحرم واصاب لعبد المطلب مائتي بعير ثم ان ابرهة بعث بحِنَاطَةَ الحِمْيَرِىّ الى اهل مكة فقال سَلْ عن شريفها ثم ابلغه ما ارسلك به اليه أخْبِرْهُ أنى لم آتِ لقتال انما جئتُ لِأَهدِمَ هذا البيت فَانطَلَقَ حتى دخل مكة فلقِىَ عَبدَ المُطَّلِبِ بن هاشم فقال ان الملك ارسلنى اليك لأخبرك انه لم يأتِ لقتال إنما جاء ليهدم هذا البيت ثم ينصرف عنكم فقال عبد المطلب ماله عندنا قتال ولا لنا به يد إنا سنُخَلِّى بينه وبين ما جاء اليه فانَّ هذا بَيْتَ الله الحرام وبيتَ خليلِهِ ابراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يُخَلِّ بينه وبين ذلك فوالله مالنا بِهِ قوّة قال فانطَلِقْ معى الى الملك فأردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فأتاه فقال ياذا نفر هل عندك

من عَنَاءٍ فيما نزل بنا فقال ما غَنَاء رجل اسير لا يأمن ان يُقتل بكرة او عشيا ولكن سأبعث الى انيس سائس الفيل فانه لى صديق فأسأله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويُعَظِّمَ خَطَرَكَ ومنزلتك عنده فأرسلَ الى أنيس فأتاه فقال له ان هذا سَيِّدَ قريش صاحبَ عِيْنِ مكةَ يُطعم الناس فى السهل والوحوش فى رءوس الجبال وقد اصاب الملك له مائتى بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لى فدخل انيس على ابرهة فقال ايها الملك هذا سيدُ قريشٍ وصاحبُ عِيْنِ مكةَ يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رءوس الجبال يستأذن عليك وانا أحب ان تأذن له فيكلمك وقد جاء غير ناصبٍ لك ولا مُخالفٍ عليك فأَذِنَ ابرهة له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه أبرهة أعظمه واكرمه وكَرِهَ ان يجلس معه على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه فدعاه واجلسه معه ثم قال لِتَرْجُمَانه قل له ما حاجتك فسأله الترجمان فقال حاجتى الى الملك ان يَرُدَّ علىّ مائتى بعير اصابها لى فقال ابرهة لِتَرْجُمَانِه قل له قد كنتَ اعجبتنى حين رأيتك ولقد زَهِدْتُ فيك قال ولِمَ قال جئت الى بيت هو دينك ودين ابائك وهو شرفكم وعصمتكم لأهدِمَهُ فلم تكلمنى فيه وتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها قال عبد المطلب انا ربُّ هذه الابل والبيت ربٌّ سيمنعه قال ما كان ليمنعه منى قال فأنت وذاك فأمر بابله فَرُدَّت اليه وقيل عرض عليه اموال تِهامة ليرجع فأبى فلما رُدَّتِ الابلُ على عبد المطلب خرج فأخبر قريشا الخبر وامرهم ان يتفرقوا فى الشعاب ويتحرزوا فى رءوس الجبال تَخَوُّفًا عليهم من مَعَرَّة الجيش ففعلوا وأتى عبد المطلب الكعبة فأخذ بحلقة الباب وجعل يقول

يارَبِّ لا ارجو لهم سواكا	يارَبِّ فامنع منهم حماكا
ان عدوَّ البيتِ من عاداكا	أمنعهمُ ان يخربوا قراكا

وقال

لاهم ان المرء يمـنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدواً محالك
جروا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه فى بعض تلك الوجوه مع قومه فأصبح ابرهة بالمُغَمَّس قد تهيأ للدخول وهيأ جيشه وهيأ فيله فأقبل نُفَيل الى الفيل الأعظم ثم أخذ بأذنه وقال ابرك محمود وارجع راشد من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فأبى فضربوه بالمعول في رأسه فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام مهرولا فوجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فضربوه الى الحرم فبرك وابى أن يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد فى الجبل فأرسل الله عليهم طيورا سُوداً وقيل خُضراً وقيل بيضاً أبابيل أى جماعات بكثرة متفرقة يتبع بعضها بعضا من نواحى شتى فَوْجاً فوجا وزُمرةً زمرةً أمام كل فرقة منها طائر يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق وقيل أبابيل كالابل المؤبلة قال الفراء لا واحد لها من لفظها وقال الكسائي النحوى واحدها أبُول كعجول وعجاجيل وقال ابن عباس لها خراطيم كخراطيم الطير واكفٌ كأكف الكلاب ترميهم بحجارة عظيمة فى الكثرة والفعل صغيرة فى المقدار والحجم مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دُبُره ففروا وهلكوا فى كل طريق ومنهل وأما أبرهة فتساقطت أنامله كلها كلما سقطت أنملة اتبعها مِدّة وقيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير ومامات حتى انصدع أى انشق صدره من قلبه وانفلَتَ وزيره أبو يكسوم وطائر يحلّق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة

فلما أتمها وقع الحجر عليه فخر ميتاً بين يديه وكانت تلك الحجارة الصغيرة من سجيل أى من طين متحجر مصنوع للعذاب فى موضع هو فى غاية العلو وقول الله تعالى فجعلهم كعصف مأكول أى كورق زرع أكلته الدواب فراثته فيبس وتفرقت اجزاءه شبه تقطع أوصالهم بتفرق اجزاء الروث واختلفوا فى العصف المأكول فقال مجاهد العصف ورق الحنطة وقال قتادة هو التبن وقال عكرمة الحب اذ أكل وصار أجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذى يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف له ويروى أن السبب الذى حمل ابرهة على الغزو لهدم البيت غير ذلك وهو أن فئة من قريش خرجوا تجارا الى أرض النجاشي فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل واسمها القُلَّيْس بناها أبرهة المذكور للنجاشي وكتب اليه بخبرها وماعزم عليه من صرف حج العرب اليها كما مر فلما نزلوا بجانبها أجَّجُوا ناراً واشتَوَوا ثم ارتحلوا وتركوا النار كما هى فى يوم عاصف فهبت الريح وساقت النار الى الهيكل فاضطرم نارا فانطلق الصريخ الى النجاشي فأسف غضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة انتقاما للبيعة وباقى السياق يتحد فى المعنى مع ما تقدم ويقال انه بعد هلاك أصحاب الفيل وقائدهم أبرهة اقتسم عبد المطلب وأبو مسعود الثقفى وكانا صديقين أموالهم من الذهب والجواهر ووضعاه فى حفرتين لكل واحد حفرة ثم نادى عبد المطلب فى الناس فأصابوا البقية وساد عبد المطلب بذلك قريشا فلم يزل هو وابو مسعود فى أهليهما فى غنى من ذلك المال ودفع الله عن الكعبة الأعداء وكانت الوقعة فى سنة ٥٧١ ميلادية وهى السنة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوها تاريخا لولده وعن عائشة رضى الله عنها قالت رأيت سائس الفيل وقائده أعميين مُقعَدَين يستطعمان الناس وسأل عبد الملك بن مروان عَتّاب بن أسيد أأنت اكبر أم النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا أسن منه ولد صلى الله عليه وسلم

عام الفيل وانا أدركت سائسه وقائده أعميين مقعدين يتكففان الناس بل قيل لم يكن بمكة أحدا لارآهما لأن عائشة مع صغرها رأتهما فبالأولى أن يراهما من كان أكبر منها فى ذلك الحين ولما رد الله سبحانه وتعالى الحبشة عن مكة عظمت العرب قريشا وقالوا أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤونة عدوهم قال بعض العلماء وكانت هذه الحادثة أحدى معجزاته صلى الله عليه وسلم وان كانت قبله لأنها توكيد لأمره وتمهيد لشأنه انتهى

(المتن) وعَاهَدَتْ قُرَيْشًا عَلَى مَافِى الصَّحِيفَةِ .

(الشرح) العهد العقد والموثق والحلف والوصية يقال تعاقد القوم وتواثقوا وتحالفو وتواصوا اذا اجتمعوا على أمر بينهم وقريش اسم لبطون من العرب نزلوا البيت الحرام وحوله وعروه وكلها تنسب لجد واحد لا تتجاوزه هو فِهْر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان كما فى سلسلة النسب الشريف وكانت تدعى النضر بن كنانة وكانوا متفرقين فجمعهم قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن فهر المتقدم ذكره ولذلك يقال لقصي مجمعا ومن انتهى الشرف فى الجاهلية فوصله بالأسلام عشرة رهط من عشرة ابطن وهم هاشم وأمية ونوفل وعبد الدار وأسد وتَيم ومخزوم وعَدِىّ وجمح وسهم فامة قبائل قريش من ولد فهر كما قدمنا وهذه العشرة الأبطن المذكورة يطلق عليها قريش البطائح لأنهم نزلوا بطحاء مكة وماسواهم مثل كنانة واسد وغيرهما من قبائل مضر قريش الظواهر لأنهم نزلوا حول مكة وليست لهم وكان صلى الله عليه وسلم من رهط هاشم أحدى العشرة الأبطن المذكورة وفى الحديث الشريف أن الله أصطفى كنانة من بنى اسماعيل واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم وانما سميت قريش قريشا لتجمعهم من التقريش وهو التجميع وقيل لأنهم كانوا يتقرشون البياعات فيشترونها ومهنتهم التجارة أو لأن النضر

ابن كنانة اجتمع يوما فى ثوبه فقالوا تقرش قيل سأل معاوية عبد الله بن عباس رضي الله عنه لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون في البحر من أعظم دوابه تعبث بالسفن ولا تطلق الا بالنار يقال لها القرش لاتمر بشيء من الغث والسمين الا أكلته وهى تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قال وهل تعرف العرب ذلك فى أشعارها قال نعم وانشده شعر الجمحى

وقريش هي التى تسكن البحـــر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين فلا تـــترك فيه لذى الجناحين ريشا
هكذا فى الكتاب حى قريش يأكلون البلاد أكلا كيشا
ولهم آخر الزمان نبى يُكثِرُ القتل فيهم والخموشا

قلت وقد رأيت أهل ساحل البحر الاحمر يصطادون سمكا خشن الجلد وفمه شكل هلال تحت الحَنَكَ يسمونه القرش ويقولون انه يفترس الاسماك والانسان أوهو كالتمساح فى نهر النيل اذا رأى انسانا فى الماء بادر الى افتراسه ويعافون لحمه الا بعض الناس من اهل اليمن فانهم لا يعافونه وقيل هومن تَقَرَّش الرجل اذا تنزه عن مدانس الامور اومن تقارشت الرماح اذا دخل بعضُها فى بعض وقوله على مافى الصحيفة . الصحيفة الكتاب وجمعها صحائف وصحف نادرة قال فى القاموس لان فعيلة لاتجمع على فُعُل وقال فى المصباح عن الزمخشرى الصحيفة قطعةٌ من جلد اوقرطاس كُتبَ فيه واذا نُسبَ اليها قيل صَحَفِيٌّ بفتحتين ومعناه يأخذ العلم منها دون المشايخ كما يُنسب الى حنيفة حنفىٌّ والى بجيلة بَجَلِيٌّ والمراد هنا الصحيفة التى كتبها كفار قريش فى مقاطعة بنى هاشم وبني المطلب لَمَّا ظهر النبيُّ صلى الله عليه وسلم وقام بالدَّعوة ونذكر حكايتها مختصرةً

ذِكْرُ الصحيفة التي كتبها كفار قريش فى مقاطعة بنى هاشم

قال اهل السيرِ لما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم بمكة و بث دعوته الى الايمان

بالله وترك عبادة الأصنام والأوثان اجتمع كفار قريش من اهل مكة وتعاهدوا على مناوأة بني هاشم وبني المطلب ومهاجرتهم وقطع العلائق معهم واجمعوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا افسد محمد علينا ابناءنا ونساءنا وقالوا لقومه خذوا منا ديته مضاعفة ويقتله رجل من قريش وتريحونا وانفسكم فأبى قومه فعند ذلك اجمع رأيهم على منابذة بني هاشم وبني المطلب والتضييق عليهم بمنعهم حضور الأسواق وعلى أن لاينا كحوهم ولا يقبلوا منهم صلحا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا محمدا للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى الكعبة توكيدا على أنفسهم وكان اجتماعهم وتحالفهم فى خَيفِ بني كنانة (والخيف ناحية خلف الجبل) بالأبطح (والابطح مسيل واسع فيه دقاق الحصى ويسمى محصبًا وهو بأعلى مكة) فدخل بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم شِعْبَ أبي طالب وخرج من بني هاشم أبولهب عبد العزّى بن عبد المطلب الى قريش وظاهرهم على أهله وكان سن النبي صلى الله عليه وسلم حين دخولهم الشّعبَ ستا وأربعين سنةً فجهدوا فى الشعب حتى كانوا يأكلون ورق الشجر وكانوا اذا قدم العيرُ مكة يأتى احدهم ليشترى شيئا يقتاته فيقوم أبولهب فيقول يامعشر التجار غالوا أصحاب محمدٍ حتى لايدركوا شيئاً معكم فقد علمتم مالى ووفائى فيزيدون فى السّلعة اضعافا فيرجع خائبا وأولاده يتضاغون أى يصيحون بالبكاء من الجوع ويغدوا التجار على أبى لهب فَيربحُهُم وكان دخولهم الشعب فى هلال المحرم سنة سبع من النبوة وحينئذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان بمكة من المسلمين أن يخرجوا الى الحبشة ومكث بنو هاشم وبنو المطلب فى الشعب سنتين وقيل ثلاثا فى أشد البلاء وضيق العيش وكان أبو طالب يخافُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يغتاله أحد ممن يريد به السوء فيأمره أن يضطجع على الفراش فاذا نام الناس اقامه وأمر أحد بنيه أو غيره أن يضطجع مكانه ثم اطلع الله رسوله على ان الأرضة

وهي سوسة الخشب أكلت مافى الصحيفة من الالفاظ المتضمنة للظلم وقطيعة الرحم وهي الصحيفة التي عُلِّقَتْ في الكعبة فذكر ذلك لعمه أبي طالب فقال له عمه ما كَذَبْتَنِي قط فانطلق في عصابة من قومه ولبسوا أحسن لباسهم وخرجوا الى قريش فلما رأتهم ظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا محمدا القتل فتكلم معهم أبو طالب فقال جرت بيننا وبينكم امور فأتوا بصحيفتكم التي فيها مواثيقكم فلعل يكون بيننا وبينكم صلحا وانما قال ذلك خشية ان ينظروها قبل ان يأتوا بها فلا يأتون بها فأتوا بها لا يَشُكُّون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُدفَعُ اليهم للقتل فوضعوها بينهم وقالوا لابى طالب قد آن لكم ان ترجِعُوا عما احدثتم علينا وعلى انفسكم فقال ابو طالب انما اتيتكم فى امر فيه نَصَفَةٌ بيننا وبينكم ان ابن اخى (يريد محمدا صلى الله عليه وسلم) اخبرنى بان هذه الصحيفة التي فى ايديكم قد بعث الله اليها دابة لم تترك لفظا من الالفاظ المتضمنة للظلم والقطيعة الا لحسته فان كان كما يقول نزعتم عن سوء رأيكم فينا وان لم ترجعوا فوالله لا نسلم لكم محمدا حتي نموت عن آخرنا وان كان الذى يقول باطلا دفعناه اليكم قالوا رضينا بالذى تقول ففتحوا الصحيفه فوجدوها كما اخبر الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم فلما رأت قريش ذلك قال أكثرهم هذا سحر ابن اخيك وزادهم بغيا وعدوانا فقال لهم ابو طالب يامعشر قريش علَامَ نُحصر ونُحبَس وقد بان الامر وتبين لكم ظلمكم وقطيعتكم لنا ثم انصرفوا الى الشعب وعندئذ مشى خمسة من كفار قريش وهم هشام بن عمرو بن الحرث وزهير بن امية بن المغيرة والمطعِمُ بن عديّ وابو البختري ابن هشام واسمه العاص وزَمَعَةُ بن الأسود فى نقض الصحيفة فقال زهير أنا ابدؤكم فلما اصبحوا غدا زُهير وعليه حُلَّةٌ فطاف بالبيت ثم اقبل على الناس فقال يا أهل مكة انأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم لا يباعون ولا يبتاع منهم والله لا اقعد حتي تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة فقال ابو جهل كذبت لا تشق

فقام زمعة فقال والله انت ا كذب ما رضينا بكتابتها حين كُتبت وقال ابو البختري
والمُطْعِمُ بن عدي صدقتما والله وواقفهم هشام بن عمرو فقال ابوجهل أمر قضيَ به
ليلا وابوطالب جالس في ناحية المسجد فقام المطعم الى الصحيفة فشقها ثم قاموا
خمستهم ومعهم جماعة ولبسوا السلاح وخرجوا الى بني هاشم وبني المطلب في الشّعْبِ
وامروهم بالخروج الى مساكنهم بمكة وكان كاتب الصحيفة على الارجح منصور
ابن عكرمة فشلت يده انتهى

(المتن) وَتَأَوَّلْتُ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ

(الشرح) اوّلَ وتأوّل اي فسّر ومنه تأويل الرؤيا قال ابو هلال العسكرى
فى كتاب الفروق ما نصه الفرق بين التفسير والتأويل ان التفسير هو الاخبار عن
افراد آحاد الجملة والتأويل الاخبار بمعنى الكلام جملة وقيل التفسير افراد ما ينظمه
ظاهر التنزيل والتأويل اخبار بغرض المتكلم وقيل استخراج معنى الكلام لا على
ظاهره بل على وجه مجاز او حقيقة انتهى والبيعة مصدر باع الشيء اذا اشتراه ضد
يطلق على كل واحد من المتعاقدين انه بائع والمبتاع مبيع على النقص ومبيوع على
التمام ويطلق البيع على الطاعة ومنه البيعة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبايع بها أصحابه وهى المرادة هنا والعقبة طريق فى الجبل أو اليه والمراد بها
العقبة التى بايع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الخَزْرَجيّين بمكة وهى عن
يسار الطريق لقاصد منى قال الشيخ حمزة فتح الله رحمه الله فى كتابه المواهب
الفتحيه والعقبة بيعاتها ثلاث ولا يُعلَمُ ان احدا تأول فى إحداها فينبغى حينئذ
تأويل كلام بن زيدون بأن مراده لو فرض أنه بعد مبايعته رسول الله صلى الله
عليه وسلم نقض البيعة متأوّلا انتهى كلامه وقد نقل عن الصلاح الصَّفَديّ أنه
عقد فصلا مخصوصا لانتقاد ابن زيدون فى شرحه المسمى تمام المتون فى أمور
منها قوله وتأولتُ فى بيعة العقبة وزعمت أن خلافة أبي بكر كانت فلتة وتخلفتُ

عن صلاة العصر فى بنى قُرَيْظَةَ مع انه لم يتأول أحد فى بيعة العقبة وان القائل فى خلافة أبى بكر فلتة هو عمر بن الخطاب رضى الله عنـه فلا يصح الانكار عليـه وان الله لم يُعاقِبْ أحدا فى التخلف عن صلاة العصر فى بنى قريظة ولذا فلا وجه قرن ذلك بتخلف ابليس عن السجود لآدم ونحوه ومع احترامى لما نبه إليه الشيخ حمزة وما أشار به الصلاح الصفـدى أرى أن ما أشتهر عن ابن زيدون من قوة الادراك والتضلع فى درس سير الغابرين وأخبارهم وامثالهم واستعماله أنواع المجاز فى نظمه ونثره وقد كان من ابناء وجوه الفقهاء بقرطبة وواحد دهره فى البلاغة لايمكن أن يقال كان يجهل حديث العقبات الثلاث وان لامتأول فيها من أحد وبمعه فى نظرى انه انقاد الى الخيال حتى اضطره الى ايراد شاهد مجازى ليس له شبيه أو نظير من الحقيقة فاذا لم يتأول أحد فى بيعات العقبة كما قيل فليس لقوله (وتأولت فى بيعة العقبة) معنى مجازى وقد قيـل أن المجاز لا بد له من حقيقـة لأنها الاصل فى الدلالة على المعنى المراد وهذا ظاهر فى سائر معانى هذه الرسالة التى حوت ذكر وقائع سلفت واذًا فلا بدَّ من متأول ولا يشترط أن يكون المتأول من الاصحاب فاذا تقرر ذلك أقول انه أراد بالمتأول هنا إبليس لعنـه الله حين صرخ من رأس العقبة قائلا يا أهل الأخاشب وهى الجبال هل لـكم فى مُذَمَّمٍ والصُّبَاةُ معهم قد اجتمعوا على حربكم وفى رواية يامعشر قريش هـذه الأوس والخزرج تحالف على قتالـكم حتى سمعه الأنصار ففزعوا فقال لهم صلى الله عليه وسلم لا يَرُعكم هـذا الصوت فانما هو صوت أزبُّ العقبة أو عـدو الله ابليس وليس يسمعه أحد ممن تخافون ولا شك أن كلام هذا الملعون من المـآثم التى يصح استشهاد ابن زيدون بها لأنه من التحريض على الشر بالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقريش بمكة أشد الناس عداوة له ولم يقو الأسلام وقتهـا وقد ذكر ابن هشام فى السيرة ان جـلة منهم غدت على الخزرج فى صبيحة الليـلة التى

بايعوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة الثانية وقالوا لهم إنه قد بلغنا أنكم جئتم الى صاحبنا هـذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا ووالله ما من حيّ من العرب ابغض الينا من أن تَنشبَ الحرب بيننا وبينهم منكم ولولا أن بعضا من مشركى الخزرج حلفوا لهم بالله ما كان من هذا شيء وقد صدقوا لأن المبايعة كانت سرا لم يدخل فيها أحد من مشركيهم لتفاقم الشر وحدث مالم تحمد عقباه على انه قد حدث بعدها القبض على سعد بن عُبادة رضى الله عنه حينما نفر الناس من منى وتنطّسوا الخبر (أى تحسسوا) ووجدوه قد كان فأخذوه وأقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجبذونه بجُمّتِهِ الى أن خلصه الله تعالى منهم وأبليسُ هذا هو الذى سبق له الآباء عن السجود لآدم وأول من ذكره ابن زيدون فى استشهاداته فان قيل تأويلُ البيعة انما يقع ممن بايع الرسول قلنا ويقع ممن استمع وان لم يبايع لأن المستمع شريك المُبايع فى فهم الغرض فيجوز لكليهما التأويل اذا اراد وقد علمنا من معانى التأويل انه الاخبار بمعنى الكلام جُملة او استخراجه على غير ظاهره وابليس انما اخرجه بجملته وعلى غير ظاهره المراد به هدايةُ الخلق الى دين قويم والتحالُف على نُصرته وقتالِ من يشرك بالله احدا وهو مَنْ عَلِمْنا عداوتَهُ لآدم وذريته الى قيام السّاعة فأما ما انتقده الصلاحُ الصفَدىّ على ابن زيدون فى قوله وزعمتُ ان خلافة ابى بكر كانت فلتةً وتخلفتُ عن صلاة العصر فى بنى قريظة فسنتكلمُ عنهما فى موضعهما من هذا الكتاب بما يخرج بهما الى مراد ابن زيدون ان شاء الله وننقل هنا حديثَ العقبة الثانية وماقيل فيه كما روته السِّيَرُ النبويّة

ذكر مبايعة العقبة الثانية

قالوا لما هَدَى الله من هـدى من الأوس والخزرج حينما ذهب مُصْعَبُ بن عُمَيْر مُبَشِّرهُ صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعاد منها الى مكة مع من خرج من

الأنصار الى الموسم مع حجاج قومهم من اهل الشرك واخبر النبيُّ صلى الله عليه وسلم وقابله بمن أسلم منهم سُرَّ صلّى الله عليه وسلم بذلك وواعدُوهُ ان يوافوهُ في الشِّعْب الأيمن اذا انحدروا من مِنىً أسفلَ العقبة ليبايعوه فأمرهم ان لا ينبهوا نائما ولا ينتظروا غائبا فلما فرغوا من الحج وكانت الليلة التي واعدوه فيها وكانوا يكتمون على من معهم من قومهم المشركين أمرهم جاءوا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هَدْأَةٍ من الليل يتسلَّلُ الرجلُ والرجلان حتى اجتمعُوا في الشعب وكانوا ثلاثةً وسبعين رجلا فوافاهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم او سبقهم الى الشعب ومعه عمه العباس وابو بكر وعليٌّ رضي الله عنهم فأوقفَ العباسُ علياً على فَمِ الشعب واابابكر على فَمِ الطريق الآخَرِ فلما جلسوا كان اولَ من تكلَّم العباسُ فقال يامعشر الخزرج وكانت تُطلق الخزرجُ على مايشمل الأوسَ ان محمدا منا كما قد علمتم وقد منعناه من قومنا فهو في عِزٍّ ومَنَعَةٍ في بلده وقد أَبَى الاَّ الانحيازَ اليكم واللُّحوقَ بكم فان كنتم تَرَوْنَ انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وماتحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذِلُوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن فدعُوه فقال البَرَاءُ بنُ مَعْرُورٍ إنَّا والله لو كان في انفسنا غير مانطق به لقلناه اليكم ولكنا نريد الوفاءَ والصدقَ وبذلَ المُهَجِ دونَهُ وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تكلَّمْ وخذْ لنفسك وربك ماأحببت فقال لهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم أَشْتَرِطُ لربي عزَّ وجلَّ ان تعبدوه ولاتشركوا به شيئاً وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وابناءكم فقال عبد الله بن رواحة فاذا فعلنا فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيعُ فأخذ البراء بن معرور بيده صلى الله عليه وسلم ثم قال والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه زرارينا وفي رواية أُزْرَنا فنحن والله أهلُ الحرب والحَلْقَةِ ورثناها كابراً عن كابر وبينا البراء يكلمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو الهَيْثَم بن التَّيِّهانِ نقبله على مصيبة المال وقتلِ الأشرافِ فقال

العباسُ أخفُوا جرْسكُمْ فانّ علينا عيونا ثم قال ابو الهيثم يارسول الله ان بيننا وبين اليهود حبالا وإنّا قاطعوها فهل عسيتَ إن نحنُ فعلنا ذلك ثم اظهرك الله أن ترجعَ الى قومك وتدعَنَا فتبسّم النبيُّ صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدَّمُ الدَّمُ والهَدْمُ الهَدْمُ(١) يعني دمي دَمُكم تطلبون دمي واطلبُ دَمَكم وذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتُكم وانتم مني وانا منكم . أُحارب من حاربتم وأُسالم من سالمتم وعند ذلك قال العباس عليكم بما ذكرتم ذمةُ الله وعهده فى هذا الشهر الحرام والبلد الحرام يد الله فى أيديكم لَتَجِدُنَّ فى نصرته ولتشدن من أزره اللهم كن لابن أخى شهيدا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا الىّ اثنى عشرة نقيبا يكونون على قومهم فأخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس فالخزرجيون أسعدُ بن زُرارة بن عدس وسعدُ بن الربيع بن عمرو وعبدالله بن رواحة ورافع بن مالك بن العجلان والبراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام وعبادَةَ بن الصامت وسعدُ بن عبادة بن دَلَيمَ والمنذر بن عمرو بن خُنَيس والأوْسيُّون أُسيدُ بن حضير وسعدُ بن خَيثمة وأبو الهيثم بن التَّيِّهانَ ثم قال صلى الله عليه وسلم لهم انتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريّين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومى يعنى المهاجرين ثم توافقوا على ذلك وقالوا يارسول الله مالنا إن نحن قضينا قال رضوان الله والجنة قالوا رضينا أُبسط يدك فبايعه الثلاثة والسبعون كلهم فكانت هذه البيعةُ على حرب الأحمر والأسود أى العجم والعرب ويقال لها البيعة الثانية فلما وقعت صرخ الشيطانُ من رأس العقبة بأشد صوت وأبعده ياأهل الأخاشب أى الجبال وفى رواية ياأهل الجَبَاجب (أي المنازل) هل لكم فى مذمم والصباة معه (يعنى بمذمم محمدا والصبأة أصحابه والصابئ الخارج من دين الى دين) فانهم قد عزموا على حربكم ففزعت الانصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أزَبُّ العقبة وفى رواية

(١) وقد كان هذا مثلا يضرب فى استجلاب منفعة للوفاق والاتحاد

صاح الشيطان من رأس الجبل يامعشر قريش هذه الأوس والخزرج تحالفوا على قتالكم ففزع الانصار عند ذلك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرعكم هذا الصوت فانما هو عدو الله ابليس وليس يسمعه أحد من مخلوقين انتهى

(المتن) ونَفَرْتُ إلَى العِيرِ بِبَدْرِ

الشرح النفر محركة جماعة النـاس وبالسكون القوم ينفرون الى القتال للنصر والمدد ونفرتهم بالتشديد دعوتهم والعير القافلة التى تحمل المتجر من أي نوع كان قال بن قتيبة فى أدب الكاتب . ويذهب الناس الى أن القافلة الرُّفقة فى السفر ذاهبة كانت أوراجعة وليس كذلك انما القافلة الراجعة من السفر يقال قفلت فهى قافلة ولا يقال لمن خرج من العراق الى مكة قافلة حتى يصدرون انتهى

وبدر موضع بين الحرمين الشريفين وهو الى المدينة أقرب وبينهما ثمانية وعشرون فرسخا وسمى بدرا لأن به بئرا حفرها رجل من جُهَيْنَةَ يقال له بدر ابن قيس وقيل بن قريش بن بدر بن يخلد وبه سميت الوقعة الشهيرة بغزوة بدر الكبري فى أوائل الاسلام والذي استنفر الناس اليها من مكة أبو سفيان بن حرب والسبب فى ذلك أنه كان قادما من الشام بعير قريش تحمل أموالها وبلغه أن محمداً قد عرض لها فى أصحابه فاستأجر ضَمْضَم بن عمرو الغفاريّ ليذهب الى مكة ويخبر قريشا بذلك لنجدته وكان من ذلك وقوع القتال بين كفار قريش وساداتها وبين النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كما سيجيء وهى التي كسر الله بها شوكة المعاندين من قريش وكبرائها وعز الله بها الاسلام وشرف بها كل من حضرها فعرفوا بالبدريين وقبل أن نذكر خبرها نأتى على ترجمة أبى سفيان صاحب العير

(ذكر أبى سفيان بن حرب وبعض أخباره)

ابو سفيان كنيته واسمه صخر بنُ حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد

مناف ويلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جدّه عبد مناف كان سيدا من سادات قريش ورأسا من رءوس الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابوه حرب بن أمية رئيس قريش يوم الفجار من ايام العرب فى الجاهلية وآل حرب كانوا اذا ركبوا فى قومهم قُدِّموا فى المواكب والخليت لهم صدور المجالس اذا جلسوا وكان ابو سفيان صاحب العير ببدر والجيش يوم احد والخندق ومن أمثال العرب قول الشاعر

لست فى العير يوم يحدون بالعير ولا فى النفير يوم النفير

وكان يجهز التجار بأمواله وأموال قريش الى أرض العجم الى أن ظهر محمد صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى الاسلام فناوأه وألب قريشا عليه الى ان كان فتح مكة فأسلم وكان من حديث اسلامه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سار الى فتح مكة وقد انقطعت أخباره عن قريش بعد نقض المدنة بينه وبينهم فى حديث طويل خرج يوما أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مرّ الظهران خارج مكة فاذاهم بنيران موقدة كأنها نيران عرفة فقال أبو سفيان ماهذه فقال بديل هى نيران بنى عمرو فقال أبو سفيان عمرو أقل من ذلك فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركوهم واخذوهم وأتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم هو ومن معه وفى رواية أن العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم لقى أبا سفيان بالأراك فخاف عليه القتل فأردفه معه على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان راكبها حتى مرّ به على نار عمر بن الخطاب رضى الله عنه ورآه عمر معه فقال عمر الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم اشتد عمر رضى الله عنه نحو النبى صلى الله عليه وسلم فسبقه العباس بالبغلة ودخل بأبى سفيان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عمر بعده قال يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه

بغير عقد ولا عهد فدعني أضرب عنقه ، فقال العباس يارسول الله إني قد أجرته فلما أكثر عمر فيه قال العباس مهلا ياعمر والله ما تصنع به هذا الا انه رجل من بني عبد مناف ولو كان من بني عدي ماقلت هذا فقال عمر رضي الله عنه مهلا ياعباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب الي من اسلام الخطاب لو أسلم لأني أعلم أن اسلامك أحب الى رسول الله من اسلام الخطاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس اذهب به فقد أمناه حتى تغدو به على الغداة فرجع به العباس الى منزله فلما أصبح غدا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال ويحك ياأباسفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله الا الله قال فتشهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس انصرف ياعباس فاحتبسه عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتى تمر عليه جنود الله فقال العباس يا رسول الله ان أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا يكون في قومه فقال نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فخرج به العباس فأجلسه عند خطم الجبل فمرت به القبائل سليم وأسلم وجهينة فكان كلما سأل عنهم وأجابه العباس يقول مالي ولهؤلاء حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخضراء كتيبة من المهاجرين والأنصار في الحديد لايرى منهم الا الحدق فقال أبو سفيان من هؤلاء فقال العباس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والانصار فقال ياأبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما فقال له العباس ويحك أنها النبوة فالحق بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى أتى مكة وصرخ في المسجد قائلا يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لاقبل لكم به قالوا فمه قال من دخل داري فهو آمن ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن وقد بقي أبو سفيان الى أن أدرك خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ويقال أن أحدى عينيه فقئت بالطائف فصار أعور الى أن كان يوم اليرموك ففقئت عينه الأخرى ودخل على عثمان رضي الله عنه

وهو مكفوف فقال له هل علينا عين قال لا فقال ياعثمان إن الأمر أمر عالمية والملك ملك جاهلية فاجعل أوتاد الأرض بنى أمية فزجره عثمان رضى الله عنه ودخل مرة قبل ذلك على علىّ بن أبى طالب فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال ياأبا الحسن ما بال هذا الامر فى أضعف قريش وأقلها يعنى تيما فوالله لئن شئت لأملأنها عليهم خيلا ورجلا فقال له على يا أبا سفيان طالما عاديت الله ورسوله والمسلمين فما ضرهم ذلك شيئاً إنا وجدنا أبا بكر أهلا لها يعنى الخلافة وفى ذلك يقول أبو سفيان

وأضحت قريش بعد عز ومنعة ... خضوعا لتيم لا بضرب القواضب

فيالهف نفسى بالذى ظفرت به ... ومازالا منها فائزا بالرغائب

ودخل مرّة على عثمان أيضا عقب خلافته فقال يامعشر بنى أمية إن الخلافة صارت فى تيم وعدىّ حتى طمعنا فيها ولقد صارت اليكم فتلقفوها تلقف الكرة فوالله ما من جنة ولا نار أو نحو ذلك فصاح به عثمان فعل الله بك وفعل وقد نقل عنه حديث لا بأس بذكره هنا رواه ابن عباس رضى الله عنه وذكره البخارى فى باب كيف كان بدء الوحى قال ان هرقل أرسل فى ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادّ فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم الى مجلسه وحوله عظماء الروم ودعا ترجمانه فقال سلهم أيهم أقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم انه نبىّ قال أبو سفيان قلت أنا أقربهم نسبا فقال أدنوه منى وقرّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه قل لهم أنى سائل هذا عن الرجل فان كذبنى فكذبوه قال فوالله لولا الحياء من أن يؤثروا علىّ كذبا لكذبت عليه ثم كان أول ما سألنى عنه ان قال كيف نسبه فيكم قلت هو فينا ذو نسب قال فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله قلت لا قال فهل كان من آبائه من ملك قلت لا قال فأشراف الناس يتبعونه

أم ضُعَفاؤُهم قلت بل ضعفاؤهم قال أيزيدون أم يَنقُصون قلت بل يزيدون قال فهل يرتدُّ أحدٌ منهم سَخْطَةً لدينه بعد ان يدخل فيه قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قلت لا قال فهل يَغدُرُ قلت لا ونحن فى مدة لا ندرى ماهو فاعل فيها قال ولم تمكنى كلمةٌ أُدخِلُ فيها شيئًا غير هذه الكلمة قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف كان قتالكم إيّاه قلت الحرب بيننا وبينه سِجال ينال منا وننال منه قال ماذا يأمركم قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصِّلَة فقال للترجمان قل له سألتك عن نسبه فذكرتَ انه فيكم ذو نسب فكذلك الرسلُ تُبعث فى نسب قومها وسألتك هل قال أحدٌ منكم هذا القول فذكرتَ أن لا فلو كان أحدٌ قال هذا القول قبله لقلت رجل يَتأسَّى بقَولٍ قيل قبلَه وسألتك هل كان من آبائه من مَلِك فذكرتَ أن لا قلتُ فلو كان من آبائه من ملك لقلتُ رجل يطلبُ مُلْكَ أبيه وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فذكرتَ ان لا فقد أعرف انه لم يكن لِيَذر الكَذِبَ على الناس ويكذِبَ على الله وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت ان ضعفاءهم اتبعوه وهم اتباع الرسل وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت انهم يزيدون وكذلك أمر الايمان حتى يتم وسألتك أيرتدُّ أحد سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه فذكرت ان لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشتُه القلوبَ وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر وسألتك بِمَ يأمركم فذكرت انه يأمركم ان تعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدميَّ هاتين وقد كنت أعلم انه خارج لم أظن انه منكم فلو أنى أعلم انى أخلص اليه لتجشّمتُ لِقاءه ولو كنتُ عنده لغَسَلتُ عن قدميْه ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جاء

به دِحْيَةُ اليه فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقلَ عظيم الرُّم سلام على من اتبع الهدي أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلِم تُسْلَم يؤ تكَ الله أجركَ مرتين فان توليتَ فان عليك إثم اليَرِيسِيّينَ[1] ويأهل الكتاب تعالَوْا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نُشرِكْ بهشيئا ولا يَتَّخِذَ بعضُنَا بعضاً أرْباباً من دُون الله فان تولَّوْا فقولوا اشهدُوا بأنا مسلمون. قال ابو سفيان فلما قال ما قال وفرغَ من قراءةِ الكتاب كَثُرَ عنده الصَّخَبُ وارتفعت الأصواتُ وأُخرِجْنَا فقلتُ لأصحابي حين أُخْرِجنا لقد أَمِرَ[2] أمْرُ ابنِ ابى كَبْشَةَ[3] أنه يخافه ملك بنى الأصفر فما زلت موقنا انه سيظهر حتى ادخلَ الله علىّ الاسلامَ انتهى الحديث وكان ابو سفيان من المؤلّفةِ قلوبهُم وكان اسلامه فى أول الأمر ظاهريا حيث قال حتى أدخل الله علىّ الاسلام ولم يقل فى قلبي وقال الاسلام ولم يقل الايمان وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتَهُ أمَّ حَبِيبَةَ واسمها رملة زوَّجهُ اياها خالدُ بن سعيد بن العاصِ وهما بأرض الحبشه وأصدقَها النجاشىُّ من ماله اربعمِائةَ ديناراً وابوها يومئذ مشرك ولما قيل له ان محمداً نكح ابنتَكَ قال ذلك الفحلُ لا يُقْدَحُ أنفهُ وقال الميدانى فى امثاله لا يُقدَحُ انفه وهو مثل يضرب للشريف لا يُرَدُّ عن مصاهرة ومواصلة والقَدح فى قول الميدانى الكفُّ ولا فرق فى المعنى بينه وبين القَدعِ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجِلّه ومزح ابو سفيان معه وهو فى بيت أم حبيبة فقال له والله إنْ هُوَ إلاَّ أنْ تركتُكَ العربُ فما انتطحَتْ جمّاءُ ولاَ ذاتُ قرن ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يضحك و يقول انت تقول ذلك يا ابا سفيان وكان مضيافا كريما واخباره كثيرة

---

(١) اليريسيين جمع أريس وهو الأكار أو الزرّاع والفلاّح وهم نصارى والمعنى عليك اثم قومك (٢) كثر واشتد وزاد تعب (٣) يريد محمدا صلى الله عليه وسلم .

اجتزأنا بهذا القدر منها ومات بالشام في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ثلاثين هجرية وهو ابن ثمان وثمانين سنة انتهت اخباره ونذكر خبر وقعة بدر التي اشار اليها ابن زيدون

ذكر غزوة بدر الكبرى

قال أهل السير لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان بن حرب مقبلا من الشام بعير قريش وفيها أموالهم ندب المسلمين للحرب وقال هذه عير قريش وفيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان يُنفِلَكُمُوها أي تكون لكم غنيمة فخف بعضهم وتثاقل آخرون لأنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا وهي التي أنزل الله فيها قوله (وتودُّون أنَّ غيرَ ذَاتِ الشوكةِ تكونُ لكُم) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان ظهره حاضرا فليركب معنا ولم ينتظر غائبا فلما دنا أبو سفيان من أرض الحجاز وسمع الخبر وكان متخوفا على العير من محمد وأصحابه استأجر ضَمْضَم بن عمرو الغفاريّ ليأتي مكة يستنفر قريشا للحرب فخرج ضَمْضَمُ مسرعا الى مكة حتى اذا كان ببطن الوادي صرخ بأعلى صوته قائلا يا معشر قريش اللَّطيمةُ اللطيمة (١) أي أدركوا العير فان محمدا قد عرض لها في أصحابه لا أرى أن تدركوها فنفروا اليها سراعا ولم يتخلف من اشراف قريش الا أبو لهب ومن لم يستطع أرسل أحداً غيره وأرسل أبو لهب العاص بن هشام ابن المغيرة بدله وكان عدة من خرج تسعمائة وخمسين رجلا وقيل أكثر ومن الخيالة مائة فرس مدرعة سوى دروع المشاة فخرجوا على الصعب والذلول ومعهم القيان للغناء وضرب الدفوف حتى اذا كانوا وراء الكثيب العَقَنْقَل بالعُدوة القصوى اى المكان المرتفع من الوادي وهو بدر اتصل خبرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال لأصحابه هذه مكة قد رمت اليكم بأفلاذ كبدها يعني تجمَّعتْ رجالاتُها لحربكم

(١) اللطيمة الابل تحمل العطر والبز أي الثياب ولا تكون لغير ذلك

واستخلاص عيرها منكم وقد تقدم أبو سفيان بالعير حتى ورد الماء ببدر فلما أتاه الخبر صرف وجه عيره عن الطريق وترك بدرا يساراً وأقبلت قريش فنزلت بالجُحْفَةِ وهو موضع بين مكة والمدينه وبينها وبين مكة اثنان وثمانون ميلا تقريبا وكانت قرية جامعة وتسمى مَهْيَعَةَ وإنما سميت الجحفة لأن سيلا غزيراً اجتحفها فأزال عنها أهلها ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره ونجاها أرسل الى قريش إنكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم قد نجاها الله فارجعوا فقال ابو جهل بن هشام والله لا نرجع حتى نرد بدرا (وكان بدر موسما من مواسم العرب تجتمع لهم بها سوق فى كل عام فننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا تزال تهابنا ابدا وفى ذلك يقول الله عزوجل فيهم ولا تكونوا (كالَّذِين خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاس) فأشار الأخنس بن شُرَيق الثقفىُّ على بنى زُهرة وكان مطاعا فيهم بالرجوع الى مكة كفا عن القتال فى غير ضَيْعَةٍ فرجعوا ولم يشهدوا الوقعه ومضى القوم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وصل بأصحابه قريبا من بدر حتى حاذى ماءا من مياهها فنزل به فأشار عليه الحُبَابُ بن المنذر وكان ذا رأى أن ينهض بالناس من هذا المكان اذ لم يكن يصلح للنزول فنهض صلى الله عليه وسلم بالناس حتى أتوا أدنى ماء من القوم فنزلوه وغوّروا ماسواه أى دفنوه ثم بَنَوا حوضا على القَلِيب أى البئر وملئوه ماء وبَنَوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عَرِيشاً يقيه الشمس وقد ارتحلت قريش وأقبلت فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوّبُ من العقنقل قال اللهم هذى قريش قد أقبلت بخُيَلَائِها وفخرها تحادك وتكذبُ رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى اللهم فأحنهم الغداة وبادر الحوض حوض رسول الله نفر من قريش يقتحمونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فما شرب منهم أحد الا قتل فكان كما قال والتحم القتال وحمى الوطيس وأنزل الله نصره على نبيه فهزم المشركين وبدد شملهم وقتل من سادات

قريش وصناديدهم زهاء السبعين وأسر مثلهم وممن قتل يومئذ عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد والاسود بن عبد الاسد المخزومي وهو يقتحم الحوض ليشرب منه وأبوجهل بن هشام وكان اشد قريش تحريضا الناس على أن لا يرجعوا الى مكة بعد نجاة العير وقد ارتجز وهو يقاتل

ما تَنْقِمُ الحربُ العوان منّى بَازِلُ عامَيْن حديثُ سنّى لمثل هذا وَلَدَتْنى أُمى

وقتل أيضا أبوالبخترى بخاء معجمة واسمه العاص بن هشام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى أن لا يقتل اذا ظفر به لأنه كان لا يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم ولا يبلغه عنه شيئا يكرهه ولأنه ممن قام فى نقض الصحيفة وقد ذكرنا خبرها فيما مضى ولكنه أبى ان يستاسر الا اذا أخلى زميله جنادة بن زهير ابن مُلَيْحة من القتل فابوا عليه فقاتلهم فقتله المُجَذَّرُ بن زياد ولما برز أبوالبخترى القتال ارتجز يقول

لن يسلم ابن حرة زميله حتى يموت أو يرى سبيله

وقتل أمية بن خلف وابنه على وزمعة بن الاسود والحرث ابنه وعقيل بن الاسود بن المطلب وغيرهم فاودعوا بطن القليب وممن أسر العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وعقبة بن أبى معيط وسهل بن عمرو وابو العاص ابن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية واحلها له النبي في الاسلام بعد ذلك والنضر بن الحرث بن كلدة ثم قتل عقبة بعد صبرا بامر النبى صلى الله عليه وسلم بعرق الظُّبْيَةِ (وهى شجرة يستظل فيها) لكفره ونفاقه وكذلك قتل النَّضْرُ بن الحرث بن كَلَدَة بالصفراء صبرا والصفراء وادبين الحرمين وقال ابن هشام بالاثيل بامره صلى الله عليه وسلم لأنه كان يقول فى كتاب الله ما يقول فرثته اخته قتيلة بنت الحرث بأبيات مؤثرة آثرنا نقل بعضها قالت

يا راكبا انّ الأثيل مظنةٌ من صبح خامسة وأنت موفق

أبلغ بهـا ميتـا بأن تحيـة ما إن تزال بها النجائب تخفق
مني اليـك وعبرةً مسفوحةً جادت بوا كفها واخرى تخنق
هل يسمعني النضر إن ناديته أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمـد يالخير ضنء كريمة فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق

الى أن قالت فى ختامها

ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه لله أرحام هناك تشقق
صبرا يقاد الى المنية متعبا رسف المقيد وهو عان موثق

فيقال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو بلغني هذا الشعر قبل موته لمننت عليه ومات من الصحابة رضوان الله عليهم ستة من المهاجرين منهم عبيدة ابن الحرث بن المطلب وعمير بن ابى وقاص وثمانية من الانصار منهم سعـد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر رحمهم الله جميعا ونفل النبى صلى الله عليه وسلم كل أمرىء ما أصاب من الغنيمة وأتى الصائح مكة بمن قتل وأسر فقامت النوائح فى بيوتها حزنا عليهم وكانت عدة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثماية وأربعة عشر رجلا كعدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا النهر معه ثلاثة وثمانين من المهاجرين وواحدا وثلاثين ومائتين من الانصار من الخزرج والاوس ولم يشهد الوقعة عثمان بن عفان رضى الله عنه تخلف بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لمرضه بالجدري وقيل لتمريض رقية زوجه بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له النبى لك أجر رجل وسهمه وتخلف آخرون من أصحابه بجهة يقال لها بئر أبي بكية بأمره صلى الله عليه وسلم أما لصغر سنهم أو لاعذار أخرى وكان خروج النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الغزوة فى رمضان لثلاث ليال خلون منه على رأس تسعة عشر شهرا للهجرة والوقعة لثلاث بقين منه ومما قيل فيها من الشعر قول

حسان بن ثابت رضى الله عنه يعير الحرث بن هشام بفراره من الزحف من قصيدة مطلعها

تبلت فؤادك فى المنام خريدة ... تشفى الضجيع ببارد بسام

يقول فى أبيات منها

زعمت بأن المرء يكرب عمره ... عدم لمعتكر من الاصرام
ان كنت كاذبة الذى حدثتنى ... فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ... ونجى برأس طمرة ولجام
يذر العناجيج الجياد بقفرة ... مر الدموك بمحصد ورجام

فلما سمع الحارث بها أجابه يقول

الله يعلم ما تركت قتالهم ... حتى رموا فرسى بأشقر مزبد
وعلمت أنى إن أقاتل واحدا ... أقتل ولا يضرر عدوى مشهدى
وشممت ريح الموت من تلقائهم ... فى مأزق والخيل لم تتبدد
ففررت منهم والأحبة فيهم ... طمعا لهم بعقاب يوم مرصد

فقيل ان أبياته هذه من أحسن ما قيل فى الفرار من الزحف وقال الاسود ابن المطلب يرثى أولاده

و بكى ان بكيت على عقيل ... وبكى حارثا أسد الأسود
وبكيهم ولاتسمى جميعا ... فما لأبى حكيمة من مزيد

وقالت هند بنت عتبة وهى أم معاوية بن أبى سفيان ترثى أباها عتبة وعمها شيبة وأخاها الوليد بن عتبة

ويلى على أبوى والـ ... ـقبر الذى واراهما
لامثل كهلى فى الكهو ... ل ولا فتى كفتاهما
أسدان لا يتذللا ... ن ولا يرام حماهما

رمحان خطيلان فى كبد السماء تراهما
سادا بغير تكلف عفوا بفيض نداهما

وقالت أيضا تعاظم الخنساء فى مصيبتها بأخويها عمرو ومعاوية أى انها اعظم مصيبة منها

وبكى عميد الابطحين كليهما وحاميهما من كل باغ يريدها
أبى عتبة الخيرات ويحك فاعلمى وشيبة والحامى الزمار وليدها
أولئك أهل المجد من آل غالب وفى العز منها حين ينمى عديدها

انتهى خبر وقعة بدر

(المتن) وانخذلتْ بثلثِ الناسِ يومَ أُحُدِ

(الشرح) الانخذال والتخاذل بمعنى التقاعد عن نصرة الغير أو اغاثته وأحد بضمتين جبل قرب المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام من جهة الشام وبه كانت الوقعة الشهيرة بغزوة أحد بين المسلمين وكفار قريش وسيأتى خبرها والمنخذل بثلث الناس يوم أحد هو عبدالله بن أُبَىّ بن سلول رأس المنافقين وقبل ان نذكر خبرها نأتى على ترجمة عبد الله بن أبى بن سلول مختصرة فنقول

ذكر عبدالله بن ابى بن سلول

هو عبدالله بن أُبَى بن مالك بن الحرث بن عبيد الخزرجى وسَلُول اسم أُم أُبَى اى جدته امرأة من خُزاعة ويكنى ابا حُبَاب سيدٌ من سادات الخزرج فى آخرِ جاهليتهم فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه الخزرج حسده وناصبه العداء وادعى النبوة غير انّ الاسلام غلب عليه فنافق وكان رأسا فى المنافقين واعظمَهم نفاقا واشدَّهم كفرا وكان المنافقون كثير بن جدّ لقد رُوِىَ عن ابن عباس أنهم كانوا ثلثمائة رجل ومائة وسبعين امرأة وهو قائد العصبة الذين رَمَوْا عائشة ام المؤمنين بالافك وقد ورد فى القرآن ذَمّهُ بالنفاق والكفر غير مرة ولما كانت وقعة أحد خرج مع جيش النبىّ صلّى الله عليه وسلم مُظاهرا وقد كان

اشار على النبيّ صلى الله عليه وسلم بعدم الخروج من المدينة فلما خالفه في ذلك وخرج بالجيش خرج معه الى ان كان بالشَّوط بين أُحُدٍ والمدينة انخذل عنه ورجع الى المدينة ومعه ثلثمائة رجل ممن يرون رأيه فى النفاق وقال أطاعهم وعصانى والله ماندري علامَ نقتل أنفسنا وسيأتى تتمة ذلك فى خبر وقعة أُحُدٍ ولما مرض مرض موته عاده النبيُّ صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال له صلى الله عليه وسلم أهلَكك حُبُّ اليهود فقال يانبيَّ الله أو لم أبعث اليك لتؤنبني ولكن بعثتُ اليك لِتَستَغفِرَ لى وسأله قميصه ليُكفَّن فيه فأعطاه إياه واستغفر له وقيل ان ولده الحبابَ الذى سمّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله باسم ابيه هو الذى سألَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيه قميصه ليكفن فيه اباه فينال من بركته فأعطاه إيّاه وسأله ان يصلى عليه فصلّى عليه كل ذلك اكراما لابنه عبدِ الله وإسعافاً له ولطَلِبَته وفى صحيح البخارى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما مات عبد الله ابن أُبَيّ بن سلول دُعِيَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُصلى عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وَثَبتُ اليه فقلتُ يارسول الله أتصلى على ابن أُبي ابن سلول وقد قال يوم كذا . كذا وكذا أُعَدِّدُ عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أَخِّرْ عنّى ياعمر فلما اكثرت عليه قال انى خُيِّرْتُ فاخترتُ لو أعلَمُ أَنّي إنْ زدتُ على السبعين يُغفَرُ له لزِدْتُ عليها قال فصلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث الّا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة ولا تُصَلِّ على أَحَدٍ منهم مات ابدا ولا تَقُمْ على قبره إِنَّهُم كفروا بالله وَرَسُولِه وماتوا وهم فاسقون وعن جابر رضى الله عنه قال أتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن أُبَي بعد ما أُدخِلَ حفرتهُ فأمر به فأُخرِجَ فوضعه على ركبتَيْه ونفثَ فيه من ريقه وألبسه قميصهُ وقيل إنما اعطاه القميص مكافأةً له لأنه كان ألبس العباس بن عبد المطلب حين أُسِرَ يوم بدر قميصا ويروى ان النبيّ

صلّى الله عليه وسلم كُلّم فيما فَعَلَ به فقال وما يُغْنِي عنه قميصي وصلاتي من الله والله إني كنتُ ارجو ان يسلم به ألفٌ من قومه فيروي انه اسلم ألف من قومه لما رأوه يتبرّكُ بقميصه صلى الله عليه وسلم وبعد نزول الآية ما صلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولاقام على قبره بعدها وفيما فعله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيان لمكارم الأخلاق فقدعلم ما كان من هذا المنافق من الايذاء له وماقابله به من الحسنى من إلباسه قميصهُ كفناً والصلاةِ عليه ميّتاً والاستغفارِ له قال الله تعالى وانك لعلى خُلُقٍ عظيم وكانت مدة مَرَضِ عبدالله بن أُبيّ عشرين ليلةً ومات فى ذى القَعدَةِ سنةِ تسعٍ من الهجْرة انتهت اخباره

ذكر غزوة أُحُدَ

وكان من حديث هذه الغزوةِ كما رواه أهل السير أنه لما أُصيبَتْ قريش بقتل ساداتها وفُرسانها يوم بدر كما سبق ذكره ورجع فَلُّهم الى مكة ورجع ابوسفيان بن حرب بعيره . مشى عبدُالله بن ابى ربيعة وعِكرِمَةُ بن ابى جَهل وصفوانُ بن أُمية فى رجال من قريش ممن أُصيبَتْ آباؤُهم واخوانهم ببدر فكلموا أبا سفيان ومن كانت له من قريش تجارة طالبين اعادة الكرة على محمد وأصحابه أخذا بالثار فنادى أبو سفيان يامعشر قريش إن محمدا قد وَتَرَكم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال (أى مال العير) علي حربه ففعلو فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله وسلم وأصحاب العير بأحابيشها وهم بنو المصطلق وبنو الهَوْن بن خزيمة (وانما سموا أحابيش لاجتماعهم عند حُبَيْش جبل بمكة وتحالفهم مع قريش على غيرها) واجتمع عليهم غيرهم ممن أطاعهم من قبائل كنانة واهل تِهامة وخرجوا وخرج معهم وحشى غلامُ جُبَير بن مطعم وكان حبشيا يقذف بحربته قذف الحبشة قلما يخطىء بها أخرجه مولاه وقال له ان أنت قتلت عَمَّ محمد بِعَمّى طُعَيمَةَ بن عدى فأنت عتيق واخرجوا الظُّعُنَ معهم وهي

النساء على المواديج التماسا للحفيظة لئلا يفروا من القتال وكان قائد الناس أبو سفيان ابن حرب وخرجت فى الظعن هند ازوجته كما خرج غيرها فنزلوا ببطن السَّبْخَة من قناة على شفير الوادى مما يلى المدينة فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمسلمين أنى رأيتُ فى المنام بقرا تُذَبحُ فأَوّلتها خيرا ورأيت فى ذُباب سيفى ثَلْماً ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان اقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان هذا رأى عبد الله بن أبى بن سلول فقال رجال من المسلمين اخرج بنا يارسول الله الى أعدائنا لا يرون أنا جَبُنّا منهم فقال عبد الله بن أبىّ يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ماخرجنا منها الى عدوّ لنا إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فلم يزل الذين كان من أمرهم حب لقاء خارجا برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل صلى الله عليه وسلم فلبس لأمته (أى لباس الحرب) ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنا فقالوا يارسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا فان شئت فاقعد فقال عليه السلام ماينبغى لنبىّ اذا لبس لأمته ان يضعها حتى يقاتل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف من أصحابه حتى اذا كانوا بالشَّوْط بين احُد والمدينة انخذل عنه عبد الله بن أُبي بن سلول ومن معه من المنافقين وكانت عدتهم ثلثمائة رجل وقال اطاعهم وعصانى والله ماندرى علاَم نقتلُ أنفسَنَا فاتّبعَهم عبد الله بن عمرو بن حرام أحد بنى سلمة ليردّهم وقال ياقوم اذكروا الله ان لاتخذلوا نبيكم وقومكم فقالوا لو نعلم انكم تقاتلون ما أسلمناكم وانا نرى انه لايكون قتالٌ فلما استعصَوْا عليه وأبوْا الاّ الانصراف قال لهم ابعدكم الله اعداء الله فسيغْني الله عنكم فبقى النبىُّ صلى الله عليه وسلم فى سبعمائة وكان المشركون في ثلاثة آلاف والخيلُ مائتي فارس والظعن خمسُ عشرةَ وادلج رسول الله صلى الله عليه وسلم

من الشيخين حتى طلعت الحمراء وهما أُطُمَان في طرف المدينة وعرض المُقَاتِلَة بها بعد المغرب فأجاز من أجاز ورد من ود وسار صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادى فجعل ظهره وعسكره الى الجبل وقال لا يقاتلن احد حتى نأمره فعبى الجيش وعبت قريش جيشها وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة عبد الله بن جُبَيْر أخا بنى عمرو بن عوف والرماة خمسون رجلا قال انضح الجيش عنا بالنبل حتى لا تأتى خيالة العدو من خلفنا فلما التقى الجمعان انهزم المشركون حتى لترى النساء قد رفعن عن سوقهن حتى بدت خلاخيلهن فجعل المسلمون يقولون الغنيمة الغنيمة وكانت الراية بيد مصعب بن عُمَير وراية المشركين مع طلحة بن عثمان وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ومعه عكرمة ابن أبي جهل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام وقال له استقبل خالدا فكن بإزائه حتى أوذنك واقبل ابو سفيان يحمل اللات والعزى وهما صنمان فأمر النبي صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام فهجم على خالد فهزمه الله ومن معه فلما انهزم القوم قال الذين كانوا حرسا من ورائهم بعضهم لبعض لما رأوا النساء مصعدات في الجبل الغنيمة الغنيمة انطلقوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدركوا الغنائم قبل أن تُسْبَقوا اليها وقالت طائفة بل نُطيع أمر رسول الله فنثبت مكاننا حيث أمرنا ولكن الذين أبوا من الرماة أن يثبتوا انطلقوا فلحقوا بالمعسكر يبادرون الغنيمة فانكشف ظهرُ المسلمين فلما رأى خالد بن الوليد قِلَّةَ الرماة صاح في خيله ثم حمل على الرماة فقتلهم فاشتغلت عزائم المشركين حين رأوا خيلهم تقاتل وشدوا على المسلمين فهزموهم وأرسل أبو سفيان رسولا الى الأوس والخزرج يقول لهم خلوا بيننا وبين ابن عمنا ننصرف عنكم فانه لا حاجة بنا الى قتالكم فردوه بما يكره وكان يحرض قومه ما استطاع قبل الحرب حتى قال لأصحاب اللواء من بنى عبد الدار يا بنى عبد الدار انكم وليتم لواءنا

يوم بدر فأصابنا ماقد رأيتم وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم فاذا زالت زالو فأما أن تكفونا لواءنا وأما أن تخلوا بيننا وبينه فهموا به وقالوا له نحن نسلم اليك لواءنا ؟ ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع وذلك الذى أرادا ولما التقوا قامت هند بنت عتبة فى النساء اللواتى معها وأخذن الدفوف يضربن خلف الرجال ويحرضن وهند تقول

نحن بنات طارق ان تقبلو نعانق الدر فى المخانق

والمسك فى المفارق ونفرش النمارق أو تدبروا نفارق

فراق غير وامق

وتقول وَيْهاً بنى عبد الدار وَيْها حماةَ الأدبار ضربا بكل بتار قالوا وصرخ صارخ من المشركين ألاَ ان محمدا قد قتل فانكفأ المسلمون وانكفأ عليهم القوم بعد أن كانت كادَت النصرة تتم لهم وانهم اصابوا لواء المشركين مايدنوا اليه أحد منهم حتى اخذته امرأةٌ منهم يقال لها عَمرة بنت علقمة الحارثية . فرفعته اليهم فلا ثوابه . عاد النصر للمشركين وقتل حمزة بن عبد المطلب بحربة وحشى غلام جبير بن مطعم واصيبت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم السفلى وشقت شفته وكلم أى جرح فى وجنتيه وجبهته فجعل الدم يسيل فى وجهه ويمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى الله تعالى وفى رواية اشتد غضب الله على من قتله النبي فى سبيل الله واشتد غضب الله على قوم أدموا وجه النبي وترس أبو دجانة رضى الله عنه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فكان النبل يقع فى ظهره وهو منحن عليه ورمى النبى صلى الله عليه وسلم عن قوسه حتى اندقت سِيَتُها فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده وأصيبت عين قتادة حينئذ حتى وقعت على وجنتيه فردها صلى الله عليه وسلم فى مكانها بيده فكانت أحسن عينيه وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة

كعبُ بن مالك أخو بنى سلمة بعد أن صاح صائح المشركين بأنه قتل قال كعب عرفت عينيه تزهران من تحت المِغْفَرِ (وهو درع يتقنع به المتسلح) فناديت بأعلى صوتى يامعشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما عرف المسلمون ذلك نهضوا به نحو الشعب ونهض معهم أبو بكر وعمر وعلىّ وطلحة والزبير والحرث ابن الصمّة فى رهط من المسلمين فلما أسندَ فى الشعب جاء أُبىّ بن خلف وهو يقول يامحمد لانجوتُ ان نجوت فقال القوم يارسول الله أيعطف عليه رجل منا فقال دعوه فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء (الزبابة عن ظهر البعير ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ بها اى تقلب) فجعل يتدحرج عن فرسه مرارا وكان قبل ذلك يقول وهو بمكة يامحمد ان عندى العَوْدُ (أى فرسى) أعلفه كل يوم فَرْقاً من ذرة اقتلك عليه فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انا أقتلك ان شاء الله فلما رجع أُبىّ بن خلف الى قريش وقد خدشه النبى صلى الله عليه وسلم بالحربة خدشا صغيرا احتقن دمه منه قال قتلنى والله محمد فقالوا له ذهب والله فؤادكَ والله إنْ بك من بأس فمات عدو الله بسرف (موضع قرب التنعيم على ثلاثة أميال من مكة) وهم قافلون به وخرجت هند والنساء اللواتى معها يمثلن القتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الآذان والانوف حتى اتخذت هند منها قلائد وبقرت عن بطن حمزة رضي الله عنه فأخرجت كبده فلاكتها فلم تستطع إساغتها فلفظتها (قلت ومن ذلك عرفت بآكلة الأكباد) ثم علت صخرة فصاحت بأعلى صوتها ترتجز شعرا

شفيتُ من حمزة نفسى بأحد — حتى بقرتُ بطنه عن الكبد
أذهب عنى ذاك ما كنت أجد — من لذعة الحزن الشديد المعتمد
والحرب تعلوكم بشؤبوب بَرَدْ — تقدم اقداما عليكم كالأسد

وذلك حين ظفر قومها بما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لحسان بن ثابت ان هندا لو تجزت الشعر لو سمعتها ورأيت أشرها قائمة على الصخرة تذكر مافعلت بحمزة فقال أسمعنى بعض قولها فأنشده ماسمع فقال يهجوها

أشرت لكاع وكان عادتها ... لؤما اذا أشرت مع الكفر
لعن الاله وزوجها معها ... هند الهنود طويلة البظر
أخرجت مرقصة الى أحد ... فى القوم معتبة على بكر
وعصاك إستك تتقين بها ... دُقي عجانك منك بالفهر

وفى رواية دقى العجانة منك بالفهر

فرحت عجيزتها ومشرجها ... من نصبها نصا على القهر
ظلت تداويها زميلتها ... بالماء تنضحه وبالسدر
أخرجت ثائرة مبادرة ... بأبيك فاتك يوم ذى بدر

وفى رواية بأبيك وابنك يوم ذى بدر

وبعمك المسلوب بزته ... وأخيك منعفرين فى الجفر
ونسيت فاحشة أتيت بها ... يا هند ويحك سبة الذكر

وفى رواية يا هند ويحك سبة الدهر

فرجعت صاغرة بلا ترة ... منا ظفرت بها ولا نصر
زعم الولائد أنها ولدت ... ولدا صغيرا كان من عهر

قيل وأشرف ابو سفيان فقال أفى القوم محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه مرتين فالتفت الى قومه وقال أما هؤلاء فقد قتلوا ولو كانوا فى الاحياء لأجابوا فلم يملك عمر رضى الله عنه نفسه ان قال كذبت يا عدو الله فقال اعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجيبوه قالوا بماذا قال قولوا

لله أعلى وأجل قال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله صلى عليه وسلم أجيبوه قالوا بماذا قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال أبو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال وفى ذلك يقول شاعرهم عبد الله بن الزبعرى القرشى

يا غرابَ البين اسمعت فقل … انما تنطق شيئا قد فعل
ان للخير وللشر مدى … وكلا ذلك وجه وقبل
والعطيات خساس بينهم … وسواء قبر مثر ومقل
كل عيش ونعيم زائل … وبنات الدهر يلعبن بكل
أبلغا حسان عنى آية … فقريض الشعر يشفى ذا الغلل
كم ترى بالجر[1] من جمجمة … وأكف قد أترت[2] ورجل
وسرابيل حسان سريت … عن كماة أهلكوا فى المنتزل
كم قتلنا من كريم سيد … ماجد الجدين مقدام بطل
صادق النجدة قرم بارع … غير ملتاث[3] لدى وقع الأسل
حين حكت بقباء بركها[4] … واستحر القتل فى عبد الاشل
ثم خفوا عند ذاكم رقصاً … رقص الحفان[5] يعلو فى الجبل
فقتلنا الضعف من اشرافهم … وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لا ألوم النفس الا أننا … لو كررنا لفعلنا المفتعل
بسيوف الهند تعلو هامهم … عللا تعلوهم بعد نهل

وفى هذه القصيدة يقول البيت المشهور

ليت أشياخى ببدر شهدوا … جزع الخزرج من وقع الاسل

بعد قوله

---

(١) الجر سفح الجبل (٢) اترت ابينت أى قطعت (٣) ملتاث متردد (٤) صدرها (٥) الحفان أولاد النعام

فسل المهراس ما ساكنة   بين اقحاف وهام كالحجل

المهراس قيل ماء بأحد ولما سمع حسان بن ثابت رضى الله عنه هـذا الشعر أجابه بقوله

ذهبت بابن الزِّبَعْرى وقعة   كان منا الفضل فيها لو عدل
ولقد نلتم ونلنا منكم   وكذلك الحرب أحيانا دول
نضع الاسياف فى أكتافكم   حيث نهوى عللا بعد نهل
نُخْرِجِ الأَصبح[1] عن استاهكم   كَسُلَاحِ النيب[2] يأكلن العصل
اذ تولون على أعقابكم   هربا فى الشعب أشباه الرُّسَل[3]
اذ شددنا شدة صادقة   فأجاناكم الى سفح الجبل
بخناطيل[4] كأشداق الملا[5]   من يلاقوه من الناس يهل
ضاق عنا الشعب اذ نجزعه   وملأنا الفرط منه والرجل
برجال لستم أمثالهم   أيدوا جبريل نصراً فنزل
وعلونا يوم بدر بالتقى   طاعة الله وتصديق الرسل
وقتلنا كل رأس منهم   وقتلنا كل جحجاح رفل
وتركنا فى قريش عورة   يوم بدر وأحاديث المثل
ورسول الله حقا شاهد   يوم بدر والتنابيل الهبل
فى قريش من جموع جمعوا   مثل مايجمع فى الخصب الهمل
نحن لا أمثالكم ولد استها   نحضر البأس اذا البأس نزل

---

(١) الاصبح سواد الى الحمرة أو لون يضرب الى الشهبة وفى رواية الاضياح بدل الاصبح وهى الالبان المذوقة وسلاح النيب من سلح يسلح والنيب الأبل المسنة (٢) الأبل ترسل الى الماء خمسا (٣) الخناطيل جمع خنطل الداهية (٤) وفى رواية كامذاق الملا

هذه رواية ابن هشام فى السيرة ورأيت فى ديوان حسان رضى الله عنه نقصا فيها وزيادة عما ههنا فأُثْبِتُ الزيادة التى وجدتها فى الديوان وهى

فَذَبَحْنا فى مقام واحد ... منكم سبعين غير المنتحل

وأسرنا منكم اعدادهم ... فانصرفتم مثل افلاتِ الحجَل

لم يفوتونا بشيء ساعة ... غير أنْ ولّوا بجهل وفشل

قالوا ولما اجاب عمر رضى الله ابسفيان بما تقدم قال ابوسفيان هَلُمَّ الىَّ ياعمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائته فانظر ماشأنه فأتاه فقال له أنْشُدُكَ الله ياعمر أَقَتَلْنا محمدا فقال عمر اللهم لا وانه لَيَسمعُ كلامَكَ الآن فقال انت عندي اصدق من ابن قَمِيئَةَ اللَّيثيّ (وهو الذي قَتَلَ مُصْعَبَ بن عمير صاحبَ الراية وكان يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع واخبر قريشا بانه قتل محمدا) فلما انصرف ابوسفيان نادي ان مَوْعِدَكم بَدْرُ العام القابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من اصحابه قل نعم هى بيننا وبينك موعدٌ ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن ابي طالب رضى الله عنه فقال اخرج فى آثار القوم فانظر ماذا يصنعون فان كانوا قد جَنَبُوا الخيل وامتطوا الابل فانهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فانهم يريدون المدينة فوالذي نفسي بيده لئن ارادوها لأَسيرَنَّ اليهم فيها ثم لأُنَاجِزَنَّهم وقال له اكتم ذلك حتى تأتيني قال علىٌّ فخرجتُ فى آثارهم فلما رأيتهم قد جنبوا الخيل وامتطوا الابل عُدتُ أصيح من الفرح وماقدرتُ ان اكتم ذلك وحينئذ فرغ الناس لقتلاهم وخرج النبيُّ صلى الله عليه وسلم يلتمسُ حمزة عمه فوجده ببطن الوادى وقد بُقِرَ بطنُه عن كبده وَمُثِّلَ به فقال لولا ان تَحْزَنَ صفيةُ أو تكون سنة من بعدى لتركته حتى يكونَ فى اجواف السباع وحواصلِ الطير ولئن اظهرنى الله على قريش فى موطنٍ من المواطن لأُمثلنَّ بثلاثين رجلا منهم وقال اصحابه نحوا من ذلك غضبا لرسول الله

صلى الله عليه وسلم ثم أمر به فدفن فأنزل الله عليه بعدُ (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَاعُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِين) فعفا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونهى عن المُثْلَةِ قالوا وأَذَّن مؤذنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس بطلب العدوّ وان لايخرج الا من حضر يومَ الأمس وانما خرج بالناس مرهبا للعدو ليظن ان بهم قوةً وان ماأصابهم لم يوهِنْهُم ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الأسد (موضع على ثمانية اميال من المدينة) وعسكر بها ثلاثةَ ايام ثم رجع الى المدينة وكان قد مر مَعْبَدُ الخُزاعى بن عمرو بن حزم بالنبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الموضع وهو يومئذ مشرك وكانت خزاعةُ عَيْبَةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بِتِهَامَةَ مسلمهم ومشركهم لايُخْفُون عنه شيئاً فقال اما والله يامحمد لقد عز علينا ما اصابك فى اصحابك ولوددنا ان الله عافاك منهم ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقى اباسفيان بالرَّوحاء (وهى على ثلاثين أو اربعين ميلا من المدينة) فى طريقها الى مكة وقد اجمع هو ومن معه من قريش على الرَّجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقالوا نستأصلُ بقيَّةَ اصحابِ محمد حتى نفرُغَ منهم فلما رأى ابو سفيان معبدا قال ماوراءك يامعبد قال ان محمدا قدخرج فى اصحابه يطلبكم فى جمع لم أرمثله يتحرقون عليكم تحرقا قال ويلك ما تقول ! قال والله ماأراك ترتحل حتى ترى نواصىَ الخيل قال فوالله لقد اجمعنا على الكرّة عليهم قال فانى انهاك عن ذلك قال فثنى ذلك أباسفيان ومن معه عن الكرة ولحقوا بمكة وقد احصوا من قتل من المشركين فكانوا اثنين وعشرين رجلا امامن قُتل من المهاجرين والأنصار فعلى رواية ابن هشام سبعون رجلا والله أعلم قالوا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بنى عبد الاشهل وبنى ظَفَر فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم فَذَرَفَتْ عيناه ثم قال ولكن حمزة لابواكى له فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حُضَير الى دار

بنى عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج اليهن وهن على باب المسجد يبكين فقال ارجعن فقد آسيتن بأنفسكن . ونهى يومئذ عن النوح ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان عبدالله بن أبى بن سلول له مقام يقومه كل جمعة لاينكر شرفا له فى نفسه وفى قومه اذا جلس رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم الجمعة علي المنبر يخطب الناس قام فقال ايها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه سلم بين أظهركم أكرمكم الله وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس حتى اذا صنع يوم أحُد ماصنع ورجع بالناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا اجلس أى عدو الله لستَ لذلك بأهل وقد صنعتَ ماصنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول والله لكأنما قلت بُجْراً (أى شرا) إن قمت أشدُدْ أمره فلقيهُ رجل من الأنصار بباب المسجد فقال له مالك ويلك قال قمت أشدد أمرَهُ فوثب علىّ رجال من أصحابه يجبذُونني ويعنفوننى لكأنما قلت بجرا قال ويلك أرجع يستغفرلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ماأبتغى ان يستغفر لى قال ابن اسحاق وكان يوم أحد يوم بلاء ومُصيبة وتمحيص اختبر الله به المؤمنين ومحق به المنافقين ممن كان يُظْهِرُ الايمان بلسانه وهو مستخف بالكفر فى قلبه ويوما أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته وكانت الوقعة فى النصف من شوال السنة الثالثة من الهجرة انتهى خبر وقعة أحد

(المتن) وَتَخَلَّفْتُ عَنْ صلاةِ العَصْرِ فِى بَنِى قُرَيْظَةَ

الشرح التخلف بمعنى التأخر أو القعود تقول تخلف فلان عن القوم قعد فلم يذهب معهم وصلاة العصر احدى الأوقات الخمسة المفروضه وقريظة قبيلة من يهود خيبَرَ بالمدينة وهم حلفاء الأوس وكانوا مخالفين فغزاهم رسول الله صلى الله

ولما نهض اليهم تخلف بعض أصحابه عن صلاة العصر معه اذ كان أمر أن لايتخلف أحد منهم ولم يترتب على هذا التخلف عقاب أو عتاب من الله ورسوله اذلا عمدَ فيه ولا سوءنية كما سيأتى بعد وانما مراد ابن زيدون مافى المخالفة العمدية لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم من عظيم الوزر ومن الثابت أن التخلف وقع فعلا فأما ما ترتب من عدم المؤاخذة عليه حين قامت الحجة دافعةً سوء القصد كما هو معلوم فشئٌ آخر وبذلك لم نر حقا فى انتقاد الصلاح الصفدىّ على ابن زيدون كما ذكر الشيخ حمزة فتح الله رحمه الله وإلا لجاز أن يُنتَقَد على قوله وأنفت من امارة أسامة ورويّت وحى من كتيبة خالد والله أعلم

ذكر غزوة بنى قريظة

قال أصحاب السير لما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة فى الليلة التي انصرف فيها من الاحزاب هو واصحابه عقب غزوة الخندق التى كانت فى شوال سنة خمس من الهجرة ووضعوا السلاح أتاه جبريلُ عليه السلام بعد صلاة الظهر يأمُرُه بالمسير الى بنى قريظة[1] الذين أعانوا الأحزاب من قريش وغَطَفَان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر النبى صلى الله عليه وسلم مناديا فأذن فى الناس أن من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الافى بنى قريظة وقدم عليا رضى الله عنه بالراية الى بنى قريظة وابتدرها الناس فلما أتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل على بئر من آبارها فى ناحية من أموالهم فتلاحق الناس به فأتاه رجال بعد صلاة العشاء الآخر ولم يصلوا العصر فصلوا العصر والمغرب بها بعد العشاء وأَبَوْا أن يصلوا قبل وصولهم اليها لمافى ذلك من مخالفتهم أمره صلى الله عليه وسلم وانما شغلهم عن صلاة العصر فى بنى قريظة مالم يكن منه بدٌ فما عابهم الله بذلك

(١) قريظة والنضير قبيلتان سكنتا خيبر وكانوا يهودا ثم دخلوا فى العرب على نسبتهم الى هارون أخى موسى عليه السلام

ولا عنفهم الرسول وكانت عدة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة الآف والخيل ستةً وثلاثين وحاصر بني قريظة خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبت الأوس وقالوا يا رسول الله انهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت بموالى الخزرج بالأمس ما فعلت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر بني قَينُقاع حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله إياهم عبد الله ابن أبي بن سلول فوهبهم له فلما كلمه الأوس قال لهم ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ فلما حكمه فيهم قال أرى ان تقتل الرجال وتسبي الزراري والنساء وتُقَسَّمُ الاموال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أروقة وقيل سبعة أرقعة (اى سموات) ثم استُنْزِلُوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار بنت الحرث من نساء بنى النجار وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة فخندق به (الخندق معرب حفير حول المدينة) ثم بعث اليهم فضربت أعناقهم فى تلك الخنادق وقتل حُيَيُّ ابن أخطب عدو الله معهم فى ذلك اليوم ويقال كانت عدتهم ستمائة وقيل أكثر وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالهم ونساءهم على المسلمين واعلم فى ذلك اليوم سُهمان الخيل وسُهمان الرجال واخرج منها الخمس فكان الفارس ثلاثة أسهم للفرس سهمان ولفارسه سهم وللراجل من ليس له فرس سهم وكان أول فَيْءٍ وقعت فيه السُّهمان وأخرج منه الخمس فعلى سنتها وما مضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعت المقاسم ومضت السنة فى المغازى واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسائهم لنفسه ريحانة بنت عمرو بن خنافة احدى نساء بنى عمرو بن قريظة فكانت عنده حتى توفى عنها وكان قد عرض عليها ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يارسول الله تتركنى فى ملكك فهو أخف على وعليك فتركها وكانت هذه الغزوة فى ذى القعدة سنة خمس من الهجرة انتهى

(المتن) وَجِئْتُ بِالإِفْكِ عَلَى عَائِشَةَ الصِّدِّيقِيَّةِ

(الشرح) الافك الكذب وعائشة أم المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرا ولم يتزوج بكرا غيرها وهى ابنة ست وابتنى عليها بالمدينة وهى ابنة تسع وتُوُفِّىَ عنها وهى ابنة ثمانى عشرة سنة وكانت رضى الله عنها من أفصح نساء قريش وأغزرهن علما وأدبا وأ كثر أحاديثه صلى الله عليه وسلم وسننه مأخوذة عنها قال الطبرى وكان زواجها برسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال سنة عشر من النبوة اى قبل الهجرة بثلاث وعرس بها في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة وأصدقها اثنى عشر أوقية ونَشًا (النش نصف أوقية) وكانت من أحب أزواجه اليه وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتها وعلى صدرها فافتخرت بذلك بقولها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحْرى ونحرى (السحر الرئة والنحر أعلى الصدر) وقيل قالت خلال فِى تسع لم تكن فى أحد من النساء الا ما آتى الله مريم بنت عمران والله ماأقول هذا فخرا على أحد من صواحبي نزل الملك بصورتى وتزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبع سنين وأهديت اليه لتسع سنين وتزوجنى بكرا لم يشركه فىَّ أحد من الناس وكان يأتيه الوحىُ وأنا وهو فى لحاف واحد وكنت من أحب الناس اليه ونزل فىَّ آية من القرآن كادت الأمة أن تَهْلِكَ ورأيت جبريل ولم يره أحد من نسائه غيرى وقبض فى بيتى لم يله أحد غير الملك وأنا فأى نساء رسول الله كانت احظى منى وبلغها مرة أن ناسا يتناولون أباها فأرسلت اليهم فلما حضروا خطبتهم فقالت أبى وما أَبِيَهْ والله لا تعطوه الايدي ذاك طود مُنِيف وفرع مديد هيهات كذبت الظنون أنجح اذ ا كديتم وسبق اذ ونيتم سبق الجواد اذا استولى على الامد فتى قريش ناشئا وكهفها كهلا يفك عانيها ويَرِيشُ مملقها ويرأب شعبها ويلم شعثها حتى حليته قلوبها فما برحت

شكيمته فى ذات الله تشتد حتى اتخذ بفنائه مسجداً يحيى فيه ما أمات المبطلون وكان وقيذ الجوانح غزير الدمعة شجى النشيج فانقضت اليه نسوان مكة وولدانها يسخرون منه ويستهزؤون به (الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون) فاكبرت ذلك رجالات من قريش فحنت قسيها وفوقت سهامها وانتثلوه غرضاً فما فلوا له صفاة ولا قصموا له قناة حتى ضرب الحق بجرانه والقى بركه . ورست أوتاده فلما قبض الله نبيه ضرب الشيطان رواقه ومد طنبه ونصب حبائله وأجلب بخيله ورجله فقام الصديق حاسراً مشمراً فرد رس الاسلام على غربه وأقام أودقناته فانقعر النفاق بوطئه وأنتاش الناس بعد له حتى ازاح الحق على أهله وحقن الدماء فى أهبها ثم أتته منيته فسد ثلمته نظيره فى الرحمة وشقيقه فى السيرة والمعدلة ذاك ابن الخطاب لله در أم حملت به ودرت عليه ففتح الفتوح وشرد الشرك وبعج الارض فقاءت أكلها ولفظت خبأها ترأمه فيأباها وتريده فيصدف عنها ثم تركها كما صحبها فأرونى ماذا ترتئون وأى يومى أبى تنقمون أيوم اقامته اذ عدل فيكم أم يوم ظعنه اذ نظر اليكم أقول هذا واستغفر الله لى ولكم وكانت رضى الله عنها فقيهة راوية للشعر وقذفت فى أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفوان ابن المعطل السلمى فبرأها الله تعالى بقوله (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) وقد فصل البخارى فى صحيحه حديث الافك نقلا عنها رضى الله عنها قال قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه فأقرع بيننا فى غزاة غزاها (هى غزوة بنى المصطلق التى كانت فى سنة ست هجرية) فخرج سهمى فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما أنزل الحجاب فكنت احمل فى هودج وانزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك

وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين اذنوا لا تبرز حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شأني اقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقد لى من جزع ظفار (أي من خرز وهو الحجر اليانى) قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسنى ابتغاؤه واقبل الرهط الذين يرحلون لى فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيرى الذى كنت اركب وهم يحسبون أنى فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يثقلن ولم يغشهن اللحم وانما يأكلن العلقة من الطعام (أى ما يتبلغ به) فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه فاحتملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدى بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها أحد فأممت منزلى الذى كنت به وظننت انهم سيفقدونى فيرجعون الى فبينا انا جالسة غلبتنى عيناى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكوانى قد عرس من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلى فرأى سواد انسان نائم فأتانى فعرفنى حين رآني وكان يرانى قبل الحجاب فاستيقظت . باسترجاعه فخمرت وجهى بجلبابى ووالله ما كلمنى كلمة غير استرجاعه حتى أناخ براحلته فوطىء يدها فركبتها فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين فى نحر الظهيرة قالت فهلك من هلك فى شأنى وكان الذى تولى كبره عبد الله بن أبى بن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت (أى مرضت) حين قدمناها شهرا والناس يفيضون من قول أصحاب الافك ولا أشعر بشيء من ذلك ويريبنى فى وجعى أن لا أرى من النبى صلى الله عليه وسلم اللطف الذى أرى منه حين اشتكى انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذى يريبنى ولا اشعر بالشر حتى نقهت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع وهى متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلا الى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وكنا نتأذى من الكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح بنت أبى رهم بن المطلب حين فرغنا من شأننا فعثرت

أم مسطح فى مِرْطِها فقالت تعس مِسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت اى هَنْتَاهْ او لم تسمعي ماقال قلت وما قال فأخبرتني بقول الافك فازددت مرضا الى مرضى فلما رجعت الى بيتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له أتأذن لى ان آتى ابوى قالت وأنا حينئذ أريد أن استيقن الخبر من قبلهما فأذن لى فأتيت أبوى فقلت لأمى يا أمتاه ماذا يتحدث الناس به فقالت يا بنية هونى على نفسك الشان فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا كَثَّرْنَ عليها قالت فقلت سبحان الله أولقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقأ لى دمع ولا اكتحل بنوم ثم أصبحتُ أبكى قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق أهله قالت فأما أسامة فأشار عليه بما يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم فى نفسه من الودّ لهم فقال اسامة هم أهلك يارسول الله ولا نعلم الا خيرا وأما على بن أبى طالب فقال يارسول الله لم يُضَيِّقِ الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بَريرَة فقال اى بريرة هل رأيت فيها شيئاً يُرِيبُكِ فقالت لا والذي بعثك بالحق إن رأيت منها أمراً قط أغمِصُهُ عليها أكثرَ من انها جارية حديثةُ السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجنَ فتأكُلُه قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبىّ بن سَلُول فقال وهو على المِنبَر مَنْ يَعْذُرُنى من رَجل قد بلغنى أذاه فى أهلى وفى رواية فى أهل بيتى فوالله ما علمتُ على أهلى إلاّ خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمتُ عليه إلا خيرا وما كان يدخل علي أهلى إلاّ معى قلت فقام سعدُ بن مُعاذ فقال أنا أعذرُكَ منه يا رسول الله ان كان من الأوس ضَرَبنا عُنُقَهُ وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتَنا ففعلنا فيه أمركِ فقام سعد بن عُبادة وهو سيِّد الخزرج وكانت أمُّ حسّان بن ثابت بنتَ عمه

من فخذه وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمرُ الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمرُ الله لنقتلنه فانك منافق تجادلُ عن المنافقين فثار الحيان الأوسُ والخزرجُ حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم فأصبح عندي أبواي وقد بكيتُ ليلتين ويوماً حتى أظن أن البكاء فالقٌ كبدي قالت فبينا هما جالسان عندي وأنا أبكي اذ استأذنت عليّ امرأة من الانصار فأذنتُ لها فجلست تبكي معي فبينا نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندي من يوم قيل فيّ ما قيل قبلها وقد مكث شهرا لا يُوحَى اليه في شأني قالت فتشهد حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فانه قد بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنتِ أَلممتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبدَ اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه مقالته قلَصَ دمعي حتي ما أُحِسُّ منه قَطرَةً وقلت لأبي أَجِب عني قال والله ما أدري ما أقول فقلت لأمي أجيبي عني قالت والله ما أدرى ما أقول فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن إني والله لقد علمت انكم سمعتم ما تحدث به الناس حتى استقر في انفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم أني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتُصَدِّقني فوالله ما أجدُ لي ولكم مثلا الا أبا يوسف اذ قال أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولتُ فاضطجعتُ على فراشي وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة وان الله مبرءي ولكن ما كنت والله أظن أن يُنْزِلَ الله في شأني وحياً يتلى ولشأني في نفسي أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى ولكن كنت أرجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرؤني الله بها

قالت فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحدٌ من أهل البيت حتى انزل الله ما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء حتى أنه ليَتَحَدرُ منه مثل حَبّ الجُمان من العَرَقِ فى اليوم الشاتى من ثِقَلِ القول الذى أُنزِلَ عليه قالت فسُرّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها ان قال لى ياعائشة احمدى الله وفى رواية أبشرى اما والله فقد برّأكِ الله فقالت أُمى قومى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لا اقوم اليه ولا أحمَدُ الا الله الذى انزل براءتى فذلك قول الله تعالى (إن الذين جاءوا بالافك الآية) ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزَلَ الله من القرءان فى ذلك ثم أمر بِمِسْطَح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحَمْنَةَ بنتِ جحش وكانوا ممن افصح بالفاحشة فضُرِبُوا حَدّهم قالت عائشة رضى الله عنها لقد سُئل عن صفوان بن المعطل فاذا هو حصور لا يأتى النساء وقُتل بعد ذلك شهيدا قالوا واعتذر حسان بن ثابت رضى الله عنه حين نسبوا اليه حديث الافك فقال فى عائشة رضى الله عنها

حَصَانٌ رَزَان ماتُزَنُّ بريبة ... وتُصْبِحُ غَرْثَى من لحوم الغوافل
حليلةُ خير الناس دينا ومَنصِباً ... نبى الهدى والمكرُماتِ الفواضل
عقيلة حىّ من لوىّ بن غالب ... كِرَامِ المساعى مجدُها غيرُ زائل
مهذّبةٌ قد طيّب الله خِيمَها ... وطهّرها من كل سوء وباطل
فان كنتُ قد قلتُ الذى قد زعمتم ... فلا رفعت سوطى الىّ أناملى
وان الذى قد قيل ليس بلائط ... بها الدهر بل قول امرىء بى ماحل
وكيف وودى من قديم ونُصرتى ... لآل رسول الله زَيْنِ المحافل
له رتب عال على الناس كلّهم ... تقاصر عنه سُورَةُ المتطاول
رأيتُكِ وليَغفِرْ لك الله حُرَّةً ... من المُحْصَنَاتِ غيرَ ذات غوائل

فكانت عائشة رضى عنها تنهى من يذبه في وجهها وتقول أليس هو الذي يقول

فإنّ أبي ووالدَهُ وعرضي … لعِرض محمد منكم وقاء

قيل لها أليس ممن قال فيك قالت لم يقل شيئاً ولكنه الذي يقول

حصان رزان ماتزن بريبة … وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

قالوا وكان مما هاج الشرّ بينها وبين على بن ابى طالب كرم الله وجهه قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما استشاره فيها لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير فخرجت عليه تناصر معاوية فى الطلب بدم عثمان بن عفان رضى الله عنه وكان بعد ذلك من وقعة الجمل المبسوطة فى السير ما كان ومن خطبتها يوم الجمل. قولها ايها الناس صهْ صهْ ان لى عليكم حقّ الأُمومة وحرمة الموعظة لا يتهمنى إلاّ من عصى ربّه. مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحْرى ونحرى فأنا إحدى نسائه فى الجنة إدّخرنى ربى له وخلّصني من كل بضاع وميّز بى منافقكم (١) من مؤمنكم. وبى ارخص الله لكم فى صعيد الأبواء (٢) ثم

---

(١) تشير الى عبدالله بن ابى بن سلول الذى رماها بحديث الافك المتقدم

(٢) تشير الى اية التيمم في قوله تعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا والصعيد التراب اووجه الارض والابواء مكان بين مكة والمدينة فى البيداء نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت عائشة معه فى سفرته هذه فانقطع عقدها او فقد فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ماء فعاتب الصديق ابنته على اقامة النبى صلى الله عليه وسلم بالناس فى هذا المكان بغير ماء بسبب عقدها فلما اصبحوا وليس معهم ماء انزل الله آية التيمم فقال أُسيدُ ابن حُضَيْر لعائشة ماهى بأول بركتكم يا آل ابى بكر وفى حديث اخرجزاك الله خيرا فوالله مانزل بك امر تكرهينه الا جعل الله ذاك لك وللمسلمين فيه خيرا

أبى ثانى اثنين الله ثالثهم وأول من سمى الصديق الخ قيل ان أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حينما علمت بعزمها على الخروج الى وقعة الجمل كتبت لها تقول أما بعد فانك سُدَّة بين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته وحجابك مضروب على حرمته قد جمع القرآن ذَيْلَكِ فلا تَندَحِيه وسكن عقيراك فلا تُصْحِرِيها الله من وراء هذه الأمة لو أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يعهد اليك عهدا عُلْتِ عُلْتِ بل قد نهاك عن الفرطة فى البلاد إن عمود الاسلام لا يُثأب بالنساء ان مال ولا يُرْأب بهن ان صدع حماديات النساء غض الأطراف وخفر الأعراض وقصد الوهازة ما كنت قائلة لو أن رسول الله صلى عليه وآله عارضك ببعض هذه الفلوات ناصة قلوصا من منهل الى منهل إن بعين الله مهواك وعلى رسوله تردين وقد وجهت سدافته وتركت عهيداه لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لى ادخلى الفردوس لاستحييت أن ألقى محمدا صلى الله عليه وسلم هاتكة حجابا ضربه على أجعلى حصينك بيتك ووقاعة الستر قبرك حتى تلقينه وأنت على تلك أطوع ماتكونين لله بالرقبة وأنصر ماتكونين للدين ما حلت عنه لو ذكرتك قولا تعرفينه لنَهَشْتِ به نهش الرقطاء المطرقة فكتبت لها عائشة رضى الله عنها تقول أما بعد فما أقبلنى لوعظك وأعرفنى لحق نصيحتك وليس الأمر كما تظنين ولنعم المسير مسير فزعت فيه الى فئتين متناجزتين أوقالت متناحرتين فان أقعد ففى غير حرج وان أخرج فالى مالا بد لى من الازدياد منه والسلام وكتب لها أيضا مالك بن الحرث الأشتر من المدينة وهى بمكة يقول أما بعد فانك ظعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمرك أن تقرّى فى بيتك فان فعلت فهو خير

قالت عائشة فبعثنا البعير الذى كنت عليه فأصبنا العقد تحته قلت ومن هذا الحديث يظهر ان فقد العقد حصل مرتين الأولى كما فى حديث الافك والثانية هذه التى ذكرناها هنا وهذا من مفاخرها رضي الله عنها

لك وان أبيت إلا أن تأخذى منسأتك وتلقى جلبابك وتبدى للناس شُعَيراتك قاتلتك حتى أردك الى بيتك والموضع الذى يرضاه لك ربك فكتبت اليه فى الجواب أما بعد فانك أول العرب شبَّ الفتنةَ ودعا الى الفرقة وخالف الأيمة وسعى فى قتل الخليفة وقد علمت انك لن تعجز الله حتى يصيبك بنقمة ينتصر بها منك للخليفة المظلوم وقد جاءنى كتابك وفهمتُ مافيه وسيكفينك الله وكل من أصبح مماثلا لك فى ضلالك وغيك ان شاء ويقال ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لنسائه أيتكن صاحبةُ الجمل الأدبب يُقْتَلُ حولها قَتْلى كثيرةً وتنجو بعد ماكادت وهذا الحديث من أعلام نبوته صلي الله عليه وسلم اذ صح أنها كانت عائشةَ وقيل قال لها ياحُمَيْرَاء كأنى بك تَنْبَحُكِ كِلاَبُ الحوأب تقاتلين عليا وأنتِ له ظالمة فيقال أنها انتهت فى مسيرها الى الحوأب وهو ماء لبنى عامر بن صعصعة فلما وصلته نبحتها الكلاب حتى نفرت صعاب إبلها فقال قائل من أصحابها ألا ترون ما أكثر كلاب الحوأب وما أشد نباحها فأمسكت زمام بعيرها وقالت وإنها لكلابُ الحوأب ردونى ردونى فانى سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول وذكرت الخبر فقال لها قائل مهلا يرحمك الله فقد جزنا ماء الحوأب وأتوها بخمسين أعرابيا شهودا كاذبين فحلفوا لها أن هذا ليس بماء الحوأب فسارت لوجهها حتى كانت وقعة الجمل بالبصرة وانما سميت الوقعة بهذا الاسم لأنها كانت فيها عائشة رضى الله عنها راكبة جملا يسمى عسكرا فى هودج قد ألبس الرَّفرفُ ثم جلود النمر ثم فوق ذلك دروع الحديد ودارت الحرب حتى فنى الناس ورشق الجمل بالنبل حتى صارت القبةُ عليه كهيئةِ القُنْفُذِ وقطعتِ الأيدى على خِطَام الجمل فلما رآى ذلك علىّ عليه السلام أمر الأشتر وعمارا فعقرا الجمل فأقعى وله رُغاء ثم وقع لجنبه وفرّ الناس من حوله وانتهت الوقعة وحملت عائشة الى المدينة فكانت فيها الى أن بلغت من العمر ستا وستين سنة ولما احتضرت قيل لها تدفنين مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا أنى أحدثت بعده حدثا فادفنونى مع أخوتى بالبقيع فماتت رضى الله عنها لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين هجرية وصلى عليها المسلمون وامهم أبو هريرة ونزل فى قبرها خمسة من أهلها عبد الله وعروة إبنا الزبير والقاسم وعبد الله إبنا محمد بن أبى بكر وعبد الرحمن بن عبد الرحمن بن أبى بكر ودفنت كما أوصت رحمها الله انتهى

(المتن) وَأَنِفْتُ مِنْ امَارَةِ أُسَامَةَ

الشرح الأنفة الاباء والكبر والاستنكاف من الشيء وعله أنف منه تنزه عنه أوكرهه والاسم الأنفة والامارة الولاية والأمير الوالى فعيل بمعنى فاعل وأسامة اسم لِصَحَابِىٍّ من موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونذكر هنا نسبه وخبر امارته وما قيل فيها فنقول

ذكر اسامة بن زيد ونسبه وحديث امارته

هو اسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى وأبوه زيد من موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد سبته خيل لبني القَيْنِ فى الجاهلية وهو يومئذ غلام يَفَعَة فوافوا به سوق عكاظ فوضوه للبيع فاشتراه منهم حكيم بن حزام ابن خُويلد بن أسد لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدته اليه فَتَبَنَّاه النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان أعتقه وكان يقال له حِبُّ النبى صلى الله عليه وسلم ومن خيار اصحابه الذين يعتمد على صدقهم واخلاصهم الى أن قُتل فى غزوة مؤتة جهادا فى الاسلام فى قرية من قرى البلقاء بأرض فلسطين فى جُمَادَى الأولى سنة ثمان من الهجرة ونشأ ابنه اسامة صاحب الترجمة على ما كان عليه ابوه من الولاء والاخلاص لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث إمارته ان النبى صلى الله عليه وسلم امره فى مرض موته بالتهيؤ لغزو الروم وقال له سر الى الشام فأوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من ارض فلسطين فقد وَلَّيْتُكَ هذا الجيش فاعقد

صباحا وحرق عليهم واسرع السير فان اظفرك الله عليهم فاقلل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم العيون والطلائع وكانت عدة الجيش سبعمائة رجل وقيل ثلاثة آلاف منهم ألف فارس وكان ذلك يوم الاثنين لأربع بقين من شهر صفر سنة احدى عشرة للهجرة فلما كان يوم الخميس عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لواءاً بيده لأسامة رضى الله عنه ثم قال اغزُ بالله وفى سبيل الله فقاتلْ من كفر بالله فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بُرَيدة بن الحُصَيْبِ الأسلمى فتكلم قوم فقالوا يُستعملُ هذا الغلام الحَدَثُ على المهاجرين الأولين فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالتهم فغضب غضبا شديدا وخرج وقد عَصَّبَ رأسهُ بِعِصَابةٍ فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس مامقالة بلغتني عن بعضكم فى تأميرى أسامة ولئن طعنتم فى إمرتى أسامة فلقد طعنتم فى إمرتى أباه من قبله وأيم الله إن كان أبوه لخليق للامارة وان ابنه من بعده لخليق للامارة فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل فدخل بيته وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يُودّعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول انفذوا بعث أسامة فلما كان يوم الأحد اشتد الوجع برسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل أسامة عليه وهو مغمور فطأطأ أسامة يقبله والنبي لا يتكلم بل جعل يرفعُ يدَهُ الى السماء ويضعها على أسامة ثم عاد أسامة الى معسكره فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة احدى عشرة بلا خلاف حين زاغت الشمس وقيل حين اشتد الضحى فى مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة فعاد أسامة بالعسكر فدخل المدينة ودخل بُرَيدة باللواء حتى أتى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه فلما وُلى أبو بكر الخلافة أمرَ الناسَ بما كان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به فقالت الانصار لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قل لأبي بكر يرجع بالمسلمين فانْ أبَى فليُوَلّ علينا رجلا أقدم سناً من أسامة وكان سن

أسامة سبعَ عشرة سنة وقيل ثماني عشرة وكان أسامة قد أرسل الى عمر رضي الله عنه يسأله في عرض أمره على أبي بكر وهل يرجع بالناس فان وجوههم معه ويخاف على أثقال المسلمين ان يتخطفها المشركون فأتى عمر أبا بكر فذكر له ذلك فأبى رجوعهم فعاد الى اسامة والانصار فأخبرهم بمقالة أبي بكر فقام الانصار وقالوا لا بُدّ ان تراجع أبا بكر في ذلك فذهب اليه ثانية فراجعه فقام اليه ابو بكر رضي الله عنه وقال يا ابن الخطاب استعمل رسول الله صلّى الله عليه وسلم أسامة وتأمرني أن أنزعه والله لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاءاً قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فحينئذ رجع عمر اليهم وأخبرهم فتجهزوا وخرج ابو بكر رضي الله عنه فشيّعهم وهو ماش واسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر فقال اسامة لأبي بكر يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبنّ أو لأنزلنّ فقال أبو بكر والله لا أركب ولا تنزل والله ما ضرني ان أغبّرَ قدمي ساعة في سبيل الله وعاد ابو بكر رضي الله عنه وسافر أسامة ولم يضره حداثة سنه وكان لا يمر بقبيلة تريد الارتداد إلا قالوا لولا أن لهؤلاء قوةً ما خرج هذا من عندهم وان اسامة سار الى أرض فِلَسْطِينَ فوصلها في عشرين ليلةً فشن الغارة عليهم وسبى حريمهم وحرّق منازلهم وأجال الخيل في عرصاتهم وأصاب الغنائم منهم وأعزَّ الله الاسلام وكان أسامة على فرس أبيه فقتل قاتل أبيه في الغارة وعاد الي المدينة سالما وكان تحت لوائه أكابر المهاجرين الأولين وفيهم أبو بكر وعمر وابو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقّاص رضي الله عنهم ثم استثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه وأمره بالصلاة بالناس في مرضه وكلم أبو بكر اسامة في عمر أن يأذن له في التخلّف ففعل ومن ثمَّ كان عمر رضي الله عنه حتى بعد ان وُلّي الخلافة لا يلقى أسامة إلا قال له السلام عليك أيها الامير فيقول اسامة غفر الله لك يا أمير المؤمنين تقول لي هذا فيقول

لا ازال أدعوك الامير ما عشتُ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت علىّ أمير انبى ومات أسامة رضى الله عنه فى آخر خلافة معاوية بن أبى سفيان التى كانت فى سنة ستين للهجرة والله أعلم انتهى

(المتن) وَزَعَمْتُ أَنَّ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَةً

(الشرح) الزعم مثلثة يطلق على القول الحق والباطل والفلتة وقوع الشىء بغتة أي فجأة عن غير تردد أو تدبر وهذا مأخوذ من قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد البيعة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه لقد كانت خلافة أبى بكر فلتةً لا عن استعداد لها وَمَشُورَةٍ ولكن وقى الله شرها وذلك بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم واختلافِ الأنصار فيمن يلى الامر بعده واجتماعهم فى سقيفة بنى ساعدة للمشاورة وإرادتهم تولية أحد منهم حتى حضرهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فأزالا الخلاف وتمت البيعة لأبى بكر رضى الله عنه وقد فسّر قول عمر رضى الله عنه بأن المراد بالفلتة الخُلْسَة لأن الأنفس مالت الى تولى الخلافة يوم السقيفة وكثر التشاجر فيها فاختلسها أبو بكر اختلاسا فهدأ الشر ونامت الفتنة وعصم الله تعالى ووقى منها وقد كانت الشيعة ترى ان علىّ بن أبى طالب أحق بالخلافة من الشيخين ابى بكر وعمر وانما فوضت الخلافة الى أبى بكر ثم عمر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة ولهم أقوال لامحل لشرحها هنا فلما كان فى خلافة عمر رضى الله عنه بلغه فى آخر حجة حجها وهو بمكة ان رجلا قال لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا والله ما كانت بيعة أبى بكر الا فلتة فحول كلام عمر رضى الله عنه الى غير ما أراد فلما بلغ عمر رضى الله عنه ذلك غضب غضبا شديدا وقال إني لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم امرهم قال عبد الرحمن بن عوف فقلت له ياأمير المؤمنين لا تفعل فان الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم وانى اخشى أن تقوم

فتقول مقالة يُطَيِّرُ بها أولئك عنك كل مُطَيِّرٍ ولا يعوها ولا يضعوها على مواضعها فامهل حتى تقدم المدينة فانها دار السنة وتخلص باهل الفقه واشراف الناس فتقول ماقلت بالمدينة متمكنا فيعى أهل الفقه مقالتك ويضعوها على مواضعها قال فلما عاد الى المدينة فى عقب ذى الحجة جلس على المنبر فخطب الناس خطبة طويلة فكان مما قال منها انه قد بلغنى أن فلانا قال لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا فلا يغرّن امرءا أن يقول إن بيعة ابى بكر كانت فلتة فتمت وانها قد كانت كذلك الا أن الله وقى شرها وليس فيكم من تنقطع الاعناق اليه مثل ابى بكر فمن بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين فانه لا بيعة له هو ولا الذى بايعه إنه كان (أى أبا بكر) من خيرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم ثم ذكر حديث السقيفة وما كان فيها انتهى ومراد ابن زيدون أنى لو قلت كما قال ذلك الرجل الذى أغضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتأويله كلامه الى غير ماأراد به وليس غرضه الانكار على عمر رضى الله عنه لأن هذا بعيد الاحتمال على سنّي مثله كما ترى ولم نرحقا للصلاح الصفدى فى انتقاده المتقدم والله أعلم ونأتى على ترجمة الصديق رضى الله عنه مختصرة فنقول

ذكر أبى بكر الصديق رضى الله عنه ونسبه وبعض فضائله

هو عبدالله أبوبكر بن أبى قحافة واسم أبى قحافة عثمان بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم ويجتمع بالنبى صلي الله عليه وسلم فى جده مرة بن كعب بن لؤى وكان اسمه فى الجاهلية عبد الكعبة فسماه النبى صلي الله عليه وسلم عتيقا إما لجماله أو لقوله فيه من أراد أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى ابى بكر وقيل بل سمته به أمه وهو أول من صدق بالرسالة وآمن بالنبوة بل كان أول الرجال إسلاما فى قول الأكثر بن شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له بالسابقية فى الصحبة وقال ما أحد أمنّ على فى صحبته وذات يده من أبى بكر

ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا وهو رفيقه فى الحضر وجليسه فى الغار وفى هجرته الى المدينة وقد وردت فيه أحاديث شريفة تدل على فضله ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلمنا يعجز عن احصاء مآثره الشريفة كلها وكان رضى الله عنه أبيض نحيف الجسم خفيف العارض أحنى (١) لا يستمسك إزاره (٢) معروق الوجه (٣) غائر العينين ناتىء الجبهة عارى الاشاجع (٤) أقرع وكان يخضب بالحناء والكتم كأن لحيته ورأسه جمر الغضى ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لم يكن فى أصحابه اشمط غيره

ذكر خلافته وحديث السقيفة وما قيل فيها ووفاته رضى الله عنه

ذكر أصحاب السير والمؤرخون انه لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض موته قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فصلى بهم رضى الله عنه قالت حفصة بنت عمر رضى الله عنه زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك مرضت فقدمت أبابكر قال لست الذى قدمته ولكن الله قدّمه وذكر حذيفة رضى الله عنه قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى لا أدرى ما بقائى فيكم فاقتدوا باللذين من بعدى واشار الى أبى بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه ثم خطب النبي صلى الله عليه وسلم خطبة بيّن فيها فضل أبى بكر رضوان الله عليه من بين الصحابة فاستدلوا بذلك على أولويّته للخلافة فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعه المهاجرون فى اليوم الذى قبض فيه صلى الله عليه وسلم فاجتمعت الانصار فى سقيفة بنى ساعدة فقالوا نولى هذا الأمر بعد محمد عليه السلام سعد بن عبادة واخرجوا سعدا اليهم وهو مريض وكان سيد الخزرج فلما اجتمعوا قال سعد لابنه او لبعض بنى عمه انى لا أقدر لشكواى ان أسمع القوم كلهم

(١) أحنى اى مقوس (٢) اى لاعجز له (٣) قليل لحم الوجه (٤) الاشاجع اصول الاصابع اى لا لحم يغطيها

كلامى ولـكن تلق منى قولى فأسمعهموه فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله فيرفع صوته فيسمع أصحابه فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليـه يامعشر الأنصار لـكم سابقة في الدين وفضيلة فى الاسلام ليست لقبيلة من العرب أن محمدا عليه السلام ابث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم الى عبادة الرحمن وخلع الانداد والاوثان فما آمن به من قومه الا رجال قليل وما كانوا يقـدرون على أن يمنعوا رسول الله ولا أن يعزُّوا دينه ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيما عُمُّوا به حتى اذا أراد بكم الفضيلة ساق اليكم الـكرامة وخصكم بالنعمة فرزقكم الله الايمان به وبرسوله والمنع له ولاء صحابه والاعزاز له ولدينه والجهاد لاعدائه فكنتم أشد النـاس على عدوه منكم وأثقله على عدوه من غيركم حتى استقامت العرب لامر الله طوعا وكرها وأعطى البعيد المقادة صاغرا داحرا حتى أثخن الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ودانت بأسيافكم له العرب وتوفاه الله وهو عنكم راض وبكم قرير عـين استبدوا بهذا الأمر دون الناس فانه لـكم دون الناس فأجابوه جميعا أن قدوفقت فى الرأى وأصبت فى القول ولن نعدُو ما رأيت نوليك هذا الامر فانك فينا مقنع ولصالح المؤمنين رِضى ثم انهم تَرَادّوا الـكلام بينهم فقالُوا فان أبت مهَاجِرَةُ قريش فقالوا نحن المهاجرون وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأولون ونحن عشيرته وأولياؤه فعلام تنازعوننا هذا الأمر بعده فقالت طائفة منهم فانا نقول منا أمير ومنكم امير ولن نرضى بدون هذا الأمر أبدا فقال سعد بن عبادة حين سمعها هذا أول الوهن وأتى عمر بن الخطاب الخبر فأقبل الى منزل النبى صلى الله عليـه وسلم وأبو بكر فى الدار وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه دائب فى جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل الى أبى بكر أن أخرج الى فارسل اليـه انى مشتغل فأرسل اليه أنه قد حدث أمر لا بد لك من حضوره فخرج اليه فقال اما علمت أن الانصار قد اجتمعت فى سقيفة بنى ساعدة يريدون ان يولوا هذا الامر سعد بن

عبادة واحسنهم مقالة من يقول منا أمير ومن قريش أمير فمضيا مسرعين نحوهم فلقيا أبا عبيدة بن الجراح فتماشوا ثلاثتهم فلقيهم عاصم بن عدى وعويم بن ساعدة فقالا لهم أرجعوا فانه لايكون ماتريدون فقالوا لانفعل فجاؤوا وهم مجتمعون فقال عمر بن الخطاب اتيناهم وقد كنت زويت (وفى رواية زورت) كلاما أردت أن أقوم به فيهم فلما رُفعت اليهم ذهبت لأبتدىء المنطق فقال لى أبو بكر رويدا حتى أتكلم ثم أنطق بعد بما أحببت فنطق فقال عمر فما شىء كنت اردت أن أقوله الا وقد أتى به أو زاد عليه فبدأ أبو بكر فحمد الله واثنى عليه ثم قال إن الله قد بعث محمدا رسولا الى خلقه وشهيدا على امته ليعبدوا الله ويوحدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ويزعمون أنها لهم شافعة ولهم نافعة وانما هى من حجر منحوت وخشب منجور ثم قرأ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقالوا مانعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفى فعظم على العرب ان يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه والايمان به والمؤاساة له والصبر معه على شدة أذي قومهم لهم وتكذيبهم اياهم وكل الناس لهم مخالف وعليهم زار فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف الناس لهم واجماع قومهم عليهم فهم أول من عبد الله فى الارض وآمن بالله وبالرسول وهم اولياؤه وعشيرته واحق الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم فى ذلك الا ظالم وأنتم يامعشر الانصار من لاينكر فضلهم فى الدين ولا سابقتهم العظيمة فى الأسلام رضيكم الله انصارا لدينه ورسوله وجعل اليكم هجرته وفيكم جِلّةُ أزواجه وأصحابه فليس بعد المهاجرين الأولين من عندنا بمنزلتكم فنحن الامراء وانتم الوزراء لاتفتاتون بمشورة ولا نقضي دونكم الأمور فقام الحُبابُ بن المنذر بن الجموح فقال يامعشر الانصار أملكوا عليكم أمركم فان الناس فى فيئكم وظلكم ولن يجترىء مجترىء على خلافكم ولن يصدر الناس الا عن رأيكم انتم أهل العز والثروة وأولوا العدد

والمنعة والتجربة وذوو البأس والنجدة وانما ينظر الناس الى ماتصنعون فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وينتقض عليكم أمركم أبى هؤلاء إلا ماسمعتم فمنا أمير ومنهم أمير فقال عمر هيهات لايجتمع اثنان في قرن والله لاترضى العرب ان يؤمروكم ونبيها من غيركم ولكن العرب لاتمتنع أن تولى امرها من كانت النبوة فيهم وولى امورهم منهم ولنا بذلك على من ابى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن اولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لاثم او متورّط فى هلكة فقام الحُباب فقال يامعشر الانصار أملكوا على ايديكم ولا تسمعوا مقالة هذا واصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فان أبوا عليكم ماسألتموه فأجلوهم عن بلادكم وتولوا عليهم هذه الامور فأنتم والله احق بهذا الامر منهم فانه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين أنا جُذَيلها المحكك (١) وعذَيقها المرجب (٢) اما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة (٣) فقال عمر رضى الله عنه اذاً يقتلك الله قال بل اياك يقتل فقال أبو عبيدة يامعشر الانصار إنكم أوّلُ من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدل وغير فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال يامعشر الانصار إنا والله

(١) الجذيل مصغر جذل وهو اصل الشجرة والمحكك الذى تحتك به الابل وهو عود ينصب لها تتمرس به

(٢) العذيق مصغر العذق اى النخلة والمرجب ماجعل له رجبة اى دعامة تبنى حوله لتسنده من السقوط وكانوا يفعلون ذلك بالنخلة السحوق اذا تخوفوا عليها ان تنقعر من الرياح العواصف والتصغير هنا يراد به التكبير وقد ذهب هذا القول مثلا يضرب لمن يستشفى برأيه كما ترتاح الابل بالحك وتستند النخلة بالدعامة

(٣) اى نعيد الشر الى حداثته يريد انه يبعث الحروب من جديد لامتلاك هذا الامر

لئن كنا أولى فضيلة فى جهاد المشركين وسابقة فى هذا الدين ماأردنا به إلا رضى ربنا وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا فماينبغى لنا أن نستطيل على الناس بذلك ولا أن نبتغى به من الدنيا عرضا فان الله ولىّ المنة علينا بذلك ألا أن محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش وقومه أحق به وأولى وأيم الله لايرانى الله أنازعهم هذا الامر أبدا فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم فقال ابو بكر هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا فقالا لا والله لانتولى هذا الامر عليك فانك أفضل المهاجرين وثانى اثنين اذ هما فى الغار وخليفة رسول الله على الصلاة والصلاة افضل دين المسلمين فمن ذا ينبغى له ان يتقدمك او يتولى هذا الامر عليك ابسط يدك نبايعك فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما اليه بشير بن سعد فبايعه فناداه الحباب بن المنذر يابشير عققت عقاق ما احوجك الى ماصنعت أنفست على ابن عمك الامارة فقال لا ولكنى كرهت ان انازع قوما حقا جعل الله لهم ولما رأت الاوس ما صنع بشير بن سعد وما تدعوا اليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد ابن عبادة قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير وكان احد النقباء والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا ابدا فقوموا فبايعوا ابا بكر فقاموا اليه فبايعوه فانكر على سعد ابن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا اجمعوا له من امرهم واقبلت اسلم بجماعتها حتى ضاقت بهم السكك فبايعوا ابا بكر فكان عمر يقول ماهو الا ان رايت اسلم فايقنت بالنصر واقبل الناس بعدهم من كل جانب يبايعون ابا بكر وكادوا يطئون سعد ابن عبادة فقال ناس من اصحاب سعد اتقوا سعدا لا تطئوه فقال عمر اقتلوه قتله الله ثم قام على راسه فقال لقد هممت ان اطأك حتى تندر عضوك فأخذ سعد بلحية عمر فقال عمر والله لو حصصت منه شعرة مارجعت وفى فيك واضحة فقال ابو بكر مهلا ياعمر الرفق ههنا ابلغ فاعرض عنه عمر وقال سعد اما والله لوان بى

قوة ماأقوي على النهوض لسمعت منى فى أقطارها وسككها زئيرا يجحرك وأصحابك أما والله لالحقنك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع احملونى من هذا المكان فحملوه فأدخلوه داره وترك أياما ثم بعث اليه أن اقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك فقال أما والله حتى أرميكم بما فى كنانتي من نبلي وأخضب سنان رمحي وأضربكم بسيفي ماملكته يدى واقاتلكم باهل بيتى ومن اطاعني من قومى وأيم الله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الانس مابايعتكم حتي أعرض على ربى واعلم ماحسابى فلما أُتِيَ ابو بكر بذلك قال له عمر لاتدعه حتى يبايع فقال له بشير بن سعد إنه قد لجّ وأبى وليس بمبايعكم حتى يقتل وليس بمقتول حتي يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته فاتركوه فليس تركه بضاركم إنما هو رجل واحد فتركوه وقبلوا مشورة بشير واستنصحوه لما بدالهم منه فكان سعد لايصلي بصلاتهم ولا يجمع معهم ويحج ولا يفيض معهم بافاضتهم فلم يزل كذلك حتى مات أبو بكر رحمه الله ويقال انه لما قام الحباب بن المنذر وانتضى سيفه وقال أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب انا ابو شبل فى عَرِينَةِ الأسد حامله عمر فضرب يده فندر السيف فأخذه ثم وثب على سعد ووثبوا على سعد وتتابع القوم على البيعة وبايع سعد وكانت فلتة كفلتاتِ الجاهلية قام ابو بكر دونها وفى رواية إن سعدا لم يبايع كما مر واستمر الي ان تولى عمر الخلافة فخرج الى الشام فمات بها قالوا وتخلف عن البيعة علىّ بن ابى طالب والزبير بن العوّام والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن عبيد الله وغيرهم من بنى هاشم لأنهم وجدوا فى انفسهم حيث لم يكونوا فى المشورة فى سقيفة بنى ساعدة مع ان لهم حقا فيها ثم بايعوا بعد ذلك فى حديث يطول شرحه وبعد خلافة ابى بكر رضى الله عنه خطب الناس فحمد الله واثني عليه ثم قال ايها الناس إنى وُلّيتُ عليكم ولست بخيركم فأعينونى وإن اسأتُ فقوّمونى الصدق امانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قويّ عندى

حتى ازيح عليه حقه والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله الاّ ضربهم الله بالذل ولا تشيعُ الفاحشةُ فى قوم إلا عمّهم الله بالبلاء أطيعونى ما أطعتُ الله ورسوله فاذا عصيْتُ الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله وخطب أيضاً خطبة بعدها فقال ألاَ أن أشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوكُ المَلِكُ اذا مَلَكَ زهّده الله عز وجل فيما عنده ورغّبه فيما فى يدى غيره وانتقصه شطر أجله وأشرب قلبه الاشفاق واذا وجبت نفسه ونضب عمره وضحا ظله حاسبه الله جل ثناؤه وأشد حسابه وأقل عفوه وسترون بعدى مُلْكا عضوضاً وأمّةً شحاحا ودَمًا مُباحا فان كانت للباطل نَزْوَةٌ ولأهل الحق جَوْلة يعفو لها الأثر وتموت السنن فالزموا المساجد وتوّروا القرآن وليكن الابرام بعد التشاور والصفقة بعد التناظر وفى أوائل خلافته ارتدت العرب فقاتلهم حتى أرغمهم على الرجوع الى الاسلام وكانت خلافته فى شهر ربيع الأول فى اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما مرض مرض موته عهد بالخلافة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه بكتاب يقول فيه هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة إنى استخلفتُ عليكم عمر بن الخطاب فان برّ وعدل فذلك ظنى به وإن بدّل أو غيّر فلا علم لى بالغيب والخير أردت بكم ولكل إمرئ ما اكتسب من الاثم وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون قال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه دخلتُ يوما على أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى علّته التى مات فيها فقلت له أراك بارئا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أمَا إنى على ذلك لشديد الوجع ولما لقيتُ منكم يا معشر المهاجرين أشدُّ علىّ من وجعى إنى وليّت أموركم خيركم فى نفسى فكلكم وَرِمَ أنفه أن يكون له الأمر من دونه والله لتتخذُن نضائد الديباج (١) وستور الحرير ولتألَمُن النوم على الصوف

(١) النضائد الوسائد جمع وسادة

الأذربي (١) كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان (٢) والذى نفسى بيده لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه فى غير حد خير له من أن يخوض غمرات الدنيا يا هادى الطريق جرت انما هو والله الفجر أو البجر (٣) فقلت خفض عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هذا يهيضك الى ما بك فوالله ما زلت صالحا مصلحا لا تأس على شىء فاتك من أمر الدنيا ولقد تخليت بالأمر وحدك فما رأيت إلا خيرا انتهى ومكث فى الخلافة سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما وقيل عشرة أيام وتوفى فى جمادى الآخرة لثمان بقين منه سنة ثلاث عشرة هجرية عقب حمى أصابته من يوم بارد اغتسل فيه وقيل مات مسموما من طعام أهدى اليه فأكل منه والله أعلم ورثاه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال

اذا تذكرت شجوا من أخى ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
التالى الثانى المحمود شيمته ... وأول الناس طرا صدق الرسلا
والثانى اثنين فى الغار المنيف وقد ... طاف العدو به اذ صعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا ... من البرية لم يعدل به رجلا
خير البرية أتقاها وأرأفها ... بعد النبى وأوفاها بما حملا

انتهى

(المتن) وَرَوَّيْتُ رُمْحِي مِنْ كَتِيبَةِ خَالِدٍ

(الشرح) رويت رمحى أى سقيته دما على المجاز والرمح معلوم والكتيبة الجيش أو جماعة الخيل من المائة الى الألف والجملة صدر بيت من الشعر هكذا

---

(١) الأذربي منسوب الى اذربيجان (٢) الحسك الشوك والسعدان نبت تأكله الابل فتسمن عليه (٣) الفجر الضوء والبجر الظلمة ضرب بهما مثلا لغمرات الدنيا يريد أن انتظرت حتى يضوء لك الفجر الطريق أبصرت قصدك وان سرت فى الظلماء هجمت بك على المكروه اهـ

ورويّتُ رمحي من كتيبة خالد وانى لأرجو بعدها ان أعمّرَ

من قصيدة لأبي شجرة السُّلَميّ وسيأتي ذكرها بعد وكتيبة خالد جيشه الذي حارب به أهل الردة وقبل ان نأتي بخبره نذكر شيئا من أخبار أبي شجرة السلمي وسبب قوله القصيدة التي منها البيت المذكور فنقول

﴿ ذكر ابى شجرة السلمى وبعض اخباره ﴾

هو أبو شجرة بن عبد العزى وأمه الخنساء من بني سليم بن منصور ذكره الطبري في تاريخه ولم أقف على بقية نسبه وكان شاعرا من شعراء بني سليم ومن فُتّاك العرب وأدرك الاسلام وأسلم فلما كان في خلافة ابي بكر رضي الله عنه ارتد بعضُ قومه عن الاسلام فيمن ارتد من العرب وثبت بعضهم وكان مَعْنُ بن حاجز أميرا عليهم لابي بكر رضي الله عنه فلما ندب ابو بكر خالدَ بن الوليد رضي الله عنهما لمحاربة أهل الردة بعث خالدُ الى مَعْن يأمره بالمسير اليه بمن ثبت من بني سليم بن منصور على الاسلام فسار اليه وكان فيمن لحق من بني سليم بأهل الردة ابو شجرة هذا فقاتل معهم جيش خالد رضي الله عنه وقال من قصيدة

فلو سألت عنا غداة مزامر كما كنت عنها سائلا لو نأيتها

لقاء بني فهر وكان لقاؤهم غداة الجِواء حاجة فقضيتها

صبرت لهم نفسي وعرّجت مهرتي على الطعن حتى صار وَرْداً كميتها

إذا هي صدّت عن كَمِيٍّ أريده عدلتُ اليه صدرها فهديتها

ثم قال قصيدته التي منها البيت السابق وهي

صحا القلب عن مَيٍّ هواه واقصرا وطاوع فيها العاذلين فأبصرا

وأصبح ادنى رائد الجهل والصِّبا كما ودّها عنا كذاك تغيّرا

واصبح ادنى رائد الوصل بينهم كما حبلها من حبلنا قد تبترا

الآ ايها المُدْلي بكثرة قومه وحظك منهم ان تضام وتقهرا

سل الناسَ عنا يوم كل كريهة ... اذا ما التقينا دارعين وحُسَّرا
ألَسْنا نُناطى ذا الطّماحِ لجامَه ... ونطعن فى الهيجا اذا الموت اقفرا
وعارضة شهباء تَخْطر بالقنا ... ترى البُلْقَ فى حافاتها والسنوّرا
فَروّيتُ رمحى من كتيبة خالد ... وإنى لأرجو بعدها أن أعمَّرا

ثم اسلم بعد ذلك ودخل فيما دخل فيه الناس ولكن قصيدته هذه حفظت عنه وتناقلها الركبان فلما كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدم ابو شجرة المدينة فأناخ ناقته بصعيد بنى قريظة ثم اتى عمر وهو يعطى المساكين من الصدقة فقال يا امير المؤمنين اعطنى فانى ذو حاجة قال ومن انت قال ابو شجرة ابن عبد العزّى السلمى قال ابو شجرة أى عدوّ الله ألَسْتَ الذى يقول

فروّيتُ رمحى من كتيبة خالد ... وإنى لأرجو بعدها ان أعمَّرا

ثم جعل يعلوه بالدّرة فى راسه حتى سبقه عَدْواً فرجع الى ناقته فارتحلها ثم اسندها فى حَرّة شَوْرَان راجعا الى ارض بنى سليم وقال

ضنّ علينا ابو حفص بنائله ... وكلٌّ مختبط يوما له ورق
مازال يَرْهقنى حتى خَذِيتُ له ... وحالَ من دون بعض الرغبة الشفق
لما رهبت ابا حفص وشُرطته ... والشيخ يفزع احيانا فينحمق
ثم ارعويت اليها وهى جانحة ... مثل الطريدة لم ينبت لها ورق
اوردتها الخل من شَوْرَان صادرة ... إنى لأُزرى عليها وهى تنطلق
تُطير مَرْوَ المان عن مناسمها ... كما تَنَوّقدعند الجَهْبَذ الورق
اذا يعارضها خَرْق تعارضه ... ورهاء فيها اذا استعجلتها خُرُق
ينوء آخرها منها بأولها ... سُرُح اليدين بها نَهّاضة العنق

ولم اقف له على اخبار اخرى اذكرها ولا اهتديت على تاريخ وفاته لأنه لم تكن له شهرة غير ما عرف عنه بأنه من الفتاك وكان مرتدا فأسلم انتهى

ذكر خالد بن الوليد المخزومى رضى الله عنه وشيء من اخباره

هو أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة من بنى مخزوم إحدى الابطن العشرة المذكورة فى نسب قريش وكان سيدا من ساداتهم فى الجاهلية وقائد خيلهم يوم أحد ثم أسلم هو وعمرو بن العاص السهمى فى وقت واحد عقب انصراف الأحزاب عن الخندق وحسن إسلامه وقاد السرايا فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثنى عليه النبى صلى الله عليه وسلم وقال فيه نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله وقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه عجزت النساء أن يلدن مثل خالد وكان شجاعا ذا بأس ونجدة . واستعمله أيضاً أبو بكر رضى الله عنه فى حرب أهل الردة فى أوائل خلافته فقاتل العرب حتى أرغمهم إلى العودة الى الاسلام وأبلى بلاء حسنا كما هو مذكور فى التاريخ وغزا أرض الروم ووقايعه باليرموك وغيرها مشهورة وما زال عاملا لأبى بكر رضى الله عنه الى أن توفى وخلفه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكان أول ما بدأ به عزل خالد حينما توغل فى بلاد الشام وهابته العجم هيبة شديدة لشدة علمه بتدبير الحروب وانتصاراته المتكررة حتى افتتن الناس بشجاعته ومقدرته وقال لا يلى لى عملا أبدا وولى مكانه أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه وكان سبب التهاجر بينهما على ما يقال أن خالدا رضي الله عنه كان قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته داعيا الى بنى جذيمة يدعوهم إلى الاسلام ولم يبعثه مقاتلا وكانوا بناحية يَلَمْلَمْ جبل على مرحلتين من مكة فلما وصلهم خافوه فلبسوا السلاح فقال لهم اسلموا فقالوا نحن قوم مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد صلى الله عليه وسلم قال فما بال السلاح عليكم قالوا ان بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونوا هم ويقال انهم قالوا له صبأنا ولم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا قال فضعوا السلاح فوضعوه فقال استأسروا فأمر بعضهم فكتف بعضا وفرقهم فى أصحابه

ولم يقبل دعواهم وكانت بنو جزيمة أشرحىّ فى العرب ويسمون لَعَقَةَ الدم وهم الذين قتلوا الفاكه بن المغيرة عم خالد وعوف بن عوف والد عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما وكان مع خالد بنو سليم الذين قتلت جزيمة منهم مالك بن الشريد وأخويه فى موطن واحد قبل الاسلام فلما كان وقت السحر نادى منادى خالد أن من كان معه أسيرا فليقتله فأول بعضهم أن ذلك ثأرا بعمه الفاكه فقتل بنو سليم من كان معهم تشفيا وانتقاما لمالك بن الشريد واخويه وامتنع المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسراهم وبلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم أن قتلهم كان خطأ فبعث على بن ابى طالب رضى الله عنه ودفع اليه ابلا وورقا يَدِي به قتلاهم وقال له اجعل امر الجاهلية تحت قدميك فذهب على رضى الله عنه فوَادَهُم وأعطاهم بدل ما أتلف عليهم حتى مِيلَغَةَ الكلب وزادهم من المال احتياطا بدل مالا يعلمون ورجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اصبت واحسنت ثم قال والذى أنا عبده لهى أحب الى من حُمْر النَّعَم ثم قام مستقبلا القبلة شاهرا يديه وهو يقول اللهم إنى ابرأ إليك مما فعل خالد يكررها ثلاثا قالوا وتكلم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه مع خالد وقال له عملت بأمر الجاهلية فى الاسلام فقال له خالد إنما أخذت بثأر ابيك فقال له عبدالرحمن كذبت انا قتلت قاتل أبى وانما ثأرت بعمك الفاكه فوقع بينهما شر فا ستعان عبد الرحمن بن عوف بعمر بن الخطاب رضى الله عنهما عليه فكان فى قلب عمر منه شىء ولما وقع من خالد فى حرب الردة ما وقع ومنه قتله مالك بن نُوَيْرَة بعد أن أسره وتزوجه بامرأته ليلى بنت سنان ويقال كان يهواها فى الجاهلية وكانت من أجمل النساء تكلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع أبى بكر وقال له اعزل خالدا فان فى سيفه رهقا كيف يقتل مالكا ويأخذ زوجته فقال الصديق رضي الله عنه كلا لا أشيم سيفا سله الله على المنافقين والكافرين ولم يعزله وقيل أن عمر قال له إن خالدا قد زنى

فارجه قال ما كنت لأرجمه فانه تأول فأخطأ قال فانه قتل مسلما فاقتله به قال ما كنت لأقتله انه تأول فأخطأ قال فاعزله قال ما كنت لاشيم سيفا سله الله عليهم ابدا والمحتجون لخالد يقولون انه لم يقتل مالكا الا بعد أن أظهر الارتداد عن الاسلام والمحتجون عليه يقولون إن ما لكا قال له . أنا على الاسلام ماغيرت ولا بدلت وشهد بذلك عبد الله بن عمر وأبو قتادة بن ربعي وقيل سالم مولى ابي حذيفة والله أعلم وكان مالك بن نويرة الذى قتله خالد من بنى حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة سريا نبيلا ردف الملوك وبه يضرب المثل فى قولهم فتى ولا كمالك وكان مكثرا ومن شعراء قومه ولأخوه متمم بن نويرة المكنى ابا نهشل الشاعر المشهور كثير الانقطاع فى بيته قليل التصرف فى أمر نفسه اكتفاءا بأخيه مالك وكان أعور دميما فلما بلغه قتل اخيه حزن عليه حزنا شديدا ورثاه المرثية المشهورة ومنها وهى طويلة

لقد كفن المنهال تحت ردائه ... فتى غير مبطان العشيات أروعا

ولا برماً تهدى النساء لعرسه ... اذا القشع من حس الشتاء تقعقعا

تراه كنصل السيف يهتز للندى ... اذا لم تجد عند امرىء السوء مطمعا

فان تكن الايام فرقن بيننا ... فقد بان محمودا أخى حين ودعا

فعشنا بخير فى الحيـاة وقبلنا ... أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا

وكنا كندمانى جذيمة برهة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأنى ومالـكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فكان الأصمعى يسميها أم المراثى وبعـد قتل مالك حضر متمم الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى الصبح خلف ابى بكر الصديق فلما فرغ أبو بكر رضى الله عنه من صلاته وانفتل عن محرابه قام متمم فوقف بحذائه واتكأ على سية قوسه ثم أنشد

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت　　خلف البيوت قتلت ياابن الأزور
أدعوته بالله ثم قتلته　　لوهو دعاك بذمة لم يغدر

وأومأ الى أبي بكر رضى الله عنه فقال والله مادعوته ولاغدرته ثم أنشد

ولنعم حشو الدرع كان وحاسرا　　ولنعم مأوى الطارق المتنور
لايمسك الفحشاء تحت ثيابه　　حلوٌ شمائلهُ عفيفُ المئزر

ثم بكى وانحط عن سية قوسه فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء فقام اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له لوددت أنك رثيتَ زيدا اخى بمثل ما رثيت به مالـكا فقال يا أبا حفص والله لوعلمت أن أخى صار بحيث صار أخوك مارثيته فقال عمر ماعزَّانى أحدٌ عن أخى بمثل تعزيتِهِ وقال متمم أيضا فى خالد بن الوليد رضى الله عنه من أبيات

قضى خالد بغيا عليه لعرسه　　وكان له فيهاهوى قبل ذَلكِ
فأمضى هوامخالدغيرعاطفٍ　　عِنان الهوي عنها ولامتمالك

وبقى خالد رضى الله عنه الى سنة أحدى وعشرين وقيل اثنين وعشرين وتوفى بحمص رحمه الله ولما احتضر قال والله مافى جسدى موضع أصبع الا وفيه طعنة أورمية أو ضربة وهآ نا أموت حتف أنفى موت الحمار فلا نامت أعين الجبناء ولما بلغ عمر رضى الله عنه موته وكانا متهاجرين كما قدمنا وامتنع النساء عن البكاء عليه قال وماعلى نساء بنى المغيرة أن يرقن من دَمْعِهِن على أبى سليمان مالم يكن لَغوًا أولَقلَقَةً فلما سمعن ذلك بكين عليه وقدا كتفينا بما أوردناه من أخباره رضى الله عنه خوف الاطالة

(المتن) ومزَّقتُ الاديمَ الَّذِى بارَكَتْ يَدُ اللهِ عَلَيْهِ

(الشرح) التمزيق التخريق والاديم الجلد والبركة النماء والزيادة يشير الى قول الشاعر فى الآبيات الآتية

ابعد قتيل بالمدينة اظلمت   له الارض تهتز العضاة بأسوق
جزى الله خيرا من امام وباركت   يد الله فى ذاك الأديم الممزق
فمن يجر اويركب جناحي نعامة   ليدرك ماقدمت بالأمس يسبق
قضيت اموراً ثم غادرت بعدها   بوائج فى أكمامها لم تفتق
وما كنت اخشى أن تكون وفاته   بكفي سبنتى ازرق العين مطرق

روي ان عائشة رضى الله عنها قالت ان الجن رثت عمر بن الخطاب رضى الله عنه بهذه الايات قبل موته بثلاثة أيام والصحيح انها للشماخ بن ضرار ذكر ذلك الشيخ ابي نصر الجوهرى فى صحاح اللغة وذكر صاحب العقد الفريد البيت الثانى منها ونسبه الى حسان بن ثابت وليس كذلك .

ذكر الشماخ بن ضرار وبعض أخباره

الشماخ لقبه واسمه معقل بن ضرار بن عمر بن جحاش بن بجالة بن مازن بن سعد بن ذبيان شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام وأسلم وحسن اسلامه ذكر ذلك صاحب كتاب الاغانى وكان شديد متون الشعر اشد كلاما من لبيد بن ربيعة وانما كان فيه كزازة ولبيد أسهل منه منطقا وجعله محمد بن سلام فى الطبقة الثالثة وقرنه بالنابغة ولبيد وأبى ذؤيب الهذلى وكان معاصرا لكعب بن زهير بن أبى سلمى والحطيئة وهو جرول بن أوس وله أخوان شاعران أحدهما مزرد واسمه يزيد والثانى جزء وبعضهم ينسب الايات التي تقدمت اليه والله اعلم

واشتهر الشماخ بوصف الابل والحمر الوحشية إلا أنه أكثر فى وصف الثانية حتي قال الوليد بن عبد الملك لما سمع شعره فيها انى لأحسب أحد ابويه حمارا فما قاله في وصف الابل قوله

وكيف يضيع صاحب مدفئات   على اثباجهن من الصقيع

يريد به صاحب الابل الكثيرة لأنها اذا كانت كذلك أدفئت بعضها بعضا

بأنفاسها وقوله

يُبا كرن العِضَاهَ بمقنمات نواجذهن كالحدء الوقيع

يصف أسنانها بالفؤوس ذوات الرأسين ومن قوله فى الحمر الوحشية

يحشرجها طورا وطورا كأنها لها بالرغامى والخياشيم جارِزُ

الجارز الشديد السعال يصف شدة سعالها من العدو .

يكلفها اقصى مداه اذا التوى بها الورْدُ واعوجّتْ عليها المفاوز

حداها برجع من نهيق كأنه لما رد لِحيَيْه من الجوف راجز

وقابلها من بطن زرْوة مِصْعَدًا على طرق كأنهن نحائز

فأصبح فوق الحقف حقف تبَالةٍ له مركد فى مستوى الارض بارز

وقال ايضا فيها

توائل من مصك انصبته حوالب أسهرَيه بالزنين

الاسهران عرقان من المِنْخَرَين يقول ان منخري حمار الوحش يسيلان ماءا . وتلك عادة الحمر اذا اغتلمت وقال ايضا

متي ماتقع ارساغه مطمئنة على حجر يرفض أو يتدحرج

وله غير ذلك كثير ومن احسن ماقاله فى المدح وقيل أنه من أحسن ماقالته العرب قوله وقد ذكر فى الحماسة

وأشعثُ قدْ قدّ السفار قميصه وجرُّ شواء بالعصا غير منْضَج

دعوت الى مانابني فاجابنى كريم من الفتيان غير مزلَّج

فتى يملأ الشيزى ويرْوي سنانه ويضرب فى رأس الكمى المدجج

فتى ليس بالراضي بأدنى معيشة ولا فى بيوت الحى بالمتولج

وهو الذى مدح عرَابة الاوسى بقوله

رايت عرَابَةَ الاوسي يسمو الى الخيرات منقطع القرين

اذا مارابة رفعت لمجد تلقاها عرَابةُ باليمين

يحتمل انه اراد الفرح اي تلقاها بفرح لأن اليمين عند العرب من دلائل الفرح قاله الخطيب الشربيني رحمه الله وقال المبرد في الكامل إن اصحاب المعاني قالوا انه أراد بها القوة ومثله قول الله عز وجل والسموات مطويات بيمينه

اذا بلّغتني وحملتِ رحلي عرَابةَ فاشرقي بدم الوتين

ومثل سراة قومك لم يجاروا الي رُبُع الرهان ولا الثمين

الثمين من الثمن كالسديس من السدس يريد أنه اذا بلغ الممدوح لم يحتج ان يرحل الى غيره وقد أحسن إلا أن بعضهم عاب عليه قوله فاشرقي بدم الوتين وقالوا كان ينبغي أن ينظر لها مع استغنائه عنها واحتجوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصارية المأسورة بمكة وقد نجت على ناقته صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله نذرتُ إن نجوتُ عليها أن أنحرها فقال لبئس ما جزيتها به ولا نذر للانسان في غير ملكه واستحسنوا قول أبي نُواس في مدح محمد الامين العباسي من قصيدته الميمية

وإذا المطيُّ بنا بلغنَ محمدا فظهورهن على الرجال حرام

قرّبننا من خير من وطئ الحصى فلها علينا حرمة وذمام

وقوله ايضا يُعرّضُ بقول الشماخ

أقول لناقتي اذا بلّغتني لقد أصبحت عندي باليمين

اليمين هنا المنزلة الجليلة

فلم أجعلك للغربان نهبا ولا قلت أشرقي بدم الوتين

حرمت علي الازمة والولايا واعلاق الرحالة والوضين

ومثله قول الفرزدق الشاعر

علام تلفّتينَ وأنت تحتي وخيرُ الناس كلهمُ أمامي

متى تَرِدى الرُّصافةَ تستريحى　　من التهجير والدَّبَرِ الدوامى

ويروى من الاسراع والدبر الدوامى جمع دَبَرَةٍ وهى قرحة الدابة وقد سبقهم فى هذه المعنى امرؤ القيس بقوله لناقته

فجزيت خير جزاء ناقة واحد　　ورجعت سالمة القَرَى بسلام

حيث دعا لها بخير الجزاء شكرا لها على سرعة السير والصبر عليه رجعنا الى أخبار الشماخ قالوا كان عَرَابَةُ الذي عناه بشعره المتقدم سيدا من سادات قومه الأوس وجوادا من أجوادهم فأتى الشماخ المدينة فلقيه عرابة فسأله عما أقدمه فقال أردت ان أمتار لأهلى وكان معه بعيران فأوقرهما له بُرًّا وتمرا وكساه وأكرمه فخرج من المدينة وامتدحه بالابيات المذكورة فصارت مثلا سائرا وأثرا باقيا لا تَبْلَى جِدَّته ولا تتغير بهجته قال أبو الحسن بن رشيق القيروانىّ فى العمدة فى من رفعه الشعر ووضعه وقد قدح ذلك فى مروءة الشماخ وحط من قدره لسقوط همته عن درجة مثله من أهل البيوتات وذوي الاقدار كسقوط النابغة الذبيانى بامتداحه النعمان صاحب البؤس والنعيم قلت وعندي ان النابغة وان يكن شريفا فلا يؤخذ عليه فى مدحه النعمان وقد كان النعمان ملك العرب وانما يؤخذ عليه مدحه لنظيره أو أدنى منه والنعمان لم يكن نظيره وانما حط النابغة عن درجة أمثاله استهتاره بالشعر واعتكافه عليه ومدحه غير الملوك كابن الجُلَاح الكلبى قائد جيش الحرث بن ابى شمر الغسانى ورثاؤه وعتابه وهجاؤه آخرين وكانت الاشراف تأنف من قول الشعر وكذلك الملوك وحكاية امرؤ القيس الكندى مع أبيه وطرده له لما اعتلق قول الشعر مشهورة معلومة فاما مدح النابغة للنعمان خاصة فلا زراية عليه فيه ألا ترى كيف أن لبيد بن ربيعة لما أمر ابنته ان تجيب الوليد بن عقبة أمير الكوفة حينما بعث الوليد اليه بمائة من الابل لينحرها وبأبيات من الشعر وكان قد كف لبيد عن قول الشعر فى الاسلام وكان قد نذر فى الجاهلية ان

لا تهبُ صبا الا أطعم قالت تجيبه

أباوهب جزاك الله خيرا ... نحرناها فأطعمنا الثريدا
فعد ان الكريم له معاد ... وظنى يابن أروى أن يعودا

فقال لها أبوها أحسنتِ لولا انك سألتيه قالت ان الملوك لا يُستَحى من مسألتهم فقال لها وانت فى هذه أشعر ولبيد هو ذلك المعروف بالسخاء والشرف والشجاعة وقول الشعر وأبوه قبله يقال له ربيعة المُقتِرين لجوده وسخائه ولوكان هذا يزري به لما رضى لابنته أن تقول ماقالت ولما استحسن مضاءه ولست أدرى منزلة الشماخ فى الشرف والرفعة لأقيس عليه عرابة فى شرفه ورفعته فان كان مثله فمدحه له يحط بقدره والافلا والله أعلم ومات الشماخ فى سنة ثمانى عشرة هجرية انتهى واذفرغنا من ترجمته نأتى بترجمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى قيلت فيه الأبيات المتقدمه

ذكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ونسبه وخلافته وموته

هو عمر بن الخطاب بن نُفَيل بن عبد العزى بن رَباح بن عبدالله بن قرط ابن رزاح بن عدى ويكنى أباحفصة ويلقب الفاروق قيل لأنه فرق بين الحق والباطل وقيل لأنه أظهر الاسلام بمكة وكان مخفيا فيها ويلتقى نسبهُ مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم فى جده كعب بن لؤى بن غالب ومولده قبل الفِجار الأعظم بأربع سنين وقدشهدالمشاهدمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديدا فى الحق قويا فى الدين لايخشى فيه لومة لائم ولاقرابة قريب وهو أول من جاهر باسلامه خرج من مكة فى هجرته الى المدينة متقلدا سيفه متنكبا قوسه منتضيا فى يده أسهمه مختصرا عَنَزَتَهُ (أى حربته) فأتى الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعا متمكنا ثم أتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة واحدة وقال لهم شاهت الوجوه لايُرغم الله الاهذه المعاطس من أراد أن تَثكَلَهُ أمُّهُ ويُوتِم

واله ويرمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي فما تبعه أحد وكان اذ ذاك لايخرج
مسلم من مكة مهاجرا الا مختفيا وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل
الحق على لسان عمر وكان اذا قال قولا فالغالب أن الله سبحانه وتعالى ينزل فيه
قرآنا يؤيده فمن ذلك ماقال فى أسارى بدر فانه أشار بقتلهم وأشار غيره بفدائهم
فانزل الله تبارك وتعالى قوله (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم فيه عذاب
عظيم) ومن ذلك ماقاله في الحجاب فأنزله الله وماقاله فى الخمر فحرمه الله وقال
صلى الله عليه وسلم لوكان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب ومآثره كثيرة واضحة
وكان آدم مشربا بحمرة طويلا أصلع له حفافان (طرة من الشعر حول الرأس الاصلع)
حسن الخدين والأنف غليظ القدمين مجدول اللحم حسن الخلق ضخم الكراديس
(العظام المكتنزة لحما) أعسر يسر يعمل بيديه واذا مشى كأنه راكب وهو أول
من دعى أمير المؤمنين ثم جرت بذلك السنة وأول امام وضع التاريخ وأول من ختم
بالطين وأول من جمع الناس على امام يصلى بهم التراويح فى شهر رمضان وكتب
بذلك الى البلدان وأول من حمل الدرة وضرب بها وأول من دون الدواوين للناس
فى الاسلام ومصر الامصار وكتب الناس على قبائلهم وفرض لهم العطاء وتزوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته حفصة سنة ثلاث هجرية وتوفى عنها وتولى الخلافة
لثمان خلون من شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة هجرية بعهد من أبى بكر
الصديق رضى الله عنه وفى أيام خلافته ازدهى الاسلام واتسعت نواحيه فافتتحت
بلاد الروم والترك والهند والجزر والشام والعراق ومصر وسكندرية والنوبة وكان مع
شدته فى الحق متواضعا يحمل الطعام الى المساكين بيده ويسأل عنهم ويبرهم ويرحمهم
ولما بويع بالخلافة خطب الناس فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه أيها الناس انى قد وليت
عليكم ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم وأقواكم عليكم وأشدكم استضلاعا لماينوب من
مهم اموركم ماتوليت ذلك منكم ولكفى عمر مهما محزنا موافقة الحساب بأخذ حقوقكم

بكيف آخذها ووضعها أين أضعها وبالسير فيكم كيف أسير فربى المستعان فأن عمر أصبح لايثق بقوة أو حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأييده وخطبه كثيرة أكتفينا منها بهذه وله الرسالة المشهورة فى القضاء التى كتب بها إلى أبى موسى الأشعرى وهى التى جمع فيها جمل الاحكام واختصرها بأجود الكلام وجعل الناس بعده يتخذونها إماما ولا يجد محق عنها معدلا ولاظالم عن حدودها محيصا فآثرنا نقلها هنا ليستفيد منها مستفيد وهى بعد البسملة من عبد الله عمر ابن الخطاب الى عبد الله بن قيس سلام عليك أما بعد فان القضاء فريضة مُحْكَمَةٌ وسنَّة متَّبعة فافهم اذا ادلى اليك فانه لاينفع تكلم بحق لانفاذ له آس فى الناس بين وجهك وعدلك ومجلسك حتى لايطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل الفَهْمَ الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة ثم اعرف الاشباه والأمثال فقس الامور عند ذلك واعمد الى اقربها الى الله واشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمَدًا ينتهى اليه فان احضر بينة أخذتَ له بحقه والا استحللت عليه القضية فانه انفى للشك وأجلى للعمى المسلمون عُدُولٌ بعضهم على بعض إلا مجلودا فى حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظَنِيناً فى ولاء أو نسب فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والايمان وإياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات فان الحق فى مواطن الحق يُعْظِم الله به الأجر ويحسن به الذُّخر فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله مابينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله فما ظنك بثواب غير الله عز وجل فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام

ومكث رضي الله عنه في الخلافة عشر سنين وستة اشهر وأياما محمود السيرة طيب السريرة مرضيا في جميع اموره يسوس الأمور بالعدل والشفقة الى أن قتل بطعنة خنجر من يد أبي لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة واسمه فيروز في صلاة الصبح فمات من جراحه ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين رحمه الله تعالى ورضي عنه قيل إن أبا لؤلؤة طعنه ثلاث طعنات إحداهن في سرته فكانت القاضية وطعن معه ثلاثة عشرة نفرا في الصلاة مات منهم سبعة وكان السبب في ذلك أن أبا لؤلؤة لا رحمه الله شكي اليه سيده المغيرة ابن شعبة فيما ضربه عليه من الخراج وكان نجارا لطيفا وسأله ان يكلم مولاه في تخفيفه عنه فقال له عمر رضي الله عنه وكم خراجك قال درهمان في كل يوم قال ما أرى هذا ثقيلا قد بلغني انك تقول لو أردت أن أعمل رحى تطحن بالريح فعلتُ قال نعم قال فاعمل لي رحى قال لئن سلمت لا عملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب ثم انصرف عنه وحقد عليه وتربص له حتى ضربه بالخنجر في صلاة الصبح كما سبق ذكره ولما علم انه ماخوذ طعن نفسه ومات لا رحمه الله قالوا ولم يعهد عمر رضي الله عنه لاحد بالخلافة بل أوصى ان تكون شورى بين ستة من كبار المهاجرين فمن وقعت عليه الشورى تولاها وقال والله لا احملكم حيا وميتا وحديث الشورى يطول بنا شرحه فاكتفينا بالإشارة اليه انتهى

(المتن) وَضَحَيْتُ بِالأَشْمَطِ الَّذِي عِنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ

الضحاء بالمد أصله امتداد النهار كانه اسم الوقت ومنه الاضحية وجمعها أضاحي والضحية وجمعها ضحايا أي الذبح وقت الضحى ثم كثر حتى قيل ضحّى في اى وقت كان من أيام التشريق ويقال قتل فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه وأيام التشريق ثلاثة بعد يوم النحر لان لحوم الاضاحي تُشَرَّق فيها أي تشرر في الشمس الا أنّ ما في التاريخ الطبري لا يؤيده ان قتله رضي الله عنه كان فيها كما سيأتي وقوله بالاشمط أي

الذى اختلط سواد شعر رأسه ببياضه وكان رضى الله عنه كذلك والعنوان بضم أوله وكسره كل شيء يستدل به عليه ومنه عنوان الكتاب واختلفوا فى اشتقاق عنوان فزعم بعضهم انه مأخوذ من العنوان أي الأثر وزعم آخرون انه مأخوذ من قول العرب عنت الارض تعنوا اذا أخرجت النبات واعناها المطر اى أظهر نباتها وقيل مأخوذ من عن يعن اذا عرض وبدا والسجود الخضوع ومنه سجود الصلاة معلوم يشير الى قول حسان بن ثابت رضى الله عنه

ضحوا باشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

من أبيات يرثى بها عثمان رضى الله عنه الذي قتل فى داره بالمدينة وكان قد وخطه الشيب وسيأتى خبر مقتله عقب أخبار حسان بن ثابت رضى الله عنه

ذكر حسان بن ثابت الانصارى الشاعر وبعض اخباره

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمر بن زيد مناة من الخزرج ويكنى ابا الوليد وابا الحسام ويلقب ذا الأكلة شاعر فحل من فحول الشعراء ويقال انه أشعر اهل المدر وهو من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام ومن المعمرين عاش مائة وعشرين سنة نصفها فى الجاهلية ونصفها فى الاسلام وقيل اكثر وكان يقال أعرق قوم فى الشعراء آل حسان فانهم يعدون ستة فى نسق كلهم شاعر وهم سعيد وعبد الرحمن وحسان وثابت والمنذر وحرام وكان معروفا فى الجاهلية بجودة الشعر وزاحم النابغة الذبيانى وعلقمة بن عبدة عند عمرو بن الحرث الغسانى وامتدحه بحضرتهما بقصيدته اللامية المشهورة ومنها

لله در عصابة نادمتهم يوما بجلق فى الزمان الأول
يمشون فى الحلل المضاعف نسجها مشى الجمال الى الجمال البزل
الضاربون الكبش يبرق بيضه ضربا يطيح له بنان المفصل
والخالطون فقيرهم بغنيهم والمنعمون على الضعيف المرمل

أولاد جفنة حول قبر أبيهم | قبر ابن مارية الكريم المفضل
يُغشَوْن حتى ماتهر كلابهم | لايسألون عن السواد المقبل
يَسقُونَ مَنْ وَرَدَالبريص عليهم | بَرَدَى يصفق بالرحيق السلسل
يُسقَوْنَ درياق الرحيق ولم تكن | تدعى ولائدهم لنقف الحنظل
بيض الوجوه كريمة احسابهم | شم الانوف من الطراز الأول

الى أن قال مفتخرا بنسبه

نسبي اصيل في الكرام ومذودي | تكوي مواسمه جُنُوبَ المصطلي
ولقد تُقَلِّدُنا العشيرة أمرها | ونسود يوم النائبات ونعتلي
ويسود سيدُنا جَحاجِحَ سادة | ويصيب قائلنا سواء المَفصِلِ
ونحاول الأمرَ المهم خطابه | فيهم ونفصل كل أمر معضل
وتزور أبواب الملوك ركابُنا | ومتى نحكم فى البرية نعدل

ولما جاء الاسلام وانتظم فى سلك الانصار نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ويده ولذلك فضل على الشعراء بثلاث كان شاعر الانصار في الجاهلية وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة وشاعر اليمن كلها في الاسلام وكان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهجو من يهجوه فقال فيه اللهم أيِّدْه بروح القدس وعن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان إن روح القدس لايزال يؤيدك ما نافحت عن الله عز وجل وعن رسوله وكان ثلاثةُ رهط من قريش يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم عبد الله بن الزِّبَعري وابوسفيان بن الحرث وعمرو بن العاص فتعرض لهم ثلاثة من الانصار حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة فكان أشد القول عليهم قول حسان ثم كعب لأنهما كانا يعارضانهم بمثل قولهم فى الوقايع والايام وأهون القول عليهم قول ابن رواحة لأنه كان يعيرهم بالكفر فلما دخلوا فى الاسلام وتفقهوا

فى الذين كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة وكان لحسان رضى الله عنه لسان أسود يضرب به رَوْثَةَ أنفه ويقول ما يسرنى به مِقوَلٌ بين بصرى وكنعان ولو وضعته على شعر لحلقه أوعلى صخر لفلقه ولما استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهجوَ قريشا قال كيف تهجوهم وانا منهم قال لاسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين فاذن له وقال ائت ابا بكر الصديق فانه أعلم الناس بأنساب العرب فاتاه فأعلمه فقال له كُفّ عن فلان واذكر فلانا فقال يهجو أباسفيان بن الحرث

الا أبلغ ابا سفيان عنى   فأنت مجوّف نخب هواء
بأن سيوفنا تركتك عبدا   وعبد الدار سادتها الاماء
هجوتَ محمدا فأجبتُ عنه   وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولستَ له بكفء   فشركما لخيركما الفداء

فى البيت الاخير كلام لأهل العلم لأجل خير وشر لأنهما من أدوات التفضيل وتقتضى المشاركة وانما أجاب به حسان بأمر النبى صلى الله عليه وسلم

هجوتَ مباركا برًّا حنيفا   أمين الله شيمته الوفاء
أمَنْ يهجو رسول الله منكم   ويمدحه وينصره سواء
فان أبى ووالدتى وعرضى   لعرض محمد منكم وقاء
فاما تثقفَنّ بنى لؤىّ   جذيمة ان قتلهم شفاء
أولئك معشر نصروا علينا   ففى أظفارنا منهم دماء
وحِلْف الحرث بن أبى ضرار   وحلف قريظة منا براء
لسانى صارم لاعيب فيه   وبحرى لاتكدره الدلاء

وأبو سفيان هذا أبوه الحرث بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أخا النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ارضعتهما حليمة بنت أبى ذؤيب السعديّة وأشبه الناس به قيل ان قريشا لما سمعت بشتمه قالوا إن

هذا الشعر ماغاب عنه ابن أبى قحافه يعنون ابا بكر رضى الله عنه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب بشعره فنى ليلة وهو فى سفر قال ابن حسان فقال حسان لبيك يارسول الله وسعديك قال اسمعنى شعرك فجعل ينشده والنبى صلى الله عليه وسلم يصغى اليه فما زال يستمع وهو سائق راحلته حتى كان رأس الراحلة تمس الورك الى ان فرغ فقال صلى الله عليه وسلم لهذا أشد عليهم من وقع النبل وقال أمرتُ عبد الله بن رواحة فقال وأحسن وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن وأمرت حسان فشفى واشتفى فلما كانت خلافة ابى بكر رضى الله عنه نهى الصحابة عن أن ينشدوا شيئا من مناقضات الانصار وقريش وقال إن ذلك فيه شتم للحىّ بالميت وتجديد الضغائن وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء به الاسلام وحديث وفد تميم بأشرافهم وخطبائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا سبعين رجلا ودعاؤهم إياه للمفاخرة وما قالوه من الخطابة والشعر وما ردّ به شماس بن قيس من الانصار فى الخطابة وحسان بن ثابت فى الشعر حتى أذعنوا لهما بالتبرّز عليهم فى الفصاحة والبلاغة مشهور معلوم لاحاجة بنا الى ذكره ولحسان رضى الله عنه ديوان من الشعر حوى كثيرا من أنواعه فى المدح والنسيب والهجاء والمراثى ومما رثى به النبى صلى الله عليه وسلم (وهو كثير) قوله

كنت السواد لناظرى ... فعمى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت ... فعليك كنت أحاذر

وانما كان رضى الله عنه يوصف بالجبن فقد قيل انه جبن يوم الخندق عن قتل يهودىّ طاف بالحصن وقد كلمته صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها أن ينزل اليه ليقتله فقال لها ما أنا بصاحبه فأخذت صفية عمودا ونزلت اليه من الحصن فضربته به حتى قتلته وأجابوا عنه بأنه ما كان يستطيع ان يضرب بيده شيئا لأن اكحله مقطوع والأكحل عرق فى اليد يفصد ولا يقال عرق

الا كحل ومما عد عليه ايضا إفاضته فى حديث الافك كما مر عليك فيما مضى من هذا الكتاب وعاش رضى الله عنه الى زمن خلافة معاوية بن ابى سفيان وكان عثمانيا ومات فى سنة اربع وخمسين هجرية بالمدينة أو سنة ٦٧٦ ميلادية والله اعلم انتهى

ذكر عثمان بن عفان رضى الله عنه وخلافته وموته

هو عثمان بن عفان بن العاص وكنيته أبو عبد الله من بنى أمية احدى العشرة الأبطن المذكورة فى نسب قريش ويلتقى مع النبي صلى الله عليه وسلم فى جده عبد مناف شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بدرا وبذل نفسه فى سبيل الله وجهز جيش العسرة من ماله وسماه النبي صلى الله عليه وسلم ذا النورين لأنه تزوج بنته رقيه فلما ماتت عنده زوجه أختها أم كلثوم ووردت فيه أحاديث شريفة تدل على فضله ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم منها اللهم انى رضيت على عثمان فارض عنه اللهم اغفر لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت ومنها إنى لأستحى ممن استحيت منه ملائكة الرحمن ولما تغيب عن بيعة الحُدَيْبِيَةِ وكان قد أرسله النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة فى حاجة ضرب صلى الله عليه وسلم بيده الشمال على اليمين وقال هذه عن عثمان ولشمالى خير من يمينه وكان مولده بالطائف فى السنة السادسة من عام الفيل فهو أصغر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وبويع له بالخلافة لليلة بقيت من ذى الحجة وقيل فى أول المحرم سنة أربع وعشرين بأغلبية أهل الشورى التى قررها عمر رضى الله عنه قُبيل وفاته كما هو معلوم ولما بويع خرج الى المسجد فرقي المنبر وخطب الناس فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم أيها الناس انكم فى دار قُلْعة وفى بقية أعمار فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه فقد أتيتم صبحتم أو مسيتم ألاَ وأن الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور إعتبروا بما مضى ثم جِدُّوا ولا تغفلوا فانه لا يُغفَل عنكم أين أبناء

الدنيا واخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتّعوا بها طويلاً ألم تلفظهم لرموا بالدنيا حيث رمى الله بها واطلبوا الآخرة فان الله قد ضرب لها مثلا فقال عز وجل وَاضرِبْ لهم مثَلَ الحياةِ الدنيا كماء أنزلناه من السماء الى قوله أملاً الآية وأقبل الناس يبايعونه وخطب أيضا فقال أما بعد فإني قد حُمّلت وقد قَبلْتُ الاَ واني متّبع ولستُ بِمُبْتَدِعٍ اَلاَ وأن لكم عليّ بعد كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثلاثا اتباعَ من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم وسنّ سُنّةِ أهلِ الخيرِ فيما لم تسنوا عن ملاٍ والكفّ عنكم إلا ما استوجبتم اَلاَ وان الدنيا خَضِرَةٌ قد شُهِيَتْ الى الناس ومال اليها كثير منهم فلا تركنوا اليها ولا تثقوا بها فانها ليست بثقةٍ واعلموا انها غير تاركة إلا من تركها انتهى وفى أيام خلافته جمع القرآن وافتتح سابور وافريقية وسواحل الأرْدُنّ وسواحل الروم واصْطَخْرَ وفارس الأولى وطَبَرستان وكِرمان وسجستان والأساورة ومكث يدبر أمر الخلافة اثنى عشر سنة إلا اثنى عشر ليلة حتى كان ما كان من أمور انكروها عليه فقتلوه فى داره مظلوما رحمه الله ورضى عنه وكان السبب فى ذلك على ما يقال أنه بعد أن ولى الخلافة أخَذَ فى تولية الاحداث من قومه وآثرهم على من عداهم من كبار المهاجرين والانصار حتى كاشفه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وقال انك لم تَسِرْ سَيْرَ سلفك عمر رضى الله عنه فأوطأت أهلَ بيتك وقرابتك رقاب المسلمين فقال له عُمَرُ كان يَقْطَعَ قرابته فى الله وأنا أصل قرابتى فى الله فقال له عبد الرحمن بن عوف لله عَلَيَّ أن لا أكلمك أبدا فلم يكلّمْهُ حتى مات ولما تمادي الأمر اجتمع بعضهم وكتبوا كتابا ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من هبته خُمُسَ أفريقية لمروان بن الحكم وفيه حق الله ورسوله ومنهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وما كان من تطاوله فى البنيان حتي عدّوا سبعَ دور بناها بالمدينة وبنيان مروان القصور بذى خُشُب وعمارة الأموال بها من الخُمُسِ الواجب لله ولرسوله وما كان من افشائه الولايات

في أهله وبني عمه أحداثٌ وَغِلْمَةٌ لا صحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالامور وما كان من الوليد بن عقبة عامله بالكوفة اذ صلى بهم الصبح سكران أربع ركعات وتعطيله اقامة الحد عليه إلا بعد أن كلّم فيه وتركه للمهاجرين والأنصار لا يستعملهم ولا يستشيرهم في شيء واستغنائه برأيه وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة وما كان من إجرائه العطايا على اقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي صلى الله عليه وسلم ثم لا يغزون ولا يذبّون وما كان من مجاوزته الخَيْزُرانةَ الى السوط وأنه أولُ من ضرب بالسياط ظهور الناس ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب في يد عثمان فدفعه اليه عمار بن ياسر رضي الله عنه فقرأه وقال له أأنت كتبته قال نعم قال ومن معك قال معي نفر تفرقوا فرقًا منك قال من هم قال لا أخبرك بهم قال فلِمَ اجترأت عليّ فقال مروان بن الحكم وكان حاضرا يا أمير المؤمنين انّ هذا العبد الاسود قد جرّأ الناس عليك وانك ان قتلته نكلت به من وراءه قال عثمان اضربوه فضربوه حتى غشى عليه وجروه وطرحوه على باب الدار فغضب له بنو المغيرة وكان حليفَهم فلما خرج عثمان لصلاة الصبح عرَضَ له هشام بن الوليد بن المغيرة فقال أما والله لئن مات عمار لنقتلن به عظيما من بني أمية فقال عثمان لست هناك وكانت من عثمان هَنَاتٌ الي عبد الله بن مسعود وأبي ذرّ الغفاري فكانت هُذَيْلٌ وبنو زُهْرَةَ في قلوبهم ما فيها لابن مسعود وكانت بنو غفار واحلافها ومن غضب لابي ذرّ في قلوبهم ما فيها وكانت بنو مخزوم أيضا قد حَنِقَتْ على عثمان رضى الله عنه بحال عمار بن ياسر ثم أن عبد الله بن أبي سرح عامله بمصر ضرب رجلا ممن أتى عثمان يشكو اليه فقتله فذهب هدراً وكان كلما شكي الناس أمره الي على بن أبي طالب رضى عنه أرسل الحسن ابنه اليه فلما اكثر قال له يوما إن أباك يرى أن لا أحدَ يعلمُ ما يعلمَ ونحن أعلم بما نفعل فَكُفَّ عنا فلم يبعث عليٌّ رضى الله عنه ابنه في شيء بعد ذلك قالوا وقبلها قال لعليّ رضى الله عنه وقد سأله الناس أن يكلمه إن

الناس قد كلموني أن أكلمك والله ما أدري ما أقول لك وما أعرف شيئا تنكره وما اعلمك شيئا تجهله وما ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك وما نبصرك من عمى وما نعلمك من جهل وان الطريق لبين واضح تعلم ياعثمان أن أفضل الناس عند الله امام عدل هُدِيَ وهَدَى فأحيا سنة معلومة وأمات بدعة مجهولة وأن شر الناس عند الله إمام ضلالة ضَلّ وأُضِلّ به فأحيا بدعة مجهولة وأمات سنة معلومة وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالامام الجائر يوم القيامة ليس معه ناصر ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور دورة الرحى يرتطم بجمرة النار الى آخر الأبد وأنا أُحذرك أن تكون امام هذه الأمة المقتول فانه يقال يقتل في هذه الأمة إمام يُفتح به باب القتل والقتال الى يوم القيامة يمرج بهم في أمرهم ويمرجون فقال له عثمان رضي الله عنه أما والله لو كنت مكانى ما عنفتك ولا أسلمتك ولا عبتُ عليك وكلمته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهي تعظه فقالت يا بُنيّ مالى أرى رعيتك عنك نافرين وعن جناحك ناقرين لاتعف طريقا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبها ولا تقتدح بزند كان عليه السلام أكباه وتوخ حيث توخى صاحباك فانهما ثكما الأمر ثكما [1] ولم يظلما هذا حق أمومتي قضيته اليك وان عليك حق الطاعة فقال عثمان رضي الله عنه أما بعد فقد قلت فوعيتُ ولوصيت فقبلت ولى عليك أن تنصتين لما أقول ان هؤلاء النفر رعاع تتر تعا طأت لهم تطأطؤ الدلاء وتلددت لهم تلدد المضطرب فأرانيهم الحق إخوانا وأراهمونى الباطل شيطانا أجررت المرسون رسنه وأبلغت الراتع مسقاته فتفرقوا على فرقا مضى من صمته أنفذ من صول غيره وساع أعطانى شاهده ومنعنى غائبه فأنا منهم بين ألسنٍ لدادٍ وقلوب شداد وسيوف حداد عذرنى الله منهم أن لا ينهى عالم منهم جاهلا ولا يردع أو ينذر حليم سفيها والله

(١) أى اقتصا الأثر أو لزما الطريق

حسبي وحسبهم يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قالوا وأتاه وفد من أهل مصر يتظلمون اليه من واليها عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح وأنه لما سمع شكواهم أمر بعزله وولى مُحَمَّدَ بن أبي بكر رضى الله عنه مكانه ولما سار محمد بن معه قاصدا مصر زور مروان بن الحكم كاتبه كتابا لابن أبي سرح وختمه بخاتم عثمان وفيه اذا جاءك محمد وفلان وفلان فاحتل على قتلهم وقرّ فى عملك حتى يأتيك رأيي واحتبس من جاء يتظلم منك وبعث مروان بالكتاب عبداً من عبيد عثمان فضبطوه فى الطريق وأخذوا الكتاب منه وقرأوه فرجع محمد بن أبي بكر بمن معه الى المدينة وجمعوا على بن أبي طالب وطلحة والزبير وسعدا رضى الله عنهم اجمعين ومن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حاضرا وعرضوا الكتاب على عثمان رضى الله عنه وقالوا كتبت فينا كذا وكذا فقال انما هما ثنتان أن تقيموا رجلين من المسلمين أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبتُ ولا امليتُ ولا علمتُ وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم على الخاتم قالوا قد أحل الله لنا دمك وحصروه فى الدار وكان رؤساء الوفود أربعة قواد كنانة بن بشر وقيل عبد الرحمن بن عُدَيْس البَلَوِى التُّجِيبيُّ الذى عناه عقبة بقوله بعد قتل عثمان رضي الله عنه ألا أن خير الناس بعد ثلاثة قتيل التجيبى الذى جاء من مصر وسودان بن حمران المرادى وعمرو بن الحَمِق الخزاعى وابن النباع الليثى ومن معهم من قومهم وطلبوا اليه واحدة من ثلاث ليس عنها بد أن يخلع لهم أمرهم أو يقتص من نفسه اوهم قاتلوه

فقال لهم أمّا أن أخلع نفسي فما كنتُ لأخلع سربالا سربلنيه الله فيكون سنةً من بعدي كلما كره القوم إمامهُم خلعوه وأما ان اقتص من نفسى فوالله لقد علمتُ أن صاحبيَّ بين يديَّ كانا يعاقبان وما يقوى بدنى على القصاص وأما ان تقتلونى فلئن قتلتمونى لا تتحابون بعدى أبدا ولا تصلون بعدي جميعا أبدا

فتفرقوا عنه ويقال أنهم سألوه ان يسلم لهم مروان بن الحكم ليحاكموه على تزويره الكتاب فأبى عليهم وكان مروان أصل الشر ثم لزم بيته رضى الله عنه وألان جانبه وحذر كل من يريد نصرته عن أن يقاتل احدا وأشرف عليهم مرة فقال لهم انه لايحل منك دم امرىء مسلم الا فى إحدى ثلاث كفر بعد إيمان أو زنا بعد إحصان أو قتل نفس بغير نفس فهل انا فى واحدة منهن فما وجد القوم له جوابا ثم قال انشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء ومعه تسعة من أصحابه أنا أحدهم فتزلزل الجبل حتى همت حجارته أن تتساقط فقال اسكن حراء فما عليك إلا نبى وصديق وشهيد قالوا اللهم نعم قال شهدوا لى ورب الكعبة قلت وهؤلاء التسعة هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد وسعيد ولم يذكر بينهم أبو عبيدة وهو عاشر العشرة المبشرين بالجنة ثم خطب رضى الله عنه خطبته التى قال فيها بعد حمد الله والثناء عليه أيها الناس والله ماعاب من عاب منكم شيئا اجهله وما جئت شيئا الا وأنا أعرفه ولكني منتنى نفسي وكذبتنى ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زل فليتب ولا يتادى فى الهلكة ان من تمادى فى الجور كان أبعد عن الطريق فانا أول من اتعظ استغفر الله مما فعلت وأتوب اليه فمثلى نزع وتاب فاذا نزلت فليأتنى أشرافكم فليرونى رأيهم فوالله لئن ردنى الحق عبدا لأستنن بسنة العبد ولأكونن كالمرقوق إن ملك صبر وإن أعتق شكر وما عن الله منهب الا اليه فلا يعجزن عنكم خياركم ان يدنوا الى لئن أبت يمينى لتتابعنى شمالى قال فرق له الناس يومئذ وبكي من بكي منهم ولم يشأ الله أن تهدأ الفتنة الى أن انتهت اخيرا بقتله فى داره مظلوما بعد أن حوصر فيها أربعين ليلة قالوا وتسور عليه الحائط محمد بن أبى بكر مع آخرين من دار عمرو بن حزم الأنصارى ويقال أن محمدا تراخت يده لما قال ياابن أخي لورآك ابوك لساءه مكانك ولكنه غمز

أحد أصحابه فوجأه بمشقص حتى قتله وقيل ضربه بالسيف فاتقاه بيده فقطعها فقال أما إنها أول يد خطت المفصل (١) واختلفوا فيمن قتله فبعضهم يقول نيار ابن عياض وبعضهم يقول سودان بن حمران والله أعلم بحقيقة ذلك وكان قتله لثماني عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وعمره اثنتان وثمانون سنة ودفن بالبقيع وقيل بحش كوكب ليلا ورثاه حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه فقال

من سره الموت صرفا لامزاج له ... فليأت مأسدة فى دار عثمانا
مستحقبى حلق الماذى قد سفعت ... فوق المخاطم بيض زان أبدانا
يا ليت شعرى وليت الطير تخبرنى ... ما كان شأن على وابن عفانا

قال بعض الشراح البيت الاخير زاده أهل الشام للتحريض على قتال على بن أبى طالب رضى الله عنه

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحا وقرآنا
لتسمعن وشيكا فى ديارهم ... الله أكبر يا ثارات عثمانا
وقد رضيت بأهل الشام نافرة ... وبالأمير وبالاخوان اخوانا
إنى لمنهم وان غابوا وان شهدوا ... مادمت حيا وما سميت حسانا
صبرا فدى لكم أمى وما ولدت ... قد ينفع الصبر فى المكروه أحيانا
شدوا السيوف بثنى فى مناطقكم ... حتى يحين بها فى الموت من حانا
لعلكم ان تروا يوما بمغبطة ... خليفة الله فيكم كالذى كانا

وبنو أمية يدعون أن لعلي رضى الله عنه يدا فى التحريض على عثمان رضى الله عنه وهو قول مكذوب عليه فقد قال على رضى الله عنه وهو على المنبر والله لئن لم يدخل الجنة الا من قتل عثمان لادخلتها ابدا ولئن لم يدخل النار إلا من

(١) يريد بالمفصل سور من القرآن من الحجرات فنازلا فى أصح الاقوال سميت بذلك لكثرة الفصول بين سورها أو لقلة المنسوخ منها

قتل عثمان لادخلتها أبدا ولولا خوف الاطالة لنقلت كل ماقيل فى ذلك انتهى

(المتن) وبذلتُ لقطامِ

ثَلَاثَةَ آلافٍ وعبْدًا وقَيْنَةً * وضَرْبَ عَلِيٍّ بالحُسَامِ المُصَمَّمِ

(الشرح) البذل العطاء وقطام اسمٌ مبنى على الكسر والمراد به امرأة من الخوارج سيأتى ذكرها والعبد المملوك والقَيْنَة الأَمَة المُغَنّيةُ وقيل الجارية البيضاء مغنية كانت أو غير مغنية يشير الى قول أبى ميّاس المرادى فى عبد الرحمن ابن ملجم لعنه الله الذى قتل الامام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه من أبيات يقول فيها

ولم أر مهرا ساقه ذوسماحة   كمهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثةُ آلاف وعبد وقينةٌ   وضرب علىّ بالحسام المصمم

ونذكر اولا ترجمة الامام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ثم نعقبها ببسط خبر قطام وما كان من أمر عبد الرحمن بن ملجم والسبب فى قتل الامام رضي الله عنه

ذكر الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه

هو الامام على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أول من اسلم من الذكور الصبيان وسنه خمس عشرة سنة وقيل أقل من ذلك ومن المهاجرين الاولين وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحب الناس اليه وزوج ابنته فاطمة رضى الله عنها وأبو الحسن والحسين سيدى شباب أهل الجنة في الجنة شهد معه المشاهد كلها غير تبوك وكان رضى الله عنه بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا تتفجر الحكم من جوانبه وينطق العلم من نواحيه بطلا فى الحروب لايقارع اذا علا بالسيف قد واذا اعترض قط وما نازله قِرْنٌ من أبطال الجاهلية المعروفين إلا اخذه وجندله له السابقية فى الاسلام والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال فيه على سيد المؤمنين وولى المتقين

وقائد الغر المحجلين وقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه (١) وأدر الحق على لسانه كيفما دار وقال له أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبوة بعدي وجلله صلى الله عليه وسلم هو وفاطمة والحسن والحسين كساء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ولما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه جاء علي رضي الله عنه فقال يارسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت أخي في الدنيا والآخرة ويوم خيبر قال لأعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فقال أين علي بن أبي طالب قالوا يارسول الله انه يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فلما أتى بصق في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال يارسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال له انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم أدعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لئن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وفضائله مشهورة لاتحصي وكان كثير التهجد زاهدا في الدنيا غزير العلم كثير الوعظ فصيحا بليغا بويع له بالخلافة بعد قتل عثمان رضي الله عنه وهو كاره لما لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين هجرية والناس في اضطراب وقد ذكرنا ما كان في خلافة عثمان رضي الله عنه من الفتنة التي انتهت بقتله رضي الله عنه فرقي المنبر وخطب أول خطبة قال فيها بعد أن حمد الله وأثنى عليه ان الله أنزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر الفرائض أدوها الى الله سبحانه يؤديكم الى الجنة ان الله حرم حرما غير مجهولة وفضل

---

(١) يروى أن هذا الحديث قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم في علي رضي الله عنه والشيعة تتمسك به وتعادي من عاداه

حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالأخلاص والتوحيد المسلمين والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق لا يحل أذى المسلم الا بما يجب بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم الموتُ فان الناس أمامكُم وان ما مِنْ خَلْفِكُم الساعة تحدوكم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر الناس أخراهم اتقوا الله عباد الله فى عباده وبلاده . انكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم أطيعوا الله عزوجل ولا تعصوه واذا رأيتم الخير فخذوا به واذا رأيتم الشر فدعوه واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض انتهى وكان أوّلَ من مدّ يده اليه وبايعه طلحةُ بن عبيد الله وكانت يده شلاَّء فتطيّر منها وقال ما أخلقها أن تنكثَ ثم بايعه الزبير بن العوّام وبقية المهاجرين والانصار رضى الله عنهم ولكن طلحة والزبير رضى الله عنهما استأذناه فى العُمْرَة فأذن لهما فلحقا بمكة ثم نكثا بيعته وكانت عائشة أم المؤمنين بمكة ولما عادت منها بلغها فى الطريق قبل وصولها المدينة خبر مقتل عثمان والبيعة لعلىّ رضى الله عنهما فرجعت أدراجها ثم اجتمع عليها طلحة والزبير رضى الله عنهما وائتمروا على الذهاب الى البصرة فيمن معهم من بنى أمية وغيرهم الذين هربوا من المدينة ليطالبوا بدم عثمان فنهض علىّ رضى الله عنه بالناس من المدينة قاصدا البصرة ليلحق بالقوم فيردّهم وكتب بعزل عمال عثمان رضى الله عنه عن الأمصار فأبى معاوية بن أبى سفيان أن يعتزل أو يبايع وقد علم بخروج طلحة والزبير وعائشة كما قدمنا فاستصرخ أهل الشام على القتال وكان ما كان من وقعة الجمل مع عائشة رضى الله عنها بالبصرة سنة ست وثلاثين ومقتل طلحة والزبير ووقعة صِفّين بالشام مع معاوية بن أبى سفيان وأمرِ الحكمين أبى موسى الاشعرى من قبَلِ علىّ وعمْرِو بن العاص من قبل معاوية وما خدع به عمروٌ أبا موسى بان اتفق معه على أن يخلعا عليّاً ومعاوية ويُقيم المسلمون لهم خليفةً يختارونه فتقدم ابو موسى واشهد من حضر أنه خلعهما فوافق عمرو على خلع علىّ ولم يخلع معاوية فانكر قومٌ من أصحاب علىّ رضى الله عنه أمر الحكمين

وكفّروا عليّاً ومعاوية ومن كان معهما بصفين وقالوا لا حكم الا لله ولرسوله وخرجوا على عليّ رضى عنه فسموا الخوارج وقد كان خروجهم بلاءا ومحنة وكانوا على ما يقال أربعة آلاف غوغاء لا رأس لهم فذهب اليهم عليّ رضى الله عنه فقاتلهم بالنَّهْرُوان فلم يَفْلِتْ منهم سوى تسعة أنفس فى أخبار طويلة لا يسع المقام سردها ولما استقر عليّ بالكوفة وهو يتجهز لحرب معاوية بالشام تصدى له عبد الرحمن بن ملجم المرادي وكان من بقية الخوارج فرصد له وقت الفجر وهو يريد أن يدخل داره بعد أن خرج منها وايقظ الناس لصلاة الصبح فضربه بالسيف على قَرْنه فشجه ووقع السيف فى الجدار ومات رحمه الله فى سابع عشرة رمضان سنة أربعين وصلى عليه ابنه الحسن ودفن بقصر الامارة بالكوفة وعمى قبره لئلا تنبشه الخوارج فلذلك لم يعرف محله الآن وقيل أنه نُقِل بعد صلح الحسن ومعاوية الى المدينة والله اعلم وكان رضى الله عنه آدم شديد الأُدْمَةِ ثقيل العينين عظيمهما ذا بطن أصلع وهو الى القِصَر أقرب ومكث فى الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر كانت كلها فتن وحروب وقتل وهو ابن ثلاث وستين سنة وقيل أقل من ذلك والله أعلم وممن رثاه أبو بكر بن حماد فقال

وهزّ عليّ بالعراقين لِحْيَةً ... مُصيبتها جلّت على كل مسلم
وقال سيأتيها من الله حادث ... يُخَضِّبُها أشقى البريّة بالدم
فباكره بالسيف شلت يمينه ... لشؤم قَطَام عنه زل ابن ملجم
فياضربةً من خاسر ضل سعيه ... تبوأ منها مقعدا فى جهنم

وقال السيد الحميرى الشاعر أيضا وكان شيعيا

إنى ادين بما دان الوصى به ... وشاركتْ كفُّه كفى بصِفّينا
فى سفك ماسفكت منها اذا احتضروا ... وابرز الله للقسط الموازينا
تلك الدماء معا يارب فى عنقى ... ثم اسقنى مثلها آمين آمينا

ولم يَرْثِهِ حسان بن ثابت لأنه كان عثمانياً انتهى وأما حكاية قَطَامِ فقد ذكروا أن ثلاثة من الخوارج الذين نجَوْا من القتل يوم النهروان وهم عبد الرحمن بن مُلجم المرادي والبُرَكُ بن عبد الله المعروف بِزادَوَيْه مولى بني العنبر وعمرو بن بكر التميمي اجتمعوا فتذاكروا الناسَ وعابوا على وُلاتهم ثم ترحموا على أهل النهروان وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئاً لإخواننا الذين كانوا دُعاةَ الناس لعبادة ربهم والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمةَ الضلال فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد وثأرنا بهم اخواننا (قلت ولذلك سُمُّوا الشُّراة) فقال ابن ملجم أنا أكفيكم عليّ بن أبي طالب وقال البرك بن عبد الله أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان وقال عمرو بن بكر والله ما عمرو بن العاص بدونهما فانا له فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا يَنْكُص رجل منهم عهد صاحبه الذي توجه اليه حتى يقتلَهُ أو يموت دونه فاخذوا سيوفهم فسموها واتّعدوا السبع عشر ليلة تخلو من شهر رمضان أن يثِبَ كل واحد منهم على صاحبه الذي توجه اليه واقبل كل رجل الى المصر الذي فيه صاحبه فاما ابن ملجم فكان عِدادُهُ في كِنْدَةَ فخرج فلقي أصحابه بالكوفة فكتمهم أمره كراهية أن يفشوه وانه لقي امرأة ذات يوم من تَيْم الرِّبابِ يقال لها قطام ابنة علقمة وقيل ابنة الشِّجْنَة وقد قتل أبوها واخوها يوم النهروان وكانت ذات جمال فلما رآها أخذت بعقله ونسي حاجته التي جاء لها ثم خطبها فقالت لا أتزوج منك الا بشروط ثلاث أحدها ثلاثة آلاف درهم وثانيها عبدٌ وقينة وثالثها قتل عليّ بن أبي طالب فقال لها أما المال والعبد والقينة فنعم وأما قتل علي ابن طالب فلا أراكِ ذكرته لي وأنت تريدينني قالت بل التمس غِرّته فان أصبتَ شفيتَ نفسك ونفسي ويهنئك العيش معي وان قُتِلتَ فما عند الله خير وأبقى من الدنيا وزينتها قال والله ما جئت الى هذا المصر الا لقتل عليّ فلك ماسألت فتزوجها على ما اشترطت وأقام عندها مدة فقالت له يوما لطالما أحببتَ المكث

عند أهلك وأضربت عن الامر الذى وعدتني به فقال لها إن لى وقتا مع أصحابي لاأتجاوزه فلما كان اليوم الذي تواعدوا فيه خرج الملعون وقعـد لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه حين خروجه لصلاة الصبح كما قدمنا وضربه على قرنه بالسيف فشجه وقال الحكم لله لالك ياعلى (يشير الى أمر الحكمين) ولما قبضوا عليـه وسئل قال أما انا فقد أرهفت السيف وطردت الخوف وحثثت الامل وبقيتُ الرَّجلَ وضربت ضربة لو كانت بأهل عكاظ قتلتهم فأخذوه ودخلوا به على رضى الله عنه فقال له أى عدو الله ألم أحسن اليك قال بلى قال فما حملك على هذا قال شحذت سيفى أربعين صباحا وسألت الله ان يقتل به شر خلقه فقال عليه السلام لاأراك إلا مقتولا به ولا أراك إلا من شر خلقه ثم أوصي أن يلينوا فراشه ويطيبوا طعامه وقال إن أنا مت من ضربته هذه فيضرب ضربة بضربة ولا تمثلوا به فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إياكم والمثلةُ ولو بالكلب العقور فلما توفى رضى الله عنه قُدّم ابن ملجم للقتل فقتل وأخذه الناس فى بوارِى (حُصرٍ) ثم أحرقوه بالنار واما البرك بن عبد الله فانه في تلك الليلة التي ضرِب فيها على رضى الله عنه قعد لمعاوية بن أبى سفيان فلما خرج ليصلى النداة اشتد عليه بسيفه فوقع السيف فى أليته فأخذ فقال ان عندى خبَرًا أُسُرّكَ به فان لخبرتك فنافعى ذلك عندك قال نعم قال ان اخاً لى قتل عليا فى هذه الليلة قال فلعله لم يقدر على ذلك قال ان عليا يخرج ليس معه من يحرسه فأمر به معاوية فقتل وبعث الى الساعدى وكان طبيبا فلما نظر اليه قال اختر احدى خصلَتينِ إما ان احمى حديدة فأضعها موضع السيف لأن ضربتك مسمومة واما أن اسقيك شربة تقطع الولد منك وتبرأ منها قال معاوية أما النار فلا صبر لى عليها واما انقطاع الولد فان فى يزيد وعبدالله ماتقرّ به عينى فسقاه تلك الشربة فبرأ ولم يولد له بعدها وحينئذ أمر معاوية بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرطة على رأسه اذا سجد وأما عمرو بن بكر

فجلس لعمرو بن العاص تلك الليلة فلم يخرج وكان قد اشتكى بطنه ابن حزافة العدوى وقيل خارجة بن حبيبة صاحب شرطته فخرج يصلى بالناس فشد عليه عمرو وهو يرى انه عمرو بن العاص فضربه فقتله فأخذه الناس وانطلقوا به الى عمرو بن العاص فرآهم يسلمون عليه بالامرة فقال من هذا قالوا الامير عمرو ابن العاص قال فمن المقتول قالوا خارجة فقال أردت عمراً وأراد الله خارجة فقدمه عمرو بن العاص فقتله انتهى .

(المتن) وَكَتَبْتُ الى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ أَنْ جَعْجِعْ بِالْحُسَيْنِ

الشرح الجعجعة صوت الرحى ومنه المثل اسمع جعجعة ولا أرى طحنا يُضْرَبُ لمن يعد ولا يفى وتطلق الجعجعة ايضا على الحبس والتضييق وهو المراد هنا يشير الى كتاب عبيد الله بن زياد الى عمر بن سعد بن أبى وقاص حينما انتدبه لقتال الحسين بن على رضى الله عنه ونصه . أما بعد فجعجع بالحسين بن على واصحابه بالمكان الذى يوافيك كتابى فيه ولا تحلّهُ الا بالعرَاء فى غير حصن وعلى غير ماء وقد امرت رسولى ان يلزمك ولا يفارقك حتى يأتينى بانفاذك امرى والسلام وقد ذكر الطبرى فى تاريخه أن هذا الكتاب الى الحُرّ بن يزيد التميمى بحروفه وأما كتابه الى عمر بن سعد فنصه أما بعد فحل بين الحسين وأصحابه وبين الماء لا يذوقوا منه قطرة كما صنع بالتقى الزكى المظلوم امير المؤمنين عثمان ابن عفان والله أعلم وعمر بن سعد هذا ابوه سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما ابن مالك بن اهيب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى من اكابر القرشيين وأحد النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالاسلام فصلوا وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من عند الله ومن المهاجرين الاولين وممن شهد بدرا وقاد السرايا فى حياة رسول صلى الله عليه وسلم واحد العشرة المبشرين بالجنة وكان عمر ابنه من عمال يزيد بن معاوية بن أبى سفيان فى خلافته ولحق بعبيد الله بن زياد بالكوفة

لما بعثه اليها يزيد حينما اهمه امر الحسين رضى الله عنه فكان من أعوانه وانصاره وحضر قدوم مسلم بن عقيل بن أبى طالب الكوفة لما بعثه الحسين رضى الله عنه اليها لأخذ البيعة له وشاهد القبض عليه وما كان من تفرق أصحابه الذين بايعوه من أهل العراق عنه وخذلانه كما سيجيء ولما أمر ابن زياد بقتله طلب أن يوصى فنظر فى وجوه جلساء عبيد الله فرآي عمر بن سعد فدعاه اليه فأبى فأمره ابن زياد باجابته فخلا به وأوصاه بما أراد وفيما أوصاه به أن أبعث الى حسين بمكان كذا من برده فلما سمع كلامه افشاه الى عبيد الله بن زياد فيقال ان ابن زياد قال له أما وقد دللت عليه فلا يقاتله إحد غيرك وكان قبل ذلك ولاه الري فصرفه عنها وجهزه لقتال الحسين رضى الله عنه فسار اليه فقتله ولم يمهله الله كثيرا حتى سلط عليه المختار بن أبى عبيد الثقفى فقتله وابنه وقتل أيضا عبيد الله بن زياد وشمر ابن ذى الجوشن وغيرهم ممن اشترك فى قتل الحسين رضى عنه ثأرا بأهل البيت وكان ذلك فى سنة ست وستين هجرية وقد اكتفينا من ترجمة عمر بن سعد بهذا اليسير اذ لا حاجة للتوسع فيها ونأتى على ترجمة الحسين بن على رضى الله عنه ايفاء لموضوع كتابنا فنقول

ذكر الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وقيامه بطلب الخلافة وقتله

هو الحسين بن على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم وبقية النسب معلوم ويكنى أباعبدالله وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد شباب أهل الجنة وشهيد هذه الأمة ولد رضى الله عنه بالمدينة فى شهر شعبان لليال خلون منه سنة أربع من الهجرة وترعرع ونشأ بها وهو من عرف مكانه وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نطيل القول فيه وكفى ما قاله جده صلى الله عليه وسلم فيه حسين منى وأنا من حسين ولم يبايع النبى صلى الله عليه وسلم صغير اقط الا الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وفي الحديث الشريف عن أم سلمة زوج النبي

صلي الله عليه وسلم قالت كان عندي النبي صلى الله عليه وسلم ومعي الحسين فأخذته فبكى فتركته فدنا منه فأخذته فبكى فتركته فأتى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل فقال أتحبه يا محمد قال نعم قال ألا ان امتك ستقتله وان شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها فبسط جناحه فأراه منها فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر صاحب كتاب نظم السمط في خبر السبط أنه وجد في حجر مكتوبا قبل البعثة بألف سنة ماصورته

أترجو أمة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب

وحديث خلافة أخيه الحسن رضي الله عنه وتاركه عنها لمعاوية بن أبي سفيان في سنة احدى وأربعين وهو علم الجماعة معلوم مشهور ومات الحسن رضي الله عنه في سنة تسع وأربعين واستبد معاوية بن أبي سفيان بالخلافة ونقل مركزها من الحجاز الى دمشق الشام من حينئذ حتى انتزعها العباسيون ونقلوها الى بغداد ولما دنا أجله عهد بها الى يزيد ابنه فبويع له بالخلافة في رجب سنة ستين عقب وفاة أبيه فلما بلغ الخبر حسينا رضي الله عنه خرج من المدينة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب قاصدا مكة ساخطا على خلافة يزيد منكرا بيعته فأتاه ابن عباس رضي الله عنه قبل السفر فسأله اين تريد قال العراق لأخذ بيعتي فقال له ان اهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم أقم بهذا البلد فانك سيد اهل الحجاز فان كان أهل العراق يريدونك فاكتب اليهم فلينفوا عدوهم ثم اقدم عليهم بعد ذلك فان ابيت الا ان تخرج فسر الى اليمن فان بها حصونا وشعابا وهي ارض طويلة عريضة ولأبيك بها شيعة وانت من الناس في عزلة فأبى عليه الا المسير الى الكوفة فقال له اذاً لا تأخذ معك نساءك وصبيانك فابى ايضا ولما سمع ابن عمر رضي الله عنه بخروجه وكان غائبا لحقه في الطريق على ثلاث مراحل من المدينة فقال له اين تريد قال العراق واخرج له كتب القوم وقال هذه بيعتهم وكتبهم

فناشده الله أن يرجع فأبى فقال له أحدثك بحديث ماحدثت به أحدا قبلك ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم يُخَيِّرُهُ بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة وانكم بضعة منه فوالله لا يليها احدمن أهل بيته أبدا وماصرفها الله عنكم الا لماهو خير لكم فارجع فأنت تعرف غدر أهل العراق وما كان يلقى ابوك منهم فأبى الرجوع فاعتنقه وقال له أستودعك الله من قتيل ومرّ فى طريقه على عبدالله بن مطيع العَدَوِيّ على بئر له فنزل عليه فقال له الى أين أباعبدالله قال الى العراق لأن معاوية بن أبى سفيان مات وجاءنى أكثر من حمل جمل صحفا من أهل العراق لأخذ بيعتى قال لا تفعل فوالله ماحفظوا أباك وكان خيرا منك فكيف يحفظونك فأبى رأيه وكتب اليه عامل المدينة عمرو بن سعيد الاشدق كتابا رقيقا ليكف ويرجع فلم يقبل ولم أر أحدا وافقه على هذا الخروج الا القَدَرُ المكتوبُ فسار حتى وصل مكة فدخلها ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان سنة ستين وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قد أنكر بيعة يزيد أيضا وسبق الحسين الى مكة بيوم واحد من طريق الفُرْع متنكبا الطريق الاعظم فأقاما بمكة معاً ومال الناس للحسين رضى الله عنه وكثروا عنده ثم سار من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذى الحجة سنة ستين قاصدا الكوفة وكان قد بعث ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه اليها فى اليوم الذى خرج فيه من مكة فوصلها مسلم بعد جهد شديد وبايع له باسم الحسين ثمانية عشر ألفا من أهلها وكان النعمان بن بشير عاملا ليزيد بن معاوية على الكوفة فبلغه خبر مسلم وكان النعمان بن بشير رجلا حليما يحب العافية فتراخى بعض الشىء فى أمره فكتبت شيعة يزيد الى يزيد فيه فعزله وكتب الى عامله بالبصرة عبيد الله بن زياد كتابا يقول فيه اما بعد فانه كتب الىّ شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني ان ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشق عصا المسلمين فسِرْ حين تقرأ كتابى هذا حتى تأتى الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى

تشققه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه والسلام فلما وصله الكتاب قام خطيبا بالبصرة فرقى المنبر فقال أما بعد فوالله ما تقرن بى الصعبة ولا يقعقع لى بالشنان وانى لنكل لمن عادانى وسم لمن حاربنى أنصف القارة من راماها(١) يا اهل البصرة ان أمير المؤمنين ولانى الكوفة وانا غاد اليها الغداة وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد ابن أبي سفيان فاياكم والخلاف والارجاف فوالذى لا اله غيره لئن بلغنى عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعريفه ووليه ولآخذن الادنى بالأقصى حتى تسمعوا لى ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق انا ابن زياد اشبهته من بين من وطىء الحصي ولم ينتزعنى شبه خال ولا ابن عم ثم خرج من البصرة فدخل الكوفة فى قلة من رجاله واحتاط للأمر وبث العيون على مسلم بن عقيل الذي كان نازلا فى دار هانئ ابن عروة وكان شريك بن الاعور قد سار الى الكوفة قبل عبيد الله وكان شيعياً فلما قدمها ودخل دار هانئ بن عروة ورأى مسلما ثم مرض فقال لهانئ مر مسلما ان يكون عندى فان عبيد الله بن زياد يعودنى وقال لمسلم أرأيتك ان أمكنتك من عبيد الله أضاربه أنت بالسيف قال نعم وجاء عبيد الله شريكا يعوده فى منزل هانئ وقد قال شريك لمسلم اذا سمعتنى أقول اسقونى ماء فاخرج اليه فاضربه بالسيف وجلس عبيد الله على فراش شريك فقال شريك اسقونى ماءا ثلاث مرات فلم يخرج اليه مسلم وخرج عبيد الله سالما ويقال أن شريكا لما قال اسلم تخرج

(١) هذا مثل يضرب لمن انصف من نفسه والقارة قبيلة وهم عضل والديش ابنا الهون بن خزيمة والنسبة اليها قارى وأصل المثل ان رجلين التقيا احدهما قارى فقال القارى للثانى ان شئت صارعتك وان شئت سابقتك وان شئت راميتك فقال الآخر قد اخترت المراماة فقال القاري قد أنصفتنى وأنشأ يقول

قد أنصف القارة من راماها ... انا اذا مافئة نلقاها ... نرد أولاها على أخراها

ثم انتزع له بسهم فشك فؤاده اه

الى عبيد الله وتمثله قام هانئ بن عروة وقال له انى لا أحب أن يقتل فى دارى كأنه استقبح ذلك فلما انصرف عبيد الله سالما وخرج مسلم قال له شريك مامنعك من قتله قال خصلتان اما احداهما فكراهة هانئ ان يقتل فى داره واما الاخرى لحديث حدثه الناس من النبى صلى الله عليه وسلم ان الا [illegible] مؤمن فقال هانىء اما والله لو قتلته لقتلت فاسقا فاجرا كافرا غادرا ولكنى كرهت أن يقتل فى دارى ولبث شريك ثلاثا ثم مات رحمه الله وقد احتال عبيد الله بن زياد على هانئ بن عروة حتى أتى به الى داره فقال ايه ياهانئ ماهذه الامور التى تربص فى دورك لأمير المؤمنين جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال وظننت أن ذلك يخفى على فانكر هانئ ذلك فأراه عبيد الله العين الذى أخبره وكان العين رجلا يختلف الى هانئ ويعرفه فأقر هانئ فقال ابن زياد أبدى الصريح عن الرغوة فقال هانئ انه أتانى وسألنى النزول على فاستحييت من رده وادخلته دورى واضفته وآويته ولك الله على ان لا أبغيك سوءا وان شئت أعطيتك رهينة تكون فى يدك حتى انطلق اليه وأخرجه من دورى الى حيث شاء من الارض وأخرج من زمامه وجواره فقال عبيدالله لاوالله لاتفارقنى أبدا حتى تأتينى به فقال والله لا آتيك به أبدا فكثر الكلام بينهما فقال عبيدالله ادنوه منى فأدنوه فقال والله لتأتينى به أو لأضربن عنقك قال اذا تكثر البارقة حول دارك فقال والهفا عليك أبا لبارقة تخوفنى وكان هانئ يظن ان عشيرته مذحج سيمنعونه فقام اليه عبيد الله فاستعرض وجهه بالقضيب فلم يزل يضرب أنفه وجبينه وخده حتى كسر أنفه وسيل الدماء على ثيابه ولم يجد هانئ مايذود به عن نفسه ثم قال خذوه فى بيت من بيوت الدار واغلقوا عليه بابه واجعلوا عليه حرسا فبلغ مسلم بن عقيل ما حل بهانئ فنادى فى أصحابه وكانوا أربعة آلاف ممن بايعوه حاضرين واقبل على قصر ابن زياد فلما بلغ ابن زياد الخبر تحرز فى القصر

واغلق الأبواب ثم بث ابن زياد أياديه لتخذل الناس عن ابن عقيل وتخوفهم الحرب فلم يمض وقت حتى تفرقوا عن مسلم وما معه ثلاثون نفسا من ذلك العدد فخرج نحو أبواب كِنْدَةَ فما بلغ الابواب ومعه منهم عشرة ثم خرج من الباب والتفت فاذا هو لا يرى ولا يحس بأحد يدله على الطريق ولا على منزل فمضى على وجهه يتلدد فى أزقة الكوفة لا يدرى أين يذهب حتى خرج الى دور بني جَبَلَةَ من كندة فمشى حتى انتهى الى باب لمرأة فطلب اليها ماءا فسقته فدخلت وخرجت فرأته واقفا بالباب فارتابت فيه فاخبرها وانتسب لها فادخلته دارها واكرمته فاتى ولدها فعلم به فانطلق فاخبر عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وهذا أتى اباه عند ابن زياد واسر اليه الخبر فاعلم به ابن زياد فبعث فى طلبه ستين أو سبعين رجلا فذهبوا اليه واقتحموا الدار فقاتلهم فيها فلما اعجزهم اشرفوا عليه من ظهر البيت ورموه بالحجارة فلما رأى ذلك خرج عليهم بسيفه فى السكة فقاتلهم أيضا حتى أثخنوه بالجراح وأخيرا قبضوا عليه بأمان من محمد بن الاشعث ولما وصلوا به الى ابن زياد تكلم بن الاشعث بما كان من أمانه له فقال له عبيد الله بن زياد ما أنت والامان انما ارسلناك لتأتينا به فسكت ثم أن عبيد الله قال لمسلم لاقتلنك قتلة لم يُقْتَلْها أحد فى الاسلام واقبل عليه يشتمه ويشتم حسينا وعليا وعقيلا وجاوبه مسلم بما قدر عليه واخذ يسكت ولما استيقن بالقتل طلب أن يُوَصّي فنظر فى وجوه الناس من جلساء عبيد الله وفيهم عمر بن سعد بن أبى وقاص فدعاه اليه وقال له أن بينى وبينك قرابة ولى اليك حاجة وهى سر فابى أن يختلى به فقال له عبيد الله لا تمتنع أن تنظر فى حاجة ابن عمك فقام اليه فقال له مسلم إن عَلَيَّ كذا وكذا دَيْنًا فاقضِهِ عنى ثم استوهب جُثَّتى من ابن زياد فوارِها وابعث الى حسين من يرده من مكان كذا فقال عمر بن سعد لابن زياد أتدرى ما قال أنه ذكر كذا وكذا فقال له ابن زياد لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن ثم

أمر بمسلم فأخذوه واشرفوا به على موضع الجزارين فضربوا عنقه وقيل رمى به من فوق القصر فتقطع فمات وأمر بهانئ بن عروة فأخرجوه من الدار وذهبوا به الى السوق وهو مكتوف فجعل يقول وامذحجاه وأين منى مذحج فضربوا عنقه وبعث برأسيهما الى يزيد بن معاوية ولم تدفع مذحج عن هانئ شيئا وفى ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدى الشاعر من أبيات وقيل إنها للفرزدق

فان كنتِ لا تدرين ما الموت فانظرى ... الى هانئ فى السوق وابن عقيل
الى بطل قد هشم السيف وجهه ... وآخر يهوى من طمار قتيل
أصابهما أمر الامير فأصبحا ... أحاديث من يسرى بكل سبيل
ترى جسدا قد غيَّر الموت لونه ... ونضح دم قد سال كلَّ مسيل

وأما حسين رضى الله عنه فانه سار حتى اذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال لقيه الحرُّ بن يزيد التميمى فقال له أين تريد قال أريد هذا المصر فقال له أرجع فانى لم أدع لك خلفى خيرا ارجوه فهمَّ أن يرجع وكان قد بلغه قتل مسلم وهانئ فقال له إخوة مسلم لا ترجع حتى نصيب ثأرنا أو نقتل فقال لا خير فى الحياة بعدكم فسار فلقيته أوائل خيل عبيد الله بن زياد وكانت عدة أصحاب الحسين رضى الله عنه خمسا واربعين فارسا ومائة راجل وكان الحرُّ بن يزيد قد لازمه فقال له الحر قد أمرنا عبيد الله أن لا نتركك حتى نأتى بك فانطلق بنا اليه فقال له الحسين رضى الله عنه اذاً والله لا اتبعك ولما كثر الكلام بينهما قال له الحر إنى لم أؤمر بقتالك وانما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة فاذا أبيت فخذ طريقا لا تدخلك الكوفة ولا تردك الى المدينة تكون بينى وبينك نصفة حتى اكتب الى ابن زياد وتكتب اليه أنت أو الى يزيد فلعل الله أن يأتى بامر يرزقنى فيه العافية من أن أبتلى بشىء من أمرك قال فتياسر الحسين عن طريق العذيب والقادسية وسار فى أصحابه والحر يسايره فأتى ذا حُسُم وأقبل أربعة نفر على رواحلهم يريدون

الانضمام الى الحسين رضى الله عنه وأنشده الطرِمّاح الشاعر المشهور واسم أبيه عَدِىّ أبياتا اضربنا عنها وكان دليلَ الثلاثة الذين معه فى الطريق فاقبل الحر بن يزيد الى الحسين وقال له أن هؤلاء النفر ليسوا من أصحابك وهم من أهل الكوفة وانا حابسهم أو رادّهم فقال له الحسين لامنعنّهم مما امنع منه نفسى انهم أنصارى واعوانى فكف عنهم الحر ثم قال لهم الحسين رضى الله عنه لتخبرونى خبرَ الناس وراءكم فقال له احدهم اما اشراف الناس فقد أُعظِيَتْ رِشوتُهُمْ وملئت غرائرهم يستمال ودهم ويستخلص به نصيحتهم فهم ألبٌ واحد عليك واما سائر الناس بَعْدُ فان أفئدتهم تهوى اليك وسيوفهم غدا مشهورة عليك ثم عرض عليه الطرماح أن يسير به الى أَجَأ وهو جبل طيء فيحمونه ويضربون بين يديه فلا يوصل اليه وفيهم عَيْنٌ تَطْرِفُ فشكره وأبى عليه فودعه وذهب ومضى الحسين رضي الله عنه الى قصر بنى مقاتل ثم أسفل عنه واخذ يتياسر باصحابه يريد أن يفرقهم فيأتيه الحر بن يزيد فيردهم فيردوه فجعل اذا ردهم الى الكوفة ردا شديدا امتنعوا عليه فارتفعوا فلم يزالوا يتسايرون حتى انتهوا الى نِينَوَى بقرب المكان الذى نزل به الحسين رضي الله فاتى راكب من عند عبيد الله بن زياد الى الحر بن يزيد بكتاب يقول فيه أما بعد فجعجع بالحسين واصحابه بالمكان الذى يوافيك كتابى فيه الخ. وقد ذكرنا صورته فى أول الترجمة فأغنى عن الاعادة فقال لهم الحر هذا كتاب الامير عبيد الله بن زياد يأمرنى فيه أن اجعجع بكم فى المكان الذى يأتينى فيه كتابه وهذا رسوله وقد أمر أن لا يفارقني حتى أنفذ رأيه وأمره قال وأخذ الحر القوم بالنزول فى ذلك المكان على غير ماء ولا فى قرية فقالوا دعنا ننزل فى هذه القرية يعنون نِينَوَى أو فى هذه القرية يعنون الغاضِرا أو فى هذه الأخرى يعنون شَفِيَّةَ فقال لهم والله لا أستطيع ذلك هذا رجل قد بعث على عَيْنًا فلما كان من الغد قدم عليهم عمر بن سعد من الكوفة فى أربعة آلاف وكان قد

ولاه بن زياد على الرَّيّ ثم بدا له أن يصرفه الى قتــال الحسين رضى الله عنــه فاستعفاه فلم يعفه فأتى الحسين وتكلم معه وما كان غير قليل حتى وافاه كتاب ابن زياد يقول فيه أما بعد فحل بين الحسين وأصحابه و بين الماء الخ وقد مر عليك باقيه فى أول الترجمة قال فبعث عمر بن سعد خمسمائة فارس فأتاهم فنزلوا على [illegible] (مورد الماء) وحالوا بين الحسين وأصحابه عن الماء أن يُسقَوْا منه قطرة وكان ذلك قبل قتل الحسين بثلاث قالوا والتقى حسين رضى الله عنه بعمر بن سعد مرارا وتكلما مع بعضهما ثم كتب عمر بن سعد الى عبيد الله بن زياد يقول أما بعد فان الله قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة واصلح أمر الأمة هذا حسين قد أعطانى ان يرجع الى المكان الذى منه أتى أو أن نسيره الى أى ثغر من ثغور المسلمين شئنا فيكون رجلا من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم أو ان يأتى يزيد أمير المؤمنين فيضع يده فى يده فيرى فيما بينه وبينه رأيه وفى هذا لكم رضى وللأمة صلاح فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال هذا كتاب رجل ناصح لأميره مشفق على قومه نعم قد قبلت فقام اليه شِمْر بن ذى الجوشن فقال له اتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك الى جنبك والله لئن رحل من بلدك ولم يضع يده فى يدك ليكونن أولى بالقوة والعز منك ولتكونن أولى بالضعف والعجز فلا تعطه هذه المنزلة فانها من الوهن ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه فأنت ولى العقوبة وان عفوت كان ذلك لك فقال ابن زياد نعم ما رأيت ثم ان عبيد الله دعا شِمْر بن ذى الجوشن وقال له اخرج بهذا الكتاب الى عمر بن سعد فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمى فان فعلوا فليبعث بهم الى سلما وان هم أبوا فليقاتلهم فان فعل فاسمع له وأطع وان أبى فقاتلهم أنت وكن أمير النــاس وثب عليه فاضرب عنقه وابعث الى برأسه وكان كتاب عبيد الله بن زياد الى عمر ابن سعد أما بعد فانى لم أبعثْكَ الى حسين لتكف عنــه ولا لتطاوله ولا لتمنيــه السلامة والبقاء ولا لتقعد له عندى شافعا فانظر فان نزل حسين وأصحابه على

الحكم واستسلموا فابعث بهم الى سلما وان أبوا فازحف اليهم حتى تقتلهم فانهم لذلك مستحقون فان قتل حسين فاوطئ الخيل صدره وظهره فانه عاق مشاق قاطع ظلوم وان أبيت فاعتزل عملنا وجندنا وخل بين شمر بن ذى الجوشن وبين العسكر فانا قد أمرناه بامرنا والسلام فلما قدم ابن ذى الجوشن على عمر بن سعد فقرأ عليه الكتاب قال عمر مالك ويلك لاقرب الله دارك وقبح ماجئت به أفسدت علينا أمرنا لا يستسلم والله حسين إن نفسا أبية لبين جنبيه فقال له شمر ما أنت صانع أتمضى لأمر أميرك وتقتل عدوه والا فخل بينى وبين الجند قال لا ولا كرامة انا أتولى ذلك دونك وكن أنت على الرجال ولما أخبر عمر بن سعد الحسين رضى الله عنه قال والله لا انزل على حكم ابن مرجانة ثم وقع القتال وكان مع عمر من قريش ثلاثون رجلا من أهل الكوفة فقالوا يعرض عليكم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال لا تقبلون منها واحدة فتحولوا مع الحسين وقاتلوا معه الى ان قتلوا وممن عدل معهم من اصحاب عبيد الله بن زياد الحر ابن يزيد التميمي الذى تقدم ذكره فانضم الى الحسين رضى الله عنه وقال له جئتك تائبا ووالله ما كنت اظن أن يصل القوم معك الى هذا الحد فقبل توبته ودعا له بخير فقاتل معه الى أن قتل رحمه الله ولما أيقن الحسين رضي الله عنه أنهم قاتلوه قام فى أصحابه خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال نزل بى من الأمر ما ترون وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت جدا فلم يبق منها الا كصبابة الاناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون أن الحق لا يعمل به والباطل لا ينهى عنه ليرغب المؤمن فى لقاء الله فانى لا أرى الموت الا شهادة ولا الحياة مع الظالمين الا ذلا وندما فقاتل مع اصحابه حتى قتل وقتل معه من أهل بيته عباس ابن على وجعفر اخوه وخمسة من بنى عقيل وابنان لعبد الله بن جعفر عون ومحمد وثلاثة من بنى هاشم وغيرهم رحمهم الله أجمعين وذلك بالطف من أرض كربلاء فى

يوم عاشوراء سنة احدى وستين وعمره ست وخمسون سنة قتله سنان بن أنس النَّخَعِي وحزَّ رأسه خولى بن يزيد وأتى به عبيد الله بن زياد وهو يقول مرتجزا

أوقر ركابى فضة وذهبا   أنا قتلت الملك المحجبا
خَيْرَ عباد الله أمّاً وأباً   وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فقال له عبيد الله اذا كان خير الناس أما وأبا فلم قتلته قدموه فاضربوا عنقه فضرب عنقه لا رحمه الله وقيل انما أتى برأس الحسين طمعا فى مكافأة يزيد بن أبى سفيان اذ كان قال من جاءنى برأس الحسين ملأت ركابه ذهبا فانفرد شبل بن يزيد الحميرى فحز رأسه ودفعه الى خَوَلِىّ اخيه فقدم به على يزيد وانشده البيتين اللذين تقدما فقتله يزيد لاعبيد الله والله أعلم بصحة ذلك قالوا وبعث عبيد الله بن زياد زُفَرَ ابن قيس الجعفى الى يزيد بالخبر فقدم عليه حتى وقف بين يديه فقال له ماوراءك يازفر قال أبشرك ياأمير المؤمنين بفتح الله ونصره قدم علينا الحسين فى رجاله واهل بيته فبرزنا اليهم وسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الامير عبيد الله أو القتال فابوا فغدونا عليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى اذا اخذت السيوف مأخذها من هام الرجال جعلوا يلوذون منا بالآكام والحفر كما يلوذ الحمام من الصقر فلم يكن الا كنحر جَزُور أو نوم نائم حتى آتينا على آخرهم فهاتيك أجسادهم مُجَرَّدَة وهامهم مُرَمَّلة تصهرهم الشمس وتسفى عليهم الريح بقاع سَبْسَب زوارهم العِقْبَانُ والرَّخَمُ قال فدمعت عينا يزيد وقال لقد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سُمَيَّة (يريد عبيد الله بن زياد) أما والله لو كنت صاحبه لتركته رحم الله أبا عبد الله وغفر له وفى رواية أخرى انه لما القى اليه برأس الحسين رضى الله عنه تمثل بقول الحصين بن الحمام المرى

نُفَلِّقُ هاما من رجال أعِزَّة   علينا وهم كانوا أعقَّ واظلما

ولما أتى اليه بمن بقى من أهل الحسين رضى الله عنه قال لهم لقد اخلصتم

انفسكم بسببه أهل العراق وما علمت بخروج ابى عبد الله ولا بقتله ثم أمر بهم فضربت عليهم القباب وأمال عليهم المطبخ وكساهم وأخرج لهم جوائز كثيرة وقال لو كان بينهم وبين ابن مرجانة نسب ما قتلهم . ثم ردهم الى المدينة فلما دخلوها خرجت ابنة عقيل ناشرة شعرها واضعة كمها على رأسها وهى تبكى وتقول

ماذا تقولون ان قال النبى لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتى وباهلى بعد مفتقدى منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكم ان تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

وقالت ترثيهم

عينى ابكى بعبرة وعويل واندبى ان ندبت آل الرسول
ستة كلهم لصلب على قد اصيبوا وخمسة لعقيل

وذكروا ان يزيد بن معاوية امر بخطيب من بنى أمية ان يصعد المنبر فصعد وخطب ونال من على بن أبى طالب رضى الله عنه ومن الحسين ابنه واطنب فى ذلك فأستأذن على بن الحسين (وهو الذى نجا من القتل من ولد الحسين رضى الله عنه) فى أن يصعد المنبر ويذكر ما يريد فامتنع يزيد فألح عليه فأذن له فصعد المنبر وخطب خطبة ابكت العيون وأوجلت القلوب يقول فيها أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا اعرفه بنفسى وانسب له حسبى ونسبى انا ابن مكة أنا ابن زمزم والصفا أنا ابن من حمل الركن باطراف الرداء أنا ابن خير من ائتزر وارتدى أنا ابن خير من انتعل واحتفى أنا ابن خير من حج ولبى أنا ابن خير من ركب البراق فى الهواء أنا ابن خير من أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى أنا ابن خير من بلغ به جبريل سدرة المنتهى أنا ابن خير من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو ادنى أنا ابن خير من صلى بملائكة السماء أنا ابن محمد المصطفى أنا ابن على المرتضى أنا ابن سيدة النساء أنا ابن الأولياء أنا ابن خير

الاصفياء فعند ذلك ضج الناس بالبكاء وكادت تكون فتنة فولى رضى الله عنه خوف الفتنة انتهى

(المتن) وَتَمَثَّلْتُ عِنْدَ مَا بَلَغَنِي مِنْ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا * جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلِ

الشرح تمثلت أى تشبهت بالغير فى القول والفعل والحَرَّةُ كل أرض ذات حجارة سود والمراد بها هنا حرَّة النار موضع بظاهر المدينة فى جهتها الشرقية تحت واقِمَ وهو أُطُمٌ من آطامها وبها كانت الوقعة التي يشير اليها ابن زيدون المسماة باسمها وسيأتى خبرها والمتمثل ببيت الشعر يزيد بن معاوية بن أبى سفيان حين أوقع بأهل المدينة المنورة وقبل أن نذكر القصة فى ذلك نذكر طرَفاً من أخبار يزيد بن معاوة لأنه سابق لخبر وقعة الحرة فنقول

ذكر يزيد بن معاوية وخلافته وبعض أخباره

هو يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حرب وتقدم ذكر باقى النسب فى أخبار جده أبى سفيان صخر بن حرب ويكنى أبا خالد ولى الخلافة بعد موت أبيه معاوية فى رجب سنة ستين بتدبير ابيه الذى مكث سبع سنين يروض الناس لبيعة يزيد ويشاور ويعطى الأقارب ويدنى الاباعد حتى استوثق الناس له وكان قد رأى فى بنى هاشم نفورا شديدا فاحتال عليهم حتى أرغمهم على الدخول فى بيعة يزيد قالوا ولما كاشف عبد الله بن الزبير رضى الله عنه وكان جسورا بقوله له ماذا ترى فى بيعة يزيد قال له يا أمير المؤمنين انى أناديك ولا أناجيك إنَّ أخاك من صَدَقك فانظر قبل أن تَقَدَّم . وتفكَّر قبل أن تندم فان النظرَ قبل التقدم والتفكّرَ قبل التندم فضحك معاوية وقال ثعلب روَّاغٌ تعلمت الشجاعة عند الكبر وفى دون ما قلته على ابن أخيك ما يكفيك وكان الاحنف ابن قيس حاضرا فالتفت اليه وقال ماذا ترى يا أحنف فقال الاحنف نخافكم ان

صدقنا ونخاف الله ان كذبنا فسكت عنه وعمد الى استدعاء وفود الامصار اليه من كل مصر قوما فكان ممن وفد عليه من المدينة محمد بن عمرو بن حزم فخلا به وقال له ماذا ترى فى بيعة يزيد فقال له ان الله سائل كل راع عن رعيته فاتق الله وانظر من تولى من أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فأخذ معاوية بهر حتى تنفس الصعداء وكان فى يوم شات ثم قال يامحمد إنك امرؤ ناصح قلت برأيك ولم يكن عليك الا ذاك وانه لم يبق الا ابنى وأبناؤهم (يعنى ولده وولد أبى بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم) فابنى أحب الى من أبنائهم أخرج عنى ثم جلس للوفود وأذن لهم فدخلوا عليه وقد تقدم الى أصحابه ان يقولوا فى يزيد فخطبوا وحبذوا الا ما كان من الاحنف بن قيس فانه قال أنت اعلم ياأمير المؤمنين بيزيد فى ليله ونهاره وسره وعلانيته ومدخله ومخرجه فان كنت تعلم انه لله ولهذه الامة رضى فلا تشاور الناس فيه وان كنت تعلم غير ذلك فلا تزوده الدنيا وتذهب انت الى الآخرة قال فتفرق الناس ولم يذكروا الا كلام الاحنف ثم بايع الناس ليزيد فقال رجل وقد دعى الى البيعة اللهم انى أعوذ بك من شر معاوية فقال معاوية تعوذ من شر نفسك فانها أشد عليك فبايع وقال انى أبايع وأنا كاره فقال معاوية بايع أيها الرجل فان الله يقول فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ثم كتب الى مروان بن الحكم بالمدينة فاخبر أهلها وحضهم على الطاعة وحذرهم الفتنة فتكلم الحسين بن على رضى الله عنه وعبدالرحمن بن أبى بكر وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير رضى الله عنهم فانكروا بيعة يزيد وتفرق الناس فكتب مروان الى معاوية بذلك فخرج معاوية يريد الحج ومر على المدينة فى ألف فلما قرب منها تلقاه الناس فلما نظر الى الحسين رضى الله عنه قال مرحبا بسيد شباب أهل الجنة قربوا دابة لأبى عبدالله وقال لعبد الرحمن بن أبى بكر مرحبا بشيخ قريش وابن الصديق وقال لابن عمر وابن الزبير نحوا من ذلك ودعا لهم بدواب فحملهم عليها وخرج

بهم الى مكة فقضى حجه ولما أراد الشخوص امر باثقاله فقدمت وأمر بالمنبر فقرب من الكعبة وأرسل الى الحسين وعبد الرحمن بن أبى بكر وابن عمر وابن الزبير رضى الله عنهم فاجتمعوا وقالوا لابن الزبير أكفنا كلامه قال على ان لاتخالفوني قالوا لك ذلك ثم أتوا معاوية فخلا بهم وقال لهم قد علمتم نظري لكم وتعطفي عليكم وصلتي لأرحامكم ويزيد أخوكم وابن عمكم وانما أردت أن أقدمه باسم الخلافة وتكونوا أنتم تأمرون وتنهون فسكتوا وتكلم ابن الزبير فقال نخيرك باحدى ثلاث فأيها أخذت فهى لك الأولى إن شئت فاصنع فينا ماصنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضه الله اليه ولم يستخلف فدع هذا الامر حتى يختار الناس لأنفسهم والثانية ان شئت فما صنع ابو بكر عهدالى رجل من قاصية قريش وترك من ولده وعهله من كان لها أهلا والثالثة ان شئت فما صنع عمر صيرها الى ستة نفر من قريش يختارون رجلا منهم وترك ولده وأهل بيته وفيهم من لو وليها لكان لها أهلا قال معاوية هل غير هذا قال لا ثم قال لآخرين ماعندكم قالوا نحن على ماقال ابن الزبير فقال لهم انى أتقدم اليكم وقد اعذر من أنذر إنى قائل مقالة فأقسم بالله لئن ردعلىّ رجل منكم كلمة فى مقامى هذا لاترجع اليه كلمته حتى يضربَ عنقه فلا ينظرن امرؤ منكم الا انفسه ولا يبق الا عليها وأمر أن يقوم على رأس كل رجل منهم رجلان بسيفيهما فان تكلم أحد بكلمة يردّ عليه بها قتلاه وخرج وأخرجهم معه فرقى المنبر وحفّ به أهل الشام واجتمع الناس فقال بعد حمد الله والثناء عليه أيها الناس إنا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار قالوا ان حسينا وابن أبى بكر وابن عمر وابن الزبير لم يبايعوا ليزيد وهؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لانبرم أمرا دونهم ولانقضى أمرا الاعن مشورتهم وانى دعوتهم فوجدتهم سامعين طائعين فبايعوا وسلموا واطاعوا فقال أهلُ الشام وما يعظم من أمر هؤلاء إئذن لنا فنضرب أعناقهم لانرضى حتى يبايعوا علانيةً فقال معاوية

سبحان الله ماأسرع الناس الى قريش بالشر وأحلى دماءهم عندهم أنصتوا فلا أسمع هذه المقالة من أحد منكم ودعا الناس الى البيعة فبايعوا ثم قرب رواحله فركب ومضى فقال الناس للحسين وأصحابه قلتم لانبايع فلما دعيتم بايعتم قالوا لم نفعل وما كنا الا القتل فكادنا بكم وكاد كم بنا فأنت ترى كيف احتال معاوية على تخليف ابنه عن غير رضى ولا مشورة من المسلمين قالوا وأربع خصال كُنَّ فى معاوية لو لم يكن فيه منهن الا واحدة لكانت موبقة ابتزازه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضل واستخلافه ابنه بعده سكيرا خميرا يلبس الحرير ويضرب بالطنابير وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله صلى الله وسلم الوَلَدُ لِلفِراش وللعاهر الحَجَرُ وقتله حُجْرَ ابن عَدِىّ الكِندىّ واصحابه لِتَشَيُّعِهِمْ الى على رضى الله عنه قلت وفى ادعائه زيادا يقول يزيد ابن مُفرِغ فى هجو ابن زياد

الا أبلغ مُعٰوية بن صخر ... مُغَلْغَلَةً من الرجل اليمانى

أتغضب أن يقال أبوك عف ... وترضى أن يقال أبوك زانى

فاشهد ان رحمك من زياد ... كرحم الفيل من ولد الأتان

وأشهد انها ولدت زيادا ... وصخرٌ من سُمَيَّةَ غيرُ دانِ

وقال آخر يهجو زيادا واسم أمه سمية

عاشت سُمَيَّةُ ماعاشت وما علمت ... ان ابنها من قريش فى الجماهير

ولقد حدث فى أول سنة من خلافة يزيد قتلُ الحسين رضى الله عنه كما مر عليك من هذا الكتاب وفى الثانية قتل أهل المدينة وفيهم الخيار الصالحون بوقعة الحرة لخلافهم عليه كما سيجىء وفى الثالثة غزو الكعبة ورميها بالحجارة ومكث فى الخلافة أربع سنين وايام ومات فى النصف من شهر ربيع الأول سنة اربع وستين وعمره تسع وثلاثون سنة ودفن بدِمشق وقيل بِحُوّارين خارجها انتهت أخباره مختصرة

ونذكر الآن خبر وقعة الحرة وما حدث فيها فنقول

ذكر وقعة الحرة بالمدينة

وكان من حديث هذه الوقعة أن الحسين بن علي رضي الله عنه لما قُتِلَ كما سبق ذكره قام عبد الله بن الزبير بن العوام رضي عنه بمكة وعظّم مقتله وعاب على أهل الكوفة خاصة ولام أهل العراق عامة فثار أصحابه وطلبوا اليه أن يُظهِرَ بيعته وقد كان يبايع الناس سرا ويظهر أنه عائذ بالبيت فقال لهم لا تعجلوا واخذ يجمع الجموع فلما بلغ خبره يزيد بن معاوية اعطى الله عهدا ليوثقنّه في سلسلة ثم بدا له أن يلاينه فبعث اليه مع البريد بجامعة بن وَرِق وبُرنس خزّ ليلبسهما ويأتيه بهما برا بيمينه فلما ورد عليه البريد رده ردا رفيقا ولم يجبه الى الحضور عنده وعلا بعدئذ أمره وكاتبه أهل المدينة وقال الناس اما اذا مات الحسين رضي الله عنه فليس أحد ينازع ابن الزبير ثم أن الوليد بن عتبة وناسا من بني أمية قالوا ليزيد لو شاء عَمْرو بن سعيد وكان عامله على المدينة لأخذ ابن الزبير وبعث به اليك فعزل يزيدُ عمرا في هلال ذي الحجة سنة احدى وستين وولى مكانه الوليد ابن عتبة فاتاها فلم يغن شيئا من أمر ابن الزبير فعزله أيضاً وولى مكانه عثمان بن محمد ابن أبي سفيان وكان هذا فتى غِرًّا لم يجرب الامور ولم يحنكه السّن ولا يكاد ينظر في شيء من سلطانه وعمله اذ بعث في ايامه وَفْداً من أهل المدينة أي في سنة اثنتين وستين الى يزيد بن معاوية فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الانصارى ورجالا آخرين من اشرافها فقدموا على يزيد فاكرمهم واعظم جوائزهم ثم انصرفوا من عنده وقدموا المدينة فلما وصلوها اظهروا شتم يزيد وقالوا إنا قدمنا من عند رجل ليس له دينٌ يشرب الخمر وتعزِفُ عنده القِيانُ ويلعبُ بالكلاب ويسامر الخُرّاب والفتيان وإنّا نشهدكم بانا قد خلعناه فتابعهم الناس وبايعوا عبد الله بن حنظلة على خلع يزيد وكان ذلك في سنة ثلاث وستين ووثبوا على عثمان بن محمد عامله ومن

بالمدينة من بني أمية ومواليهم ومن يرى رأيهم من قريش وكانوا نحو الف رجل فاخرجوهم بجماعتهم حتى انزلوهم دار مروان بن الحكم وحاصروهم حصاراً ضعيفاً وكان يدبر أمر بني أمية مروان بن الحكم فكتبوا كتاباً الى يزيد بن معاوية يقولون فيه أما بعد فانا قد حصرنا في دار مروان ومنعنا العذاب ورمينا بالجبوب فياغوثاه ياغوثاه فلما قرأ كتابهم قال متمثلا

لقد بدلوا الحلم الذي من سجيتي فبدلت قومي غلظة بليان

وفي رواية أن عثمان بن محمد هو الذي كتب الكتاب الى يزيد فكتب يزيد الى أهل المدينة كتاباً يحذرهم ويقول فيه والله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أقل بها عددكم وأتركنكم أحاديث تنسخ أخباركم كأخبار عاد وثمود فلما أتاهم كتابه حمي القوم وعولوا على قتال جنوده ولم يبالوا بتهديده وبلغ يزيد الخبر فدعا مسلم بن عقبة المري وهو شيخ كبير وأمره بالمسير اليهم في جيش تبلغ عدته اثنى عشر الفا وكان مسلم مريضا فقال له إن حدث بك حدث فاستخلف على الجيش حصين بن نمير السكوني وكان معاوية بن أبي سفيان لما احتضر أوصى الى يزيد أن له يوما من اهل المدينة فاذا فعلوا فلترمهم بمسلم بن عقبة فانه رجل قد عرفنا نصيحته وقال لست أخاف عليه إلا ثلاثة الحسين بن علي وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن الزبير فاما الحسين بن علي فأرجو الله أن يكفيه منه كما قتل أباه وخذل أخاه وأما ابن عمر فانه رجل قد انهكه الورع فليخل بينه وبين آخرته يخل ما بينه وبين دنياه وأما ابن الزبير فان خب ضب فان ظفر به فليقطعه إرباً إرباً فاقبل مسلم بالجيش حتى اذا بلغ أهل المدينة إقباله عمدوا إلى كل ماء بينهم وبين الشام فصبوا فيه القطران وعوروه فارسل الله المطر على جيش مسلم فلم يستقوا بدلو حتى قدموا المدينة ثم وثب أهل المدينة على بني أمية ومن معهم فحصروهم في دار مروان وقالوا والله لا نكف عنكم حتى نستنزلكم ونضرب أعناقكم أو تعطونا عهد الله

وميثاقه لاتبغونا غائلة ولاتدلوا على عورة لنا ولاتظاهروا علينا عدوّا فنكف عنكم وخروجكم عنا فأعطوهم عهدا على ذلك فأخرجوهم من المدينة بأثقالهم حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادى القرى فسألهم عن حال الناس فلم يكلمه الا عبد الملك بن مروان للعهود التى أعطوها لأهل المدينة فقال عبد الملك لمسلم بن عقبة ائت أهل المدينة مُشَرِّقًا ثم تستقبلهم فاذا طلعت الشمس طلعت بين اكتاف أصحابك فلا تؤذيهم وتقع فى وجوه أهل المدينة فيؤذيهم حرها فقال له لله أبوك لقد رآي بك خلفا فنزل حيث أشار عليه عبد الملك وبعث الى اهل المدينة ينصحهم ويحذرهم وانجلهم ثلاثا فمضى الأجل ولم يجيبوه واصرّوا على قتاله واستعدوا له فاتخذوا خندقا فى جانبها وقسموا جيشهم اولها لكل ربع زعيما وامير الجماعة عبد الله بن حنظلة الغسيل ووقع القتال فلما رآى اهل الشام بسالتهم وبطالتهم هابوهم وكرهوا قتالهم فانكشفوا فأمر مسلم بن عقبة اميرهم بسريره فوُضع بين الصفّين وهو عليه مريض وامر مناديا ينادى قاتلوا عن اميركم أو دعوه فجد أهل الشام فى القتال ومسلم يحرضهم اشد تحريض ويقول مرتجزا

أحيا أباه هاشم بن حرمله يومَ الهباتَين ويوم اليعمله

كلُّ الملوك حوله مغربله ورمحه للوالدات مثكله

لايَلْبثُ القتيلُ حتى يجدله يقتلُ ذا الذنب ومن لاذنب له

فانهزم أهل المدينة وسمعوا التكبير من خلفهم فاذا أهل الشام قد اقتحموا عليهم وقتلوا أميرهم عبد الله بن حنظلة وابناءه وكانوا ثمانية وقتلوا الفضل بن عباس بن ربيعة ومحمد بن ثابت بن قيس بن شماس ومحمد بن عمرو بن حزم وغيرهم ويقال انه لم يبق بعد هذه الوقعة بدرى ودخل مسلم المدينة وأخرج أهلها الى الحَرّة وأباحها لجيشه ثلاثا وفُضِحت النساء وافتُضت الأبكار واسرف مسلم فى قتل الرجال حتى سموه مسرفا ثم دعا من بقى منهم لبيعة يزيد وعلى انهم خول

له يحكم فى دمائهم وأموالهم وأهليهم فأتى اليه يزيد بن عبد الله بن زَمْعَة بن الاسود ومحمد بن أبى الجهم بن حذيفة ومَعْقِل بن سنان بعد الوقعة بيوم فأبوا أن يبايعوه على ما أراد فقتلهم صبرا وبعث برؤسهم الى يزيد وهرب عبد الله بن مطيع فلحق بمكة فكان بها الى أن قتل مع عبد الله بن الزبير فى دولة عبد الملك بن مروان وجعل يقاتل أهل الشام ويقول مرتجزا

أنا الذى فررتُ يوم الحَرَّه والشيخ لا يفرُّ الا مرَّه
فاليوم اجزى كرَّة بفرَّه لا بأس بالكرَّة بعد الفرَّه

وكان جميع من قتل يوم الحرة من قريش والانصار ثلثمائة رجل ومن الموالى وغيرهم أضعاف ذلك وقيل أكثر والله أعلم بالحقيقة وكانت الوقعة لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة ثلاث وستين ويقال انه لما ألقيت رؤس أهل المدينة بين يدي يزيد تمثل بقول عبد الله بن الزِّبَعْرَى القرشى الشاعر من قصيدته التى قالها يوم أحد لما انتصر كفار قريش على المسلمين

ليت أشياخى ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
وقد قتلنا القرمَ من ساداتكم وعدلنا ميلَ بدر فاعتدل
فأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يايزيد لاتسل
لست من خِنْدِفَ ان لم انتقم من بنى احمد ما كان فعل
لَعِبَتْ هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحىٌ نزل

الثلاثة الابيات الاخيرة ليست من شعر ابن الزِّبَعْرَي بل من تضمينه هو وفيها كفر صراح نعوذ بالله منه فقال له رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتددت عن الاسلام يا أمير المؤمنين فقال بل نستغفر الله فقال له والله ما ساكنتك أرضا ابدا وخرج عنه قلت وهذا ما كان يرمى به أبوه معاوية بن أبى سفيان حين تشبثه بالخلافة ومحاربته على بن أبى طالب بدعوى الطلب بدم

عثمان فكانت أم الخريش البارقية تحرض يوم صفين أصحاب علي رضي الله عنه على القتال وهي تقول هلموا رحمكم الله الى الامام العادل والوصي الوفي والصديق الاكبر انها إحن بدرية وضغائن أحدية وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك بها ثارات بني عبدشمس انتهى ويحسن بنا أن نذكر طرفاً من أخبار ابن الزبعرى قائل الأبيات التي تمثل ببعضها يزيد بن معاوية وقد ذكرناها في خبر وقعة أحد لاالمام القارىء بسيرة هذا القرشي الشاعر

ذكر عبد الله بن الزبعرى الشاعر وبعض أخباره

هو عبد الله بن الزبعرى بن قيس بن عدى بن سعد السهمي من بني كعب ابن لؤي شاعر من شعراء قريش المعدودين وكان في ابتداء الاسلام يهجو المسلمين ويحرض عليهم كفار قريش ولما انتهت وقعة بدر الكبرى التي خذل الله فيها قريشاً وبدد شملهم كما هو معروف رثا موتاهم فقال

ماذا على بدر وماذا حوله ... من فتية بيض الوجوه كرام
تركوا نبيها خلفهم ومنبها ... وابنى ربيعة خير خصم فئام
والحارث الفياض يبرق وجهه ... كالبدر جلى ليلة الاظلام
والعاصي بن منبه ذا مرة ... رمحاً تميماً غير ذي أوصام
تنمي به اعراقه وجدوده ... ومآثر الأخوال والأعمام
واذا بكى باك فأعول شجوه ... فعلى الرئيس الماجد بن هشام
حيا الاله أبا الوليد ورهطه ... رب الانام وخصه بسلام

قال ابن هشام وتروى هذه الأبيات لغيره وقال ايضا يوم احد قبل اسلامه

قتلنا ابن جحش فاغتبطنا بقتله ... وحمزة في فرسانه وابن قوقل
وافلتنا منهم رجال فاسرعوا ... فليتهم عاجوا ولم تتعجل
اقاموا لنا حتى تعض سيوفنا ... سراتهم وكلهم غير عزل

وحتى يكون القتل فينا وفيهم ويلقوا اصبوحا شرمغيرمنجلى

وقال القصيدة التي تمثل يزيد بن معاوية ببيتين منها كما تقدم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أهدر دمه يوم فتح مكة فهرب الى نجران فقال فيه حسان بن ثابت رضى الله عنه بيتا واحدا ما زاده عليه

لا تَعْدَمَنْ رجلا أحلّك بغضه نَجْرانُ فى عيش أحذَّ لئيم

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى خرج الى رسول الله صلى الله عليه سلم فاسلم وقال حين أسلم

يارسول المليك ان لسانى راتق ما فتقتُ إذ أنا بور

إذ أبارى الشيطان فى سن الغـىّ ومن مال مَيْلُه مثبور

آمن اللحم والعظام لربى ثم قلبى الشهيد أنت النذير

انى عنك زاجر ثَمّ حيّاً من لؤىّ وكلهم مغرور

وهو القائل فى مدح بنى عبد مناف حينا سَنّ لهم هاشم بن عبد مناف رحلة الشتاء والصيف

قل للذي طلب السماحة والندى هلا مررت بآل عبـد مناف

هلا مررت بهم تريد قراهم منعوك من ضر ومن إتلاف

الرائشين وليس يوجد رائش والقائلين هَلُمَّ للأضياف

والخالطين فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكافى

والقائلين بكل وعد صادق والراحلين برحلة الايلاف

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُسْنتون عِجاف

سفَرَيْن سنهما له ولقومه سفر الشتاء ورحلة الاصياف

وكان يميل الى الشعر القصير فسأله أبو سفيان فى ذلك فقال حسبك من الشعر غرة لائحة وَسِمَةٌ واضحة وقد اكتفينا من أخباره بهذا القليل ولم نقف على تاريخ

مولده ووفاته والله أعلم

(المتن) وَرَجَمْتُ الكَعْبَةَ وَصَلَبْتُ العائِذَ عَلى الثنيةِ

(الشرح) الرجم الرَّمْىُ بالحجارة والكعبة مؤنثةٌ البيتُ الحرام سميت بذلك لتربيعها تقول كَعَبتُ البناء تكعيباً اذا ربعته وقيل سميت بذلك لنتُوئها وارتفاعها ومنه قيل كَعُبَتِ الجارية تكعب كعابا نتَأَ ثدياها قيل كانت قبل أن تُدْحَى الارض رابيةً حمراء مشرقةً على وجه الارض ولما خاطب الله الملائكة فى شأن آدم بقوله إنى جاعل فى الأرض خليفة قالت الملائكة أتجعلُ فيها من يُفسِدُ فيها ثم خافت غضب الله عليهم لهذا الرد فلاذوا بالعرش وطافوا به سبعا فرضى عنهم وكان قد اهبط الله آدم إلى الأرض بمكة فقال الله للملائكة ابنوا لي فى الأرض بيتا يعوذ به من سَخِطْتُ عليه من بنى آدم فبنوا الكعبة فى تلك الرابية فسميت بيت الله لذلك فهى من رحمة الله ونعمه علينا وقد فرض الله الحج اليها وجعله أحَدَ أركان الاسلام الخمسة لغسل الذنوب ومحو السيئات وهذا أول بنائها ثم بناها ابراهيمُ واسماعيلُ عليهما السلام كما أخبر الله تعالى بقوله (واذ يَرفَعُ ابراهيمُ القواعد من البيت واسماعيل الآية) ولم يجعل لها سقفا ثم انهدمت فبنتها العمالقة ثم انهدمت فبناها جُرْهُمُ ثم انهدمت فبناها قُصَيُّ بن كلاب وسقفها بخشب الدَّوْم وجريد النخل وجعل ارتفاعها خمسا وعشرين ذراعا ثم استهدمت وكانت فوق القامة فأرادت قريش تعليتها فهدمتها وبنتها وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بناءها معهم وسقفوها بخشب سفينة ألقاها البحر الى جُدَّة وكان طولها ثمانىَ عشر ذراعا ثم احترقت حين حوصر ابن الزبير أول مرة فلما ارتفع عنه الحصار واطمأن بلده هدمها وأعاد بناءها وزاد فيها ستّ أذرع من الحِجْر ولما قُتل ابن الزبير واستولى الحجاج بن يوسف على الحرمين فى دُولة عبد الملك بن مروان هدمها بأمر عبد الملك وردها الى أصلها كما سيجيء فبقيت الى الآن على ذلك البناء وقال بعض العلماء

أنها بنيت عشر مرات وجمع أسماء من بنوها فى الابيات الآتية

بَنَى بَيْتَ ربِّ العرش عَشْرٌ فخذهم ... ملائكةُ الله الكرام وآدمُ
فشيثٌ فابراهيم ثم عمالق ... قُصَىٌّ قريش قبل هذين جُرْهُمُ
وعبد الاله بن الزبير وبعده ... بناء لحجاج وهـذا متمّمُ

والله أعلم بالحقيقة وقد رُجِمَت مرتين الاولي فى حصار حُصَين بن نُمَير السكونى لعبد الله بن الزبير قبل هلاك يزيد بن معاوية فى سنة أربع وستين وعَقِيبَ وقعة الحرّة التى ذكرناها والثانية فى حصار الحجاج بن يوسف لابن الزبير أيضاً فى سنة اثنين وسبعين كما سيجيء

وقول ابن زيدون وصلبتُ العائذَ على الثنية الصلب معلوم والعائذ الملتجيء والمراد به عبد الله بن الزبير رضى الله عنه وكان قد ذهب الى مكة بعد البيعة ليزيد بن معاوية كما ذكرنا فى خبر الحسين بن على رضى الله عنه ساخطا على خلافة يزيد واظهر أنه عائذ بالبيت الحرام فسمى العائذ والثنية العقبة فى الجبل أو طريقها اليه والمراد بها المكان الذى صلب فيه ابن الزبير رحمه الله ورضى عنه ونذكر أولا خبر رجم الكعبة فى المرة الأولى فنقول

ذكر رجم الكعبة الشريفة أول مرة

قال المؤرخون لما فرغ مسلم بن عقبة المرّىّ من قتل أهل المدينة فى وقعة الحرّة كما قدمنا التفت الى عبد الله بن الزبير بمكة فسار اليه بجيوشه وخلف على المدينة رَوْحَ بن زنباع وقيل عمرو بن مُحْرِز الاشجعى فلما انتهى الى المشلّل وقيل قفا المشلّل فى آخر المحرم سنة أربع وستين نزل به الموت فدعا حُصين بن نمير السكونى فقال له يا ابن بَرْذعة الحمار أما والله لو كان هذا الامر الىّ ما وليتك هذا الجيش ولكن أمير المؤمنين ولاك بعدى وليس لامره مَردٌّ خذ عنى أربعا اسرع السَّيْرَ وعجّل الوِقاع وعمّ الأخبار

ولا تمكن قرشيا من أذُنك وقيل قال له اذا لقيت القوم فاياك أن تمكنهم أذُنك لا يكون إلا الوِقاف ثم النقّاف ثم الانصراف ومات لا رحمه الله فمضى حصين فقدم مكة لأربع بقين من المحرم سنة أربع وستين فحاصر ابن الزبير اربعين يوما وقيل أربعة وستين يوما وقاتله ابن الزبير بجموعه قتالا شديدا قتل فيمن قتل فيه أخوه المنذر بن الزبير وكان قد نجا من وقعة الحرّة ثم قذفوا البيت الحرام بالمجانيق لثلاث خلون من ربيع الأول من السنة المذكورة وأحرقوه بالنار وأخذوا يرتجزون بقولهم

خطّارةٌ مثل الفنيق المزبد   نرمى بها أعواد هذا المسجد

وبقولهم

كيف ترى صنيع أم فروه   تأخذهم بين الصفا والمروه

يعنون بأم فروة المنجنيق ويقال أن سبب احراق البيت ان رجلا من أصحاب عبد الله بن الزبير أخذ قَبَساً في رأس رمح له فتطيرت به الريح فضرب أستار الكعبة ما بين الركن اليمانى والحجر الاسود فاحترقت وانصدع الركن فى ثلاثة امكنة وقال ابن عبد ربه بل الرجل من الشام ولعله الأصح والله أعلم وقد ضايق أهل الشام عبد الله بن الزبير حتى اذا جاءهم نعيّ يزيد بن معاوية فى هلال ربيع الآخر وكان قدمات لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول وقيل للنصف منه فقفلوا الى المدينة ومنها الى الشام ويقال أن موت يزيد بلغ خبره ابن الزبير قبل أن يبلغ أهل الشام فصاح بهم إن طاغيتكم قد هلكَ فمن شاء منكم أن يدخل فيما دخل الناس فيه فليفعل ومن كره فليلحق بشامه فلما تأكد حصين الخبر اختلى بعبد الله بن الزبير وقال له سر معى الى الشام فان وجوهَ اهلها وفرسانهم معى يبايعون لك ولا يختلفون عليك وان تؤمّن الناس وتُهدِرَ الدماء التى بيننا وبينك والتى كانت بيننا و بين أهل الحرّة فلم يوافقه فتركه فكان سعيد بن عمرو يقول مامنعه الا

تطير ووالله لو سار معهم حتى يدخل الشام مااختلف عليه منهم اثنان فلما رجعوا الى الشام من طريق المدينة صفا الوقت لابن الزبير رضى الله عنه فالتف الناس حوله وبايعوه بالخلافة وظهر أمره وهدأ باله فهدم الكعبة الشريفة لأنها كانت قد تصدعت من فعل النار كما مر وأدخل فيها ست أذرع من الحجر وقيل سبعا وجعل لها بابين ملصقين بالأرض شرقيا وغربيا يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر وجعل على بابها صفائح الذهب وجعل مفاتيحه من ذهب وبلغ بها فى العلو سبعا وعشرين ذراعا فهذه المرة الأولى فى رجم الكعبة بالحجارة وأما الثانية فقبل أن نذكر خبرها نأتى على ترجمة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه وبعض اخباره ثم نعقبها بأخبار الحجاج بن يوسف فرجمه الكعبة المرة الثانية وقتله ابن الزبير رضى الله عنه فنقول

ذكر عبد الله بن الزبير رضى الله عنه وبعض أخباره

هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى وأبوه الزبير رضى الله عنه حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية بنت عبد المطلب بن هاشم وأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها ويقال لها ذات النطاقين لأنها شقت نطاقها ليلة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فجعلت واحدة لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخرى عصاما لقربته وكان عبدالله بن الزبير رضي الله عنه أول مولود بالمدينة بعد عشرين شهرا من الهجرة ولما ولد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمه أسماء فنظره فقال هو هو فلما سمعت ذلك أمسكت عن رضاعه فقال لها صلى الله عليه وسلم أرضعيه فربما هو كبش بين ذئاب وذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت أو ليقتلن دونه ونشأ بالمدينة ورافق أباه فى بعض الغزوات وكان فارس قريش فى زمانه وأجرأهم وله مع معاوية بن أبى سفيان مجادلات

ومحاورات ولما مات معاوية وأفضت الخلافة الى يزيد ابنه أنكر ابن الزبير ذلك انكارا شديدا ولم يبايع وخرج الى مكة كما قدمنا وأظهر أنه عائذ بالبيت الحرام ولما خرج الحسين بن على رضى الله عنه الى العراق وقتل كما سبق ذكره من هذا الكتاب اظهر ابن الزبير بيعته جهارا والتف الناس حوله فبويع بالخلافة فى سنة اربع وستين وقال الطبرى فى سنة خمس وستين حين استحكم أمره وطرد بنى أمية من الحجاز وبعث بأياديه وعماله الى البلاد الأخرى فدانت له الكوفة والبصرة ومصر واليمن وخراسان وأكثر السند واستمر خليفة بمكة نحو من ثمانى سنين فى خلالها بويع بالشام لمعاوية بن يزيد بعد موت أبيه فهلك بعد أربعين يوما وقيل بعد ثلاثة أشهر فاختل أمر بنى أمية حتى كادوا يأخذون البيعة لعبد الله بن الزبير ثم نظروا فى امرهم فبايعوا مروان بن الحكم فى سنة خمس وستين بدمشق قبل وقعة مرج راهط التى انتصر فيها مروان وجموعه ممن يهوى هوى بنى أمية على الضحاك بن قيس من أنصار ابن الزبير فاشتدت شوكته وطمع فى أن تدين الناس له وكان قد خشى منازعة ولد يزيد بن معاوية فى الخلافة فأشاروا عليه أن يتزوج أم خالد ابن يزيد ليكسر بها خالدا فتزوجها فقتلته خدعة فى رمضان سنة خمس وستين وهو ابن ثلاث وستين سنة لاهانة لحقت ابنها خالدا منه فكانت خلافته تسعة اشهر او عشرة فبويع لابنه الأكبر عبد الملك بن مروان بعده وفى سنة ست وستين ظهر المختار بن أبى عبيد الثقفى بالكوفة فقاتل أهلها وانتصر عليهم وقتل جماعة من قتلة الحسين رضى الله عنه شر قتلة وفيهم عمر بن سعد وشمر بن ذى الجوشن وغيرهما فلما علا أمره قصده عبيد الله بن زياد بجمع كبير من قبل عبد الملك ابن مروان بن الحكم فجيش الجيوش لحربه بقيادة ابراهيم الأشتر فتلاقوا عند نهر خازر قريبا من الموصل فانهزم جيش الشام وقتل قائدهم عبيد الله بن زياد وانتهى امره وكان المختار بن أبى عبيد فى ابتداء امره يتظاهر لأهل البيت ويدعو

للأخذ بثأر الحسين ويتنبأ النبوآت ويسجع الأسجاع فيقول ورب البحار والاشجار والمهامه والقفار والملائكة الابرار والمصطفين الاخيار لأقتلن كل جبار بكل لدن خطار ومهند بتار فى جموع من الأنصار ليسوا بميل أغيار ولا بعزل اشرار حتى اذا أقمتُ عمود الدين ورأبتُ صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وأدركت بثأر أبناء النبيين لم يكبرُ علىّ زوال الدنيا ولم أحفلْ بالموت اذا أتى ولما استفحل أمره طمح الى الخلافة والملك وانتزاعهما لنفسه من بنى أمية وابن الزبير فداهن ابن الزبير مظهرا طاعته ومسرا مخالفته فلما افتضح امره بعث اليه عبد الله بن الزبير أخاه مصعبا فقاتله فقتله وتفرقت انصاره وسمّى الكذاب وكان قتله فى سنة سبع وستين وكان عبد الملك بن مروان معروفا بالصدق مشهورا بالعلم والفضل فتمت بيعته بالشام واشتدت شوكته وكان عبد الله بن الزبير قد منع أهل الكوفة العطاء ولم تكن له سياسة بالامور وكان يرمى بالبخل وقصر النظر فمن بخله المشهور ان رجلا أتاه مستجدياً فمنعه فقال له لعن الله ناقة حملتني اليك فقال له أن وراكبها يريد نعم وراكبها فأحفظ بسياسته أهل العراق فمالوا على خلعه وكتبوا فيه الى عبد الملك بن مروان بذلك فقدم عبدالملك الى العراق وكاتب شيعته فيها فتوافوا اليه وسمع مُصعَبٌ بقدومه فاستعد لحربه فالتقوا بجيوشهما بِدَيْر الجَاثِليق فى سنة احدى وسبعين وقيل فى جمادى الآخر سنة اثنتين وسبعين فهزمه عبد الملك بن مروان وقتله على نهر الدُجَيْل عند دير الجاثليق وتفرقت عنه جموعه وانحازت الى عبد الملك بن مروان وكان مصعب رحمه الله فارسا يضرب به المثل وله صحبة قديمة مع عبد الملك وصداقة وقد كان عبد الملك دعاه الى المسالمة ومناه فلم يجبه فلما قتل وجيء اليه برأسه قال متأسفا عليه متى تغدوا قريش بمثلك ورثاه ابن قيس الرُقيَّات بابيات يقول فيها

لقد أورث المِصْرَيْن خِزيا وذِلّةً   قتيلٌ بدَيرِ الجَاثليق مقيم

فما نصحت لله بكر بن وائل ولا صبرت عند اللقاء تميم
ولو كان بكرياً تعطف حوله كتائب يغلى جمّها ويدوم
ولكنه ضاع الزمام ولم يكن بها مضرى يوم ذاك كريم

ولما بلغ عبد الله بن الزبير خبر مقتل أخيه المصعب صعد المنبر فجلس عليه ثم سكت برهة فجعل لونه يحمر مرة ويصفر أخرى فقال رجل من قريش لرجل الى جنبه ماله لا يتكلم فو الله انه الخطيب اللبيب فقال له الرجل لعله يريد أن يذكر مقتل اخيه سيد العرب فيشتد عليه ذلك وغير ملوم ثم تكلم فذكر مقتل اخيه وقال فى آخر خطبته فان يقتل فقد قتل أخوه وأبوه وابن عمه وكانوا الخيار الصالحين أما والله لا نموت حتفاً كما يموت بنو مروان ولكن قعصاً بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف ثم ان عبد الملك دعا أهل العراق الى البيعة فبايعوا فصار الشام له كله والبصرة والكوفة وبث عماله الى الجهات الأخرى فدانت له ولم يبق فى غير طاعته غير الحرمين وحينئذ التفت لحرب ابن الزبير فيقال ان الحجاج بن يوسف الثقفى أتاه وقال له إنى رأيت فى المنام كأنى أسلخ ابن الزبير من رأسه الى قدميه فقال له اخرج اليه فخرج يريده وقبل أن نذكر ما حدث بينه و بين ابن الزبير رضى الله عنه نذكر شيئا من ترجمة الحجاج خاصة وان كانت مشهورة لما عرف عنه من الفصاحة والبيان فنقول

ذكر الحجاج بن يوسف الثقفى وبعض أخباره

الحجاج لقبه واسمه كليب بن يوسف بن أبى عقيل من ثقيف ولد بالطائف قرب مكة فى سنة تسع وأربعين ونشأ بها وأبوه رجل نبيل جليل القدر وكان أول أمر الحجاج معلم أطفال بالطائف وفى ذلك يقول مالك بن الريب المازنى لما صار الحجاج اميرا فى دولة عبد الملك بن مروان

فان تنصفونا يا آل مروان نقترب اليكم والا فأذنوا ببعاد

فان لنا عنكم مزاحا ومرحلا ... بعيس الى ريح الفلاة صوادى
ففى الأرض عن دار المذلة مذهب ... وكل بلاد أوطنت كبلادى
فما ذا عسى الحجاج يبلغ جهده ... اذا نحن جاوزنا حفير زياد
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف ... كما كان عبدا من عبيد إياد
زمان هو العبد المقر بذلة ... يرواح صبيان القرى ويغادى

وقال آخر

أينسى كليب زمان الهُزال ... وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلكة ما تُرى ... وآخر كالقمر الازهر

ثم لحق بِرَوْح بن زِنْباع الجُذَامِيّ فكان فى عداد شُرطته وما زال تترقى حالته حتى فطن له عبد الملك بن مروان فقرّبه اليه لما ابتلاه ورأى كفاءته فولاه الحجاز فالعراقين فظهر أمره وارتفع ذكره وفعل الأفاعيل التى لا يُرْجى معها السلامة فى أخراه فقد كان مِقْداما جسورا من أكبر لذاته سفك الدماء وكان مع ذلك فصيحا يضرب بفصاحته المثل وهو القائل يوم دخوله الكوفة عاملا على العراق وقد دخلها متلثماً متنكبًا قوسه واضعا إبهامه على فيه والناس مجتمعون فى المسجد متمثلا بابيات سُحَيم الرياحى

أنا ابن جلا (١) وطَلَّاع الثنايا (٢) ... متى أضع العمامة تعرفونى
صليب العود (٣) من سَلَفَىْ نزار ... كنصل السيف وضاح الجبين
أخو خمسين مجتمع أشُدّى ... ونَجَّذَنِى مُداوَرَةُ الشؤون (٤)

أمَا والله إنى لأحمل الشرّ بثِقَله واحذوه بنعله وأجزيه بمثله وإنى لأرى

(١) إبن جلا الصبح لانه يجلو الظلمة وقيل القمر (٢) الثنايا اصغر من الجبل وتنأ
(٣) الصليب القوى (٤) نجذنى مداورة الشؤون يعنى عالجت الأمور وجربتها فاحكمتها يقال رجل منجذ اى مجرب أحكمته الامور والمداورة كالمعالجة

رءوسا قد أينعت وحان قِطافها وكأنى أرى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى ثم تمثل بقول أبى زَعْنَةَ الأنصارى وقيل رُوَيشد بن رُمَيض العنبرى

هذا أول الشدّ فاشتدى زِيَم[١] قد لفّها الليلُ بسوّاق حُطَم[٢]

ليس براعى ابل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم

قد لفّها الليل بعَصْلَبىّ أَرْوَعَ خرّاج من الدّوِىّ

مهاجر ليس بأعرابىّ

قد شمرت عن ساقها فشدُّوا وجَدّتِ الحرب بكم فَجِدّوا

والقوس فيها وَتَرٌ عُرُدّ مثلُ ذِراع البكر أو أشد

لا بُدّ مما ليس منه بُدُّ

انى والله يا أهلَ العِراق ما أُغمَزُ كتَغمازِ التّين[٣] ولا يُقَعقَعُ لى بالشّنان[٤] ولقد فُرِرْت[٥] عن ذَكاء وجَريت الى الغاية القُصوَى أن أمير المؤمنين عبد الملك قد نثر كنانته ثم عَجَمَ[٦] عيدانها فوجدني أمرّها عودا واصلبها مكسرا فوجهنى اليكم فانكم طالما أوضعتم[٧] في الفتن وسننتم سَنَنَ الغيّ أما والله لألحُوَنّـكُم لَحوَ العصا[٨] ولاعصبنّـكُم عَصبَ السَّلَمَةِ[٩] ولأضربنكم ضرب غرائب الابل إنى والله لا أعِدُ إلا وَفيتُ ولا أخلق[١٠] إلا فَرَيتُ فاياى وهذه الجماعات

(١) زيم اسم فرس واشتدي من الشد وهو العدو وقيل اسم للحرب . (٢) والحطم الذى يحطم كل شىء يمر به (٣) وفى رواية التّين وهو ضرب من الحيات (٤) قعقعة الشن صوت القربة اليابسة اذا سمعه البعير جفل

(٥) الفر فى الاصل النظر الى أسنان الفرس ونحوه لتعلم كم سنه يريد أنه اختبر عن ذكاء (٦) العجم العض والعوك على المجاز (٧) الايضاع ضرب من السير السريع أي أسرعتم (٨) لحو العصا إزالة قشرتها (٩) العصب القطع والسلمة من شجر العضاه (١٠) أخلق أي أقدر قال الله تعالى من نطفة مخلقة والفرى الشق

وقيل وقال وما يقول وفيم أنتم ونحو ذلك والله لتستقيمُنّ على سبل الحق أولأدَعَنّ لكل رجل منكم شغلاً فى جسده مَن وجدتُ بعد ثالثةٍ من بعث المهلب سفكتُ دمَهَ وأنهبتُ ماله ثم نزل فدخل منزله وفى رواية أنه قال فى خطبته . شاهت الوجوه إن الله ضرب مثلاً قريةً كانت آمنة مطمئنةً يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وانتم أولئك وأشباه أولئك فاستوثقوا واستقيموا فوالله لاذيقنكم الهوان حتى تدروا ولأعصبنّكُم عَصبَ السَّلَمَةِ حتى تنقادوا أقسم بالله لَتُقبِلُنّ على الانصاف ولتدعن الارجاف وكان وكان واخبرنى فلان عن فلان والهبرُ وما الهبر.⁽¹⁾ أولاهبرنكم بالسيف هبرا يدع النساء أيامى والولدان يتامى وحتى تمشوا السُّمّهَى⁽²⁾ وتقلعوا عن هاوها إياى وهذه الزرافات⁽³⁾ لا يركبَنّ الرجل منكم إلاّ وحده ألاَ أنه لو ساغ لأهل المعصية معصيتُهم ما جُبِىءَ فَىْءٌ ولا قوتل عدوٌّ ولعُطِّلَت الثغور ولولا انهم يُغزَوْن كَرْها ما غزَوْا طوعا وقد بلغنى رفضكُم المهلّب⁽⁴⁾ واقبالكم على مِصْركم عُصاةً مخالفين وانى أقسم بالله لا أجد أحداً بعد ثالثة إلاّ ضربتُ عنقَه فلما نفَرَ الناس الى المهلب قال لقَدْ وُلِّىَ العراق اليوم رجلٌ ذكر وكان اذا صعد المنبر تلفّع بمُطْرَفِهِ ثم تَكلم رُويدا رويدا فلا يكادُ يُسمع حتى يتزيّد فى الكلام فيخرج يَدَه من مُطْرفِهِ ثم يزجر الزّجرة فيُفزِع بها اقصى من بالمسجد ورقى المنبر مرة فملا صوته المسجدَ بأبيات سُوَيد بن أبى كاهل اليَشكُرِيِّ وهي

رُبَّ من انضجتُ غيظا صدرَهُ   قد تمنّى لى شرا لم يُطِع

(١) الهبر القطع والهبرة القطعة من اللحم (٢) السُّمّهَى التفرق يقال ذهبت إبله السمهى إذا تفرقت فى كل وجه والمراد حتى تمشوا متفرقين غير مجتمعين (٣) الزرافات الجماعات (٤) المهلب بن أبى صفرة وكان يقاتل الخوارج والحجاج ينفر اليه الناس للقتال

ويرانى كالشجا فى حلقه ... عسرا مخرجه ماينتزع
ساء ماظنوا وقد أبليتهم ... عند غايات المدى كيف أقع
كيف يرجون سقاطى بعدما ... جلل الرأس مشيب وصلع

كيف هنا جاءت نافية أى لايرجون قلت وأول هذه القصيدة التي منها هذه الأبيات هو

بسطت رابعة الحبل لنا ... فوصلنا الحبل منها مااتسع
حرة تجلو شتيتاً واضحا ... كشعاع الشمس فى الغيم سطع
صقلته بقضيب ناضر ... من أراك طيب حتى نصع
ابيض اللون لذيذاً طعمه ... طيب الريح اذا الريق خدع

ولا حتوائها على حماس جيد أحببت ذكر بعضها قال

وعدو جاهد ناضلته ... فى تراخى الدهر عنكم والجمع
فتساقينا بمر ناقع ... فى مقام ليس يثنيه الورع
وارتمينا والاعادى شهد ... بنبال ذات سم قد نقع
بنبال كلها مذروبة ... لم يطق صنعتها الا صنع
خرجت عن بغضة بينة ... فى شباب الدهر والدهر جزع
وتحارضنا وقالوا انما ... ينصر الأقوام من كان ضرع
ثم ولى وهو لايحمى آسته ... طائر الأتراف عنه قد وقع
ساجد المنخر لايرفعه ... خاشع الطرف أصم المستمع
فر منى هاربا شيطانه ... حيث لا يعطى ولاشيئاً منع
فر منى حيث لا ينفعه ... موقر الظهر ذليل المتضع
ورأى منى مقاما صادقا ... ثابت الموطن كتام الوجع
ولساناً صيرفيا صارماً ... كحسام(١) السيف مامس قطع

(١) وفى رواية كذباب السيف

وأتانى صاحب ذو غيّث ذفيان عند اغلاظ القرع
قال لبيك وما استصرخته حاقرا للناس أقوال القدع
ذو عباب زَبِدٌ آذيّه خمط التيار يرمى بالقلع
زَغرَبِىٌّ مستعز بحره ليس للماهر فيه مطلع
هل سُوَيدٌ غير ليث خادر ثئدت أرض عليه فانتجع

فيقال أن أهل العراق هابوه بالمِ يهابوا قطُّ اميراً مثله وبلغه أن المختار ابن أبى عبيد قال وهو بالكوفة والله لأدخلنّ البصرة لا أرمى دونها بكُتّاب (سهم) ثم لأملكن الهند والسند والبند[1] أنا والله صاحب الخضراء والبيضاء[2] والمسجد الذى ينبُعُ منه الماء فقال أخطأت أمتُ ابن أبى عُبَيد الحفرة أنا والله صاحب ذاك ومن تعاليه فى الكتابة ما كتب به الى قَطَرِىّ بنِ الفُجاءةَ من رؤساء الخوارج . سلام عليك الموحد الله والمصلى عليه محمد عليه السلام . أمابعد فانك كنت اعرابيا تستطعم الكسرة وتنخفشُ الى التمرة ثم خرجت تحاول ماليس لك بحق واعترضت على كتاب الله وَمَرَقْتَ من سُنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجع عما أنت عليه بما زُين لك وادعنى قصد آن لك والسلام فلما وصل الكتاب اليه قال ياغلام أزْبُر هذه الصحيفة فتلا عليه مافيها فتنهد قَطَرِي الصعداء ثم أنشأ يقول

فيا كبدا من غير جوع ولاظما ووا كبدا من وجد ام حكيم
فلو شهدتنى يوم دولاب ابصرت طعان فتى فى الحرب غير لئيم
غداة طفت عَلمَاء بكر بن وائل وعجنا صدور الخيل نحو تميم
وكان لعبد القيس أول حدنا وزلت شيوخ الأزد وهى تدوم

---

(١) البندامة هى أخت السند (٢) الخضراء الكتيبة العظيمة والبيضاء دار بالبصرة لعبيد الله بن زياد

ثم قال يا غلام اكتب سلام على من اتبع الهدى ذكرت فى كتابك أنى كنت بدوياً استطعم الكسرة وأبدر الى التمرة والله لقد قلت زورا بل الله بصرنى من دينه ما أعماك عنه اذ أنت سابح فى الضلالة غرق فى غمرات الكفر ذكرت ان الضرورة طالت بى فهلا برز لى من حزبك من نال الشبع واتكأ فاتدع أما والله لئن ابرز الله صفحتك واظهرلى صلعتك لتنكرن شيمك ولتعلمن أن مقارعة الابطال ليس كتسطير الأمثال انتهى ومرض الحجاج مرة ففرح أهل العراق بمرضه وأشاعوا أنه مات فلما سمع ذلك رقى المنبر بعد أن أفاق فخطب الناس فقال يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق مرضت فقلتم مات الحجاج أما والله لأحب الى ان أموت من أن لاأموت وهل أرجو الخير كله الا بعد الموت وما رأيت الله رضي بالخلود فى الدنيا لأحد من خلقه الا لأ بغض خلقه اليه وأهونهم عليه إبليس ولقد رأيت العبد الصالح يسأل ربه فقال رب هب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى ففعل ثم اضمحل ذلك فكأنه لم يكن ومن أحسن ما كتبه لعبد الملك بن مروان قوله من كتاب طويل متلطفا معتذرا محتجا آثرنا اقتطاف جمل منه طلبا للاختصار وكان عبد الملك قد كتب يطلب اليه اعتزال عمله ويشتمه ويعيره بما كان عليه من التشرط لروح بن زنباع أول امره وماصار اليه من الامارة وظلم الناس وبسط يده فى الاموال يحقن بها فى أوعية ثقيف وغير ذلك مما تراه فى رده عليه يقول فيه بعد مقدمة طويلة وما جهل أمير المؤمنين والبيان موقعه غير محتج عليه ولا متعد أن متابعة روح بن زنباع طريق الى الوسيلة لمن أراد فوقه وأن روحاً لم يلبسنى العزم الذى به رفعنى أمير المؤمنين عن خوله ولقد ألصقنى بروح بن زنباع همة لم تزل نواظرها ترمى بى البعيد وتطالع الأعلام ولقد سرت بعين أمير المؤمنين سير المتثبط لمن يتلوه المتطاول لمن يقدمه غير متلبث موجف ولامتثاقل مجحف فتثت الطالب ولحقت الهارب حتى ثارت السنة

و بادت البدعة وخمىء الشيطان فها أنا ذا يا أمير المؤمنين نصبُ المسألة لمن رآني ولقد عقدتُ الحبوة وقرنتُ الوظيفين لقائل محتج أو لائم ملتج وستظهر له الجنةُ نبأ أمرى ولكل نبإ مستقر وما حننتُ يا أمير المؤمنين فى أوعية ثقيف حتى روي الظمآن وبطن الغرثان وغصت الأوعية وانقدت الأوكية فى آل مروان فأخذت ثقيفٌ فضلاً صار لها لولاهم لفظته السائلة وما قدمتني يا أمير المؤمنين ثقيف فى الاحتجاج لها وإن لها مقالاً رحباً ومعاندةً قديمةً إلا أنّ هذا من أيسر ما يحتج به العبد المشفق على سيده المغضب والامر الى أمير المؤمنين عزل أم قر والسلام فلما قرأ عبد الملك كتابه قال صلوات الله على الصادق الامين القائل إن من البيان لسحرا ثم عفا عنه وأقره وكان عروةُ بن الزبير بن العوام عاملا لعبد الملك بن مروان باليمن فاتصل بعروة أن الحجاج مزمع على عزله ومطالبته بالأموال التى فى يده ففر الى عبد الملك وعاذ به تخوفا من الحجاج فبلغ الحجاج ذلك فكتب الى عبد الملك كتابا يقول فيه اما بعد فان لوَاذَ المتعرضين بك وحلول الجانحين الى المكث بساحتك واستلانتهم دمث اخلاقك وسعة عفوك كالعارض المبرق لاعدائه لا ييئس شائما له رجاء استمالة عفوك واذا أدنيت الناس بالصفح عن الجرائم كان ذلك تمرينا لهم على اضاعة الحقوق مع كل ضائع والناس عبيد العصا وهم الى الشدة أشد استباقا منهم الى اللين ولنا قبل عروة بن الزبير مال من مال الله وفى استخراجه منه قطع لطمع غيره فليبعث به أمير المؤمنين إن رأى ذلك والسلام فلما قرأ الكتاب بعث إلى عروة بن الزبير فجاءه فقال له إن كتاب الحجاج قد ورد فيك وقد أبي إلاّ اشخاصك اليه ثم قال لرسل الحجاج شأنك به فالتفت عروة اليه مقبلا وقال له أما والله ما ذل وخزي من مات ولكن ذل وخزى من ملكتموه والله لئن كان الملك بجواز الأمر ونفاذ النهي أن الحجاج لسلطانٌ عليك ينفذ أموره دون أمرك إنك لتريد الأمر يزينك عاجله ويبقى لك الكرومة

آجلا فيجذبك عنه ويلقاه دونك ليتولى من ذلك الحكم فيحظى بشرف عفو إن كان أو بجرم عقوبة إن كانت وما حاربك الا على أمر هذا بعضه قال فنظر في كتاب الحجاج مرة ورفع بصره الى عروة تارة ثم دعا بدواة وقرطاس فكتب اليه أما بعد فان أمير المؤمنين رآك مع ثقته بنصيحتك خابطا في السياسة خبط عشواء الليل فان رأيك الذي يسول لك أن الناس عبيد العصا هو الذي أخرج رجالات العرب الى الوثوب عليك واذا أخرجت العامة بعنف السياسة كانوا أوشك وثوبا عليك عند الفرصة ثم لا يلتفتون الى ضلال الداعي ولا هداه إذا رجوا بذلك إدراك الثأر منك وقد وليت العراق قبلك ساسة وهم يومئذ احمى أنوفا وأقرب من عمياء الجاهلية وكانوا عليهم أصلح منك عليهم والشدة واللين أهلون والافراط في العفو أفضل من الافراط في العقوبة والسلام ودعا الحجاج أنس بن مالك رضي الله عنه الى الخروج معه في بعض خرجاته فأبى عليه فشتمه وقال له والله لأقلعنك قلع الصمغة ولأجزرنك جزر الضرب ولأعصبنك عصب السلمة فقال أنس من يعني الأمير قال إياك أعني أصم الله صداك فقام عنه وكتب الى عبد الملك بن مروان كتابا يشكو الحجاج فيه فلما قرأه عبد الملك كتب الى الحجاج كتابا يقول فيه أما بعد فانك عبد طمت بك الأمور فطغيت وعلوت فيها حتى جاوزت حد قدرك وعدوت طورك وايم والله يا ابن المستفرمة[1] بعجم زبيب الطائف لأغمزنك كبعض غمزات الليوث الثعالب ولأركضنك ركضة تدخل منها في وجعاء[2] أمك إذكر مكاسب آبائك بالطائف إذ كانوا ينقلون الحجارة على أكتافهم ويحفرون الآبار في المناهل بأيديهم فقد نسيت ما كنت عليه أنت

---

(١) المستفرمة مستفعلة من الفرم يقال لها استفرمت المرأة اذا فعلت شيئا تعالج به قبلها ليضيق وعجم الزبيب نواه وكلما كان في جوف ما كول (٢) الوجعاء السافلة وهي الدبر

وأبوك من الدناءة واللؤم والضراعة وقد بلغ أمير المؤمنين استطالةٌ منك على أنس ابن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جرأةٌ منك على أمير المؤمنين وغِرّةٌ بمعرفة غِيَرِهِ ونقماته وسطواته على من خالف سبيله وعمد الى غير محجته ونزل عند سُخْطَتِه وأظنك أردت أن تروزه لتعلم ما عنده من التغيير والتنكير فان سوغتها مضيت قُدُما وان بغضتها وليتَ دُبُراً فعليك لعنة الله من عبد أخفش العينين(١) أصكّ الرجلين(٢) ممسوح الجاعرتين(٣) وأيم الله لو أن أمير المؤمنين علم إنك اجترمتَ منه جرما اوانتهكت له عِرضا فيما كتب به الى أمير المؤمنين لبعث اليك من يسحبك ظهرا لبطن حتى ينتهى بك الى أنس بن مالك فيحكم فيك بما أحب ولن يخفى على أمير المؤمنين نبؤك ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون فلما قرأ الحجاج الكتاب دعا أنس بن مالك واجلسه معه على السرير وقال له يغفر الله لك أبا حمزة عجلت علينا باللائمة واغضبت أمير المؤمنين فقال أنس فى عتاب طويل والله لو أن اليهود أو النصارى رأت من خدم موسى بن عمران أو عيسى ابن مريم عليهما السلام يوما واحدا لرأت له ما لم تروا لى فى خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين قال فاعتذر له الحجاج وترضاه ولم يزل معظما له هائبا منه حتى مات أنس وقد كتب الحجاج الى عبد الملك رد الكتاب ولم نر لزوما لنقله لأنه لم يحو شيئا من البلاغة غير التزلف الشائن والاطراء الممل فلما ورد على عبد الملك قال يا كاتب افرِخْ رُوع أبى محمد فكتب اليه بالرضاء عنه وقال أبو وائل بعث الىّ الحجاج فجئته فقال لى ما اسمك قلت ما أرسل الامير الىّ حتى عرف اسمى قال متى

---

(١) الخفش صغر فى العينين وضعف فى البصر وقد يكون الخفش علة

(٢) الصكك تصادم الركبتين فى المشى (٣) الجاعرتان موضع الرقمتين من أست الحمار أو الفرس أو هو مضرب الفرس بذنبه أو حرفا الوركين المشرفين على على الفخذين وهو المراد هنا ومعناه لا حرف لوركيه وهو عيب فى الخلقة

هبطت هذه الارض قلت حين ما كنت أُعلها قال كم تقرأ من القرآن قلت اقرأ منه ما إن اتبعتُه كفانى قال أريد أن أستعين بك على بعض عملى قلتُ أن تستعن بى تستعن بكبير أخرق ضعيف يخاف أعوان السوء وان تدعنى فهو أحبُّ الىّ وان تقحمنى اقتحم قال ان لم نجد غيرك أقحمناك قلت وأخرى أكرم الله الأمير انى ما علمت الناس هابوا أميرا قط هيبتهم لك والله انى لأتعار من الليل فأذكرك فما يأتينى النوم حتى أصبح ولست لك على عمل فأعجبه حديثى فقال هيه كيف قلت قال فأعدت عليه الحديث فقال والله ما أعلم اليوم رجلا على وجه الارض أجرأ على ربه منى قال أبو وائل فقمت فعدلت عن الطريق كأنى لا أبصرُ فقال اهدوا الشيخ ارشدوا الشيخ وسأله عبد الملك بن مروان أن يصف له عيوب نفسه فقال اعفنى يا أمير المؤمنين قال لا بد أن تقول فقال أنا لجوج حسود حقود فقال عبد الملك ما فى ابليس شر من هذا وأتى اليه بعامر الشَّعبىّ ومُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير من أسرَى دير الجماجم وكانا يريانِ التَّورِيَة فقال للشعبى أكافر أنت أم مؤمن قال اصلح الله الأمير نبا بنا المنزل واجدب بنا الجنابُ فاستحلسنا الخوف واكتحلنا السهر وخبطتنا فتنةٌ لم نكن فيها بررةً أتقياء ولا فجرة اقوياء قال الحجاج صدق والله مابروا بخروجهم علينا ولا قَوَوْا خلوا عنه ثم قال لِمطَرِّف بن عبد الله أكافر أنت أم مؤمن قال أصلح الله الأمير إن من شق عصا الطاعة ونكث البيعة وفرق الجماعة واخاف المسلمين لجدير بالكفر قال صدق خلوا عنه وجيء اليه بسعيد بن جُبير وكان من خيار التابعين فسأله أكافر أنت أم مؤمن فقال ما كفرت بالله منذ آمنت به فأمر به فقتل ذبحا وقد ذكر ابن خلكان فى الوفيات كيفية قتله وهى حكاية مؤلمة اضربنا عن ايرادها ويقال ان سعيدا دعا الله ان لا يسلط الحجاج على أحد بعده فلم يقتل أحدا بعده الى أن مات وسئل الحجاج مرة كيف وجدت منزلك بالعراق قال خير منزل لو أدركت به أربعة لتقربت الى الله بدمائهم قيل من هم قال مقاتل

ابن مسلم وُلّىَ سِجستان فأتاه الناس فأعطاهم الأموال فلما قدم البصرة بسط الناس له لرديتهم فقال لمثل هذا فليعمل العاملون وعبيد الله بن ظُبيان قام خطيبا فخطب خطبة وجيزة فنادى الناس من اعراض المسجد اكثر الله فينا امثالك فقال لقد سألتم الله شططا (أمرا بعيدا) وسعيد بن زرارة كان جالسا ذات يوم فمرت به امرأة فقالت أين الطريق ياعبد الله الى مكان كذا فغضب وقال لمثلى يقال عبد الله وأبو سماك الحنفى أضل ناقته فقال لئن لم يردها الله الى لاصليت له أبدا فلما وجدها قال علم ان يمينى كانت برة قال ناقل الحديث ونسى الحجاج نفسه وهو خامس الأربعة بل أفسقهم وأطغاهم واعظمهم إلحادا فقد كتب الى عبد الملك ابن مروان يقول له ان خليفة الله فى أرضه أكرم عليه من رسوله اليهم وقال وقد رأى الناس يزورون القبر الشريف بالمدينة انما يطوفون بأعواد ورمة باليه قلت فاذا صح هذا منه كان إلحادا عظيما واكثر ماعرف عنه فصاحته وجوده واجتهاده فى قتل الخوارج واستئصالهم فأما فصاحته فقد مر عليك مما نقلناه مايشفى وأما جوده فيقال انه كان يصنع كل يوم الف خوان فى رمضان للناس وخمسمائة فى سائر الايام وأما قتله الخوارج فقد كان يبعث البعوث وارزاقهم الى المهلب بن أبى صفرة تلو بعضها ولولا استئصاله اياهم تقريبا لانتشرت بدعتهم فى الاسلام والله اعلم وكان اذا استُغرِب ضحكا والى بين الاستغفار وكان ينشد فى مرض موته البيتين الآتين

يارب قدحلف الاعداء واجتهدوا أيمانَهم انى من ساكني النار

ايحلفون على عمياء ويحهم ماظنهم بعظيم العفو غفار

وقد مكث أميرا فى خلافة عبد الملك الى أن مات وصدرا من خلافة الوليد ابنه أى نحو عشرين سنة ومات لخمس ليال بقين من شهر رمضان سنة خمس وتسعين وعمره ثلاث وخمسون سنة وقيل أربع وخمسون بواسط وهى مدينته

التى اختطها بين الكوفة والبصرة وكان موته يوم فرح بالعراق وقد اكتفينا من اخباره بهذا القليل وانها لكثيرة ونعود الى حكاية رجم الكعبة للمرة الثانية وقتل ابن الزبير رضى الله عنه كما وعدنا

ذكر رجم الكعبة الشريفة للمرة الثانية

قدمنا فى مضى أن عبد الملك بن مروان ندب الحجاج بن يوسف لقتال ابن الزبير بمكة فنقول سار الحجاج اليه فى الف وخمسماية وقيل الفين من الشام فى شهر جمادى سنة اثنتين وسبعين فلم يعرض للمدينة بل سلك طريق العراق فنزل بالطائف واستقر عبد الملك بدمشق يرسل اليه الجيوش تباعا حتى توافى الناس عنده قدر مايظن انه يَقْدِرُ على قتال ابن الزبير ولما تكامل جيشه سار من الطائف فنزل مِنًى فكان يبعث البعوث الى عرفة فى الحل ويبعث ابن الزبير بعثا فيقتتلون هنالك فكانت تهزم خيل ابن الزبير وترجع خيل الحجاج ظافرةً فلما رأى الحجاج ذلك كتب الى عبد الملك بن مروان يستأذنه فى حصار ابن الزبير ودخول الحرم عليه ويخبره أن شوكته قد كلّتْ وتفرق عنه علمة أصحابه فأذن له فحصر ابن الزبير ليلة هلال ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين ونصب المجانيق على ابى قبيس ونواحى مكة كلها ورمى البيت الحرام بها فكان اذا رمى البيت رعدت السماء وبرقت وعلا صوت الرعد وبريق البرق على الحجارة فاشتمل عليها فأعظم ذلك أهل الشام فامسكوا أيديهم فرفع الحجاج بركة قبائه فغرزها فى منطقته ورفع حجر المنجنيق فوضعه فيه ثم قال ارموا ورمى معهم فجاءت صاعقة تتبعها أخرى فقتلت من أصحابه اثنى عشرة رجلا فانكسر أهل الشام فقال الحجاج يا أهل الشام لاتنكروا هذا فانى ابن تهامة هذه صواعق تهامة هذا الفتح قد حضر فابشروا ان القوم يصيبهم مثل ماأصابكم فصعقت من الغد صاعقة فأصابت من أصحاب ابن الزبير عدة فقال الحجاج ألا تَرَوْن انهم يصابون وانتم على الطاعة وهم على

المعصية فلم تزل الحرب بين ابن الزبير وبين الحجاج حتى كان قبيل مقتل ابن الزبير تفرق عنه أصحابه وخرج جماعة منهم الى الحجاج فى الأمان وخذلوا ابن الزبير ويقال انه خرج منهم نحو عشرة آلاف وممن خرج منهم إبناه حمزة وخُبَيْب فأخذا لنفسهما أمانا من الحجاج فلما رآى ابن الزبير ذلك دخل على أمه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها وهى عمياء من الكبر فقال لها ياأُمه قد خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى فلم يبق معى الا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة والقوم يعطوننى ما أردت من الدنيا فما رأيك قالت يابنى أنت والله اعلم بنفسك ان كنت تعلم أنك على حق واليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن رقبتك يتلَعَّبُ بها غلمان بنى أمية وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد أنت اهلكت نفسك واهلكت من قتل معك وان قلت كُنت على حق فلما وَهَنَ اصحابى ضَعُفْتُ فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين وكم خلودك فى الدنيا القتل أحسن فقبل رأسها وقال هذا والله رأيى والذى قمت به داعيا الى يومى هذا ماركنت الى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعانى الى الخروج إلا الغضب لله أن تُسْتَحلَّ حُرَمُهُ ولكني أحببت ان أعلم رأيك فزدتِني بصيرة على بصيرتى فانظري يا أمه فانى مقتول من يومى هذا فلا يشتد حزنك وسلمى لأمر الله فان ابنك لم يتعمد إتيان منكر ولا عملا بفاحشة وكلاماً آخر من هذا المعنى فدعت له بخير فخرج عنها وقاتل قتالا شديدا فلما كان يوم الثلاثاء صبيحة سبع عشرة من جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين وقد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب بات ابن الزبير يصلى عامة الليل حتى أصبح فصلى بأصحابه صلاة الصبح ثم خطب فيهم فقال لهم أكشفوا وجوهكم حتى أنظر فكشفوها فقال يا آل الزبير لو طبتم لى نفسا عن انفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطَلَمْنَا فى الله لم تصبنا زُبَّاء بتة أما بعد ياآل الزبير فلا يرعكم وقع السيوف فانى لم أحضر موطنا قط

إلا أرتثثت فيه من القتل وما أجد من دواء جراحها أشد مما أجد من ألم وقعها صونوا سيوفكم كما تصونوا وجوهكم لا أعلم أمرءا كسر سيفه واستبقى نفسه فان الرجل اذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل غضوا أبصاركم عن البارقة وليشغل كل امرىء قرنه ولا يلهينكم السؤال عني ولا تقولن أين عبد الله بن الزبير ألا من كان سائلا عني فاني في الرعيل الأول ثم تمثل بقول الحصين بن الحمام

أبى لابن سلمى أنه غير خالد ملاقي المنايا أي حرف تيمما

فلست بمبتاع الحياة بسبة ولا مرتق من خشية الموت سلما

احملوا على بركة الله فحملوا وحمل معهم حتى بلغ بهم الحجون فرمي بآجرة فأصابته في وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه ولحيته فقال متمثلا

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وتعاووا عليه (تعاونوا) فقتلوه رحمه الله وجاء الخبر الى الحجاج فسجد وسار حتى وقف عليه فاحتز رأسه في داخل مسجد الكعبة ثم بعث بها مع رؤس آخرين الى عبد الملك بن مروان ويقال أنه صلب جثته على الثنية بمكة وهي التي عناها ابن زيدون بقوله وصلبت العائذ على الثنية وبقيت شهرا وقيل أكثر حتى تقطعت أوصالها وآلى الحجاج أن لا ينزلها حتى تشفع فيه أمه أسماء رضي الله عنها فأتته وقالت يا حجاج أما آن لهذا الراكب أن ينزل فعد ذلك شفاعة منها فأذن لها فيها فأخذتها وكفنتها ودفنتها وكانت مدة حصار الحجاج لمكة الى أن قتل ابن الزبير ثمانية أشهر وأياما ولما استقامت الامور للحجاج بمكة كتب الى عبد الملك بن مروان باعادة بناء الكعبة الشريفة الى ما كانت عليه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكانت حجارة المنجنيق قد أصابتها كما مر فهدم الحجاج جانب الحجر الذي زاده ابن الزبير رضي الله عنه واعاده الى أصله وسد الباب الغربي ورفع الشرقي عن الارض الى حاله الذي هو عليه الآن وكان عبد الملك بن مروان يقول بعد ذلك وددت

اني كنت حملت ابن الزبير من بناء الكعبة ماتحمل وكل ماحصل فى الكعبة من الاصلاح والزخرف فمن عمل من أتى من خلفاء بنى عباس ومن بعدهم زادها الله شرفا وفضلا آمين انتهى

(المتن) لكَانَ فِيمَا مَا جَرَى عَلَىَّ مَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ نَكَالاَ وَيَنْبَغِي وَلَوْ عَلَى الْمَجَازِ عِقَابَا

وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بِامْرِىءٍ * تَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِمِينَا

الشرح اللام فى هذه الجملة واقعة فى جواب لوفى قوله لوكنت أمرت بالسجود لآدم الى قوله وصلبت المائد على الثنية وماق قوله فيما جرى موصلة بمعنى الذى وصلتها قوله مايحتمل وما الثانية نكرة موصوفة أى لكان فى الذى جرى على شوء يحتمل أن يكون نكالا وجرى أصلها خلاف وقف وهنا بمعنى أسرع قال فى المصباح وجريت الى كذا جريا وجراء قصدت واسرعت وقولهم جرى فى الخلاف كذا يجوز حمله على هذا المعنى لأن الوصول والتعلق بذلك المحل قصد اليه على المجاز والاحتمال هنا بمعنى التوهم والنكل النازلة القبيحة ليعتبر بها الغير والمجاز فى اللغة التجوز فى الامر وجعله طريقا ومسلكا الى الغرض والعقاب الجزاء وقوله وحسبك من حادث اي كفاك يعاتب مولاه فيما حل به وحاصل المعنى لو أذنبت كل هذه الذنوب وفيها الكبائر والصغائر لكان الذي وصلني من عذاب السجن وهوانه ما يتوهم متوهم انه انتقام مني ليعتبر غيرى بي أوالجاز أن يكون جزاء على حادث أحدثته والحال أني لم أقترف شيئا وكفاك أنه صير الحاسدين ممن كان يبغضني ويتمني بلائي لقربي منك راحمين لي مشفقين علي وهذا مبالغة في وصف حاله السيىء وحض لمولاه على الشفقة والمرحمة به وطلب العفو عنه وبيت الشعر ينسب الى المتنبي الشاعر ذكر ذلك الشيخ حمزة فتح الله رحمه الله وقد بحثت فى ترجمة المتنبي في الوفيات لابن خلكان وفيما لدي من متفرقات أخباره فلم

أيفق الى الاطلاع على القصيدة التي منها هذا البيت أوفى المقطعات من شعره القلق الضرب عن ذكر أخباره وانما اذكر أنه من علماء القرن الثالث ونسبه أموى وتوفى فى سنة مائتين وثمان وعشرين هجرية انتهى

(المتن) فَكَيْفَ وَلَا ذَنْبَ الأَ نَمِيمَةُ أَهْدَاهَا كَاشِحٌ وَنَبَأٌ جَاءَ بِهِ فَاسِقٌ

(الشرح) كيف اسم مبهم غير متمكن وحرك آخره لالتقاء الساكنين وبنى على الفتح دون الكسر لمكان الياء وهو للاستفهام والتعجب والانكار والمراد هنا الأول اى بأى حال هذا جرى على ولا ذنب لي الا نميمة نم بها على كاشح والنميمة الاغراء أو السعاية بالغير يقال نم عليه نما إذا سعى بحديث يوقع فتنة أو وحشة والكاشح الذى يضمر العداوة ويسترها يقال طوى كشحه على الامر ستره والنبأ الخبر والفاسق الفاجر الخارج عن مسلك الحق يشير الى قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) قيل نزلت فى الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْطٍ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى المُصْطَلِقِ بعد الوقعة مُصَدِّقًا يَجْبِي الصدقات منهم وكانت بينهم وبينه عداوة فى الجاهلية فلما سمع القوم به تلقوه تعظيما لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان بنى المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلى فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوع الوليد فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يارسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدى له ما قبلناه من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا أنه انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضب الله ورسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خِفْيَةً فى عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدومه وقال انظر فان رأيت منهم مايدل على إيمانهم

يأخذ منهم زكاة أموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما تستعمله فى الكفار ففعل ذلك خالد فوافاهم فسمع منهم اذان المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فانزل الله تعالى الآية التي تقدمت فالفاسق الوليد بن عقبة وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق قال الخازن وهو أولى من حكم الآية على رجل بعينه لأن الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد إلا أنه ظن وتوهم فاخطأ فعلى هذا يكون معنى الآية إن جاءكم فاسق بنبإ أى بخبر فتبينوا وقرىء فتثبتوا أى فتوقفوا واطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفاسق ومراد ابن زيدون ما كان ذنبي إلا سعاية عدو وخبر فاسق

(المتن) وهم الهمّازون المشّاؤون بنميم والواشون الذين لايلبثون أن يصدعوا العصا

(الشرح) الضمير للكاشح والفاسق بصيغة الجمع والهمازون جمع هماز وهو المغتاب الذي يتحدث من وراء غيره بالسوء والنميمة تقدم بيانها وتسمى حطبا يقال فلان يحطب على فلان أى يغرى به ومنه حمالة الحطب كما قال الله تعالى وهي أم جميل بنت حرب بن أمية عمة معاوية بن أبي سفيان زوج أبى لهب والواشون جمع واش أى الكاذب والجملة الأولى مأخوذة من قوله تعالى (ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم الآية) قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومى لأنه عرض على النبى صلى الله عليه مالاً وحلف له أن يعطيه اذا هو رجع عن دينه وقد وصفه الله فى هذه الآية بعيوب كثيرة منها الحلف بالباطل ومنها عيب الناس في غيبتهم ومنها المشي بينهم بالاغراء والفساد ومنها منع الخير عنهم من المال والايمان ومنها التعدى أى تجاوز الحدود ومنها ارتكاب الاثم فيترك الطيبات ويأخذ الخبائث ومنها أنه عتل أي

غليظ جاف أو فاحش سيء الخلق ومنها أنه زنيم أى دعيّ والدعيّ الملصقُ بالقوم وليس منهم وكان الوليد كذلك لأن أباه ادعاه بعد ثمان عشرة سنة فعرف بدعيّ قريش وفيه يقول الشاعر

دعيٌّ ليس يعرف من أبوه   بغيٌّ الأم ذو حسب لئيم

قال ابن قُتَيبة لا نعلم أن الله وصف أحدا ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فألحق به عارا لا يفارقه فى الدنيا والآخرة انتهى والجملة الثانية مأخوذة من قول كثير عزّة

ولا لبث الواشون أن يصدعوا العصا   اذا هى لم يصلب على البرى عودها

في أبيات أخرى وسيأتى ذكرها فى سياق أخباره والصدْع الشقّ ومنه المثل فلان يشق عصا الجماعة أي يفرقهم قيل والاصل فى العصا الاجتماع والائتلاف فهى عصا ما دامت جميعا فاذا انشقت لم تُدْعَ عصا

ذكر كثيّر عزّة وبعض أخباره

كثيّرٌ اسمه وكُنيته أبو صخر بن عبدالرحمن بن الاسود بن عامر بن عُوَيمر من خُزاعة ويقال له ابن أبي جمعة شاعر فحل من شعراء الاسلام فى الدّولة الأُموية وجعله ابن سلام فى الطبقة الأولى وقرنه بجرير والفرزدق وكان يقال ما قصد القصيد ولا نعت الملوك مثله واشتهر فى دُولة آل مروان فأحبوه لِطُلفِ محله فى أنفسهم وكان شيعياً يذهب مذهب الكَيسانيّة (١) متوغلا فى الرفض ويقول بالرجْعة (٢) والتناسخ (٣) وآل مروان يعلمون مذهبه فلا يُغيّرُهم ذلك عليه فمن تشيّعه أنه يزعم أن محمد بن الحنيفة من ولد الامام على رضى الله عنه لم يمت وفى ذلك يقول

(١) الكيسانية صنف من الروافض وهم أصحاب المختار بن أبى عبيد لأن لقبه كان كيسان (٢) الرجعة أى الرجوع الي الدنيا بعد الموت (٣) التناسخ تناسخ الأزمنة وتداولها وانقراض قرن بعد قرن وهو مذهب قبيح

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء
عليٌّ والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبطٌ سبطُ إيمان وبرّ وسبط غيَّبتْهُ كربلاء
وسبط لا تراه العين حتى يقود الخيل يتبعها اللواء

وكان أحمق فمن حمقه أنه دخل عليه نفر من قريش وهو مريض فقال له أحدهم كيف تجدُك أبا صخر قال أجدُنى ذاهباً قال كلا قال فهل سمعتَ الناس يقولون عنى شيئاً قال نعم يتحدثون أنك الدجال قال أمَا إن قلتَ ذلك إنى لأجدُ فى عينىَّ ضعفاً منذ ثلاثة أيام ومن اعتقاده فى الرّجعة والتناسخ احتجاجه بقول الله تعالى (فى أىّ صورةٍ ما شاء ركبكَ) وكان من أتيهِ الناس وأذهبِهم بنفسه على كلّ أحد فقيل أنّ ناساً من أهل المدينة كانوا يَعْبَثون به فيقولون وهو يسمع أن كُثيّرا لا يلتفتُ وراءه فكان الرجل يأتيه من خلفه فيأخذ رداءه فلا يلتفت اليه ويمشى فى قميص وكان قصيرا دميما فاذا دخل على عبد العزيز بن مروان تهكم عليه وقال له طأطىء برأسك لا يُصيبك السَّقْفُ ولجودة شعره كان عبد الملك بن مروان يعجب به كثيرا ويخرجه الى مؤدب ولده ليرويه لهم وحضر أيام عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ومدحه بأحسن ما مدح به أموى أخذ بالسنة وجانب البدعة فقال

وَلِيتَ فلم تَشْتُمْ علياً ولم تُخِفْ بَرِيًّا ولم تسمع مقالة مجرم
وقلت فصدقت الذى قلت بالذي فعلتَ فأضحى راضياً كل مسلم
وقد لَبِسَتْ لُبْسَ الملوك ثيابها وأبدت لك الدنيا بخدٍّ ومعصم
وتومِضُ أحيانا بعين مريضة وتَبْسِم عن مثلِ الجمان المنظَّم
فأعرضْتَ عنها مشمئزاً كأنما سقتك مدوفا من سمام وعلقم
فلو يستطيعُ المسلمون لقسّموا لك الشطرَ من أعمارهم غير نُدَّم

وتعشق عزّة الضُمْرِيّةَ وعُرف بها فقيل كثيّر عزة لذلك وأول شعر قاله فيها القصيدة التى منها البيت السابق ولا لبث الواشون الخ يقول فى أبيات منها

نظرتُ اليها نظرةً وهى عاتق ... على حين أن شبّت وبان نهودها
نظرتُ اليها نظرةً ما يَسُرّنى ... بها حُمْرُ أنْعام البلاد وسودها
وكنت اذا ماجئت سُعدَى بارضها ... أرى الأرض تُطْوَى لى ويدنو بعيدها
وقد درّعوها وهى ذات مؤَصّدٍ ... مَجوبٍ ولمّا يَلبس الدرعَ ريدها
من الخَفِرَاتِ البيضِ وَدّ جليسُها ... اذا ما انقضت أحدوثَةٌ لو تعيدها

ويروى أن عَزّة تزوجت برجل وعاشت معه فسئل كثيّر عن أعجب خَبَرٍ له معها وهى متزوجة فقال حججت سنةً من السنين وحج زوج عَزّةَ بها ولم يعلم أحد منا بصاحبه فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياع سمن تصلح به طعاما لاهل رُفقته فجعلت تدور على الخيام واحدة واحدة حتى دخلت علىّ وهى لا تعلم انها دخلت خيمتى وكنت جالساً أبْرِى سهاما لى فلما رأيتها عرفتها. فجعلت أبرى وأنا أنظر اليها حتى بَرَيْتُ لحمى مرات ولم أشعر به والدم يجرى منه فلما تبيّنتْ ذلك أمسكَتْ يدى وجعلَتْ تمسح الدّمَ عنها بثوبها وكان عندى نِحْىٌ من سمن فحلفت لتأخذنّه فأخذته وجاءت إلى زوجها به فلما رآى الدم فى ثوبها سألها عن خبره فكتمته فحلف عليها لتصْدقَنّه فصَدَقَتْهُ فضربها وحلف عليها لتشتُمَنّي في وجهي فوقفت علي وهو معها فقالت يا ابن الزانية وهى تبكى ثم انصرفا فذلك حين أقول

يكلفها الخنزير شتمى وما بها ... هوانى ولكن للمليك استزلت
هنيئا مريئا غير داء مخامر ... لعزّة من أعراضنا ما استحلت

ويروي الغَيْران بدل الخنزير

فليت قَلوصى عند عزّة قُيِّدت ... بحبل ضعيف بان منها فضلّتِ
وأصبح فى القوم المقيمين رحلُها ... وكان لها باغ سواى فبَلّتِ

بلّت هنا بمعنى ذهبت قال أبو على القالى ولا أعرف بلت بهذا المعنى الا فى هذا البيت

وكان لقطع الحبل بينى و بينها كناذرةٍ نذرا وفّت واحلّت

ويروى فأوفت وحلت

فقلت لها يا عزّ كل مصيبة اذا وطّنت يوما لها النفس ذلت

أباحت حمى لم يَرعه الناس قبلها وحلّت تِلاعا لم تكن قبلُ حلّت

وهى طويلة ومنها

تمنيتها حتى اذا مارأيتها رأيت المنايا شُرّعاقداظلّت

كأنى انادى صخرة حين اعرضت من الصُّم لو تمشى بها العُصم زُلّت

صفوحا فماتلقاكَ الا بخيلةً فمن ملّ منهاذلك الوصل ملّتِ

صفوحاهنا بمعنى مُعرِضة . وقيل ان عزّة دخلت على عبد الملك بن مروان وقد تقدمتْ فى السن فقال لها أنتِ عزة كثير قالت بل انا عزّة بنت حميد قال أنتِ الذى يقول فيك كثير

لعزة نارا (١) ماتَبُوخُ كأنّها اذا مارمقناها على البُعد كوكب

فما الذى اعجبه منك قالت اعجبه منى مااعجب المسلمون منك حين صيّروك خليفة فضحك عبد الملك حتى بَدَتْ له سِنٌّ سوداء كان يخفيها وقال لها هل تروين قول كثير فيك

وقد زعمت أنى تغيرت بعدها ومن ذا الذى ياعز لايتغير

تغيُّرجسمى والخليقة كالذى عهدتِ ولم يُخبِرْ بسرك مُخبِرُ

قالتْ ولكنى أروى قوله

(١) نصب نارا لأنّها مفعول ثان لرأيت فى البيت السابق لهذا وهو

رأيت واصحابى بأيلة موهنا وقد غاب نجم الفرقد المتصوب

كأنى أنادى صخرة حين أعرضت ... من الصُّمِّ لو تمشى بها العُصمُ زلّت

واخباره معها كثيرة و يقال انه كاذب فى عشقه لما ذ كر ذلك صاحب الأغانى ومن احسن ماقاله وفيه حكم قوله

ومن لم يُغمِّض عينَهُ عن صديقه ... وعن بعض مافيه يمت وهو عاتبُ

ومن يتتبّعْ جاهدا كل عثرةٍ ... يجدْها ولم يَسْلَمْ له الدهرَ صاحبُ

ولما نزل به الموت بكى عليه بعضُ اهله فقال له لاتبكِ كأنك بى بعد لو بين ليلة تسمع خشفةَ نعلىَّ من تلك الشِّعْبة راجعا اليكم وهذا من مذهبه فى الرَّجعة ومات فى سنة خمس ومائة هجريه انتهت اخباره

(المتن) والغُواةُ الذينَ لا يَتْرُكُونَ أديماً صحيحاً والسُّعاةُ الذينَ ذَكَرَهُمُ الأحنفُ بنُ قيسٍ فقالَ ما ظنُّكَ بقوم الصِّدْقُ محمودٌ إلاّ منهم

الشرح هذه الجمله عطف على ماقبلها والغواة الضالون جمع غاوٍ والأديم الجلد وقيل احمره اومدبوغه جمع آدِمَةٍ وَآدام قال فى المصباح و يسكّن للتخفيف (أُدمٌ) فيعامل معاملة الفرد والمراد هنا جلد الانسان والسعاة النامون وفى الحديث لعن الله المُثلثَ فقيل ومن المثلث يارسول الله قال الذى يسعى بصاحبه الى سلطانه فَيهلكَ نفسه وصاحبه وسلطانه وقوله والغواة الى (اديما صحيحا) مأخوذ من قول الشاعر

ولا تُفْشِ سِرَّكَ إلاَّ اليك ... فإن لكل نصيح نصيحا

فانى رأيتُ غُواة الرِّجا ... لِ لايتركون أديما صحيحا

ولم اقف على اسم قائله و يروى ان على بن ابى طالب رضي الله عنه كان يتمثل بهذين البيتين والله اعلم وتمام الجملة مأخوذ مما كان يقوله الأحنف بن قيس التميمى وسيأتى ذكره والمعنى وهم اهل الضلال والنفاق لاهم لهم الاتمزيق الأعراض وإثارةُ الفتن وقوله ماظنك بقوم الصدق محمود إلا منهم يريد به اولئك

السعاة الأشرار لايحمد صدقهم وان يكن الصدق فى ذاته محمودا وقد يحمد الكذبُ فى بعض الأمور وان يكن فى ذاته مذموما قال صلى الله عليه وسلم كلُّ كذب يكتب كذباً إلا فى ثلاثة الكذب فى الصلح بين الرجلين وكذب الرجل لامرأته يَعِدها وكذبُ الرجل فى الحرب يتوعد و يتهدد

ذكر الأحنف بن قيس و بعض اخباره

الأحنف اسم غلب عليه لأنه كان أحنَفَ الرجل يطأ على وحشيها واسمه الضحاك ابن قيس وقيل صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزّال بن مرة ابن عبيد بن الحرث وهو مقاعس بن عمرو بن كعب بن زيد مناة بن تميم التميمى المعروف ويكنى أبا بحر وبه يضرب المثل فى الحلم وهو الذى ذكره حبيب بن اوس الطائى فى البيت الذى مدح به أحمد بن المعتصم العباسى

إقدامُ عَمْرٍو فى سماحة حاتم فى حِلْمِ احنف فى ذكاء اياس

ولم يرد ذكاء اياس من الذكاء وهو حِدّة الذهن وانما أراد زكانته أى فراسته فلم تطعه القافية وكان اياس كذلك وكان الأحنف متراكب الاسنان صغير الراس مائل الذقن وأدرك الاسلام وأسلم وكان من كبار التابعين وسيدا من سادات بنى تميم وجده معاوية بن حصين هو الذى قتل عنترة بن شداد العبسى فى يوم الفروق من أيام العرب وأدرك الاحنف النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره ويقال ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دعا بنى تميم الى الاسلام كان الأحنف فيهم فلم يجيبوا الى اتباعه فقال لهم الأحنف انه يدعوكم الى مكارم الأخلاق وينهاكم عن ملائمها فأسلموا واسلم معهم ولم يَفِدْ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الوفود فلما كان فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفد عليه فقال فيه هو سيد أهل المشرق المسمى بغير اسمه وكان موصوفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم وشهد مع على بن أبى طالب رضى الله عنه وقعة صِفّين ولكنه اعتزل فلم يشهد

وقعة الجمل مع أحد الفريقين وشهد بعض فتوحات خراسان فى زمن عمر رضى الله عنه وأكثر ما اشتهر به الحلم فقد بلغ من حلمه أن رجلا سبه سبا قبيحا فتسالم الأحنف يمشى وهو يتبعه ويشتمه فلما وصل الى قومه التفت اليه ووقف وقال له يا أخى ان كان قد بقى من قولك شىء فقله والا يسمعك قومى فيؤذوك وقال له آخر لأشتمنك شتما يدخل معك فى قبرك فقال له فى قبرك والله لا فى قبرى وأشرف عليه رجل وهو يعالج قدراً له يطبخ فيها فقال الرجل

وقِدْرٍ ككفِّ القردِ لامستعيرها   يعار ولا من يأتها يتدسم

فقيل ذلك للأحنف فقال يرحمه الله لو شاء قال احسن من هذا وقال ما أحب أن لى بنصيبى من الذل حُمْرَ النَّعَمْ فقيل له أنت أعز العرب وقال ان الناس يَرَوْنَ الحِلْمَ ذُلا وقال رب غيظ تجرعته مخافة ما هو أشد منه وقال كثرة المُزَاح تُذْهِبُ الهيبة ومن أكثر من شىء عرف به والسُّودَدُ مكارم الأخلاق وحسن الفعل وقال ثلاثة فى لا أقولهن إلا ليعتبر معتبر لا أخلُفُ جليسى بغير ما أحضر به ولا أُدخِلُ نفسى فيما لا مدخل لى فيه ولا آتى السلطان او يرسل الى وقال له رجل دُلَّنِى يا أبا بحر على محمدة بغير مرزأة قال الخلقُ السجيح والكفُّ عن القبيح واعلم أن أدوأ الداء اللسان البذىء والخلق الدنىء وقال اياكم وحمية الاوطاب وهذا كقولهم اياكم وغلبة اللئام وكان يقول أنا لست بحليم ولكنى صبور وكان اذا تكلم أجلى واذا خطب أفصح واذا طلب شيئاً بدأ بحوائج قومه قبل نفسه وكان غير هياب أن يقول شيئاً فى نفسه وأحضرَ الناس بديهة ومن خطبه قوله لقوم كانوا عنده انّ الكرمَ منعُ الحُرم ما أقرب النِّقْمَةَ من أهل البغى لاخير فى لذة تعقب ندما لن يهلك من قصد ولن يفتقر من زهد رب هزل قد عاد جِداً من أمن الزمان خانه ومن تعظم عليه أهانه دعوا المُزَاح فانه يورث الضغائن وخير القول ما صدقه الفعل احتملوا لمن أدل عليكم واقبلوا عذر من اعتذر اليكم أطع

أخاك وان عصاك وصله وان جفاك أنصف نفسك قبل أن يُنتَصَفَ منك وإياك ومشاورة النساء واعلم ان كفر النعمه لؤم وصحبة الجاهل شؤم ومن الكرم الوفاء بالذمم ما أقبح القطيعة بعد الصلة والجفاء بعد اللَّطَف والعداوة بعد الود لا تكونن على الاساءة أقوى منك على الاحسان ولا الى البخل اسرع منك الى البذل واعلم ان لك من دنياك ما أصلحت به مثواك فانفق فى حق ولا تكونن خازنا لغيرك واذا كان الغدر فى الناس موجودا فالثقة بكل أحد عجز أعرف الحق لمن عرفه لك واعلم أن قطيعة الجاهل تعدل به صلة العاقل قال ناقله فما رأيت كلاما أبلغ منه وكانت له مع معاوية بن أبى سفيان محاورات عنيفة قيل انه دخل عليه يوما فتكلم معه فقال له والله يا أحنف ما أذكر يوم صفين إلاّ كانت حَزَازَةً فى قلبى الى يوم القيامة فقال الأحنف يا أمير المؤمنين لِمَ ترد الامور على أعقابها أما والله ان القلوب التى ابغضناك بها لبين جوانحنا والسيوف التى قاتلناك بها لفى جوانحنا ولئن مددت قترا من غدر لتمدن باعا من ختر ولئن شئت استصفيت كدر قلوبنا بصفو حلمك قال فانى أفعل وقال له مرة أما انى لم أنس اعتزالك يوم الجمل بقومك ونزولك بهم سفوان وقريش تذبح ذبح الحيوان بناحية البصرة ولم أنس طلبك الى على بن أبى طالب أن يدخلك فى الحكومة لتذيل عنى أمرا جعله الله لى ولم انس تخصيصك بنى تميم يوم صفين على نصرة على فلم يكلمه فلما خرج من عنده قيل له ماصنع بك وما قال لك قال صدقنى بِمَنْ بَكْرِه أى خبّرنى بما فى نفسه وما انطوت عليه ضلوعه وكان معاوية مع ذلك يجله فمن اجلاله له أن عبيد الله بن زياد عامله على العراق وفد عليه في سنة ٥٩ فى أهل العراق فقال له معاوية إئذن لوفدك على منازلهم وشرفهم فأذن لهم ودخل الأحنف بن قيس فى آخرهم وكان سيء المنزلة من عبيد الله فلما نظر اليه معاوية رحب به وأجلسه معه على سريره ثم تكلم القوم فأحسنوا الثناء على عبيد الله والأحنف ساكت

فقال له مالك يا أبا بحر لا تتكلم قال ان تكلمت خالفت القوم فقال معاوية انهضوا فقد عزلت عبيد الله عنكم فاطلبوا والياً ترضونه فلم يبق فى القوم أحد الا أتى رجلا من بني امية أو من اشراف أهل الشام كلهم يطلب وقعد الأحنف فى منزله فلم يأت احدا فلبثوا أياما ثم بعث اليهم معاوية فجمعهم فلما دخلوا عليه قال من اخترتم فاختلفت كلمتهم وسمى كل فريق منهم رجلا والأحنف ساكت فقال له معاوية مالك يا أبا بحر لا تتكلم قال إن وليتَ علينا احدا من أهل بيتك لم نعدل بعبيد الله احدا وان وليتَ من غيرهم فانظر فى ذلك قال معاوية فانى قد أعدت عبيد الله عليكم فكان عزل عبيد الله واقراره فى مجلسين اثنين بكلمتين من الأحنف ولذلك عرف عبيدالله للأحنف حقه بعد ذلك ومزح معه معاوية يوما فقال يا أحنف ما الشيء الملَفَّفُ فى البجاد فقال الأحنف السخينة يا أمير المؤمنين يريد معاوية بالشيء الملفف فى البجاد قول أبى مُهَوِّش الفقعسى فى هجاء بنى تميم قوم الأحنف

اذا ما مات ميتٌ من تميم   فسرك أن يعيش فجيء بزاد
بخبز أو بسمن أو بتمر   أو الشيء الملفف فى البجاد
تراه يُنَقِّبُ البطحاء حولا   ليأكلَ رأس لقمان بن عاد

والشيءُ الملفف فى البجاد الوَطْبُ من اللبن ويريد الأحنف بالسخينة قول عبد الله بن الزبعرى وقيل كعب بن مالك

زعمت سخينةُ انستغلبُ ربها   وليُغلَبن مغالبُ الغلاب

والسخينة حساء من دقيق يتخذ عند غلاء السعر وكانت قريش تعير بأكلها فما رؤى مازحان أوقر منهما وابلغ رجل مصعبَ بن الزبير عن رجل شيئا فأتاه الرجل يعتذر فقال مصعب الذى بلغنيه ثقة وكان الأحنف حاضرا فقال كلا أيها الأمير إن الثقة لا يبلغ ورأيت هذه الحكاية تروى بين معاوية والأحنف

وليس بينه وبين مصعب والله أعلم قالوا ولم يتعلق على الأحنف الاست خصال الاولى قوله فى الزبير بن العوام رضى الله عنه لما أتاه الجانى فقال له هذا الزبير قد مرآ ننا وذلك فى وقعة الجمل وانصراف الزبير عن الحرب فقال ما أصنع به جمع بين غارين (١) فقتل بعضهم بعضا ويريد أن ينجوَ فتبعه ابن جرموز فقتله بوادى السباع فقال الناس قتله الأحنف والثانية قوله حينما أتاه كتاب الحسين بن على رضى الله عنهما يستنصره قد بلونا حسنا وآل أبى حسن فلم نجد إيالة (٢) فى الملك ولا صيانة للمال ولا مكيدة فى الحرب ولم يجبه والثالثة قوله أيام أبى مسعود للمرأة التي أتته بمجمرٍ فقالت تجمر فانما أنت من النساء فقال أُست المرأة أحق بالمجمَر فذهبت مثلا والرابعة قوله للحتات بن يزيد فى كلام بينهما اسكتْ يا أُوَيْدِرَ وكان آدَرَ (٣) والخامسة قوله لِقَطَرِىّ بن الفُجاءة من رؤساء الخوارج إن أبا نعامة (كنية قطرى) إن أشار على القوم فركبوا البغال وجَنَّبوا الخيل فاصبحوا ببلد وأمسوا ببلد فأْذَنْ أن يطول أمرهم فكان كما قال والسادسة أتاه رجل فلطمه فقال ولم تلطمنى قال جُعِلَ لى جَعْلٌ أن ألطم سيد بنى تميم فقال له اخطأت سيد بنى تميم جاريةُ بن قُدَامة فأتاه الرجل فلطمه فقطعت يده فقال الناس انما قطع يده الأحنف وقد بقى رحمه الله الى زمن مصعب بن الزبير فخرج معه الى الكوفة فمات بها فى سنة سبع وستين وكان قد بلغ السبعين من عمره ودفن بالثُّوية عند قبر زياد ومشى مصعب فى جنازته بغير رداء اعظاما له وحضر الصلاة عليه ودفنَهُ وقد اكتفينا من أخباره بهذا القدر خوف الاطالة انتهى

(المتن) حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً * وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلمَرْءِ مَذْهَبُ

(الشرح) الحلف بالفتح ويكسر القسم وبالكسر خاصة العهد بين القوم على

---

(١) الغار الجمع الكثير من الناس وغيرهم عن أبى عبيدة والغار أيضا الجيش
(٢) أى سياسة (٣) منتفخ الخصيتين

التناصر والمراد هنا الأول والريبة الظن والشك يقال رابني أمره يريبني وقوله وليس وراء الله مذهب أي طريق يذهب اليه في الحلف بأعظم من الله تعالى وفي الخبر من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمتْ والبيت للنابغة الذُبيانيّ من قصيدة يعتذر بها الى النعمان بن المنذر من مدح آل جفنة بالشام ويحتج باحسانهم اليه يقول منها

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بُلّغت عني خيانة لَمُبْلِغُكَ الواشي أغشُّ وأكذب
ولكنني كنت امرءا لي جانب من الأرض فيها مستراد ومهرب
ملوك وإخوان اذا ما لقيتهم أحكم في أموالهم وأقرب
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم فلم ترهم في شكرهم لك اذنبوا
فلا تتركنّي بالوعيد كأنني الى الناس مطلي به القار أجرب
ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل مَلْك دونها يتذبذب

السورة هنا بمعنى المنزلة والشرف

فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ومنها وهو من الحكم

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب

ذكر النابغة الذُّبياني وبعض أخباره

النابغة من النبوغ أي الظهور ويطلق على من قال الشعر وأجاده بعد أن صار رجلا وكان نابغة بني ذبيان كذلك واسمه زياد بن معاوية بن جناب بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ويكنى أبا أمامة وانما لقب النابغة لقوله

وحلت في بني القين بن جَسْرٍ فقد نبغت لنا منهم شؤون

وهو جاهلي ومن الأشراف الذين غض الشعر منهم وفي العرب ثمانية عرفوا

بالنابغة أولهم هذا وثانيهم النابغة الجعدي الصحابى وثالثهم نابغة بني الديان ورابعهم النابغة الشيبانى وخامسهم النابغة الذنَوِي وسادسهم النابغة العدوانى وسابعهم النابغة الذبيانى غير الأول وهو من بني قتان بن يربوع وثامنهم النابغة التغلبي وكان النابغة المترجم من شعراء الطبقة الاولى المقدمين على سائر الشعراء بل يقال هو اشعر العرب وكان يأتى سوق عكاظ بصحراء بين نخلة والطائف تجتمع فيها قبائل العرب فى هلال ذى القعدة من كل سنة وتستديم عشرين يوما فيتما كثون (يتفاخرون) ويتناشدون الاشعار ثم ينفضون فكانت تضرب له قبة من أدم وتأتيه الشعراء فتعرض عليه اشعارها قيل وأول من أنشده الاعشى ثم حسان بن ثابت ثم باقى الشعراء فأنشدته الخنساء بنت عمرو بن الشريد واسمها تُماضِر فى رثاء اخيها صخر فلما بلغت الى قولها

وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

قال لها والله لولا ان ابا بصير (يريد الأعشى) انشدنى آنفا لقلت أنك اشعر الانس والجن فقام اليه حسان بن ثابت فقال له أنا اشعر منك ومن أبيك فقال النابغة انك يا ابن أخى لاتحسن أن تقول

فانك كالليل الذى هو مدركى وان خلت ان المنتأى عنك واسع

خطاطيف حُجْن فى حبال متينة تمد بها أيد اليك نوازع

قال فخنس حسان لقوله وهذا البيتان من اعتذارياته النعمان بن المنذر يقول قبلهما بعد ان حلف بالله كعادته

لكلفتنى ذنب امرىء وتركته كذى العُرّ يكوى غيره وهو راتع

فان كنت لاذو الضغن عنى مكذب ولا حلفى على البراءة نافع

ولا أنا مأمون بقول أقوله وأنت بأمر لامحالة واقع

فانك كالليل الخ البيتين اللذين تقدما

ومنها وهو من التشبيه الدقيق

فبت كأنى ساورتنى ضئيلةٌ من الرقش فى أنيابها السمُّ ناقع
يُسهَّدُ من ليل التمام سليمها لحلى النساء فى يديه قعاقع (١)
تناذرها الراقون من سوء سمّها تطلقه طورا وطورا تراجع

ويروى من سوء سَمعها وسِمعها والأولى من السمع والثانية من الذكر اي من شهرتها فى الخبث تسامع الرقاة بها فتناذروها ومن اعتذارياته أيضا للنعمان قصيدته الدالية المشهورة وفيها مدح ومطلعها

يادارُ ميةَ بالعلياء فالسند أقوتْ وطال عليها سالفُ الأبد

وهى أحدى المعلقات يقول فيها

فلا لعمر الذى مسحتُ كعبتَه وماأريق على الأنصاب من جسد
والمؤمنِ العائذاتِ الطيرَ تمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند
ماقلتُ من سيء مما أتيت به اذاً فلا رفعت سوطى الى يدى
اذا فعاقبنى ربى معاقبة قرت بها عين من يأتيك بالفند
إلا مقالة أقوام شقيتُ بها كانت مقالتهم قرعا على الكبد
أُنبئت أن أبا قابوس أوعدنى ولاقرار على زأرٍ من الاسد

وبهذا البيت الأخير عد مثلا فى الشعر ومن قوله فى تشبيه شيءٌ بشيءٌ فى اللون والصورة

---

(١) شبه نفسه لغضب مولاه عليه برجل وا ثبته حية ضئيلة أى دقيقة اللحم وهى أخبث الحيات ذات سم ناقع فنهشته فبات لا ينام فى ليل التمام أى فى ليالى الشتاء الطوال لانه حلى النساء يسمع لها قعاقع لئلا ينام فيدب السم الى جسمه وكانت هذه عادة العرب اذا لدغت الرجل حية علقوا عليه الحلى يزعمون أن ذلك ينفذ عنه الحمة

تجلو بقادمتي حمامة أيكةٍ بَرَداً أُسِفَّ لثاتهُ بالإثمدِ
كالأقحوان غداة غبَّ سمائه جفت أعاليه وأسفله ندى

وكان من أكابر ندماء النعمان وأهل أنسه فرأى زوجته المتجردة يوما فجأةً فسقط نصيفها فاستترت بيدها وذراعها فكادت ذراعها تستر وجهها لعبالتها وغلظها فقال فيها

من آل ميَّةَ رائحٌ أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزوَّد

قال صاحب الأغاني الزاد هنا ما كان من تسليم ورد تحية

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغداف الأسود(١)
لا مرحبا بغدٍ ولا أهلا به ان كان تفريق الأحبة في غد
أزِفَ الترحُّل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأنْ قدِ
في إثر غانية رمتك بسهمها فأصاب قلبك غير أن لم تُقصِدِ
سقط النصيفُ ولم تُرد إسقاطهُ فتناولته واتقتنا باليد
بمخضَّب رَخْصٍ كأن بنانه عَنَمٌ على أغصانه لم يعقدِ
وبفاحم رَجْلٍ أثيثٍ نبتُهُ كالكَرْم مال على الدِّعام المسنَد
نظرتْ اليك بحاجة لم تَقْضِهَا نَظَرَ السقيم الى وجوه العوَّد

وقد وصف في هذه القصيدة بطنها وفرجها وأردافها فلم نر حاجة لذكره هنا فسمعها بعضُ حسَّادِه وأنشدها النعمان فامتلأ غيظا وتوعَّد النابغة فأنذره بذلك صديقه عِصَامُ بن شَهْبَرٍ الجَرْمِيُّ حاجب النعمان الذي يقول

(١) الاسود نعت للغراب بالرفع والقافية بالجر ففيه اقواء فيقال انه لما دخل النابغة يثرب عيب عليه فيه فتجنبه ولم يقو بعد وكان الاقواء بالرفع منتشرا كثيرا عند العرب يظهر ذلك في كثير من قصائدهم وأما الاقواء بالنصب فقليل

نفسُ عِصَامٍ سوَّدت عصاما[1] وعلّمته الكر والاقداما
وصيَّرتهُ ملكاً هماما حتى علا وجاوز الأقواما

فهرب الى قومه ثم شخص الى ملوك غسّان بالشام فامتدحهم وقيل ان حساده دسّوا عليه بيتا فى هذه القصيدة ليس منها وهو من الهجاء القبيح

ملك يلاعب أمَّه وقطينَه رِخْوَ المفاصل أيرُه كالمِزْوَد

وأبيات أخرى من غير هذا الروي وهى

قَبَّحَ الله ثم ثَنَّى بلعن وارثَ الصائغ الجبانَ الجهولا
من يضرُّ الأدنى ويعجز عن ضـُــر الاقصى ومن يخون الخليلا
يجمع الجيش ذا الالوف ويغزو ثم لا يرزأُ العدوّ فتيلا
حدثونى بنى الشقيقة ما يمـــنع فقعا بقرقرٍ أن يزولا

يعنى بوارث الصائغ النعمان بن المنذر لأن جدّه لأمه كان صائغاً وقد وصفه بقوله فقعا بقرقر بالرجل الذليل لأن الفقع الكَمْأَة البيضاء تطؤها الدواب ولا تمتنعُ على جانبها لذلّتها والقرقر الأرض المطمئنة قلتُ وقد رأيت هذه الأبيات فى كتاب الحيوان للجاحظ ينسبها لعبد القيس خُفاف البرجُمىّ فى هجاء النعمان وليست للنابغة كما يزعم حساده وقيل أن سبب ذكر المتجردة فى شعره أن النعمان قال له يا أبا أمامة صِفِ المتجردة فى شعرك فقال القصيدة المذكورة آنفا وكان النعمان دميا أبرش قبيح المنظر وكان المنخل بن عبيد من أجمل العرب ومن ندماء النعمان وكان يرمى بالمتجردة فلما سمع القصيدة لحقته غيْرَةٌ فقال النعمان ما يستطيع أن يقول هذا الشعر الا من جرّب فوقر ذلك فى نفس النعمان وبلغ النابغة فهرب قال صاحب الأغانى والمنخل المذكور كان يهوى هنداً بنت عمرو بن هند وهو الذى يقول فيها

(١) صارت الشطرة الأولى من هذا البيت مثلا مشهورا يضرب فى الاعتماد على النفس أولمن شرف بنفسه

ولقد دخلتُ على الفتا ة الخِدْرَ فى اليوم المطير
الكاعبِ الحسناء تر فُلُ فى الدِّمَقْسِ وفى الحرير
فدفعتها فتدافعت مشْيَ القطاةِ الى الغدير
ولثمتُهــا فتنفَّست كتنفُّس الظَّبيِ البهير .

الى أن قال

ولقد شربتُ من المدا مةِ بالكبير وبالصغير
فاذا سكِرْتُ فاننى ربُّ الخَوَرْنَقِ والسدير(١)
واذا صحوتُ فاننى ربّ الشُّوَيْهَةِ والبعير
يا هند هل من نائل يا هند للعانى الأسير
وأحبهــا وتحبنى ويحبّ ناقتها بعيرى

ولما هرب النابغة إلى الشام نزل عنـد عمرو بن الحرث الأصغر وأمه مارية بنت ظالم بن وهب صاحبة القُرْطَين اللذين يضرب بجوهرهما المثل فمدحه ومدح أخاه النعمان بن الحرث وانتفع بهما ولم يزل مقيما مع عمرو حتى مات وملك بعده أخوه النعمان ومما مدح به عَمْراً قوله من قصيدة

كلينى لِهَمّ يا أمَيْمَةُ ناصبِ وليلٍ أقاسيه بطىء الكواكب

وهذا البيت من أحسن الافتتاحيات كما قال أهل العلم بالشعر يقول فيها

حلفت يمينا غير ذى مَثْنَوِيَّةٍ ولا علم إلاّ حُسْنَ ظنّ بصاحب
لئن كان للقبرَيْن قبر بجِلّق وقبر بصَيْدَاء الذى عند حارب
وللحرث الجَفْنِيّ سيّد قومه لَيَلْتَمِسَنْ بالجيش دار المحارب
وثِقْتُ له بالنصر اذ قيل قدغزت كتائبُ من غسّان غير أشائب

ولبلاغة هذه القصيدة واحتوائها من المديح على أحسن ما تمدح به الملوك

(١) الخورنق قصر النعمان الاكبر وهو معرب والسدير نهر وكلاهما بالحيرة

أحببت نقلها هنا لجودتها قال

بنو عمه دنيا وعمرو بن عامر   أولئك قوم بأسهم غير كاذب
اذا ما غزوا بالجيش حلّق فوقهم   عصائب طير تهتدى بعصائب
يصاحبنهم حتى يغرن مغارهم   من الضاريات بالدماء الدوارب
تراهن خلف القوم خزراً عيونها   جلوس الشيوخ فى ثياب المرانب

المرانب جلود الارانب ويراد بها العقبان اذا اشرفت على الارض تنتظر القتلى مثل الشيوخ عليها الفراء

جوانح قد ايقن أن قبيله   اذا ما التقى الجمعان أول غالب
لهن عليهم عادة قد عرفنها   اذا عرض الخطى فوق الكواثب

الجوانح المائلات للوقوع على الارض والكواثب جمع كاثبة وهى من الفرس المنسج أمام القربوس يريد أن العقبان عرفن ساعة استعداد القوم للقتال من هيئة لباسهم وركوبهم للحرب

على عارفات للطعان عوابس   بهن كلوم بين دام وجالب
اذا استنزلوا عنهن للطعن أرقلوا   الى الموت ارقال الجمال المصاعب

العارفات الصابرات أى خيل هذه صفتها والارقال ضرب من السير السريع والمصاعب من الابل الفحول التى لم يمسها حبل قط وانما تقتنى للفحلة فاذا ركبت رؤسها وأسرعت الى مقصدها لم يردعها رادع

فهم يتساقون المنية بينهم   بأيديهم بيض رقاق المضارب
يطير فضاضاً بينها كل قونس   ويتبعها منهم فراش الحواجب

أي تطير هذه السيوف فضاضا بينها كل قونس وهو أعلى البيضة من الرأس فاذا اطارتها تبعتها فراش الحواجب وهى عظام رقاق تلى القحف ومعنى فضاضا انفض وتفرق يريد شدة فعل ضرابهم بأعدائهم

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

هذا البيت فيه استثناء توكيدا المدح لأن افلال سيوفهم من قراع الكتائب عند التحصيل فخرٌ وفضلٌ أو هو الذم المراد به المدح

تُوُرِّثن من أزمان يوم حليمة الى اليوم قد جرّبن كلّ التّجارب

تَقُدّ السَّلوقي المضاعفَ نسجه وتوقد بالصُّفّاح نارَ الحُبَاحب

يوم حليمة يوم مشهور وهي بنت الحارث بن أبي شِمْر الغسانى والسلوق الدرع منسوب الى سلوق مدينة بالروم والصفاح حجارة عراض اى أن سيوفهم تقطع الدروع المضاعفة واذا مست الصفاح قدحت منها نارا كنار الحباحب والحباحب ذباب له شعاع بالليل

بضرب يزيل الهام عن سكناته وطعن كايزاغ المخاض الضوارب

الايزاغ دفع الناقة ببولها شبه اندفاع الدم من أجسام أعدائهم باندفاع بول النياق الحوامل والضوارب التى تضرب بأرجلها

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم من الجود والاحلام غير عوازب

مَحَلّتهم ذات الاله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب

رقاق النعال طيب حُجُزاتهم يُحَيَّوْن بالريحان يوم السباسب

يصفهم بالجود وحسن الفعال والحلم والتنعم ومخافة الله وذات الاله بيت المقدس لأنهم نصارى والسباسب يوم الشعانين وهو يوم عيد عند النصاري

تحييهم بيض الولائد بينهم وأكسية الاضريج فوق المشاجب

يصونون أجسادا قديما نعيمها بخالصة الاردان خضر المناكب

أكسية الاضريج خز أحمر وقيل كساء من جلد المِرْعِزّى والمشاكب أعواد تنشر عليها الثياب وخالصة الاردان أى شديدة البياض ومناكبها خضر والمراد بالاردان جمع ردن كم القميص يقول ثيابهم بيض مثل سائر الثياب ومناكبها

خضر وهي ثياب كانت تتخذ للوكهم

ولايحسبون الخير لاشر بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب

حبوت بها غسان اذ كنت لاحقا بقومى واذ أعيت على مذاهبى

وهذا لعمرى من أحسن المدح وأفخمه وقال فيه أيضا

الى ابن محرق أعملت نفسى وراحلتى وقد هدَتِ العيون

أتيتك عاريا خَلَقاً ثيابى على خوف تظن بى الظنون

فألفيتُ الامانة لم تخنها كذلك كان نوح لايخون

ومما مدحه به أيضا قوله من الثناء المسجّع ألا انعم صباحا أيها الملك المبارك السماء غطاؤك والارض وطاؤك ووالدى فداؤك والعرب وقاؤك والعجم حماؤك والحكماء جلساؤك والمداراة سجاؤك والمقاول إخوانك والعقل شعارك والسِّلْم منارك والحلم دثارك والسكينة مهادك والوقار غشاؤك والبرّ وسادك والصدق رداؤك واليمن حذاؤك والسخاء ظهارتك والحميّةُ بطانتك والعلا غايتك وأكرم الأحياء أحياؤك واشرف الاجداد أجدادك وخير الآباء آباؤك وافضل الأعمام أعمامك وأسرى الأخوال أخوالك واعفّ النساء حلائلك وأفخر الفتيان أبناؤك واطهر الامّهات أمهاتك وأعلى البنيان بنيانك وأعذب المياه أمواهك وافسح الدارات داراتك وأنزه الحدائق حدائقك وارفع اللباس لباسك وادفع الأجناد أجنادك قد حالف الاضريج عاتقك ولاءم المسك مَسْكَك وجاور العنبر ترائبك وصاحب النعيم جسدك العسجد أ نيتك واللُّجَين صحافك والعَصْبُ مناديلك والحوّارَى طعامك والشّهد إدامك واللذات غذاؤك والخُرطوم شرابك والشرف مناصفك والخير بفنائك . والشر بساحة أعدائك والنصر منوط بلوائك والخذلان مع ألوية حسادك زَيَنَ قولَكَ فعالُكَ وطحطح عَدوّك غَضَبَكَ وهزم مقانبَهم مشهدك وسار فى الناس عدلك وشسع بالنصر ذكرك وسكن قوارعَ الاعداء ظُفرك الذهب

عطاؤك والنواب ومزك والاوراق لحظك والغنى اطرافك والف دينارٍ مرجوحةٍ أبناؤك أيفاخرك النخمي فوالله لقفاك خير من وجهه ولشمالك أجود من يمينه ولا خمصك خير من رأسه ولخطاؤك خير من صوابه ولصمتك خير من كلامه ولأمك خير من أبيه ولخدمك خير من قومه فهب لى أُسارى قومى واغتم بذلك شكرى فانك من أشراف قحطان وأنا من سروات عدنان انتهى ثم أنه عاد بعد ذلك الى النعمان ابن المنذر لما رضىَ عليه وقيل انما رجع اليه حين بلغه أنه عليل لا يرجى فاقلقه ذلك ولم يملك الصبر عنه ولما وصل اليه ألفاه محموما على سريره ينقل بين الغمرِ وقصور الحيرة فقال لحاجب النعمان

ألم أقسم عليك لتخبرنى   أمحمول على النعش الهمام
فانى لا ألومك فى دخولي   ولكن ما وراءك يا عصام
فان يهلكِ أبو قابوس يهلك   ربيع الناس والبلد الحرام
ونمسك بعده بذناب عيش   أجب الظهر ليس له سنام

قالوا وانما مدح النعمان وانقطع اليه لأنه كان يعطيه عطايا وافرة فمن عطائه له فى مرة واحدة مائة ناقة سوداء وما كانت توجد هذه النياق عند غيره وتسمى عصافير النعمان فكان النابغة يأكل ويشرب فى أوانى الذهب والفضة من فضل النعمان وأبيه ولم يرجع اليه بعد شخوصه منه الا طمعا فى عطاياه ومن مراثيه لآل المنذر قوله

من يطلب الدهر تدركه مخالبه   والدهر بالوتر ناج غير مطلوب
ما من أناس ذوى مجد ومكرمةٍ   إلا يشدّ عليهم شدّة الذيب
حتى يبيد على عمد سراتهم   بالنافذات من النبل المصايب
انى وجدت سهام الموت معرضةً   لكل حتف من الآجال مكتوب

وفيما ذكرناه من أخباره الكفاية ومات فى سنة ستمائة واربع ميلادية وقيل

قبل الهجرة بثماني عشرة سنة انتهى

(المتن) واللهِ ما غَشَشْتُكَ بَعْدَ النَّصِيحَةِ وَلَا انْحَرَفْتُ عَنْكَ بَعْدَ الصَّاغِيَةِ

الشرح الغِشُّ ضد النُّصح واصله اظهار غير المضمر يقال غشه اذا لم ينصحه بل زين له غير المصلحة ويقال اغتشه واستغشه ضد انتصحه واستنصحه والانحراف الميل عن الشيء ومنه تحريف الكلام أي ميله عن جهته والصاغية من الاصغاء يقال صغا اليه يصغى ويصغو اذا مال نحوه وصغا عنه اذا مال ضده وصغت النجوم مالت الى الغروب وصغت الناقة تسمت قال ذو الرمة

تصغى اذا شدها بالكور جانحة حتى اذا ما استوى فى غرزها تثب

وهذه الجملة عطف على القسم الأول وتأكيد له والمعنى حلفت بالله حلفا لا حلف أعظم منه واقسم به ثانيا انى ما اضمرت لك فى سريرتى غير ما اظهرت من الاخلاص والطاعة ولا ملت عن ولائى لك بعد ميلى اليك وأراد بهذين القسمين العظيمين حمل مولاه على تصديقه وصرفه عما علق بذهنه من الريبة فى أمره حتى تغير عليه ومن حلف بالله فقد جهد يمينه ووجب تصديقه

(المتن) وَلَا نَصَبْتُ لَكَ بَعْدَ التَّشَيُّعِ فِيكَ وَلَا أَزْمَعْتُ يَأْسًا مِنْكَ مَعَ ضَمَانٍ تَكَفَّلَتْ به الثِّقَةُ عَنْكَ وَعَهْدٍ أَخَذَهُ حُسْنُ الظَّنِّ عَلَيْكَ

الشرح النصب المعاداة تقول نصبت لفلان عاديته ومنه النواصب والناصبية وأهل النصب المتدينون بِبِغْضَةِ على بن أبى طالب رضى الله عنه لأنهم نصبوا له أى عادوه وهم الخوارج الذين خرجوا عليه فقتلهم بالنهروان كما سبق ذكره فيما مضى من هذا الكتاب ويقال أن من نجا منهم تسعة فقط ذهب اثنان منهم الى كرمان واثنان الى سجستان واثنان الى الجزيرة واثنان الى عمان وواحد الى اليمن فظهرت بدعتهم بتلك البلاد وبقيت بها وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم عنهم بقوله فى حديث (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من

الرمية) انهـم هم الذين يخرجون على على رضى الله عنه وكانت بدعتهم شراً فى الاسلام ولما انتشر أمرهم تفرقوا فرقا أحصوّا منها تسعاًوهم المُحَكّمَةُ الذين يتبعون التحكيم والأزارقة اتباع نافع بن الأزرق وهم الذين قاتلهم المهلب بن أبى صفرة حتى أبادهم تقريباً ومذهبهم تكفير على رضى الله عنه واباحة قتل أطفال المخالفين ونسائهم واسقاطهم الرجم عن الزانى المحصن وحد القذف عن قاذف الرجل المحصن دون قاذف المرأة المحصنة ويخرجون أصحاب الكبائر عن الاسلام ويقولون التقيّة غير جائزة والنجدات وهم أصحاب نجدة بن عامر وهؤلاء يكفرون المسلم المصر على الصغائر دون فعل الكبائر من غير اصرار ويستحلون دماء أهل العهد والذمة والبيهسية وهم أصحاب الهيصم بن جابر واسمه أبو بيهس ومن مذهبهم أنه لا حرام الا ما وقع عليـه النص بقوله تعالى (قل لا أجد فيما أوحي إلى محرما الآية) ويكفرون الرعية بكفر الامام والعجاردة وهم الذين ينكرون كون سورة يوسف عليه السلام من القرآن ويقولون انما هي قصة من القصص ويوجبون التبرى من الطفل فاذا بلغ دعى الى الاسلام والميمونية ومذهبهم ان الله تعالى يريد الخير دون الشر ويجوزون نكاح بنات البنات وبنات أولاد الاخوة والاخوات والأباضية ومذهبهم أن مرتكب الكبيرة كافر للنعمة لا مشرك ويرون أن دار مخالفيهم من المسلمين دار توحيد ودار السلطان منهم دار بغى والثعالبة ومذهبهم ولاية الطفل حتى يظهر عليـه انكار الحق فيتبرءون منه والصُّفْرِيَّة ومذهبهم أن ما كان من الكبائر فيه حد كالزنا لا يكفر به وما كان منها ليس فيه حد كترك الصلاة يكفر به وقول ابن زيدون (بعد التشيع فيك) أي بعد اتباعى لك وحبى اياك وقد أطلق اسم الشيعة على كل من أحب على بن أبى طالب رضى الله عنه لانهم شايعوه أى أتبعوه وقالوا بامامته وخلافته نصا ووصـاية إما جليا وإما خفيا وان الامامة لا تخرج عنه وعن بنيه الا بظلم يكون من غيره أو بتقية من عندهم أهل بدع أيضا

ويجمعهم القول بوجوب التعيين للامام والتنصيص عليه ممن قبله و ثبوت عصمة الأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر والقول بالتولى للأئمة والتبرى من غيرهم ومع اجماعهم على حبه مختلفون فى اعتقادهم فيه فنهم أهل غلو مفرط وعتو زائد وهؤلاء اتخذوا عليا الها وهم النصيرية ومنهم من قال أنه النبى المرسل وجبريل غلط (لعنهم الله) ومنهم من قال انه شريك فى النبوة والرسالة ومنهم من قال أنه وصى النبوة بالنص الجلي ثم اختلفوا فى الامامة بعده ولكنهم اجمعوا على الحسن والحسين رضى الله عنهما وقالت فرقة منهم وبعدهما محمد بن الحنفية أخوهما لابيهما الى اثنى عشر إماما والخلاف واقع فى البقية وممن قالوا بامامة زيد بن على بن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين على بن أبي طالب وهو الذى دفن رأسه بمصر بالمكان المعروف بمشهد الرأس جنوبى الجامع الطولونى وهم أقرب القوم الى القصد الأمم ويقال أن لهم إماما باقيا باليمن الى الآن وداره صنعاء ومن مذهبهم أيضا جواز امامة المفضول مع قيام الأفضل وان عليا رضى الله عنه كان أفضل الصحابة رضوان الله عليهم ويقولون في الأذان بدل الحيعلتين (حى على الصلاة وحى على الفلاح) حى على خير العمل وربما قالوا قبل ذلك محمد وعلى خير البشر وعترتهما خير العتر ويرون محبة قبيلة همدان من المحبوب المطلوب لمشايعتهم عليا رضى الله عنه ومحبتهم لاهل البيت حتي حكى أن أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه صعد يوما المنبر وقال ألا لا ينكحن أحد منكم الحسن بن على فانه مطلاق فنهض رجل من همدان وقال والله لننكحنه ثم لننكحنه ان أمهر أمهر كثيرا وان أولد أولد شريفا فقال على رضى الله عنه حينئذ

فلو كنت بوابا علي باب جنة لقلت لهمدان أدخلي بسلام

ويستحلون نكاح المتعة ويستفظعون قتل الحسين رضى الله عنه ولهم الحق فى ذلك ولهم معتقدات غير هذه لا يسع المقام سردها وقد احصوا خمس فرق

منهم وهم الزيدية ومذهبهم أفضل من البقية والامامية والاسماعيلية ومن هؤلاء تفرقت فرقتان مستعلوية ونزارية لاختلافهما معهم فى بعض الامور والدرزية اتباع أبى محمد الدرزى والنصيرية وهؤلاء أشدهم بدعة وهم أتباع نصير غلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه انتهى وقول ابن زيدون ولا ازمعت يأسا منك مع ضمان تكفلت به الثقة عنك الخ الزمع الخوف والدهشة واليأس انقطاع الامل كالقنوط ضد الرجاء والضمان الالتزام والتكفل بالشىء احتماله والتزامه والثقة الائتمان جمعها وثايق والعهد الموثق وجمعه مواثيق والظن خلاف اليقين وقد يكون بمعنى اليقين كما فى قوله تعالى (الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم) الآية أى يوقنون والمراد الأول وحاصل المعنى يقول لمولاه ولا عاديتك بعد اتباعى لك واخلاصى لشخصك ولا خفت انقطاع الامل من عدلك مع ما التَزَمْتَهُ تَقِي فيك . واستوثق حسن ظنى به عليك وقريب من هذا قول الجاحظ فى الفصول المختارة فان كنت أخطأت فلم أخطأ الا لك لأن حسن الظن بك والثقة بعفوك سببٌ فى قلة التحفظ وداعيةٌ الى ترك التجوز فهذا معنى رائق واعتذار وجيه

(المتن) فَفِيمَ عَبَثَ الجَفَاءُ بِأَزِمَّتِي وَعَاثَ العُقُوقُ فِي مَوَاتِي وَتَمَكَّنَ الضَّيَاعُ مِنْ وَسَائِلِي

(الشرح) فيم كلمة مركبة من حرفين فى وما والأولى من حروف الجر والثانية استفهامية بمعنى أى شىء ويحذف الفها اذا سبقها حرف الجر كما هنا نحو فيم وعلام والعبث محركا اللعب والجفاء الصدُّ والاعراض والأزمة جمع زمام أى الحق والحرمة وعاث من العيث وهو الفساد والعقوق مصدر عق يعق أى شق ويطلق على معصية الوالدين ضد البر والمواتُّ بالتشديد القربى والوسيلة يقال مت زيد الى عمرو أى تقرب أو توسل اليه والضياع مصدر ضاع الشىء اذا فقد وهلك والوسائل جمع وسيلة وهى المنزلة عند الملك ونحوه يقول كيف لعب جفاؤك

بحقي وحرمني وأفسد غضبك تقربى وتوسلي ولأى شيء فقدت منزلي عنـدك وقد اقسمت اقساما غليظة انني لم اسلك مسلـكا ينافي الاخلاص والامانةوالمعنى لاشيء وقع مني يوجب الجفاء والعقوق والاقصاء ومثله

(المتن) ولِمَ ضاقَتْ مَذاهِبي وأَكْدَتْ مَطالِبي وَعَلامَ رَضيتُ مِنَ المرْكَبِ بالتَّعْليقِ بَلْ مِنَ الغَنيمَةِ بالإياب

(الشرح) الضيق ضـد السعة واكدت من الـكدية وهو المنع والرد والمطالب جمع طلب وهو البغية وقوله علام تقدم شرحها ورضيت من المركب بالتعليق مأخوذ من المثل لرض من المركب بالتعليق أى لرض من عظيم الأمور بصغيرها يضرب فى القناعة بادراك بعض الحاجة والمركب قال الميدانى يجوز أن يكون بمعنى الركوب أى أرض بدل ركوبك على الدابة بالاكتفاء منها بتعليق أمتعتك عليها ويجوز أن يراد به المركوب أى أرض منه بأن تتعلق به فى عقبتك ونوبتك كانوا يتبادلون ركوب الدابة الواحدة فى السفر اذا لم يكن غيرها فيركب الرجل قليلا ثم ينزل فيركب صاحبه فهذا معنى التعاقب ولم أقف على قائله وقوله بل من الغنيمة بالاياب مثـل آخر مأخوذ من قول امرىء القيس بن حجر الـكندى الشاعر

وقد طوفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب

من قصيدة يذكر فيها حال الحياة وما تجر اليهامن المتاعب والشدائدوذلك بعد قتل أبيه وتفرق ملـكه وتطوحه في البلادلطلب الثأر كما سيجيء فى أخباره بعد والمعني يقول ابن زيدون ولأىشيء ضاقت مسالـكي وردت مطالبي ورضيت من العظيم بالحقير بل كيف أرجع من غنيمة افضالك وعظيم انعامك خائبا مخذولا أتمنى السلامة من الهلاك بعد الرفاهة والجاه وكأنه لعلو همته وكبر نفسه لم يرض بما نبه اليه المثلان من الرضاء بالحقير والقناعة بالسـلامة فهو ينكر صغـار الأمور

ويطمح الى معاليها وقد ذم بعضهم القناعة بالقليل فقال انها من خلق البهائم اذا وجدت اكلت واذا لم تجد باتت على خسف وأنشد المتلمس الشاعر

إنّ الهوانَ حمارُ الحيّ يعرفُهُ ... والحرُّ يُنكرُهُ والرَّسْلَةُ الأُجُدُ

ولا يُقيم على ضيمٍ يراد به ... إلاّ الأذلانِ عيرُ الحيّ والوَتَدُ

هذا على الخسفِ مربوطٌ برُمّتهِ ... وذا يُشَجُّ فلا يرثى له احدُ

ذكر امرىء القيس الشاعر وبعض أخباره

امرؤُ القيس فى اللغة رجل الشدة واسمه جندح بن حُجْرٍ بن الحرث بن عمرو ابن حجر آكلُ المُرارِ وهو نبتٌ شديد المرارة بن معاوية بن ثَور المعروف بكِنْدَةَ لأنه كند أباه أى عقه وكُنْيَتُهُ ابو وهب وقيل ابو الحرث ولد نحو سنة خمسمائة وعشرين للمسيح وكان يقال له الملك الشاعر والملك الضليل وذو القروح لقوله

وَبُدِّلْتُ قَرْحاً داميا بعد صحة ... فيالك من نعمى تحولن أبْؤُسا

وتعشق الشعر فى صباه ونبغ فيه فبذ الأوائل والاواخر بل سموه رئيس الشعراء وكان أبوه ملك كندة والملوك تأنف من قول الشعر فطرده عنه لتماديه فيه واقسم أن لا يقيم معه فكان يسير فى احياء العرب ومعه اخلاط من شُذّاذ العرب من طيّ وكلب وبكر بن وائل فاذا صادف غديرا أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح فى كل يوم وخرج الى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل واكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنتهم قيانه ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير فينتقل عنه الى غيره وأكثر شعره فى الغزل واشهر غزله فى قصيدته اللامية التى نظمها فى ابنة عمه عُنَيزة بنت شُرَحبيل ولجودتها علقت فى الكعبة قبل الاسلام وعرفت بالمعلقة وكانوا يفعلون ذلك بقصائد الفحول فلما جاء الاسلام ابطله فمما جاء فيها قوله

إذا التفتت نحوى تضوّع ريحها ... نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

اذا قلت هاتى نوّليني تمايلت   علىّ هضيم الكشح ريا المخلخل

هضيم الكشح ضامرة الخصر وريا المخلخل ممتلئة الساق

مهفهفة بيضاء غير مفاضة   ترائبها مصقولة كالسجنجل

تصد وتبدى عن أسيل وتتقى   بناظرة من وحش وجرة مُطْفِلِ

المهفهفة الضامرة وغير مفاضة أى ليست واسعة البطن والترائب عظام الصدر والسجنجل المرآة المصقولة ووحش وجرة بقر الوحش ووجرة موضع ومطفل أى ذات طفل لا صغيرة جاهلة ولا كبيرة فانية

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش   اذا هى نصته ولا بمعطل

الريم الظبى الخالص البياض ونصته رفعته ولا بمعطل أى غير عاطل من الحلى

وفرع يغشى المتن أسود فاحم   اثيث كقنو النخلة المتعثكل

وكشح لطيف كالجديل مخصّر   وساق كأنبوب السقىّ المذلل

الفرع الشعر الطويل والمتن الظهر واثيث كثير النبات وقنو النخلة أى عذقها والمتعثكل الكثير الشماريخ والجديل زمام يتخذ من سيور وأراد تشبيهها به فى اللين والخصر للمتمل والأنبوب نبات البردىّ ويشبّه به ساق المرأة لبياضه ونعومته والسقى المذلل النخل الريان حتى صار طريا يطاوع كل من مد يده اليه

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها   نئوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

تضىء الظلامَ بالعشىّ كأنها   منارة ممسى راهبٍ متبتل

لم تنتطق أى لم تجعل فى وسطها نطاقاً والتفضّل أن يكون الانسان فى ثوب واحد للعمل أو النوم وكنى بذلك عن ترفها وقلة امتهانها فى الخدمة

ومن تشبيبه قوله فى محبوبته سلمى من قصيدة طويلة

ويارب يوما قد لهوت وليلةٍ   بآنسة كأنها خط تمثال

يضىء الفراشَ وجهُها لضجيعها   كمصباح زيت فى قناديل ذُبّال

كأن على لباتها جمر مصطل ... أصاب غضيً جزلا وكفّ بأجزال
اذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها ... تميل عليه هونةً غير مجبال

الى أن قال :

سموت اليها بعد ما نام أهلُها ... سمو حَبابِ الماء حالا على حال
فقالت سباكَ الله انك فاضحى ... الست ترى السُّمّار والناس احوالى
حلفتُ لها بالله حِلفةَ فاجر ... لناموا فما إن من حديث ولا صال
فلما تنازعنا الحديثَ واسمحتْ ... هصرت بغصن ذى شماريخ ميال
وصرنا الى الحسنى ورق كلامُنا ... ورُضتُ فذلّت صعبةٌ أيَّ اذلال
فاصبحت معشوقا واصبح بعلُها ... عليه القَتامُ سيِّء الظّن والبال

وقال فى ختامها مفتخرا

كأنى لم اركب جوادا للذة ... ولم أتبطّنْ كاعبا ذات خلخال
ولم اسبأ الزق الرويَّ ولم أقل ... لخيلى كرّى كرّة بعد اجفال
ولم اشهد الخيلَ المغيرةَ بالضحى ... على هيكل عَبْلِ الجُزارة جوال

وقال يصف فرسه بالجمام والسرعة تشبيها بعقاب الطير المطعمة فراخها بقوة كسبها ونشاطها

كأنى بفتخاء الجناحين لَقْوَةٍ ... صيود من العقبان طأطأت شملال
تخطّفُ خِزّانَ الشَّرِبّة بالضحى ... وقد حَجَرَتْ منها ثعالب أورال
كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ... لدى وكرها العُنّاب والحشف البالى

الفتخاء الطويلة الجناحين فى لين واللقوة العقاب وطأطأت اسرعت والشملال السريعة يقول كأنى بطأطأتى هذه أى فرسى طأطأت عقابا أى كأنما استحث من فرسى عقابا ثم شرع فى وصف العقاب بكونها تتخطف خِزّان الشَّرِبّة أى ذكور الارانب والشربة موضع بنجد وقد حجرت أى منعت الثعالب من صيدها

وأورال ثلاثة أجبل سود فى جوف الرمل حذاءهن ماء لبنى عبد الله بن دارم والبيت الأخير مما أجمع الرواة على انه أحسن ماقيل فى تشبيه شيئين بشيئين فى الشكل والصورة وهما الرطب واليابس بالعناب والحشف البالى أى هذه العقاب كانت تأتى فراخها بقلوب الطير الكثيرة بما يفضل عن حاجتها والعناب ثمر معلوم والحشف أردأ التمر وقال

فلو انما اسعى لأدنى معيشة   كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكنما اسعى لمجد مؤثل   وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى
وما المرء مادامت حشاشة نفسه   بمدرك اطراف الخطوب ولا آل

وقال فى محبوبته هر ابنة سلامة بن علند من قصيدة

واذ هى تمشى كمشى النزيف   يصرعه بالكثيب البهر
بَرَهْرَهَةٌ رُودة رَخْصَةٌ   كخُرعوبة البانة المنفطر
فتور القيام قطيع الكلا   م تفتر عن ذى غروب خصر
كأن المدام وصوب الغمام   وريح الخزامى ونشر القُطرِ
يعل به بَرْدُ أنيابها   اذا طرَّبَ الطائر المستحر

شبه مشيها بمشى من نزف دمه مبالغة فى تثاقلها والبهر الكلال وانقطاع النفس والبرهرهة الرقيقة الجلد أو الملساء المترجرجة والرودة الشابة والخرعوبة القضيب الغض والمنفطر المتشقق وتفتر عن ذى غروب خصر أى عن حدة أسنان ماؤها بارد أى ريقها والخصر البارد وما أحسن تشبيهه فى البيتين الأخرين وخصوصا قوله اذا طرب الطائر المستحر فقد بالغ فى نكهة فمها الطيب الرائحة فى وقت السحر حيث تتغير فيه الافواه بعد النوم والمراد بنشر القطر ريح العود الذى يتبخر به

فبت اكابد ليل التما   م والقلب من خشية مقشعر

فلما دنوت تسديتها فثوبا نسيتُ وثوبا اجر
ولم يرنا كالىء كاشح ولم يُفشَ منا لدى البيت سر
وقد رابنى قولها يا هنَا هِ وَيْحكِ ألحقتِ شرا بشر

الشر الاول التهمة والثانى تحقيقها وفى هذه القصيدة وصف فرسه أحسن وصف قال

واركب فى الرَّوْع خَيْفانةً كسى وجهَها سعفٌ منتشر
لها حافر مثل قَعب الولي د ركّب فيه وظيف عَجِر

الخيفان الجرادة التي انسلخت من لونها الاصفر فصارت الى الحمرة شبّه بها فرسهُ لخفتها والسعف سَعَف النخل يريد تشبيه شعر ناصيتها به وقد عيب عليه هذا الوصف لأنه اذا انتشر شعر ناصيتها غطّى العين واذا غطاها كان عيبا وقعب الوليد قدح الصبي والوظيف من الفرس ما بين الرسغ الى الركبة والعجر الصلْب

لها كفل كصفاة المسيـــل ابرزعنها جحافٌ مضر
لها ذَنَبٌ مثل ذيل العروس تسد به فرجها من دبر
لها عُذُرٌ كقرون النساء ركبن فى يوم ريح وَصِرٌ

صفاء المسيل الصخرة الملساء والجحاف السيل الجارف وعُذُر النساء ذوائبها اذا انتشرت فى يوم شديد الريح

لها جبهة كسراة المِجَنّ حذّقه الصانع المقتدر
لها مِنخَرٌ كوجار الضّباع فمنه تريح اذا تنبهر
لها ثُنن كخوافى العقا ب سود يفئن اذا تزبئر

السراة الظهر والمِجَنّ الترس وحذّقه أى صنعه المقتدر الحاذق ويستحب فى الخيل اتساع المِنْخَرَين لانه يسهّلُ خروج نفسه فلا يَتَرادّ فى جوفه ولذلك شبه اتساعهما بوجارِ الضباع وتنبهر ينقطع نَفَسها والثُنّة شعرات خلف الرسغ ويفئن

يرجعن الى حالتهن الأولى بعد الانتفاش والازبئرار الاقشرار

اذا أقبلت قلت دُبّاءةٌ ... من الخضر مغموسةً فى الغُدُر

وان أدبرت قلت أُثفيةٌ ... مُلَمْلَمَةٌ ليس فيها أُثُر

الدباءة القرعة مما يطبخ تشبيها بها فى الملاسة واللين واستدارة مؤخرها ومغموسة فى الغدر ناعمة رطبة كما تقول فلان مغموس فى النعيم والاثفيّةُ الصخرة المجتمعة المدورة والأُثر الخدش ولما أُعلم بخبر ابيه الذى قتله بنو أسد قال ضيّعنى صغيرا وحمّلنى دمه كبيرا لا صحوَ اليوم ولا سكر غدا اليوم خمر وغدا أمر اليوم قِحَاف وغداً ثِقَاف فذهب قوله مثلا ثم شرب سبعا فلما صحا آلى أن لا يأكل لحما ولا يشرب خمراً ولا يدّهن بدهن ولا يلهو بلَهوٍ ولا يقرب النساء حتى يدرك بثأر أبيه فيقتل من بنى آل قاتله مائة ويجز نواصى مائة وقال

أرقت لبرق بليلٍ أهَلْ ... يضىء سناه بأعلى الجبل

أتانى حديثٌ فكذبته ... بأمر تزعزعُ منه القلل

بقتل بنى أسد ربّهم ... ألا كلُّ شىء سواه جلل

الجلل الامر العظيم وهنا بمعنى الحقير ضِدٌّ

فأين ربيعة عن ربها ... وأين تميمٌ وأين الخوَل

ألا يحضرون لدى بابه ... كما يحضرون اذا ما استهل

وقال مرتجزا

تالله لا يذهب شيخى باطلا ... حتى أبيد مالكا وكاهلا

القاتلين الملك الحلاحِلاَ ... خير معدٍّ نسبا ونائلا

نحن جلبنا القُرَّحَ القوافلا ... يحملننا والأَسل النواهلا

وقال أيضاً من أبيات

قولا لِدُودان عبيدَ العصا ... ما غرّكم بالأسد الباسل

قد قرّتِ العينانِ من مالكٍ ... ومن بنى عمرو ومن كاهلِ
ومن بني غنم بن دودان إذ ... تقذِفُ أعلاهم على السافلِ
نطعنهم سُلكي ومخلوجةً ... لفتكَ لأمين على النابلِ

الطعنة السُّلكى المستقيمة والمخلوجة المعوّجة وقوله لفتك لأمين أي كما تقول للرامي أرم أرم مرتين واللأمان السهمان والنابل صاحب النبل والمراد السرعة فى الطعن

اذ هن أقساط كرِجْل الدَّبا ... أو كقطا كاظمة الناهل
حتى تركناهم لدَي معرَكٍ ... أرجلهم كالخشب الشائل
حلّتْ لِيَ الخمر وكنت امرءا ... عن شربها فى شُغُل شاغل

أقساط أى متفرقون ورجل الدبا القطعة من الجراد الصغار

فاليوم أسقى غير مستحقب ... إثما من الله ولا واغل

يريد أنى اذا تحللت من يمينى بقتلى قاتل أبى فشربى لها شرب من لا يأثم ولا يخاف الله فيها ولا واغل أى أكرم نفسى أن أدخُلَ على قوم وهم يشربون لم يدعونى اليهم فقاتل بني أسد وأصاب منهم وكان يستمد القبائل من بكر وتغلِبَ فيمدوه حتى ملّوا منه وأبوْا مساعدتَهُ فلجأ الى ابن عمه عمرو بن المنذر بعد تمزق ملك أبيه وأهل بيته وقد كانت بنو أسد لما رأوْهُ يُعدّد العُدد ويجهز الاسلحة قبل نشوب الحرب أوفدوا عليه رجالا من قبائلهم كهولا وشبانا فيهم المهاجر بن خِداش ابن عم عبيد بن الأبرص وقبيصةَ بن نعيم وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور وِرْداً واصدارا يعرف ذلك من كان محيطا له باكناف بلده من العرب فلما عَلِمَ امرؤ القيس بمكانتهم أمر بانزالهم وتقدم باكرامهم واحتجب عنهم ثلاثا فسألوا عنه فأُخبروا أنه فى شُغُل باخراج مافى خزائن أبيه حُجْر من السلاح والعُدّة فقالوا اللهم غفراً انما قَدِمنا فى أمر نتناسى به ذكر ما سلف ونستدرك به ما فرّط فليُبَلِّغْ

ذلك عنا تخرج اليهم فى قَبَاء وخُفٍّ وعمامة سوداء وكانت العرب لا تعتمّ بالسواد الا فى التِّرات فلما نظروا اليه قاموا له وبدر اليه قَبيصةُ فقال له إنك فى المحل والقدر والمعرفة بتصرف الدهر وما تحدثه أيامه وتتنقلُ به أحواله بحيث لاتحتاج الى تبصير واعظ ولا تذكرة مجرب ولك من سؤدد مَنصِبِكَ وشرف أعراقك وكرم أصلك محتمل يحتَمِل ما حمل عليه من إقالة العثرة والرجوع عن الهفوة ولا تتجاوز الهمم الى غاية الا رجعت اليك فوجدت عندك من فضيلة الرأى وبصيرة الفهم وكرم الصفح فى الذى كان من الخطب الجليل الذى عمّت رَزِيَّتُه نِزارا واليمن ولم تُخَصِّصْ كِندَةُ بذلك دوننا المشرف البارع كان لحجرٍ التاج والعمامة فوق الجبين الكريم واخاء الحمد وطيب الشيم ولو كان يفدي هالك بالأنفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا على مثله يبذل ذلك ولفديناه منه ولكن مضى به سبيل لا يرجع أخراه على أولاه ولا يلحق أقصاه أدناه فاحمدُ الحالات فى ذلك أن تعرف الواجب عليك فى إحدى خلال إما أن اخترت من بنى أسد أشرفها بيتاً وأعلاها فى بناء المكرمات صوتا فقدناه اليك بنسعة (١) تذهب مع شَفَرات حسامك بباقى قَصَرتِه (٢) فنقول رجل امتحن بهالك عزيز فلم تُستَلّ سخيمته الا بتمكينه من الانتقام واما فداء بما يروح على بنى أسد من نَعَمِها فهى ألوف تتجاوز الحسبة فكان ذلك فِداءً رجعتْ به القُضُبُ الى أجفانها لم يردّدها تسليط الاحنِ على البُرَآء واما أن تُوادِعَنا حتى تَضَعَ الحوامل فَتُسْدَل الأُزُرُ وتُعْقَدُ الخمرُ فوق الرايات قال فبكى امرؤُ القيس ساعة ثم رفع رأسه فقال لقد عَلِمَتِ العربُ أن لا كُفْءَ لِحُجْرٍ فى دم وإنى لن أعتاض به جملا أو ناقة فاكتسب بذلك سُبَّةَ الأبد وفَتَّ العضد

(١) النسعة سَيرٌ عريض تُشَدُّ به الرحال والمراد قدناه اليك مربوطا كالاسير

(٢) القَصَرَةُ محركة أصل العُنُقِ أراد بذهابها مع شفرات حسامه قطعها ثأرا بأبيه وهو القَوَدُ

وأما النَّظِرَةُ فقد أوجبتها الأجنة فى بطون أمهاتها ولن أكون لِيَطْلبها سبباً وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل القلوب حنقاً وفوق الأسنة علقاً

اذا جالت الخيل فى مأزِق . تُدافعُ فيه المنايا النفوسا

أتقيمون أم تنصرفون قالوا بل ننصرف بأسوأ الاختيار وأبلى الاجترار بمكروه وأذية وحرب وبليه ثم نهضوا عنه وقبيصة يقول متمثلا

لعلك أن تستوخم الموت ان غدت كتائبُنا فى مأزق الموت تُمطِرُ

فقال امرؤ القيس لا والله لا استوخمه فرويدا ينكشف لك دجاها عن فُرسان كِنْدَةَ وكتائب حِمْيَرَ ولقد كان ذكر غيرهذا أولى بى اذ كنت نازلا بِرَبْعِي ولكنك قُلْتَ فأجبْتُ فقال قبيصةَ ما نتوقع فوق قدر المعاتبة والاعتاب قال امرؤ القيس فهو ذاك ولما ارتحل امرؤ القيس ونزل فى بكر وتَغْلِبَ وامدّوه حتى أصاب من بنى أسد كما مر وملُّوا مساعدته وقالوا له قد أصبتَ ثأرك تركهم ولجأ الى ابن عمه عمرو ابن المنذر كما قدمنا وكان عمرو يومئذ خليفة لأبيه فمدحه وذكر صهرهُ ورحمهُ فبلغ المنذر أبوه مكانه عنده فطلبه منه فهرب واتى حِمْيَرَ فأمده ملكها واسمه مَرْثَدُ الخير من ذى جَدَن بخمسمائه رجل من حمير ومات مرثدُ قبل رحيل امرئ القيس بهم وقام بالمملكة بعده رجل من حِمْيَرَ يقال له قَرْمَلُ بن الحَميمِ فطوّل على امرئ القيس حتى هَمَّ بالانصراف فذلك حين يقول

واذ نحن ندعو مَرْثَدَ الخير ربَّنا واذ نحن لا نُدْعَى عبيداً لِقَرملِ

فانفذ له قرمل ذلك الجيش وتبعه شُذَّاذٌ من العرب واستأجر من القبائل رجالا فسار بهم الى بنى أسد ومرّ بِتَبالة وبها صنم للعرب تعظمه يقال له ذو الخَلَصَةِ فاستقسم عنده بقِداحه (١) وهى ثلاثة الآمر والناهى والمتربص

(١) الاستقسام بالقداح ليس حلالا وانما كانوا يلتجئون اليه كما يلتجىء جهال عصرنا الى السحر وقد التجأ امرؤ القيس الى هذه الوسيلة جهلا

فأجالها فخرج الناهى ثم أجالها فخرج الناهى ثم أجالها الثالثة فخرج الناهى فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصنم وقال ويحك له أبوك قُتِلَ ما عقْتَنى ثم خرج فظفر ببنى أسد ونال منهم ما أراد ويقال انه ما استقسم عند ذى الخلصة أحد بعد ذلك حتى جاء الاسلام فهدمه جرير بن عبد الله البَجَلىُّ ولما اشتد على امرىء القيس الطلب من المنذر حيث وجه اليه الجيوش من إياد وبهراء وتَنُوخ ولم تكن له بهم طاقة وقد امدهم أنوشِرْوان أيضا بجيش من الاساورة تفرقت عنه حِمْيَر ومن كان معه من غيرهم فنجا فى عصبة من بنى آكل المُرار حتى نزل بالحرث بن شهاب اليربوعى ومعه أدرع خمسة الفَضْفاضَةُ والمحصَّنةُ والضافية والخِرِّيق وأُمُّ الذَّيول كن لبني آكل المرار يتوارثونها ملكا عن ملك فما لبثوا عند الحرث بن شهاب كثيرا حتي بعث اليه المنذر مائة من أصحابه يوعده بالحرب ان لم يسلم اليهم بني آكل المرار فأسلمهم ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحرث وهند ابنته والادراع الخمسة والسلاح ومال كان بقى معه فخرج على وجهه ممتطيا فرسه الشقراء فوقع فى أرض طيىء فأقام بها وقتا وتزوج بامرأة منهم تسمى أم جندب فهى التى يقول فيها

خَلِيلَيَّ مُرَّا بى على أم جندب ... لنقضي لبانات الفؤاد المعذب
ألم ترياني كلما جئتُ زائرا ... وجدتُ بها طيبا وان لم تطيب
عقيلةُ اتراب لها لا دميمةٌ ... ولا ذاتُ خُلق ان تأملت جانب
وانك لم يفخَرْ عليك كفاخر ... ضعيف ولم يَغْلِبْكَ مثلُ مُغَلَّبِ
وانك لم تقطع لبانة عاشق ... بمثل غدو أو رواح مُؤَوَّب

وهى طويلة الى أن قال يصف خروجه الى الصيد والاصطياد

فئنا الى بيتٍ بعَلْياءَ مُرْدَحٍ ... سماوته من أتحميٍّ معصب
وأوتادُه ماذيةٌ وعماده ... رُدَيْنيةٌ فيها أسنة قَعْضَبِ

واطنابه اشطان خوص نجائب　　وصهوته من أتحمي مشرعب

معنى هذه الأبيات انهم رجعوا من الصيد الى موضع معين لا ظِلّ فيه فبنوا خباءً جعلوا سقفه من الثياب المصبَّة وهى ضرب من ثياب اليمن النفسية وهى الاتحمية وأوتاده دروعهم وهى الماذية أى ربطوا أسفل الثياب فى دروعهم بدلا من الأوتاد فكانت أوتادا للخباء وعماده رماحهم وهى الردينيّة التى فيها أسِنّة قَعْضَب وهى حدايد الرماح منسوبة الى قعضب رجل من بنى قُشَير كان يعمل الاسنة ويقال أنه زوج ردينة وحباله المشدودة به وهى الاشطان أرسان ابلهم التى هى لخوص النجائب والخوص الغائرات العيون ومقعده ثيابهم المصبة من برود اليمن أى فرشوه بها واستعار الصهوة وهى المقعد من الفرس فراشا مجازاً والمشرعب المصنَّف

فلما دخلناه أضفنا ظهورنا　　الى كل حارىّ جديد مشطب

فظل لنا يوم لذيذ بنعمة　　فقلْ فى مقيل نحسه متغيب

كأن عيون الوحش حول خبائنا　　وارحلنا الجزع الذى لم يثقب

نَمُشُّ بأعراف الجياد اكفّنا　　اذا نحن قمنا عن شواء مضهّب

الضمير فى دخلناه للخباء واضفنا أملنا ظهورنا والحارىّ السيف نسبة الى الحيرة المدينة المعروفة أراد أنهم احتَبَوْا بحمائل سيوفهم الحارية المشطبة التى فيها خطوط وطرائق كدارج النحل وظلوا بيوم لذيذ ومقيل سعيد . وحول خبائهم وارحلهم بقر الوحش التى اصطادوها كأن عيونها الخرزُ المجزّع بالبياض ولم يثقبْ لم يخرق . شبهَ عيون بقر الوحش وهى ميّتة وقد انقلبت فيُرَى فيها البياض والسواد بالجزع غير المثقب وهو تشبيه دقيق . واعجب منه جعله اعراف الخيل مناديل لأنهم حينما شوَوْا لحم صيدهم شواءً مضهبا أى لم يكمل نضجه وأكلوا وقاموا الى خيولهم يمشون أى يمسحون اكفهم على أعرافها ثم انتقل من أرض

طيء فنزل بالمعلّى بن تَيم من بنى جديلة فذلك حيث يقول يمدحه

كأنى اذ نزلت على المعلّى   نزلت على البواذخ من شمام

أقرّ حشا امرىء القيس بن حجر   بنو تيم مصابيح الظلام

البواذخ من شمام جبال لباهلة فلبث عنده حينا واتّخذ ابلا فعدا عليها قوم فاستاقوها وكانت عنده رواحل مقيدة عند البيوت خوفا من أن يدهمه أمر فخرج عليها ونزل ببنى نبهان من طيء فخرج نفر منهم فركبوا الرواحل ليدركوا الابل فلم يدركوها واخذت منهم الرواحل فرجعوا بلا شيء ففى ذلك يقول

فدع عنك نهبا صيح فى حجراته   ولكن حديثا ما حديث الرواحل

كأن بنى نبهان أودت بجارهم   عقاب تَنوفَى لا عُقاب القواعل

واعجبنى مشى الحُزُقّةِ خالد   كَمَشْيِ أتانٍ حُلِّئتْ عن مناهل

حجراته نواحيه وتنوفى ثنية مشرفة والقواعل جبال ليست شامخة يقول هذا النهب لا يطمع فى رجوعه كما لا يطمع فيما علقت به عقاب تنوفى والعقاب من جوارح الطير وقوله أعجبنى الى آخر البيت . يستهزىء بخالد ويصفه بالحزقة أى البخيل أو الضيق الباع أو القصير ويشبهه بأتان حُلِّيَت عن مناهل أى طردت عن مورد الماء مرة بعد مرة والأتان الحمارة وخالد هذا كان قد سار لرد الابل واظهر المقدرة على رجوعها ولكنه عاد خائبا واخذت منه الرواحل ويقال أن بنى نبهان لما رأوا امرأ القيس بهذه الحالة فرّقوا عليه فِرَقاً من معزى فانشأ يقول

اذا ما لم تجد ابلا فمعزى   كأن قرونَ جِلّتِها العِصِيُّ

وجاد لها الربيع بواقصات   فآرام وجاد لها الولىّ

اذا مُشّتْ حوالبُها ارنّتْ   كأن القومَ صبّحهم نَعِيّ

فَتُوسع أهلها إقْطاً وسمنا   وحسبك من غنى شبع ورى

جلتها المسان منها أى كبار السن شبه قرونها بالعصىّ وواقصات وارام موضعان

والمراد أنها شبعت من الكلأ فامتلأت ضروعها لبنا ومشت أى مسحت بالا كف لِتَدُرَّ اللبن وارنّت صاحت كصياح النساء فى المأتم والاقط الجُبْنُ يتخذ من اللبن وبهذا البيت انكر الاصمعيّ أن يكون الشعر لامرىء القيس لأنه ذكر عن نفسه أنه لايطلب الا الملك قلت لا يمتَنَع أن يكون قوله هذا توجّعا منه في قالب المدح بالكناية لأنه اعتاض بالابل معزى كفته الشبع والري وان تكن الابل مما لاتقاس بالمِعزَى وهذه تصاريف الأيام . ثم خرج من عندهم ونزل برجل من بنى فَزَارة يقال له عمرو بن جابر بن مازن فجاوره فمكث عنده واخذ يتفكر فيما حل به من التغرب وسوء الحال بعد العز والملك فقال من قصيدة

فبعض اللوم عاذلتى فانى ستكفينى التجارب وانتسابى
الى عرق الثّرى وشجت عروقى وهذا الموت يسلبُنى شبابى
ونفسى سوف يَسلُبها وجرمى فَيُلْحِقُنى وشيكا بالتراب
ألم أُنْضِ المطىّ بكل خَرْقٍ أمَقِّ الطُولِ لمّاع السراب
واركب فى اللهام المجْرِ حتى أنال مآ كلَ القُحَم الرّغاب

الخرق الأرض المتسعة تنخرق فيها الرياح والأمق الطويل واللمع السراب واللُهام الجيش الكثير العدد والمجر الثقيل والقُحم الدفعة الكثيرة من المال أو نحوه والرغاب الواسعة يعنى أنه قاد الجيوش وغار بها على الاعداء واخذ أموالهم

وكلُّ مكارم الأخلاق صارت اليه همّتى وبه اكتسابى
وقد طوّفتُ فى الآفاق حتي رضيت من الغنيمة بالاياب

البيت الثانى هو الذي استشهد بمعناه ابن زيدون أراد أنى أكثرت من الطواف فى الآفاق حتى شق علىّ ذلك وحتى صار رجوعى الى أهلى خائباً غنيمة لى أى سلامة من العطب بعد العز والثروة

أبعد الحارث الملك بن عمرو وبعد الخير حجر ذى القباب

أرجى من صروف الدهر لينا ولم تغفل عن الصم الهضاب
واعلم أنني عما قليل سأنشب في شبا ظُفُرٍ وناب
كما لاقى أبي حجر وجدي ولا أنسى قتيلا بالكلاب

قتيل الكلاب عمه شرحبيل بن عمرو والكُلاب يوم من أيام العرب وقال يصف الحروب وسوء عاقبها

الحرب أول ماتكون فُتية تبدو بزينتها لكل جهول
حتى اذا حميت وشب ضرامها عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت مكروهة للشم والتقبيل

ثم ان الفزاري أشار عليه أن يلحق بالسموأل بن عاديا بتيماء حتى يرى ذات غيبه وبعث معه رجلا يدله على الطريق فسار معه فلما كانوا ببعض الطريق اذا هم ببقرة وحشية مَرْمِيّة أى رماها صائد ولم يلحقها وكان هذا الصائد من بني ثُعَلَ واسمه عمرو بن المسيح الثعلي وكان أرمى العرب (وقد عاش حتى ادرك الاسلام ووفد مع الوفود على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ابن مائة وخمسين سنة) فقال امرىء القيس

رب رام من بني ثعل مُخرِجٌ كفَّيه من سُتَرِه
عارض زَوْرَاء من نشم غير باناة على وتره

الشتر الكم يريد انه يخرج كفيه من كميها ليتناول القوس فيرمي بها والزوراء قوس فيها اعوجاج والنشم شجر وغير باناة أى غير بائنة فقلب ضرورة ذهب مذهب من يقول باتنة بانات وكاسية كاسات

قد أتته الوحش واردة فتنحى النزع في يسره
فرماها في فرائصها بازاء الحوض او عُقُره

تنحى تحرف او قصد وفي يسره أى في قبالة وجهه وجبهته وعقر الحوض مؤخره

برهيش من كنانته كتلظي الجمر فى شرره

اوهيش سهم ضامر والكنانة الجعبة

راشه من ريش ناهضة ثم امهاه على حجره

فهو لاتنمي رميته ماله لا عد من نفره

راشه أَلْزَقَ عليه ريش فتى من الصقور ناهض وهو الذى وفر جناحه ونهض للطيران والهاء فى ناهضة للمبالغة أو أراد به أنثى الصقور كما تقول صقر وصقرة ولا تنمى رميته لا ترتفع اولا تغيب عنه رميته اذا رماها بل تموت مكانها يريد أن رميته قاتله وفى الحديث كل ما اصميْتَ ودع ما انميت وقوله لاعد من نفره دعا عليه بالموت ولم يرد حقيقته كما تقول لمن تعجب منه قاتله الله

مطعم الصيد ليس له غيرها كسب على كبره

وخليل قد أفارقه ثم لا أبكى على أثره

وابن عم قد تركت له صفو ماء الحوض عن كدره

وحديث الركب يوم هنا وحديث ما على قصره

وابن عم قد فجعت به مثل ضوء البدر في غرره

يوم هنا قيل هو يوم معروف وهنا اسم موضع اجتمعوا فيه ويقال هنا كناية عن اللهو واللعب وحديث ما على قصره أى هذا اليوم الذى تحدثنا فيه وسرنا الحديث فيه يوم قصير لأن يوم السرور قصير ويوم الشر طويل والتقدير هو حديث على قصره وماحشو أو هى دالة على المبالغة فى وصف الحديث بالحسن والجود ولما قدم على السموأل عرف له حقه وأنزله خير منزل فكان عنده ماشاء الله ثم طلب اليه أن يكتب له الى الحرث بن أبى شِمْر الغسانى بالشام ليوصله الى قيصر ملك الروم فصيره اليه فذلك حيث يقول

تذكرتُ أهلي الصالحين وقد أتتْ على خَمَلَى خُوصُ الركاب واوْجرا

فلما بدا حَوْرَانُ فى الآلِ دونَها   نظرتَ فلم تنظر بعينيك منظرا
تَقَطَّعُ أسباب اللبانة والهوى   عشية جاوزنا حماةَ وشيزرا

خلي وأوجرا موضمان وحوران بلد وكذلك حماة وشيزر يريد لما جاوزنا هذه المواضع تقطعت اسباب الهوى الاشتغال بسواه

بسير يضج العود منه يمنُّه   أخو الجَهْدِ لا يُلْوِي على من تعذرا

العود المسن من الابل ويمنه يضعفه واخو الجهد المجتهد الشديد لا يحتبس على من اعتذر بعذر الى أن قال بعد أن ذكر ناقته

عليها فتى لم تحمل الارض مثله   أبر بميثاق وأوفى وأصبرا
هو المُنْزِل الآلاف من جو ناعط   بني أسد حَزْناً من الارض أوعرا
ولو شاء كان الغزو من أرض حمير   ولكنه عمدا الى الروم انفرا
بكي صاحبي لما رآي الدرب دونه   وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لاتبك عينك إنما   نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

صاحبه الذي بكي هو عمرو بن قميئة اليشكري وكان قد صحبه من بلاد يشكر لما مر عليها

وإني زعيم إن رجعت مملكا   بسير ترى منه الفرانق ازورا

الفرانق الاسد معرب وازور مال الي جنبه

وكنا اناس قبل غزوة قرمل   ورثنا الغنا والمجد أكبر أكبرا
وماجبنت خيلي ولكن تذكرت   مرابطها من بربعيص وميسرا
الا رب يوم صالح قد شهدته   بتاذف ذات التل من فوق طرطرا
ونشرب حتى نحسب الخيل حولنا   نقادا وحتي نحسب الجون أشقرا

غزوة قرمل هذه كانت غزوة غزاها قرمل من ملوك اليمن فأصاب من كندة قبيلة امريء القيس واراد انها لم تضر شرفنا ولا وضعت منا فنحن ناس أشراف من

قبل هذه الغزوة وبرصيص وميسرا وبالذف أسماء لمواضع بعينها وقوله ونشرب الى آخر البيت أى حتى يذهلنا السكر فلا نميز بين النقاد وهي جنس من الغنم قصير والخيل ولا بين الالوان الاخضر والاحمر ونحوهما . فلما وصل الى قيصر قبله وأكرمه وكانت له عنده منزلة فاندس رجل من بني أسد يقال له الطماح وكان امرؤ القيس قتل أباه فأتى بلاد الروم مستخفيا ثم أن قيصر ضم الى امرئ القيس جيشا وفيه جماعة من أبناء الملوك فلما فصل قال الطماح لقيصر ان امرأ القيس غوى عاهر وانه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل ابنتك ويواصلها وهو قائل فى ذلك أشعارا يشهرها بها في العرب فيفضحها ويفضحك فبعث حينئذ على زعمهم حلة وشى مسمومة منسوجة بالذهب اليه وقال له انى أرسلت اليك بحلتى التى كنت ألبسها تكرمة لك فاذا وصلتك فالبسها باليمن والبركة واكتب الىّ بخبرك من منزل منزل فلما وصلت اليه لبسها واشتد سروره بها فأسرع السم فيه وسقط جلده فلذلك قيل له ذو القروح قلت وهذه الحكاية غير معقولة لأن السم فى الحلة لا يعمل قروحا وانما يسرى فى الدم بواسطة الاحشاء أو بالتلقيح واذا تسمم الجسم مات المسموم قبل أن يتقرح جسمه وانما يتهرأ لحمه ويتناثر شعره بعد الوفاة وأما القروح فحما تكون من الجدرى ونحوه والذى ذكره مؤرخوا الروم مثل نونوز وبركوب وغيرهما وكانوا يسمون صاحب الترجمة قيسا أقرب الى الحقيقة فقد ذكروا أنه قبل وروده على قيصر يوستينيانس ارسل اليه وفدا يطلب منه النجدة على بني أسد وكان مع الوفد ابنه معاوية سيره الى قيصر ليبقى عنده رهينة فكتب قيصر الى النجاشى يأمره أن يجند الجنود ويسير الى اليمن ويعيد الملك الى صاحبه ولم يلبث امرؤ القيس ان سار بنفسه الى قسطنطينية فرغبه قيصر ووعده وذكر نونوز المؤرخ ان قيصر قلده امرة فلسطين الا أنه لم يسع فى إصلاح أمره وإعادة ملكه فضجر امرؤ القيس وعاد الى بلاده وكانت وفاته

نحو سنة ٥٦٥ ميلادية أصابه مرض كالجدري في طريقه كان سبب موته وذكر في كتاب قديم مخطوط ان ملك قسطنطينية لما بلغه وفاة امرئ القيس أمر بأن ينحت له تمثال وينصب على ضريحه ففعلوا وكان هذا التمثال هناك الى أيام المأمون الخليفة العباسي وقد شاهده هذا الخليفة عند مروره هناك لما دخل بلاد الروم ليغزو الصائفة . ويظهر لي أن بامرئ القيس داءا كان يعتاده فعاوده وأماته كما قال في شعره

تأوبني دائي القديم فغلّسا أحاذر أن يرتد دائي فأنكسا

وهي القصيدة التي ذكر فيها قروحه ومن أجلها قيل له ذو القروح ومنها

فلو أنها نفس تموت جماعة ولكنها نفس تساقط أنفسا

وبدلت قَرْحاً داميا بعد صحة فيالك من نعمى تحولن ابؤسا

لم يأت للو بجواب وانما حذفه لعلم السامع به والتقدير لكان ذلك أهون علي أو نحو ذلك مما يستقيم به المعنى أو ربما تكون لو للتمني فلا تحتاج الى جواب وقوله تساقط أنفسا أي تتساقط نفساً بعد نفس فات وقول الوزير ابو بكر تساقط بضم التاء أي يموت بموتها بشر كثير فغير جيد وقوله وبدلت قرحا داميا بعد صحة قال شارحه يريد ماناله من لبس الحلة المسمومة

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ليلبسني من دائه ما تلبسا

ألا ان بعد العُدْم للمرء قِنوَةً وبعد المشيب طول عمر وملبسا

طمح بنظره اذا رفعه فنظر بعيدا وقوله ليلبسني من دائه ما تلبسا اي ماألبس جسمه من المرض . يقول أصابني الطماح بما نالني من البلاء هذا ماذهب اليه الشراح والعدم الفقر والقِنوة والقُنية الاقتناء يريد أن المرء بعد الفقر والشدة قد ينال الغنى والرخاء وبعد المشيب قد يكون طويل العمر والبيت الأول يظهر انه مما حمل الشراح على أن يعتقدوا بأن موت امرىء القيس كان بالقروح المسببة

من السم بلبس الحلة فبنوا شروحهم عليه وفسروه به قلت اذا صح ذلك وهو الظاهر ففيه نظر فقد قدمنا ان ذلك غير معقول لأن القروح تكون من الجدري وامثاله حتما ويكون المعنى مع انتفاء الظن بانه مات بالسم بل بقروح الجدري كما ذكر مؤرخوا الروم وهو المعقول ان الطماح البسه من داء وشايته ثوبا مكروها الى نفسه على المجاز فيكون اللبس معنويا كانه يريد أن الطماح وشى به الى قيصر فرد امرؤ القيس وشايته بأخرى تنفيها من قبيل الدفع عن النفس فتلبس بما تلبس به الطماح والمكروب يجرى على لسانه كما يخطر على باله من شكوى ألم في النفس أو الجسم ولا يؤخذ من قوله وبدلت قرحا داميا بعد صحة انه يريد ماناله من لبس الحلة المسمومة اذ لم يجر لها ذكر قط كما فسروها بقرينة القروح وليت شعرى هل تلبس حلة الملوك قميصا مباشرا الجسم بفرض انها مسمومة فيتشرب الجسم منها ولكنه يريد بالقرح الدامي مافعله القروح الاعتيادية من الجدري وامثاله ويعجب من استماضته بالصحة مرضاو بالنعمة بؤسا وعلى هذا لم تكن وشاية الطماح سببا لهلاكه وما كان قيصر ليعجز عن رده اليه وتجريده من الجيش الذى بعثه به بدلا من أعماله الحيلة في قتله بهذه الطريقة الممقوتة واذا صح ان القيصر أمر بنحت تمثال له بعد وفاته وكما قيل ان هذا التمثال بقي الى أن رآه المأمون الخليفة فقد ينتفي الظن كلية بأن القيصر غضب عليه فقتله لانه اذا كان قتله فلا يقيم له تمثالا . هذا فكرى وقد أكون مخطئا وفوق كل ذي علم عليم انتهى

ولما صار امرؤ القيس الى بلدة من بلاد الروم تدعى انقرة . احتضر بها ورأي قبر امرأة هناك من بنات الملوك مدفونةً بسفح جبل يقال له عسيب فقال

أجارتنا أن المزار قريب   وانى مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا انا غريبان ههنا   وكل غريب للغريب نسيب

ثم مات فدفن بقربها وذكر الميداني أن بقرب المدينة جبلا يقال له عسيب

ودفن الى جنبه صخر بن عمرو أخو الخنساء الذى يقول

آجارتنا أن تسأليني فانني مقيم لعمرى ما أقام عسيب

فلعلها جبلان أحدهما ببلاد الروم والآخر بالحجاز والله أعلم ويروى لامريء القيس عند وفاته قوله أيضا

ألا ابلغ بني حُجر بن عمرو وأبلغْ ذلك الحيَّ الحديدا
بأني قد هلكتُ بأرض قوم سحيقا من دياركم بعيدا
ولو أني هلكتُ بارض قومى لقلتُ الموت حق لا خلودا
أعالج ملك قيصر كل يوم وأجدِرْ بالمنية أن تعودا
بأرض الشام لا نسبٌ قريب ولا شاف فيُسنِد أو يعودا

وكان موته في سنة ٥٦٥ ميلادية وذكر ابن قتيبة فى طبقات الشعراء أن زمن امرئ القيس كان قبل زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة والله أعلم ويقال أن السموأل حفظ ما أودع امرؤ القيس عنده من الدروع والمال وأبى أن يسلمها الى المنذر ملك العرب وكان قد بعث اليه الحرث بن ظالم ليتسلّمها منه فأتاه وطلبها منه فامتنع فظفر بابن له خارج الحصن قد يفع فقال له إما أن تسلّمنى الدروع والمال وإما أن أقتل ابنك فاختار قتل ابنه على خَفْر ذمته فقتله الحرث وهو ينظر اليه من داخل الحصن وانصرف عنه وبقيت الدروع والمال عنده حتى سلمها لورثة امرئ القيس فضُرِب بوفائه المثل فقيل أوفى من السموأل وفى ذلك يقول السموأل مفتخراً

وفيتُ بأدرع الكندي إني اذا ما ذُم أقوام وَفيتُ
وأوصى عاديا يوما بأن لا تهدّم يا سموأل ما بنيت
بنى لى عاديا حصنا حصينا وماءا كلما شئت استقيت

انتهت أخبار امرئ القيس وقد اسهبنا فيها

(المتن) وأنّى غلبني المغلّب وفخر عليّ العاجز الضعيف

(الشرح) انّى بمعنى كيف ومن أين والمغلب بالتشديد المغلوب مرارا والمحكوم له بالغلبة ضدّ والمراد الأول يشير الى قول امرئ القيس

وانك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

أى أن محبوبته التى شبب بها ضعيفة والضعيف اذا قدر قدرته تهلك المقدور عليه وهو معنى قوله ولم يغلبك مثل مغلب وكذلك اذا فخر عليك ضعيف عاجز جاوز قدره ولو كان كريما قادرا لما اظهر الفخر عليك بأفعاله والى هذا ذهب أبو تمام بقوله

وضعيفةٍ ان مكّنت عن قدرة قتلتْ كذلك قدرة الضعفاء

وامرؤ القيس أتى به فى معرِض التشبيب بمحبوبته وابن زيدون أخرجه مخرج التعجب والانكار على أعدائه الذين رموه عند مولاه فغلبوه وكان لهم غلابا وقووْا عليه وهم ضعاف والمعنى كيف يغلبني من كنت له غلّابا ويفْخَر عليّ من كان يعجز عن مباراتى ومجاراتى وصحف فاخرا بعاجز وقد تمثل بهذا البيت عثمان بن عفان رضى الله عنه فى كتابه الى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه كما ذكرنا فى شرح المثل بلغ السيل الزبى

(المتن) ولطمتنى غيرُ ذاتِ سِوارِ

الشرح اللّطم ضرب الخد وصفحة الجسد أى لو لطمنى رجلٌ لا امرأة ذات سوار وهذا مثل يضرب فى اعتداء من لا قصاص عليه واصله (لو غير ذات سِوارٍ لطمتني) قاله حاتم الطائى الجواد المشهور وذلك أنه كان مرّ ببلاد عَنَزة فى بعض الاشهر الحرم فناداه أسير لهم يا أبا سفّانة أكلنى الأسار والقمل قال ويحك اذ نوّهت باسمى فى غير بلاد قومى ثم ساوم القوم به وقال اطلقوه واجعلوا يدى فى القيدّ مكانه ففعلوا فجاءته امرأة ببعير ليفصِده فقام فنحره فلطمت وجهه

فقال المثل يعني لا اقتص من النساء وقيل ان المثل لو ذاتُ سوار لطمتني أي حُرَّة لا أَمَة وذلك أن المرأة صاحبة المنزل أمرته أن يفصد ناقة لها لتأكل من دم فصدها وهذه عادتهم في المجاعات فنحر الناقة فقيل له لِمَ فعلت ذلك قال هذا فصدي فأمرت جاريتها فلطمته فقال المثل وذاتُ السوار الحرَّة لأن الاماء لا يَلبَسْنَ السوار عند العرب وجواب لو محذوف تقديره لهان عليّ ذلك وابن زيدون يستنكر أن يسيء اليه من كان يراه أضعف منه قدرةً وأحقر منزلة

ذكر حاتم الطائي وبعض أخباره

هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس من طيّ ويكنى أبا سفَّانة شاعر من شعراء قومه ومن أجوادهم يشبه شعرُهُ جودَه ويصدق قولَه فعلُه وأكثر ما اشتهر به الجود فكان حيثما نزل عُرِفَ منزلُه وكان مظفرًا اذا قاتل غَلَب واذا غنم أنهب واذا سئل وهب واذا ضرب بالقداح فاز واذا سابق سبق واذا أَسَرَ أطلق واذا أهلّ الشهر الحرام وهو رجب الذي كانت مضر تعظّمه في الجاهلية نحر في كل يوم عشراً من الابل فيطعم الناس وأول ما عرف من امره في الجود أن أباه وقيل جدّه رأى منه انه لا يأكل الطعام إلا اذا وجد من يأكله معه والا طرحه فقال له الحق بالابل فخرج اليها وطفق يبغي الناس فلا يجدهم فبينا هو كذلك إذ بَصُرَ بركب ثلاثة على الطريق فأتاهم فقالوا له يافتى هل من قرى فقال تسألوني عن القرى وقد ترون الابل فنحر لهم ثلاثا فقال أحدهم إنما اردنا بالقرى اللبن وكانت تكفينا بكرة اذا كنت لا بد متكلفا شيئا فقال حاتم قد عرفت ولكني رأيت وجوها مختلفة وألوانا متفرقة فظننت أن البلدان غير واحدة فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رآى اذا أتى قومه فامتدحوه وذكروا فضله فقال لهم أردت أن أحسن اليكم فكان لكم الفضل علي وانا أعاهد الله أن أضرب عراقيب إبلي عن آخرها

أو تقدموا اليها فتقسموها ففعلوا فأصاب الرجل تسعة وتسعين بعيرا ومضوا في سفرهم فلما سمع جده بما فعل حلف أن لا يساكنه أبدا وخرج بأهله وتركه فقال يذكر ذلك

وانى لعفّ الفقر مُشترَكُ الغنى ... وتاركُ شكلٍ لا يوافقه شكلى
وأجعلُ مالى دون عرضى جُنَّةً ... لنفسى فأستغنى بما كان من فضلى
ولى نيقةٌ فى المجد والبذل لم تكن ... تأنّقها فيما مضى أحدٌ قبلى
ولى مع بذل المال والبأس صولةٌ ... اذا الحرب أبدت عن نواجذها العصل
وما ضرنى أن سار سعد بأهله ... وأفردنى فى الدار ليس معى أهلى
سيكفى ابتنائى المجد سعد بن حشرج ... وأحمل عنكم كلما ضاع من ثقل

فلا ذكره وقصده الناس لجوده وتزوج ماوية بنت عفزر وكانت ملكة ولها يقول

أماوي قد طال التجنب والهجر ... وقد عذرتنى فى طلابكم العذر
أماوى ان المال غاد ورائح ... ويبقى من المال الاحاديث والذكر
أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى ... اذا حشرجت نفس وضاق بها الصدر
أماوىّ إنى لا أقول لسائل ... اذا جاء يوما حل فى مالنا نذر
أماوىّ إمّا مانع فمبيّنٌ ... وامّا عطاء لا ينهنهُهُ الزّجر
أماوىّ أن يُصْبِحْ صداى بقفرة ... من الأرض لاماء لدىّ ولا خمر
ترَىْ أن ما انفقتُ لم يكُ ضرنى ... وأنّ يدي مما بَخِلْتُ به صِفر
وقد علم الأقوام لو أن حاتما ... أراد ثراء المال كان له وفر
وإنّى لا آلو بمالٍ صنيعةٍ ... فأوله زادٌ وآخره ذُخْر
غُنينا زمانا بالتصعلُكِ والغِنى ... وكلاً سقاناه بكأسيْهما العصر
فما زادنا بَغْياً على ذي قرابة ... غِنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر
فَقِدْماً عصيتُ العاذلاتِ وسُلِّطَتْ ... على مصطفى مالى أنامِلِيَ العشر

وما ضرّ جارًا يا ابنة العمّ فاعلمى　　يجاورنى ألاّ يكون له ستر
بعينىّ عن جارات قومىَ غفلةٌ　　وفى السّمع منى عن حديثهم وقر

ولما أراد أن يخطب ماويّة هذه ذهب اليها هو وزيد الخيل وأوسُ بن حارثة فخطبوها فقالت ليصف لى كلٌّ انسان منكم نفسَهَ لأختار لنفسى فقال زيد الخيل أنا زيد الخيل تفخر بى طيّء على العرب ولى فى كل مِرباعٍ غنيمةٌ وغزوت ثلاثا وسبعين غزاةً لم تُشكَلْ طائيةٌ فيها ولد ولم تَفجعْ فيها بحليل ولم أخِبْ فى واحدةٍ منها ثم انى لم أردّ سائلا ولم ألاحِ جاهلا ولم انطقْ بالطلا ولم أبِتْ على وغمٍ (قهر) وقال أوسٌ أولُ ما أخذتُ من الحيى قلت سُعْدَى فالتقطت كلّ شعرة سقطت منها فأعتقتْ بها نَسَمَةً من مَعَدّ وقال حاتم أنهبتُ مالى ثلاث عشرة مرة واحلّتْ لى طيّءٌ أموالها آخذ ما شئتُ وأدع ماشئت . فقالت ماويّة أمّا أنت يا زيدُ الخيل فقد وترْتَ العربَ فمقامُ الحرّة معك قليل وأما أنت يا أوسُ فرجل ذو ضرائر والدخول عليهن شديد وأما أنت يا حاتم فرجل كريم المنسب قريب المنصِب وقد تزوّجتك ورضيتُ بك فماشت معهْ وولدت له عَدِيا ابنه فقيل لها أخبرينا عن بعض عجائب حاتم فى الجود فقالت كلٌّ امره عجبٌ أصابتِ الناس سَنَةٌ مجدبةٌ فأذهبتِ الخفّ والحافر ففى ليلة وقد أسهرَنا الجوع أخذ عَدِيًّا وأخذت سفّانة وجعلنا نعلّلهما حتى ناما ثم أقبل علىّ يُحدّثنى فرَقَقْتُ لما به من الجوع والجهد فأمسكت عن كلامه لينام فقال لى أنِمتِ مرارا فلم أجب فسكت فنظر فى فتقِ الخِباء فاذا شىء قد أقبل فرفع رأسه فاذا امرأةٌ فقال ماهذه قالت يا أبا سفّانة أتيتك من عند صِبيةٍ يتعاوَوْن كالذئاب جوعا قال احضريني بهم فوالله لاشبعَنّهم قالت ماوية فقمت سريعا فقلت بماذا ياحاتم فوالله مانام صبيانك من الجوع إلا بالتعليل فقال والله لأشبعَنّ صِبيانَكِ مع صِبيانها فلما جاءت المرأة بصبيانها قام الى فرسه فذبحها ثم قدح نارا وأجّجها ثم دفع اليها شَفرةً فقال اشتوِى وكلى وابائم

ثم قال والله إن هذا لهو اللؤم تأكلون واهل الصرم حالهم مثل حالكم فجعل يأتى الصرم بيتاً بيتاً فيقول انهضوا عليكم بالنار فاجتمعوا حول تلك الفرس وتقنع هو بكسائه فجلس ناحية فاصبحوا ومامن الفرس على الارض كثير أوقليل إلا عظم أو حافر وانه لاشد منهم جوعا وما ذاقه وقيل أن أحد قياصرة الروم بلغته أخبار جود حاتم فاستغربها وكان قد بلغه أن لحاتم فرسا من كرام الخيل عزيزة عليه فأرسل اليه بعض حجابه يطلب منه الفرس هدية اليه وهو يريد أن يمتحن سماحته بذلك فلما دخل الحاجب ديار طيء سأل عن أبيات حاتم حتى دخل عليه فاستقبله أحسن استقبال ورحب به وهو لا يعلم أنه حاجب الملك وكانت الماشية فى المرعى فلم يجد اليها سبيلا لقِرَى ضيفه فنحر الفرس واضرم النار ثم دخل الى ضيفه يحادثه فاعلمه أنه رسول قيصر قد حضر يستميحه الفرس فساء ذلك حاتما وقال هلاّ أعلمتني قبل الآن فانى قد نحرتها لك اذ لم أجد جزورا حاضرة فعجب الرسول من سخائه وقال والله لقد رأينا منك اكثر مما سمعنا وكان اذ جنّ الليل يوعز الى غلامه أن يوقد النار فى يفاع من الارض لينظر اليها من أضلّه الطريق ويقول

أوقِد فان الليلَ ليلٌ قرٌّ والريح يا موقد ريح صِرُّ

عسى يرى نارك من يمرّ إن جلبَتْ ضيفاً فأنت حرّ

وقد أدركت سفّانة ابنته الاسلام وكانت اكبر ولده فروى عن الامام على رضى الله عنه أنه قال يوما يا سبحان الله ما أزهد كثيرا من الناس فى الخير عجبت لرجل يجيئه أخوه فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كنا لا نرجوا جنّة ولا نخاف نارا ولا ننتظر ثوابا ولا نخشى عقابا لكان ينبغى لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فانها تدل على سبيل النجاح فقام رجل فقال فداؤك أبى وأمى يا أمير المؤمنين أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وما هو خير منه لما أتينا بسبايا طيء كانت فى النساء جارية حمّاء حوراء العينين لمساء لمياء عيطاء شماء الأنف معتدلة القامة درماء

الكمين خدلّجة الساقين خميصة الخصر ضامرة الكشحين مصقولة المتنين فلما رأيتها أعجبت بها فقلت لأطلبنّها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجعلها من فيئي فلما تكلمت أنسيت جمالها لما سمعته من فصاحتها فقالت يا محمد هلكَ الوالد وغاب الوافد فان رأيت أن تخلّيَ عنى فلا تشمت بى أحياء العرب فانى بنت سيدِ قومى كان أبى يفك العانى ويحمى الذّمار ويقري الضيف ويشبع الجائع ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشى السلام ولا يَردّ طالب حاجة قط أنا بنت حاتم الطائى فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمن ولو كان أبوك اسلامياً لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الأخلاق والله يحب مكارم الأخلاق وادرك أيضاً ابنه عدىّ الاسلام فأسلم وحسن اسلامه وكانت وفاة حاتم فى سنة ستمائة وخمس ميلادية انتهت أخباره

المتن وَمَالَكَ لم تَمنَع مِنى قبلَ أن أفترسَ وَتُدرِكنى وَلمَّا أُمزَّقِ

الشرح هذه الجملة فى معنى ماتقدم من الاستفهام والفرس دق العنق يقال فرس الأسد فريسته وافترسها قتلها وفى معناها قال المتنبى

وجاهل مده فى جهله ضحكى حتى أتته يد فراسة وفم

والادراك اللحوق ولما من حروف الجزم وانما هى لنفى المستقبل كما ان لم لنفى الماضى والتمزيق التخريق تقول مزّقتُ الكتاب اذا خرقته وهذا المعنى مأخوذ من قول الممزق العبدى واسمه عبد القيس بن نهار بن أسرج فى الابيات الآتية

أَحقًّا ابيتَ اللعن انّ ابن فرتَنا على غير اجرام بريقى مشرقي
فأنتَ عميدُ الناس مهما تَقُل يُقَل ومهما يكن من باطل لايحقق
فان كنت مأكولا فكن خيرآ كل والا فادركنى ولما امزّق
أكلفتنى أدماء قوم تركتهم فالا تداركنى من البحر أغرق

يقولها للنعمان ملك العرب وكان قد بلغه أنه يريد الايقاع بهفقيل انه لما انشده

الأبيات المذكورة قال له لا آ كلكُ ولا أُوكلكُ غيري أي لا أدع آخر يأكلك وقد تمثل بالبيت الثالث منها عثمان بن عفان رضي الله عنه في كتابه الى علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وذكرناه في شرح المثل بلغ السيل الزبى

والممزق المذكور شاعر جاهلي فصيح اللسان وقد أورد المُفَضَّلُ الضبي في مختاراته بعضا من شعره ومن ذلك قوله

هل للفتي من بنات الدهر من واق أم هل له من حمام الموت من راق
قد رجلوني وما رجلت من شعث وألبسوني ثيابا غير أخلاق
ورفعوني وقالوا ايما رجل وأدرجوني كأني طي مخراق
وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا ليسندوا في ضريح الترب اطباقي
هون عليك ولا تولع باشفاق فانما ما لنا للوارث الباقي
كأنني قد رماني الدهر عن عُرُض بنافذات بلا ريش وأفواق

ومن قوله أيضا من قصيدة اخرى

صحا من تصابيه الفؤادُ المشوق وحان من الحيّ الجميع تفرّق
وأصبح لا يشفي له من فؤاده قِطارُ السحاب والرّحيق المروّق
فمن مُبلغُ النعمان أن ابن اخته على العين يعتاد الصفا ويُمرّق
وأن لكيزاً لم تكن رب عكة لدن صرحت حجاجهم فتفرقوا
قضى لجميع الناس إذ جاء أمرهم بأن يجنُبوا أفراسهم ثم يلحقوا
بيوم بجنِ الحَزمَ خرقٌ تسيدَعٌ أحذُّ كصدر الهندواني يخفق
وقال جميعُ الناس أين مصيرنا فاضمر منها خُبثُ نفس مُمزّق
فلما أتى من دونها الرِّمثُ والغضا ولاحت لها نار الفريقين تبرُقُ
ووجّهها غَربيةٌ عن بلادنا وود الذين حولنا لو تُشرّق

ولم أقف له على اخبار اخرى ومات في سنة ٤٨٠ ميلادية ومعني كلام ابن زيدون

ولأى شيء تركتني عرضة لسهام الاعداء ولم تمنع عني أذاهم قبل أن يفترسني غضبك بما دسوه على وتلحقني قبل أن يمزقني ناب عذابك

(المتن) أَمْ كَيْفَ لَا تَتَضَرَّمُ جَوَانِحُ الأَكْفَاءِ حَسَدًا لِي عَلى الخُصوصِ بِكَ وتَتَقَطَّعُ أَنْفَاسُ النُّظَرَاءِ مُنَافَسَةً فى الكَرَامَةِ عَلَيْكَ

الشرح أم من حروف العطف وهى هنا بمعنى بل للأضراب عن الكلام الاول واثبات الثانى كقولك خذ درهما بل دينارا فذكرت الدرهم ثم اضربت عنه الى الدينار وكيف كلمة استفهام وسبق شرحها والاضطرام من الضرم محركا اشتعال النار وهنا بمعنى احتدام الغيظ أى شدته والجوانح جمع جانحة وهى الأضلاع مما يلى الصدر والأكفاء جمع كفء مثلثة بمعنى المثل . والحسد معلوم والخصوص مصدر خصه خصا وخصوصية فضله على غيره والانفاس جمع نفس بالتحريك وهو الهواء الذى يدخل الى الباطن ويخرج منه أو هو الزفير والشهيق وانقطاعه موت لصاحبه والمراد به هنا المبالغة فى شدة الغيظ والنظراء جمع نظير وهو الشبيه والمثيل والمنافسة من النفيس الذى يرغب فيه ويضن به والكرامة المعزة وحاصل المعنى بل كيف لا يملأ الغيظ صدور المتمثلين بي والمناظرين لى وتكاد تنقطع أنفاسهم فى اجوافهم حسدا وشدة رغبة في زوال ما فضلتنى به وحبوتني من الشرف والعز عليهم

(المتن) وقد زَانَنِي اسْمُ خِدْمَتِكَ وَزَهَانِي وَسْمُ نِعْمَتِكَ وَابليتُ البَلَاءَ الجَمِيلَ فِي سِمَاطِكَ وَقمتُ المَقَامَ المحمودَ فِي بِسَاطِكَ

الشرح زانني من الزين ضد الشين وزهانى من الزهو وهو المنظر الحسن والابتلاء الاختبار والسماط الصف من القوم. وهذا الكلام تحقيق لقوله أم كيف لا تتضرم جوانح الاكفاء الخ لما ذكر اضطرام الجوانح وتقطع الأحشاء اللذين اصابا حساده ونظراءه لاختصاص مليكه به وكرامته عليه من طريق الهف رجع

الى نشر الأسباب التي دعتهم الى الحسد والمنافسه فضلها . بحسن الخدمة التي زانت اسمه ووسم النعمة التى حسنت منظره ورفعت قدره وعظيم البلاء الذى ميزه على غيره من صفوف القوم بالأخلاص والولاء . وحميد المواقف التى وقفها على بساط عرشه وحاصل المنى. لم يحسدنى الكفء وينافسنى النظير الالصدق خدمتى وأثر نعمتي

(المتن) أَلَسْتُ المُوَالِيَ فِيكَ غُرَّ قَصَائِدٍ * هِيَ الأَنْجُمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجُمَا

ثَنَاءٌ يُظَنُّ الرَّوْضُ فِيهِ مُنَوَّراً * ضُحىً وَيُخَالُ الوَشْيُ فِيهِ مُنَمْنَمَا

الشرح الموالاة مصدر والى يوالى أى تابع بين الامرين والغر والغران جمع الاغر وهو الابيض قوم غرٌّ وغران كسود وسودان أى بيض الوجوه كرام الفعال . قال امرؤ القيس

ثياب بنى عوف طهارى نقيةٌ وأوجههم عند المسافر غران

والمراد بغرر القصائد جودتها ونقاء معانيها والقصائد جمع قصيد وقصيدة مثل سفين وسفينة وهو مواصلة الشاعر فى عمل الشعر المقفى الموزون فى مدح غيره ولا تسمى القصيدة قصيدة الااذا بلغت أبياتها سبعةً فاذا كانت ستةً سميت مقطعا والأنجم الأولى القصائد تشبيها لها بالنجوم اللامعة والثانية النجوم نفسها وهى الكواكب واقتادت من القود خلاف السوق وضمير التأنيث يعود الى الاولى والثناء معلوم والروض جمع روضة وهو المكان المنخفض من الارض ينبت فيه العشب وسميت به لاستراضة الماء فيه والنور بتشديد النون المفتوحة وسكون الواو الزهر قيل عام وقيل الأصفر منه خاصة والضحى بالضم يكون بعد ارتفاع النهار بقليل وبالفتح أول النهار أي عقب طلوع الشمس والمراد الاول ويخال من الخال أى الظن . والوشى المنمنم الثياب المنقوشة من الحرير . بعد أن عدد نعم مولاه التى حسده عليها الكفء والنظير عطف على ذكر ما نشر عنه من غرر المدائح التى

نظمها فيه فشبهها مجازا بنجوم قادت خلفها نجوم السماء اللامعة فى ظلمة الليل . حوت ثناءاً اى مدحا يظنه الظان . انه زهر الرياض فى ضحى النهار . تفتق منه لبلاغته وبهجته . وثياب الوشى المنمنمة تمشت منه لبديع طرازه ورونقه وانما خص وقت الضحى لأن الأزهار فيه تكون نضرة لم يبد فيها الذبول وأتى بهمزة الاستفهام الداخلة على النفى فى قوله الست ومعناها الا كنت . ليفيد التحقيق أى قد كنت الموالى فيك غرر القصائد والمراد انه مدحه بأحسن المدح والبيتان اخذهما من قصيدة لأبى عبادة البحترى الشاعر ومطلعها

يهون علينا أن ابيت متيما اعالج وجدا فى الضمير مكتما

يعاتب بها الفتح بن خاقان وزير المتصم بالله العباسي وكان قد سخط عليه وهجره يقول فيها

اعد نظرا فيماتسخطت هل ترى مقالا دنيئاً أو فعالا مذمما
رأيت العراق نا كرتني واقسمت على صروفُ الدهر ان أتشأما
وكان رجائي ان اؤوب مملكا فصار رجائى ان اؤوب مسلَّما

هذا البيت كقول امرىء القيس رضيت من الغنيمة بالاياب

وا كبر ظنى انك المرء لم تكن لتأخذ بالظن التمام المحرما
حياءا فلم يذهب بى الغى مذهبا بعيدا ولم اركب من الامر معظمَا
ولم اعرف الذنب الذي سؤتنى له فأقتل نفسى حسرة وتندما
ولو كان ماخبرته أو ظننته لما كان غروا ان الوم وتكرما
اذكرك العهد الذي ليس سوددا تناسيه والود الصحيح المسلما
وما حمل الركبان شرقا ومغربا وأنجد فى أعلى البلاد وأتهما

يريد بما حمل الركبان قصائده التي نشرها عنه

أقر بما لم أجنه متنصلا اليك على أنى أخالك ألوما

لى الذنب معروفا وان كنت جاهلا　　به ولك العتبى على وأنعما

ومثلك ان أبدي النمال أعاده　　وان صنع المعروف زاد وتمما

وحلة أعداء رميتُ بعزمة　　فاضرمتها نارا واجريتها دما

وهذا لعمرى من محاسن الاعتذار فان يكن عتاب يفيد واقرار يغفر الذنب فليكن هكذا والاً فلا وقد نقلنا من شعره فيا مضى جملةً صالحةً

(المتن) وَهَلْ لَبِسَ الصَّبَاحُ إلاَّ بُرْداً طرزْتَهُ بِفَضَائِلِكَ وتَقَلَّدَتِ الجَوْزَاء إلاَّ عِقْدًا فَصَّلْتَهُ من مآثِرِكَ واسْتَمْلَى الرَّبِيعُ الاَّ ثَنَاءً أَمْلأْتَهُ مِنْ مَحَاسِنِكَ وبَثَّ المِسْكُ الأَحَدِيثاً أَذَعْتَهُ فى مَحَامِدِكَ

الشرح　هذا فى معنى ما سبق اليه البحترى فى البيتين اللذين تقدما وانما أكثر تفصيلا وأبلغ وصفا والبُرْد الثياب والطراز علمها وتقلّدت لبست والجَوْزاء نجم يعترض جوزَ السماء أى وسطها واحدى البروج الاثنى عشرة وهى عدة كواكب ثلاثة منها على نَسَقٍ واحد ويقال لها منطقة الجوزاء والعِقد بالكسر القلادة تعلق بالعنق والمآثر الأفعال الحسنة واستملى استكتب تقول أمليتُ الكتاب واملأته واستمليته بمعنى والربيع من الشهور اثنان وبهما الأول والثانى ومن الأزمنة وقتان وقت تأتى فيه الكَمْأةُ وهو النبات ونَوْرُه ووقت تدْرَكُ فيه الثمار والمراد الأول والثناء ممدود كلمة تستعمل فى الخير والشر أثنى عليه خيرا وأثنى عليه شرا وقيل الثّناء . يستعمل فى الخير خاصة والنَّثا بالقصر وتقديم النون على الثاء يستعمل فى المدح والذم والمحاسن من الحسن والبثُّ النشر والاذاعة مثله والمحامد ضد المذام وقد ابدع فى الاستعارات التشبيهيةً ما شاء وشاءت قدرته فى تنميق الألفاظ وسبك المعانى فكانت أشبه بالمنظوم من المنثور فقد استعار للصباح بُرْداً مطرزا بفضائل مولاه وللجوزاء قلادة مفصلة من مآثره وللربيع كتابا تُملّى من محاسنه وللمسك حديثا مذاعا فى محامده وفيه انسجام[1] يأخذ بمجامع القلوب

(١)　الانسجام نوع من أنواع البديع وتعريفه فى الشعر أن يكون الكلام

لسهولته وعذوبته واتزانِ فِقراتِهِ من غير قصد فيَصِحُّ أن تبنى منه شطرات من الشعر هكذا

(من الوافر) (من مشطور الكامل)

وهل لبس الصباح سوى بُرُود طرَّزتها بفضائلك
وما الجوزاء الا عِقْد حمد فصَّلْتَه من مآثرك
وما استملى الربيع سوى ثناء أملاَتَه من محاسنك
وبثُّ المسك إلا من حديث أذَعْتَه فى محامدك

وهكذا من محاسن الاتفاق ولأبى عثمان عمرو الجاحظ قوله فى الفصول المختارة وهل غاية الجميل إلا وصفك وهل زَيْنُ البليغ إلا مدحك وهل يأمل الشريف إلا اصطناعك وهل يفيد الملهوف إلا غياثك وهل تقع الأبصار إلا عليك وهل تُصَرفُ الاشارة إلا اليك وأىُّ شىء منك ليس فى النهاية الخ وهذا أيضاً من أحسن المدح وأفخمه

(المتن) ما يَومُ حَلِيمةَ بِسِرٍّ

الشرح يوم حليمة يوم من أشهر أيام العرب وبه يضرب المثل لكل أمر متعالَم مشهور وحليمة هذه بنت الحرث بن أبى شِمْر الغَسَّانى وكان أبوها وجَّهَ جيشا الى المنذر بن ماء السماء فأخرجتْ لهم طيبا من مِرْكَنٍ فطيَّبَتْهم به فيقال ارتفع فى هذا اليوم من العَجاج ما غطَّى عين الشمس حتى ظهرتِ الكواكب[1] فسمى يو

منسجما كانسجام الماء فى انحداره لسهولة تركيبه وعذوبته ويكاد يسيل رقة ومن النثر وهو المراد هنا أن تكون غالب فقراته متزنة من غير قصد لقوة انسجامه ومثاله فى الكتاب العزيز قوله تعالى (ويخزهم وينصركم عليهم * ويشف صدور قوم مؤمنين) وكقوله تعالى (والله يهدى من يشا * ء الى صراط مستقيم)

(١) هذا التعبير غير صحيح ونقلناه لشيوعه والصحيح أن العجاج اذا غطى عين الشمس فقد سدّ الأفق فكيف تظهر الكواكب

حليمة لشهرته واليه أشار النابغة الذبيانيُّ بقوله يصف السيوف

تُوُرِّثْنَ من أزمان يوم حليمة ... الى اليوم قد جُرِّبْنَ كل التجارب

تقد السلوقيّ المضاعَفَ نسجُه ... وتُوقِدَ بالصفّاح نار الحباحب

وذكر عبد الرحمن بن المفضَّل الضبيُّ عن أبيه قال كان من حديث غزوة المنذر بن ماء السماء ملك العراق فى الجاهلية وهى التى قُتل فيها أنه سار الى الشام فى جيش كبير يريد الحرث بن جَبَلَةَ الغسّانيَّ ملك الشام وكان فى جيش المنذر رجل من بنى حنيفة يقال له شمر بن عمرو وأمُّه من غسان خرج يتوصل به ليلحق بالحرث بن جبلة فلما تدانى الجيشان اندسّ الرجل الى الحرث فقال له أتاك ما لا تطيق فلما رأى ذلك الحرث وكان يخاف ندب مائة رجل من أصحابه اختارهم رجلا رجلا فقال انطلقوا الى عسكر المنذر فأخبروه إنا نَدين له ونُعطيه حاجته فاذا رأيتم منه غِرّةً فاحملوا عليه ثم أمر ابنته حليمة فأخرجت لهم مركنا فيه خَلُوق فقال خَلِّقيهم فخرجت اليهم وهى من أجمل ما يكون من النساء فجعلت تخلِّقهم حتى مرّ عليها فتى يقال له لَبيدُ بن عمرو فذهبت لتخلّقه فلما دنت منه قَبَّلَها فلطمته وبكت وأتت أباها فأخبرته الخبر فقال لها ويلك إسكُتى عنه فهو أرجاهم عندى ذكاء فؤاد ومضى القوم ومعهم شمر بن عمرو الحنفى حتى أتوا المنذر فقالوا له أتيناك من عند صاحبنا وهو يدين لك ويعطيك حاجتك فتباشر أهل عسكر المنذر بذلك وغفلوا بعض غفلة فحملوا على المنذر فقتلوه فقيل ليس يوم حليمة بسرّ فذهبت مثلا قال أبو الهيثم يقال أن العرب تسمى بِلْقِيسَ حليمة ومراد ابن زيدون ما كان اخلاصى لك وبذل نفسى فى خدمتك وابتغاء مرضاتك مخفيا مستورا بل ظاهرا جَلِيًّا كيوم حليمة

(المتن) وَانْ كُنْتُ لَمْ أَكْمُلْ سَلِيبًا وَلَا حلَيْتُكَ عُطْلًا وَلَا وَسَمْتُكَ غُفْلًا بَلْ وَجَدْتَ آجُرًّا وَجَصًّا فَبَنَيْتُ وَمَكَانَ القَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَقُلْتُ

(الشرح) سليبا بمعنى مسلوب والعطل محركة الخلو من المصوغ والوسم أصله كيّ الحيوان من ضروب الصور ليعرف به فاستعمل لكل علامة والاسم السمة والآجر الطين المشوى أو اللبن والحصى معروف وفى رواية جصا بالكسر والفتح والكسر أشهر وهو مايطلى به البناء وقد استدرك ابن زيدون على قوله السابق (وهل لبس الصباح الا برداً الى قوله مايوم حليمة بسر) دفعاً لما يتوهم من أنه ربما يظن ظان انه هو الذي اخترع لمولاه خلالاً لم تكن فيه فقال وان كنت فيما مضى قلت وقلت فانى لم أكسك ثوبا من الثناء أنت مسلوب منه ولا حليتك بحلية الكمال وانت عاطل منها ولا وسمتك بسمة الشرف وأنت مهمل منه بل وجدت من صفاتك السامية أداة بنيت بها مدائحى فيك ومكانا من مجال القول فسيحا أطلق لسانى فقلت ماقلت مدفوعا بحسن أثرك فيّ يريد أن مولاه عريق فى الشرف فكلما وصفه به من جميل الذكر قديم موروث وانما نشره عنه قياما بواجب انعامه واعترافا بجميل احسانه والفقرة الاخيرة مقتبسة من قول المتنبي

وقد وجدت مكان القول ذاسعة ... فان وجدت لسانا قائلا فقل

يخاطب نفسه فى مدح سيف الدولة اى إن كنت ذا لسان قائل فحسبك وصف فضائله وذكر ماخلده من مكارمه وبعده يقول

ان الهمام الذى فخر الأنام به ... خير السيوف بكفى خيرة الدول
تمسى الامانى صرعى دون مبلغه ... فمايقول لشىء ليت ذلك لى
أنظر اذا اجتمع السيفان فى رهج ... الى اختلافهما فى الخلق والعمل
هذا المعد لريب الدهر منصلتا ... أعد هذا لرأس الفارس البطل

وقد ذكرنا شيئا من أخباره فيما مضى

(المتن) وَحَاشَاكَ أَنْ أُعَدَّ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ

(الشرح) حاشاك وحاشا لك بمعنى أعيذك وهى كلمة استثناء تنصب وتجرما

بعدها فان نصبت بها جعلتها فعلا فقلت ضربتهم حاشى زيدا وان جررت جعلتها حرفا وقيل لاتكون الاحرف جر لأنها لو كانت فعلا لجاز أن تكون صلة لما كما يجوز ذلك فى خلا فلما امتنع أن يقال جاءنى القوم ماحاشى زيدا دل على انها لسيت فعلا وقال المبرد تكون فعلا واستدل بقول النابغة

ولاأرى فاعلا فى الناس يشبهه وما أحاشى من الاقوام من أحد

ولأن الحذف يدخلها كقولهم حاش لزيد والحذف انما يقع فى الاسماء والأفعال دون الحروف وقوله ان أعد من العد أى أحسبَ والعاملة الناصبة كما جاء فى الكتاب العزيز (وجوهٌ يومئذٍ خاشعةٌ عاملةٌ ناصبةٌ تصلىَ ناراً حامية) هم الذين عملوا ونصبوا فى الدنيا لغير الله تعالى من عبدة الأوثان و كفار أهل الكتاب لا يُقْبَلُ منهم اجتهاد فى ضلالة بل هم فى النار ومعنى النَّصَبِ الدؤوب على العمل بلاانقطاع والمعنى الذى أراده ابن زيدون واعيذ أن تعدنى ممن ينصب فى خدمتك دائبا ولاأجر له عندك الا العذاب والشقاء كهولاء الذين يعملون وينصبون فى الدنيا ولاجزاء لهم فى الآخرة الاعذاب النار

(المتن) وأَكُونَ كَالذُّبَالَةِ المَنْصُوبَةِ (تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ)

(الشرح) الذبالة فتيلة المسرجة ومنصوبة مائلة وقوفا تضىء المكان وهى تحترق وهو مثل واصله (كذبالة السراج تضىء ماحولها وتحرق نفسها) يضرب لمن يتعبُ نفسهُ لأجل غيره ومثله قول أبى الفتح البستىّ

ألم ترأن المرء طول حياته معنًّى بأمر لايزال يعالجه
كدود غدا القزّ ينسج دائبا ويهلكُ غما وسط ماهو ناسجه

وابن زيدون أخذه من قول العباس بن الأحنف فى البيتين الآتيين

أحرمُ منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأنى ذُبَالَةٌ نصبتْ (تضىء للناس وهى تحترق)

يتغزل بهما فى محبوبته وكان مذهبه فى الشعر الغزل خاصة لم يذهب الى غيره من أنواعه الأخرى

ذكر العباس بن الأحنف وبعض أخباره

هو العباس بن الاحنف بن الأسود بن طلحة من بنى عدى بن حنيفة شاعر غزل شريف مطبوع من شعراء الدولة العباسية حسن المذهب ولشعره رونق ولمعانيه عذوبة ولطف ولم يكن يتجاوز الغزل الى مديح أوهجاء وقدمه أبو العباس المبرد على نظرائه وأطنب فى مدحه وكان من الظرفاء ولم يكن من الخُلَعاء ولا من الفساق بل كان ظاهر النعمة ملوكىّ المذهب حلواً مقبولا غزير الفكر واسع الكلام كثير التصرف فى الغزل وحده واذا تكلم أعجب سامعه ولوشئت قلت ان كلامه كله شعر ويقال أنه من عرب خراسان ومنشؤه بغداد ولم تزل العامة تقدمه على كثير من المحدثين وقد ترى له الشىء البارع حتى تلحقه بالمحسنين قال الجاحظ ولولا ان العباس بن الأحنف أحذق الناس وأشعرهم وأوسعهم كلاما وخاطرا ماقدر أن يكثر شعره فى مذهب واحد لايتجاوزه لأنه لايهجو ولايمدح ولا يتكسب ولايتصرف ومانعلم شاعرا لزم فناً واحدا لزومه فأحسن فيه قلت ونظرية الجاحظ هذه غريبة فى بابها والذى نعلمه أن الحذق يكون لمن يتصرف فى جميع مذاهب الشعر لافى مذهب واحد وان أكثر منه أنظر قول أبى عبيدة فى ترجمة الأعشى الشاعر وقال أبو العتاهية . ماحسدت أحدا الا العباس بن الأحنف لقوله

اذا امتنع القريب فلم تنله على قرب فذاك هو البعيد

وقال عبد الله بن المعتز لو قيل لى أىّ شعر أحسن تعرفه . لقلت شعر العباس بن الأحنف لقوله

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقا

فكاذبٌ قد رَمَى بالظن غيركم ... وصادق ليس يدرى أنه صدقا

ومن قوله فى الغزل أيضا

اذا أنت لم تعطفكَ الا شفاعة ... فلا خير فى ود يكون بشافع

فأقسم ما تركى عتابك عن قلى ... ولكن لعلمى أنه غير نافع

وانى اذا لم ألزم الصبر طائعا ... فلابدّ منه مكرهاً غير طائع

وقوله

أتأذنون لصب فى زيارتكم ... فعندكم شهواتُ السمع والبصر

لا يضمرُ السُّوءَ ان طال الجلوس به ... عفُّ الضمير ولكن فاسقَ النظر

وقوله

لاجزى الله دمعَ عينيَّ خيرا ... وجزى الله كل خير لسانى

نمَّ دمعى فليس يكتمُ شيئاً ... ورأيتُ اللسان ذا كتمان

كنت مثل الكتاب أخفاه طىٌّ ... فاستدلوا عليه بالعنوان

وقوله فى فوز جارية محمد بن منصور المعروف بفتى العسكر . وكانت قد حلت من قلبه مكانا كبيرا وأغلب غزله فيها وهو من سوء الظن بالمحبوب

يافوز يامنيةَ عباس ... قلبى يفدّى قلبكِ القاسى

أسأت اذا أحسنت ظنى بكم ... والحزم سوء الظن بالناس

يقلقنى الشوقُ فآتيكمُ ... والقلبُ مملوءٌ من الياس

وقوله أيضا فيها

ألا جعل الله الفدا كل حرَّة ... لفوزِ التى انى بها لمعذب

فادونها فى الناس للقلب مطلب ... ولا خلفها فى الناس للقلب مذهب

وان تك فوزٌ باعدتنا وأعرضت ... وأصبح باقى حبلها يتقضب

وحالت عن العهد الذى كان بيننا ... وصارت الى غير الذى كنت أذهب

وهان عليها أن أُلاقى فربما يكون التلاقى والقلوب تُقلب

وقوله أيضا

فان تبخلوا عنى بقرب نوالكم وبالوصل منى كى أصبَّ وأحزنا

فانى بلذاتِ المنَى ونعيمها أعيشُ الى أن يجمع الله بيننا

وكتبتْ اليه مرةً تلومه وتعاتبه فى جفائه فكتب اليها شعرا يقول فيه

كتبتْ تلوم وتَستريبُ زيارتى وتقول لست لنا كعهد العاهد

فأجبتها ودموعُ عينى جَمّةٌ تجرى على الخدين غيرَ جوامد

يافوزُ لم أهجركمُ لملالة منى ولا لمقال واشٍ حاسد

لكننى جربتكم فوجدتكم لاتصبرون على طعام واحد

وانما قال لاتصبرون على طعام واحد لأنها كانت قد مالت الى بعض أولاد الجند ثم عادت اليه ورآها مرة معصوبة الرأس من صداع ألم بها فقال

عَصبتْ رأسها فليتَ صداعا قد شكته الى كان برأسى

ثم لاتشتكي وكان لها الأجــر وكنت السقام عنها أقاسى

ذاك حتى يقول لى من رآنى هكذا يفعل المحب المؤاسى

ومن نوادره مع الاصمعىِّ أن الأصمعى دخل على الفضلّ بن الربيع والعباس بين يديه فقال العباس للفضل دعْنى أعابثُ الأصمعى قال لاتفعل فليس المزاح من شأنه قال ان رأى الأمير أن أفعل قال ذاك اليك فلما أطمأنّ الاصمعىُّ فى الجلوس قال العباس ياأبا سعيد من الذى يقول

اذا أحببتَ أن تصنــعَ شيئاً يعجبُ الناسا

فصوِّر ههنا فوزا وصوِّر ثَمَّ عباسا

فان لم يدنوا حتى ترى رأسيهما راسا

فكذّبها بما قاست وكذبهُ بما قاسا

فقال له ابن أبى العلاء الشاعر وكان حاضرا انه أراد العبثَ بك وهو نَبطىٌّ فقال

الأصمعي له ماأعرف هذا ولكني أعرف الذي يقول

اذا أحببت أن تبصر شيئاً يعجب الخلقا
فصور ههنا زورا وصور ههنا فلقا
فان لم يدنوا حتى ترى خلقيهما خلقا
فكذبها بما لاقت وكذبه بما يلقى

ومن أحسن ماعرف له فى إخفاء أمره قوله

أريدك بالسلام فأتقيهم فاعمد بالسلام الى سواك
وأكثر فيهم ضحكي ليخفى فسنى ضاحكا والقلب باكي

ومن قوله فى عدو لايمكن الإحتراس منه

قلبي الى ما ضرنى داع يكثر أسقامى وأوجاعى
كيف احتراسى من عدوى اذا كان عدى بين اضلاعى

يريد معدته قالوا وليس للانسان عدو مثلها فهى تتلف ماله وتسبب اسقامه وهى مفتاح كل بلاء عليه وله شعر كثير فى الغزل اكتفينا منه بهذا القليل وكان موته فى سنة اثنتين وتسعين بعد المائة وقال بن خلكان فى ثمان وثمانين ومائة هو والكسائى النحوى وابراهيم الموصلي المعروف بالنديم فى يوم واحد انتهى

(المتن) فلكَ المَثَلُ الاعلى وَهُوَ بي وَبِكَ أَوْلَى

الشرح المثل وصف الشيء بمثله وهذا ماخوذ من قول الله تعالى (وله المَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ والأرضِ) وَفسَّره ابن عباس بان معناه ليس كمثله شيء وهو أحسن تعبير وأوجزه وأبلغه وتوجيه هذا القول الى ابن جهور غلو وافراط وصرفه الى الله عز وجل أولى لأنه لايليق إلا به خاصة والمعنى فلك الصفات العلياء من الكمال والقدرة على تفريج كربتي وإزاحة شكيتي وقوله وهو بي وبك اولى فيه اشارة الى علو نفسه وكبر همته فكأنه يقول ان الصفات العلياء مشتركة

بيننا فأنت للشدائد الكبرى وأنا لما دونها وأنت أولى بمنة العفو والصفح عنى وأنا أولى بالشكر عليها وأحسن من يسخر و يعتمد عليه عندك ولا غرو أن رقت همته الى هذا الحد فقد كان وزيرا سياسيا وعالما أديبا

(المتن) ولَعَمْرِى ماجهِلْتُ أنَّ صَرِيحَ الرَّأْيِ أنْ أتَحَوَّلَ اذَا بَلَغَتْنِى الشَّمْسُ وَنَبَا بِىَ المنزِلُ وَاصفَحَ عَنِ المَطَامِعِ الَّتِى تُقطِّعُ أعْنَاقَ الرجالِ

(الشرح) اللام فى لعمرى موطأة للقسم وعَمْرِى بالفتح مصدرعَمِرَ بالكسر يَعْمُرُعمراً وعمراً بالفتح والضم وسكون الميم فيهما اذا عاش زمانا قال الجوهرى وهما مصدران على غير قياس لأن القياس التحريك فيهما وقد استُعْمِلَ فى القسم احدهما وهو المفتوح فاذا أدخلْتَ عليه اللام رفعته بالابتداء فقلت لعمر الله واللام لتوكيد الابتداء والخبر محذوف التقدير لعمر الله قسمى (أي أقسم ببقاء الله) واذا لم تدخل اللام نصبته نصب المصادر فقلتَ عَمْرَ الله ما فعلت كذا وقال المجد وقد ورد فى الحديث الشريف النَّهْىُ عن قول لَعَمْرُ الله وأما قولك عَمْرَكَ اللهَ فمعناه اذ كَرْتُكَ الله تذكيرا وقال الجوهري معناه سألت الله أن يطيل عمرك قلت وهذا أوْلَى القولين وما فى قوله ماجهلت نافية والجهل ضد العلم وصريح الرأي خالصه والتحول الانتقال من مكان الى غيره ويطلق التحول ايضا على الانتقال من حال الى حال والنبا بغير همز البعد والصفح عن المطامع معناه الاعراض عن الحرص وفى الحديث ان الصفاة [1] التي لا تَثْبُتُ عليها اقدام العلماء الطمع والجملة الاولى الى قوله بلغتنى الشمس اخذها من قول أبى تمام الشاعر من أبيات يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات يقول فيها

وجدناك أنْدَى من رجال اناملا ... وأحْسَنَ فى الحاجات وجها وأجملا
تُضيىء اذا اسودَّ الزمان وبعضهم ... يري الموتَ أن ينهلَّ أو يتهللا

(١) الصخرة الملساء

فو الله ما آتيك الا فريضة وآتى جميع الناس الا تنفلا
وليس امرؤ في الناس أنت ملاحه عشية يلقى الملمات باعزلا
وان صريح الحزم والرأي لامرىء اذا بلغته الشمس أن يتحولا

ويعجبنى فى هذا المعنى قول أحمد بن منير الطرابلسى الشاعر

واذا الكريم رأى الخمول نزيله فى منزل فالرأى أن يتحولا
كالبدر لما أن تضاءل جد فى طلب الكمال فحازه متنقلا
سفهاً لحلمك إن رضيت بمشرب رنق ورزق الله قد ملأ الملا
ساهمت عيسك مر عيشك قاعدا أفلا فليت بهن ناصية الفلا
فارق ترق كالسيف سل فبان فى متنيه ما اخفى القراب واخملا
لا تحسبن ذهاب نفسك ميتة ما الموت الا أن تعيش مذللا
للقفر لا للفقر هبها إنما مغناك ما أغناك أن تتوسلا
لا ترض من دنياك ما أدناك من دنس وكن طيفا جلا ثم انجلى
وصل الهجير بهجر قوم كلما امطرتهم شهداً جنوا لك حنظلا

وجاء فى أمثال الميدانى حر الشمس يلجىء الى مجلس سوء يضرب لمن ينزل فى مكان لا يليق به والجملة الثانية أخذها من قول البعيث المجاشعى فى الغزل

طمعت بليلى أن تريع وانما تقطع أعناق الرجال المطامع
وبايعت ليلى فى خلاء ولم يكن شهود على ليلى عدول مقانع

وعجز البيت الأول مثل يضرب فى ذم الطمع والجشع ذكره الميدانى أيضاً

ذكر البعيث المجاشعى وبعض أخباره

البعيث هو خداش بن بشر من بنى مجاشع ولم أقف على بقية نسبه وأمه اصبهانية يقال لها مردة ذكر ذلك ابن قتيبة فى كتابه الشعر والشعراء وسمى البعيث لقوله

تبعث منى ما تبعث بعد ما استمر فؤادى واستمر عزيمى

تريد أنه قال الشعر بعد أن أسن وكبرَ ويكنى أبا مالك وكان أخطب بني تميم اذا أخذ القناة ولكنه كان هجّاءا وأشد هجائه فى بني كليب اذ يقول

اليس كُلَيْبِيًّا اذا سيمَ خُطَّةً أقر كاقرار الحليلة البعل
وكلّ كليبيٍّ صحيفة وجهه أذل لاقدام الرجال من النعل

وله فى وصف الظباء قوله

نحث طوالات كأن نجاءها هَوِيُّ القطا يعلو المناهل جونها
طوين سقاء الخِمْسِ ثمت قلّصتْ لورد المياه واستتبّتْ قرونها
اذا ما وردن الماء فى رونق الضحى بلَلْنَ أداوَى ليس خَرْزٌ يُشينُها
جعلن حَبَاب الماء حين حملنه الى غصص قد ضاق عنه وتينها

ومن أحسن قوله فى الحكم البيت المشهور

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى ولا زاجراتُ الطير ما الله صانع

وكان ممن هاجي جرير بن الخَطَفَى الشـاعر المشهور فـقط ولم أقف له على أخبار أخرى ولا على تاريخ وفاته انتهى ومعنى كلام ابن زيدون اقسم بحياتى انني ماجهلت أن الرأى الصريح اختيار النافع من الضار وان عقبي الطمع الهلاك

(المتن) فَلَا أَسْتَوْطِئُ العَجْزَ وَلَا أُمِيلُ إِلَى الغُرُورِ

الشرح استوطىء من الوطء وهو التذليل والتمهيد يقال دابّةٌ وطيءٌ أى مذللة والعَجزُ والمعجِزُ والمعجِزَةُ بكسر الجيم فيهما وفتحها والعجوز بالضم الضّعف والمَيْل الانحراف والغرور الجهل بالامور والجملة الأولى أخـذها من قولهم (العجز وطيء) أى وثير لا يؤذى جنْبَ النائم عليه وهو مثل يضرب لمن استوطأ مركب العجز وقعد عن طلب المكاسب والمحامد أو لمن ترك حقه مخافة الخصومة ذكره الميدانى في أمثاله والثانية أخذها من قول الله تعالى (وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغُرور) وذلك لأن الدنيا تشغل بزينتها مع أنها زائلة فهي متاع الغرور أى لمن

يغتر بها ويعمل لها ولم يعمل للآخرة وقال سعيد بن جبير رحمه الله متاع الغرور معناه اذا ألهت الدنيا العبدَ عن طلب الآخرة فأما اذا دعته الى طلب رضوان الله وطلب الآخرة فنعم المتاع ونعم الوسيلة انتهى ومعنى ابن زيدون واذا لم أجهل مضضَ الذل وعقبى الطمع كان من شأنى أن لا أستلين فراش العجز عن كسب المعالى ولا أميل الى غرور النفس وامانيها الباطلة عن الاخذ بالحزم واليقظة

(المتن) وَمِنَ الأَمْثالِ المَضْرُوبَةِ (خامرِى أمَّ عامِرٍ)

الشرح خامرى أى استترى والخمار الثوب تغطى به المرأة رأسها فتستره به قال تأبط شرًّا

فلا تقبرونى ان قبري محرم عليكم ولكن خامرى أم عامر

وفى رواية أبشرِى أم عامر وأم عامر كنية الضبُع وعامر جِرْوُها واسمها حَضاجِرُ وهي أحمق الدواب ذكروا انهم اذا أرادوا صيدها رموا فى جُحْرها حجَرًا فتحسبه شيئا تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك ويقال لها ابشرى بجراد عِظال وكَمَرِ رجال فلايزال يقال لها ذلك حتى يدخل عليها رجل فيربُط يديها ورجليها ثم يجرها والجراد العِظال الذى يركب بعضه بعضا كثرةً والعِظالُ أيضاً سِفادُ السِّباع وكَمَرُ رجال الحَشَفَةُ يزعمون أن الضبعَ اذا وجدت قتيلا قد انتفخ جُرْدانُه (ذَكَرُه) ألقته على قفاه ثم ركبته فاذا قَضَتْ منه حاجتها اكلته قال العباس بن مرداس السلمى

ولو مات منهم من جرحنا لأصبحت ضباع باكناف الأراك عرائسا

وهذا المثل يضرب لمن عرف الدنيا فى نقضها عقود الأمور ثم يغتر بها كما تغتر الضبع بقول القائل (خامرى أم عامر) ولم أقف على قائله قلت وعندى ان حكاية الضبع باطلة ولم تكن الا من مبالغات العرب ومراد ابن زيدون وكما لا أستلين فراش العجز ولا أميل الى غرور النفس كذلك لا أغتر بزخرف القول وغش الخاتل فانهما أصل الشر وداعية النكال وقد أتى بالمثل (خامرى أم عامر)

دليلا على ذلك لأنه لولا اغترارها واستسلامها لقول الصائد بما زيّن لها ما قيدت الى الأسر والعذاب بالسلاسل والأغلال

(المتن) وَانِّي مَعَ الْمَعْرِفَةِ بأنّ الجلاء سباء والنُّقْلَة مُثْلَة

وَمَنْ يَغْتَرِبْ عَنْ قَوْمِهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى * مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجَرًّا وَمَسْحَبَاً
وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسِئْ * يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارَ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا

الشرح الجلاء مصدر جلا عن البلد خرج منه والسّباء بالكسر والمد الأسر والنّقلة من الانتقال والمثلة النكال وهما مثلان يضربان لمن ساءت حاله بعد العز والشرف ذكرهما الميدانى فى أمثاله وقال عن الثانى منهما (النقلة مثلة) أنه من أمثال المولدين والبيتان أخذهما من قول الأعشى من قصيدة لم أطلع منها الا على الأبيات الآتية

ساوصي بصيرا لا دَنَوْتَ من البلا … وَصيةَ من راز الأمور وجربا
بأن لا تبيع الود من متباعد … ولا تأمنن ذا غَضْبَةٍ ان تقربا
فان قريبا من يقرب نفسه … لعمر أبيك الخيرِ لا من تنسبا
ومن يغترب عن قومه لا يجد له … على من له رهط حواليه مغضبا
ويهضم هضما لا يزال يرى له … مصارع مظلوم مجرا ومسحبا
وتدفن منه الصالحات وان يسىء … يكن ما أساء النار فى راس كبكبا

هكذا رأيت الأبيات له كما نقلتها وقد ذكر صاحب الصحاح فى مادة كبكب البيتين المثبتين فى متن الرسالة بحروفهما ولا أدرى سبب التضمين الزائد عليهما ولعله من اختلاف الرواة

ذكر أعشى بنى قيس وبعض اخباره

الاعشى فى اللغة الضعيف البصر فى الليل ومنه قيل ناقة عشواء وقد اطلق لفظ الاعشى على جماعة من الشعراء ذكر صاحب القاموس عشرة منهم لا حاجة بنا الى ذكرهم وانما اذا قيل الأعشى مجرداً عنوا به أعشى بني قيس هذا أوقالوا

الاعشى الأكبر واسمه ميمون بن قيس بن جندل بن شُراحيل بن عوف بن سعد ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن وينتهي نسبه الى بكر بن وائل ويكنى أبا بصير او نصير وكان يقال لأبيه قيس بن جندل قتيل الجوع سمي بذلك لأنه دخل غارا يستظل فيه من المطر فوقعت صخرة عظيمة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعا فقال جِهِنَّام واسمه عمرو من قيس يهجو ابنه الاعشى

أبوك قتيل الجوع قيس بن جندل — وخالك عبد من خماعة راضع

وهو احد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم والمتقدم على سائرهم وان يكن غير مجمع عليه ولا على غيره قال يونس النحوى وقد سئل عن أشعر الناس لا أومىء الى رجل بعينه ولكني اقول امرؤ القيس اذا غضب والنابغة اذا رهب وزهير اذا رغب والاعشى اذا طرب وقال ابو عبيدة من قدم الأعشى يحتج بكثرة طواله الجياد وتصرفه فى المديح والهجاء وسائر فنون الشعر وليس ذلك لغيره ويقال هو أول شاعر سأل بشعره وانتجع به أقاصي البلاد وكان يُغَنَّى بشعره ويسمونه صَنَّاجة العرب وقال يحيى بن الجَوْنِ العَبْدِيُّ راوية بشار بن برد نحن حاكة الشعر فى الجاهلية والاسلام واعلم الناس به اعشى بنى قيس بن ثعلبة استاذ الشعراء فى الجاهلية وجرير بن الخَطَفَى استاذهم فى الاسلام وكان الشعبي يقول الاعشى اغزل الناس فى بيت واخنث الناس في بيت واشجع الناس في بيت فأما اغزل بيت فقوله (من البسيط)

غراء فرعاء مصقولٌ عوارضها — تمشى الهوينا كما يمشي الوَجِي الوَحِلُ

واما اخنث بيت فقوله

قالت هُرَيْرَةُ لما جئتُ زائرَهَا — وَيْلي عليك وويلي منك يارجل

وأما اشجع بيت فقوله

قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا — أو تنزلون فانا معشر نُزُلُ

ويروى

ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا — أو تنزلون فانا معشر نزل

وكان يوافى سوق عكاظ فى كل سنة فدعاه المحلّقُ الكلابى اليه وأنزله عنده ونحر له ناقة فأطعمه من سنامها وكبدها وسقاه خمرا وأحاطت به بنات المحلق يَغمِزْنَهُ ويمسحنه وكان المحلق قد ورث من أبيه شرفا وما لاثم أملق لاتلافه المال وكان مع ذلك مئناثا فلما خرج الاعشي من عنده ووافى سوق عكاظ اذا هو بِسَرْحَة قد اجتمع الناس عليها وهو ينشدهم قصيدته التى قالها فى المحلق يقول منها

لعمري لقد لاحت عيونٌ كثيرةٌ — الى ضوء نار باليفاع تُحرَّقُ

تُشبُّ لِمَقرورَيْن يَصطَلِيانها — وبات على النارالندىَ والمحلق

رَضيعَيْ لبانٍ ثدىَ أم تحالفا — بأسحمَ داج عوضُ لانتفرق

الاسحم الأسود وعنى به الفم يريد بدم غمست فيه الأيدي عند التحالف وكان هذا من عادة العرب

أبا مسمع سار الذى قد فعلتم — فأنجد أقوام به ثم أعرقوا

به تعقد الأجمال فى كل منزل — وتعقد أطرافُ الحبالِ وتطلق

نفىَ الذمَّ عن آل المحلق جفنةٌ — كجابية الشيخ العراقيِّ تفهق

الجابية الحوض . شبه به الجفنه فى اتساعها وهى القصعة تملأ طعاما وتفهق تمتلئُ حتى تتصبب وأراد وصفه بالكرم قال فأتاه المحلق فسلم عليه فقال مرحبا ياسيدى وسيدَ قومه ونادى يامعشر العرب هل فيكم مِذكار يزوج أبنه الى هذا الشريف الكريم فما قام من مقعده حتى زوج بناته كلهن على مائة ناقة مهرا لكل واحدة فأيسر وشرف . ولما تنافر علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل تلقاهما الاعشى فسألهما عما خرجا له فأخبراه بقصتهما فقال الأعشى لعلقمة مالى عندك ان أنا نفرتك على عامر قال مائة من الابل قال وتجيرنى من العرب قال أجيرك من قومى فذهب

الى عامر وقال له فمالى عندك قال مائة من الابل قال وتجيرنى من العرب قال أجيرك من أهل السماء والأرض قال الأعشى تجيرنى من أهل الأرض فكيف تجيرنى من أهل السماء قال ان مات أحد من ولدك أوأهلك وديته وان ماتت لك ماشية فعلى عوضها قال نعم فمدح عامرا وهجا علقمة فقال من قصيدة

أعلقم قد حكمتنى فوجدتنى   بكم عالما عند الحكومة غائصا

كلا أبويكم فرع دعامة   ولكنهم زادوا واصبحت ناقصا

تبيتون فى المشتى ملاءاً بطونكم   وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

فما ذنبنا إن جاش بحر ابن عمكم   وبحرك ساج لا يوارى الدعامصا

جاش بمعنى فاض وزخر وقوله وبحرك ساج أى ساكن والدعامص جمع دعموص دويبه صغيرة تكون فى مستنقع الماء يريد قلة خيره لأن الماء الذى لا يوارى الدعامص ماء قليل لاغور فيه   ومنها

رمى بك فى أخراهم تركك العلا   وفضل أقوام عليك مراهصا

المراهص الدرج يريد فضلوا عليه درجات

فعض حديد الأرض ان كنت ساخطا   بفيك وأحجار الكلاب الرواهصا

فلو كنتم نخلا لكنتم جرامة   ولو كنتم نبلاً لكنتم مشاقصا

الرواهص المدعمة كالحائط أى المائلة كالبناء والجرامة مصدر جرم النخل صرمه كقطعه والمشقص سهم فيه نصل يرمى به الوحش وهو كالنبل ولكن النبل أجود منه ولما نصرفا من عند هرم بن قطبة وكانا قد تحاكما اليه فلم يفضل أحدهما على الآخر بل قال لهما أنكما كركبتى البعير الفحل تقعان على الأرض معا فليس منكما واحد الاوفيه ماليس فى غيره وكلاكما سيد كريم قال الأعشى يحكم لعامر على علقمة

علقم ماأنت الى عامر   الناقض الأوتار والواتر

والفارس الخيل بخيل اذا ثار غبارُ الكَبّةِ الثائر
سدت بني الاحوص لم تعدهمُ وعامرٌ ساد بنى عامر

الكَبَّةُ الصرعة كأ كبه لازمٌ مُتعَدٍّ وبنو الأحوص عوف وعمرو وشريح أولاد الأحوص بن جعفر واسمه ربيعة ويقال لهم الأحاوص وقوله وعامر ساد بنى عامر الأول عامر بن الطفيل والثانى اسم يسمي به الحي والمراد ساد على الحي كله

ان الذى فيه تماريتما بُيِّنَ للسامع والناظر
حكَّمتموه فقضى بينكم أبلجُ مثل القمر الباهر
لا يأخذ الرِّشوَةَ فى حكمه ولا يبالى غَبَنَ الخاسر
فاعجبُ الدهرَ متى سوَّيا كم ضاحك من ذا ومن ساخر
فاقنَ حياءًا أنت ضيّعته مالك بعد الشيب من عاذر
ولستَ بالا كثر منهم حصى وإنما العِزَّة للكاثر
أقول لما جاءنى فخره سبحان من علقمة الفاخر
علقم لا تَسفَهْ ولا تجعلن عرضك للوارد والصادر
قد قلت قولا فقضى بينكم واعترف المنفور للنافر

وكان يقال أن من مدحه الاعشى رفعه ومن هجاه وضعه ولذلك كان يُتّقى لسانه ومن شعره فى الغزل قوله يشبب بهُرَيرَة

كأن مِشيتَها من بيت جارتها مَوْرُ السحابة لا ريثٌ ولا عَجَلُ
تسمع للحَلْيِ وسواسا اذا انصرفت كما استعان بريح عشرقٌ زَجِلُ

العشرق كزبرج شجر من العضاه لَونُ ساقه أبيض وورقه أخضر وله شوك أسفله منتفخٌ أجوَف مثقوب فى ضلعه ورأسه حاد اذا هبَّت به الريح سمع له صوت كالصفير رأيته بعينى فى أسفارى بالسودان فوصفته بهذا الوصف شبه به وسواس الحليّ وهو تشبيه من تشابيه أهل البادية

ليست كمن يكره الجيران طلعتها ولا تراها لسرّ الجار تختتل
يكاد يصرعها لولا تشددها اذا تقوم الى جاراتها الكسل
اذا تقوم يضوعُ المسك آونةً والزنبق الورد من أردانها شمل

الزنبق دهن الياسمين أو هو الورد .

ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرقٌ مؤزرٌ بعميم النبت مكتهل
يوما بأطيبَ منها نشرَ رائحةٍ ولا بأحسن منها اذ دنا الأصل

وهي طويلة الى أن قال .

وبلدة مثل ظهر الترس موحشةٍ للجنّ بالليل من حافاتها زجل
جاوزتها بطليح جسرةٍ سرحٍ في مرفقيها اذا استعرضتها فتل .

الطلاح ككتاب نسبة الى ابلٍ معلومة عندهم يقال ابلٌ طلاحيةٌ والجسرة والسرح الطليعة من الابل والسريعة يريد أنه قطع بلداً موحشا بناقته هذه الموصوفة

وقد أقودُ الصبا يوما فيتبعني وقد يصاحبني ذو الشرة الغزلُ
وقد غدوت الى الحانوت يتبعني شاوٍ مشلٌ شلولٌ شلشلٌ شولُ

معنى البيت الأخير أن صاحبه رجل خفيف الحركة سريع فى قضاء الحاجة حسن الصحبة طيّبُ النفس وبهذا البيت سُمّيَ شلشل كما سمى مسلم بن الوليد سالسل لقوله

سلّتْ وسلّت ثم سل سليلُها فأتى سليلُ سليلها مسلولا

وكما سُمّيَ المتنبي قلقلٌ لقوله

فقلقتُ بالهم الذي قلقل الحشا قلاقلَ عيش كلهن قلاقل

ثم قال

فى فتيةٍ كسيوف الهند قد علموا أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الحيلُ
نازعتهم قضبَ الريحان متكئاً وقهوةً مزةً راووقها خضلُ

لا يستفيقون منها وهي راهنة ... إلا بهات وان علّوا وان نهلوا

يسعى بها ذو زجاجات له نُطُف ... مقلّص أسفلُ السربال معتمل

ومستجيب تخال الصنج تسمعه ... اذا ترجّع فيه القينةُ الفضُل

والساحبات ذيول الريط آونةً ... والرافلات على اعجازها العجِل

الى ان قال مفتخراً ومتوعداً

انى لعمر الذى خطّت مناسمها ... تخدى وسيق اليه الباقر الغُيُل

الباقر جماعة البقر مع رعاتها والغيل جمع غيلة السمينة

لئن قتلتم عميداً لم يكن صددا ... لنقتلنْ مثله منكم فنمتثلُ

نمتثل نماثل أي نتساوى

وان منيتَ بنا فى ظلّ معركةٍ ... لا تُلفِنا من دماء القوم ننتقل

نحن الفوارسُ يوم الحنوِ ضاحيةً ... جنبيْ فطيْمةَ لا ميل ولا عزُل

الحِنوُ وجنبيْ فطيمة مواضع ولا ميل ولا عزل أى لسنا منحرفين ولا عزّلا من السلاح

ومن مدحه الاشعث بن قيس قوله من قصيدة وفيها فخر

وغريبةٍ تأتى الملوكَ حكيمةٍ ... قد قلتها ليقال من ذا قالها

وجزور أيسارٍ دعوتُ بحتفها ... ونياطِ مقفرةٍ أخافَ ظلالها

بهماءَ موحشةٍ رفعتُ لعرضها ... طرْفى لأقدرَ بينها أميالها

جزور أيسار هى التى كانوا يتقامرون عليها ونياط مقفرة المفازة التى بعد طريقها كأنها نيطت بمفازة أخرى

بجلالةٍ سُرُحٍ كأن بغرزها ... هِرًّا اذا ارتمع المطىُّ ظلالها

فتركتُها بعد المراحِ رزيّةً ... وأمنتُ عند ركوبها استعجالها

الجلالة الناقة الثنيّة الى أن تبذل والسرح سبق شرحها والغرز ركاب من جلد توضع فيه الرجل شبّه حثّها بالرجل بهرٍ تنشبت أظفارها فيها بهماز فاسرعت السيرَ

ولما تخلص الى المدح قال

ولقد نزلت بخير من وطىء الثرى   قيس فأثبت نعلها وقبالها
ما النيل أصبح زاخرا فى مده   جاءت له ريح الصبا فجرى لها
زبدا بمصر فهو يسقى أرضها   وغدا يفجره النبيط خلالها
يوما بأجود نائلا منه اذا   نفس البخيل تجهمت سؤالها
الواهب المائة الهجان وعبدها   عوذا تزجى تحتها أطفالها
والقارح الأحوى وكل طمرة   ما إن تنال يد الطويل قذالها

الهجان من الابل البيض والعوذ بالضم الحديثات النتاج والقارح من ذى الحافر بمنزلة البازل من الابل والطمرة الفرس الجواد يصفه بالجود أى ينهب الابل والخيل

وسعى لكندة غير سعى مواكل   قيس فضر عدوها ونبالها
وأهان صالح ماله لضيفها   وأسا وأصلح بينها وسعى لها

وفى هذه القصيدة يقول

وسبيئة مما تعتق بابل   كدم الذبيح سلبتها جريالها

النبيئة الخمر وكانت العرب تتمدح بشرب الخمر وتصفها بالحمرة فسئل عن قوله سلبتها جريالها فقال شربتها حمراء وبلتها بيضاء فبقى حسن لونها فى بدنى وذكر صاحب كتاب الحماسة ان كثيرا لما أنشد عبد الملك بن مروان قوله فيه

على ابن أبى العاصى دلاص حصينة   أجاد المسدى نسجها وأذا لها

قال له أحسن من قولك قول الأعشى لقيس بن معدي كرب

واذا تجيء كتيبة ملمومة   خرساء يخشى الزائدون نهالها
كنت المقدم غير لابس جنة   بالسيف تضرب معلما أبطالها

فقال كثير يا أمير المؤمنين وصفتك بالحزم ووصف الاعشى صاحبه بالخرق واجيب عن ذلك أن المبالغة فى الشعر أحسن من الاقتصاد والأعشي أعطي

المبالغة فهو أمدح وقال من قصيدة اخرى وهي مما تدل على أن الطلاق كان عند العرب فى الجاهلية ثلاثا

أيا جارتي بينى فانك طالقه ‏ ‏ ‏ كذاك أمور الناس غاد وطارقه

وبِنى فانَّ البَينَ خيرٌ من العصا ‏ ‏ ‏ والا ترَى لى فوق رأسك بارقه

وما ذاك من جرْم عظيم جَنَيْتِه ‏ ‏ ‏ ولا أن تكونى جئْت َفينا ببائقه

بائقه أي بامر باطل أو بداهية مكروهة

وبِنِى حصَان الفَرْجِ غير ذميمة ‏ ‏ ‏ ومَوْمُوقة فينا كذاك ووامقه

موموقة ووامقه محبوبة ومحبة

وذوقى فتى قوم فانى ذائق ‏ ‏ ‏ فتات اناس مثل ما أنت ذائقه

فكيف وفى أبنــاء قومى منكح ‏ ‏ ‏ وفتيان هزان الطوال الغرانقه

ذلك لأنه كرر بيني فى ثلاثة أبيــات كما ترى ومن قوله فى وصف الخمر وقــال انه كان يجيد وصفها فى الجاهليين كما يجيد الحسن بن هانئ المشهور بابى نواس الحكمِيّ وصفها فى الاسلاميين

وكاس كعين الديك باكرت حدها ‏ ‏ ‏ بفتيان صدق والنواقيس تُضْرَبُ

سلاف كأن الزعفرانَ وعنْدَماً ‏ ‏ ‏ يُصَفّقُ في ناجودها ثم يُقْطَبُ

أصفَقَ القدح ملأها والأسم الصفقُ والناجود إناء الخمر ويُقْطَبُ يمزَجُ وقوله سلاف السُّلاف عصير العنب

لها أرج فى البيت عال كأنه ‏ ‏ ‏ ألم به من بحر دارين أركب

الارج توهج ريح الطيب ودارينُ موضع بالبحرين يُجْلَبُ منه المسك الدارىّ وبعضهم يروى هذه الابيات لعلقمة وبعضهم لغيره وقال أيضا

وشمول تحسَب العينُ اذا ‏ ‏ ‏ صفقت وردتها نَوْرَ الذّبَحْ

الشمول الخمر والذبح قيل ضرب من الكمأة وقيل نبت آخر

فلئن ربك من رحمته كشف الضيقة عنا وفسح
فترى القوم نشاوى كلهم مثل ما مدت نصاحات الربح
كل وضاح كريم جده وخذول الرجل من غير كسح

نصاحات الربح جلود الحيوانات المذبوحة التي تعرض للبيع يصف انهم مطروحون على الأرض كالجلود من شدة السكر وقال

لن الأحامرة الثلاثة اهلكت مالي وكنت بها قديما مولعا
الخمر واللحم السمين وأطلي بالزعفران فلن أزال مولعا

ولما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم قصده الأعشى وكان قد اعد له مدحة يمدحه بها يقول فيها

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وعادك ماعاد السليم المسهدا

السليم هنا بمعنى الملدوغ

ولكن أرى الدهر الذي هو خائن اذا اصلحت كفاى عاد فافسدا
كهولا وشبانا فقدت وثروة فلله هذا الدهر كيف ترددا
وما زلت ابغى المال مذ انا يافع وليدا وكهلا حين شبت وأمردا
وأبتذل العيس المراقيل تغتلى مسافة مابين النجير فصرخدا
الا أيهذا السائلى أين يممت فان لها فى أهل يثرب موعدا

وفيها يقول لناقته

فآليت لا أرثى لها من كلالة ولا من حفي حتى تزور محمدا
نبي يرى مالا ترون وذكره أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا

فى عجز هذا البيت اختلاف فى اللفظ فالمبرد يقول انه ينشد هكذا

نبي يري مالا ترون وذكره لعمري غارفى البلاد وأنجدا

من قولهم غار الرجل اذا اتى الغور وناحيته مما انخفض عن الأرض وأنجد اذا

أتى نجدا وناحية مما ارتفع عن الأرض ولا يقال أغار لأنها من الشارة وقال ابن نباتة السعدى حكى الفراء وحده أغار فى معنى غار إذا أتى الغور واذا صح هذا فلم يرد الأعشى الأضد الإنجاد وللأصمعى روايتان أحداهما ان أغار فى معنى عدا عدواً شديدا والأخرى انه كان يقدم ويؤخر فيقول لعمرى أغار فى البلاد وأنجدا فيأتى به على زحاف القبض (١) وكان ابن مسعدة يقول غار لعمري فيأتى به على استعمال الخرم (٢) فى النصف الثانى ثم قال

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله فترصد للأمر الذى كان أرصدا
فإياك والميتات لا تقربنها ولا تأخذن سهما حديدا لتفصدا
وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا
ولا تقربن حرة كان سرها عليك حراما فانكحن أو تأبدا

تأبدا يعنى اذا لم تستطع النكاح المشروع فاترك النساء وعش أعزبا خير من الزنا

وذا الرحم القربى فلا تقطعنه لعاقبة ولا الأسير المقيدا
وسبح على حين العشيات والضحى ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا
ولا تسخرن من بائس ذى ضرارة ولا تحسبن المال للمرء مخلدا

فبلغ خبره قريشا وكانوا فى هدنة من القتال فرصدوه على طريقه وقالوا هذا صناجة العرب ما مدح احدا قط الارفع قدره فلما ورد عليهم قالوا له أين أردت أبا بصير قال أردت صاحبكم هذا لأسلم قالوا انه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك وكلها بك رفق ولك موافق قال وماهن فقال أبو سفيان بن حرب

---

(١) الزحاف سقوط حرف من بين حرفين فى الشعر فينحف أحدهما على الآخر

(٢) الخرم ذهاب الفاء من فعولن من أوزان الشعر أو الميم من مفاعلتن وهذا كثير فى شعر العرب

الزنا قال لقد تركني وما تركته ثم ماذا قال الربا قال ما دنت ولا ادَّنْتُ ثم ماذا قال القمارُ قال لعليَّ إن لقيته أُصبت منه عوضاً ثم ماذا قال الخمر قال أوَّهْ أرجعُ الى صُبابةٍ قد بَقيتْ عندي في المهراس فأشربها فقال له أبو سفيان هل لك في خير مما هممْتَ به قال وما هو قال نحن وهو الآن في هدنة فتأخذ مائة من الابل وترجع الى بلدك سنتك هذه وتنظر ما يصير اليه أمرُنا فان ظهرْنا عليه كنتَ قد أخذت خلفاً وان ظهر علينا أتيتهُ قال ما أكره ذاك فقال ابو سفيان يامعشر قريش هذا الاعشى والله لئن أتى محمدا واتبعه ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره فاجمعوا له مائة من الابل ففعلوا فأخذها وانطلق الى بلده فلما كان بقاع منفوحة رمى به بعيره فقتله ومنفوحة هذه بالحاء المهملة منزل الاعشى وبها قبره وهي التي يقول فيها

(فشط منفوحة فالحاجر)

وللأعشى أخبار كثيرة وشعر كثير ويَستشهد به صاحب الصحاح في العربية لبلاغته وغريبه ومات في سنة سبع من الهجرة ومراد ابن زيدون إنني مع علمي بان الخروج من الوطن أمرٌ لي والانتقال منه نكالٌ والتغرُّبَ ذلٌّ يرى المرء ظلم المظلومين يجرّون جرًّا ويسحبون على وجوههم سحبا والغريب تدفن أعماله الصالحة أي تطوى محاسنه المنشورة كما تظهر سيئاته المطوية ظهور النار في رأس كبكب وأراد بكبكب جبل بعرفات خلف الامام اذا صلى وخبر أن يأتي بعد

(المتن) عَارِفٌ بأنَّ الأدَبَ الوَطنُ لاَ يُخْشَى فِرَاقُهُ والخَلِيطُ لاَ يُتَوقَّعُ زِيالُهُ والنَّسِيبَ لاَ يُجفَى وَالجَمَالَ لَا يَخفَى

(الشرح) هذه الجملة خبر إنّ في قوله وإني مع المعرفة بأن الجلاء سباء الخ والأدب أدب النفس والدرس والوطن منزل الاقامة والمأوي والفراق من الفرقة وهو الانفصال تقول فرّقتُ بين الشيء فرقاً من باب قتل فصلْت أبعاضه قال في المصباح عن ابن الاعرابي فَرَقْت مخففا في المعاني وفرّقت مشدّدا في الأعيان

والذي حكاه غيره انهما بمعنى والتثقيل مبالغة والخليط المخالط كالنديم المنادم وزيال مفارقة مصدر زال عنه وأزال اي فارق والنسيب المنتسب اليك والجفاء الهجر والجمال الحسن لو رقته والخفاء ضد الظهور وحاصل المعنى ومع على ايضا بما يصير اليه المرء من الاسر والعذاب اذا تغرّب عن وطنه ونزح عن داره عارف بأنّ الادبَ هو وطنى الحقيقيُّ الملازم لي وهو الخليط الذى لا يفارقني والنسيب الذى لا يجفونى والجمال الذى يزينني فأنا منه فى وطن أشدُّ ملازمةً لى من وطنى الذى نشأت فيه وربيت فى أحضانه . وأراد بذلك أنه لا يخشى الغربة ولا يبالى بأهوالها وشدّتها طالما هو متحلٍّ بحلية الأدب متصف بوصفه فأينما حلّ وسار يجد أهلا بأهل واخوانا بأخوان . وهذا كما قيل سئل رجل عن نسبه فقال نسبى أدبى

(المتن) ثُمَّ مَاقِرَانُ السَّعْدِ لِلْكَوَاكِبِ أَبْهَى أَثَرًا وَلَا أَسْنَى خَطَرًا مِنَ اقْتِرَانِ غِنَى النَّفْسِ بِهِ وَانْتِظَامِهِا نَسَقًا مَعَهُ

الشرح ثم من حروف العطف وما نافية وكواكب السعد يراد بها سعود النجوم وهى عشرة أربعة منها فى برج الجديِ والدّلوِ ينزلها القمر وهى سعد الذابح وسعد بُلَع وسعد الأخبية وسعد السعود وهو كوكب منفرد نيّرٌ واما الستّة التي ليست من المنازل فسعد ناشرة وسعد الملك وسعد البهام وسعد البارع وسعد مطر وسعد الهمام وهى التي أرادها المؤلف اذ كل سعد من هذه الستة كوكبان بين كل كوكبين فى رأى العين قدر ذراع وهى متناسقة أى منتظمة ولذلك يقال لكل اثنين اجتمعا اقترنا وفى المثل قرن الحرمان بالحياء وقرنت الخيبة بالهيبَة وأبهى أفعل تفضيل من البهاء وهو الحسن والأثر الخير وأسنى من السناء وهو الرفعة والخطر الشرف وغنى النفس عفافها وترفعها عما يشينها والضمير فى به يعود الى الأدب والانتظام والاتساق بمعنى يقول بل ليس قران السعد الكواكب فى السماء أحسن منظرا وأشرف محلا من اجتماع الأدب بغنى النفس وانتظامهما معا يريد

ان اقتران الأدب بغنى النفس أحسن وأشرف من اقتران السعد بالكواكب وانما اضرب عن كلامه الأول فى الأدب من غير ابطال له ليذكره ثانياً مقرونا بغنى النفس ليكون احسن واكمل من الأدب وحده وغنى بنفسك نفسه فكأنه يقول انى مع أدبى غنى النفس ومن كان كذلك فهو لا يبالى بالغربة أخذ معنى قران السعد بالكواكب من قول البستى الشاعر

وأتم الاشياء نورا وحسنا ... بكر شكر زفت الى صهر بر
ما قران السعدين فى الجو أبهى ... منظراً من قران بر وشكر

وله غيره فى هذا المعنى قوله

يا راغبا فى الحمد والشكر ... ومتيما بعلية الذكر
قيد ببرك شكر ذى أمل ... فالبر قيد أوابد الشكر

وقوله أيضاً

أيها الخاطبون شكرا كريما ... أين أنتم من مهر شكر كريم
قدموا البر تستفيدوا من الشكر ... كفاءا لذلك التقديم
أولم تبصروا الأرض تسقى ... ثم تهتز بالنبات العميم

وقوله أيضاً يشكر من بر اليه

لئن عجزت عن شكر برك قوتى ... فأقوى الورى عن شكر برك عاجز
فان ثنائى واعتقادى وطاعتى ... لأفلاك ما أوليتنيه مراكز

ذكر البستى الشاعر وبعض أخباره

البستى نسبة الى بلده بست بضم الباء وسكون السين وهى مدينة من بلاد كابل بين هراة وغزنة كثيرة الأشجار والأنهار ويكنى أبا الفتح واسمه على ابن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز وكان أول أمره كاتبا لملك تلك الناحية واسمه أبو نور فلما غزاها أبو منصور سبكتكين وفتحها تعلق البستى

بخدمته فاعتمد عليه فى أموره وأسرّ اليه بأحواله ثم أن الامير سبكتكين ذهب الى بلخ من طوس فمرض بها واشتاق الى غزنة فخرج اليها فى تلك الحال فمات فى الطريق قبل وصوله فرثاه أبو الفتح بقوله

قات اذ مات ناصر الدين والدو　　لة حياه ربه بالكرامه

وتداعت جموعه بافتراق　　هكذا هكذا تكون القيامه

وهو صاحب الطريقة الأنيقة والتجنيس الأنيس البديع التأسيس وديوان شعره ديوان نفيس وله من الحكم المنثورة الشيء الجيّدُ فمن شعره فى التجنيس قوله

ان هزّ أقلامهُ يوما ليعملَها　　أنساك كل كميّ هزّ عامِلهُ

وان أقرّ على رقّ أناملهُ　　أقر بالرّقّ كتّابُ الانام له

وقو أيضاً

الى حتفي مشَى قدَمِي　　أرَى قدمى أراق دمى

فلم أنفكَّ من ندم　　وليس بنافعى ندمى

وقوله أيضاً

وقد يلبَسُ المرءُ خزّ الثيابِ　　ومن دونها حاله مضْنِيَهْ

كمن يكتسى خدّه حُمرةً　　وعِلّتُها ورمٌ فى الرِّيَهْ

أراد الرئة مهموزا وقوله

اذا تحدثت فى قوم لتؤنسهم　　بما تحدّث من ماض ومن آت

فلا تعُدْ لحديث إن طبعهم　　موكّلٌ بمُعاداتِ المُعادَات

وقوله أيضاً

تحمل أخاك على ما به　　فما فى استقامته مطمع

وانى له خلق واحد　　وفيه طبائعه الأربع

يريد بالطبايع الأربع التراب والماء والهواء والنار ومن محاسن ما قرأته لغيره من

الجناس اللفظي والشيء بالشيء يذكر قول الشاعر ولا أدري من هو

رمى حرّ قلبي بأجفانه ... رشا مادرى قدر ما قد رمى
وأضرم نار الأسى في الحشا ... ولم يشتك ضر ما ضرما
وسلّم قلبي الى ضده ... فياليته سلّ ما سلما
وقد كان قدّم إحسانهُ ... ولكنه قدّ ما قدّما
وقد هدّ بنيان صبري به ... وما واحد هدّ ما هدّما
وحرّم ما حل من وصله ... وفي مهجتي حرّ ما حرّما
وقد عزّ ممن أحبّ الوفا ... وما واحد عزّ ما عزما
عجبت لفيض دموعي به ... اذا ما جرى أوهمى أو همى
فسلمت أمري به للقضا ... وحزتُ به أجر ما أجرما
وقد رقم الحسن في خده ... فلله قد رق ما رقما

ومن الحكم المأثورة له قوله من أصلح فاسدهُ أرغم حاسده من أطاع غضبه أضاع أدبه عاداتُ السادات سادات العادات من سعادة جدّك وقوفك عند حدّك الرشوةُ رشاء الحاجات أجهلُ الناس من كان للاخوان مذِلاً وعلى السلطان مدِلاً الفهم شعاع العقل المنيّةُ تضحك من الأمنيّة حدّ العفاف الرضا بالكفاف ماخرق الرقيع من ترقيع وقال وقد تغير عليه السلطان مرة شعر

قل للأمير أدام ربي عزّهُ ... وأناله من فضله مكنونه
اني جنَيتُ ولم يزل أهل النهى ... يهبون للخدّام ما يجنونه
ولقد جمعتُ من العيوب فنونها ... فاجمع من العفو الكريم فنونه

وقال أيضاً

اذا أحسست في لفظي فتورا ... وحفظي والبلاغة والبيانِ
فلا ترتب بفهمي ان لفظي ... على مقدار إمتاع الزمانِ

هذا ما وقفت عليه من أخباره وفيها الكفاية وتُوُفِّيَ رحمه الله في سنة اربعماية وقيل احدى واربعماية ببُخَارا انتهى

(المتن) فانَّ الحَائِزَ لَهُمَا الضَّارِبَ بِسَهْمٍ فِيهِمَا (وَقَلِيلٌ ماهُمْ) أَيْنَمَا تَوَجَّهَ وَرَدَ مَنْهَلَ بِرٍّ وَحَطَّ فِي جَنَابِ قَبُولٍ وَضُوحِكَ قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ وَأُعْطِيَ حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ

وَقِيلَ لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَبًا * فَهَذَا مَبِيتٌ صَالِحٌ وَمَقِيلُ

(الشرح) الضمير في لهما وفيهما يعود الى الادب وغنى النفس في الجملة السابقة والحائز من الحوز والحيازة وهو ضم الشيء وجمعه والضارب بسهم المقترع والسهم النصيب وقليل ماهم جملة معترضة وما زائدة أى وقليل هم وأينما بمعنى أين وهى اسم شرط كمتى وما زائدة أيضا وجواب الشرط قوله ورد منهل بر الى آخر الجملة وورد ضد صدر أي بلغ والمنهل مورد الماء والبر الاتساع فى الاحسان والحط النزول والجناب والجانب بمعنى أى ما امتد من جوانب البيت وقوله ضوحك بالبناء للمجهول . الضحكُ هنا بمعنى البشاشة في وجه الضيف اذا نزل للقرى وهذا أخذه من قول حاتم الطائى

اضاحك ضيفي قبل أنزال رحله ... وَيَخْصب عندى والمكان جديب

وَمَا الخصب للاضياف أن يكثر القرى ... ولكنما وجه الكريم خصيب

وقد ذكرنا أخباره فيما مضى وقوله وأعطى حكم الصبى على أهله اخذه من قول أبى سفيان صخر بن حرب قال المبرد فى الكامل كان مما يقول أبو سفيان لجاره ياهذا انك قد اخترتني جارا واخترت داري دارا فجناية يدك على وان جنت عليك يدٌ فاحتكم حكم الصبى على أهله قالوا وذلك لأن الصبى له تحكم على أهله قد يَطْلُب منهم ما لا ينال البتة حتى ليطلب القمر ويرى فى أهله القدرة على جلبه قال الشاعر

ولا تحكما حكم الصبي فانه كثير على ظهر الطريق مجاهله

وقوله قيل له أهلا وسهلا ومرحبا البيت أهل الأهل العشيرة والقرابة والسهل كل شيء الى اللين ومرحبا من الرحب بالضم أى السعة وهذه الكلمات تقولها العرب تحية للزائر ومعناها صادفت أهلا لا غرباء ولينا لا خشونة وسعة لا ضيقا وباقي معنى البيت ظاهر وهو لعمرو بن الاهتم التميمي المنقري من قصيدة مطلعها

الا طرقت أسماء وهي طروق وبانت على ان الخيال يشوق

بحاجة محزون كأنّ فؤادَهُ جناحٌ وهي عظماه فهو خفوق

وهان على اسماء ان شطّت النّوى يحنّ اليها واله ويتوق

ذريني فان البخل يا أمّ هيثم لصالح اخلاق الرجال سروق

ذريني وحطي في هواي فانني على الحسب الزاكي الرفيع شفيق

واني كريم ذو عيال تهمني نوائب يغشى رزؤها وحقوق

ومُستنبح بعد الهدو دعوته وقد حان من نجم السماء خفوق

يعالج عرنينا من الليل باردا تلفّ رياحٌ ثوبَهُ وبروق

تألّقُ عين من المزن وادق له هيدب داني السحاب دفوق

أضفتُ فلم أفحش عليه ولم أقل لأحرمهُ ان المكان مضيق

فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا فهذا صبوح راهن وصديق

وابن زيدون استبدل القافية بغيرها وحفظ المعنى تقريبا

ذكر عمرو بن الأهتم وشيء من اخباره

هو عمرو بن الاهتم واسم الاهتم سنان بن سُمَيّ بن سنان بن خالد بن منقر ابن عبيد بن مقاعس واسمه الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم المنقرى وقيل الاهتم بن سنان بن خالد بن سمي وانما قيل له الأهتم لأن قيس بن عاصم ضربه بقوس فهتم فاه وكان السبب في ذلك أن قيسا كان رئيس

بنى سعد بن زيد مناة بن تميم يوم الكُلاب فوقع بينه وبين الأهتم اختلاف فى امر عبد يغوث بن وقاص بن صلاءة الحارثى حين اسره عصمة التيمي فرفعه الى الأهتم فضربه قيس فهتم فله . ويُكنَى أبا رِبْعِيّ أدرك الجاهلية والاسلام ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجوه قومه من بنى تميم سنة تسع من الهجرة فيهم الزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم وغيرهما فأسلموا ففخر الزبرقان فقال يارسول الله أنا سيد بنى تميم والمجاب فيهم آخذلهم بحقوقهم وأمنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك يعنى عمرو بن الاهتم فقال عمرو انه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع فى أدنَيْه فقال الزبرقان والله لقد كذب يارسول الله وما منعه أن يتكلم الا الحسد فقال عمرو أنا أحسدك فوالله انك للئيم الخال حديث المال احمق الولد مبغض فى العشيرة وقيل قال له إنك زمن [1] المروءة احمق الأب لئيم الخال ضيق العطن [2] حديث الغنى فتغير النبى صلى الله عليه وسلم لاختلاف قوله فيه فقال لا تغضب يا رسول الله قلت فيه أحسن ما علمت لما رضيت وقلت فيه اقبح ما علمت لما غضبت ووالله ما كذبت فى الاولى ولقد صدقت فى الثانية فقال النبى صلى الله عليه وسلم أن من البيان لسحراً وقيل ان الوفد كانوا سبعين أو ثمانين فيهم الأقرع بن حابس وهم الذين نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات فنزل فيهم قوله تعالى ان الذين يُنَادُونكَ مِن وراء الحجُرات أَكثَرَهُم لايَعقِلُونَ وخبرهم طويل أشرنا اليه فيما مضي من أخبار حسان بن ثابت رضى الله عنه وقد بقوا بالمدينة مدة يتعلمون القرآن والدين ثم خرجوا الى قومهم فأعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم وكساهم وقيل ان عمراً كان غلاما فلما أعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم قال أما بقى منكم أحد وكان عمرو بن الأهتم فى ركابهم

---

(١) الزمن المريض وأراد أنه ضعيف المروءة (٢) ضيق العطن أى سيء الخلق ضد قولهم واسع العطن

فقال قيس بن عاصم وكلاهما منقريان بينهما مشاحنة لم يبق منا أحد الا غلاما حدث في ركابنا وأزرى به فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم فبلغ عمرا قول قيس فغضب فقال فيه

ظللتَ مفترشَ العلياء تشتمني عند النبي فلم تصدقْ ولم تصب
ان تُبغضونا فان الروم أصلكم والروم لاتملك البغضاء العرب
فان سؤددنا عودٌ وسؤددكم مؤخرٌ عند أصل العَجْبِ والذنب

وكان عمرو ممن اتبع سجاحَ التي ادعتِ النبوة ثم اسلم وحسن اسلامه وكان خطيبا أديبا يدعى المكحل لجماله وشاعرا بليغا محسنا يقال أن شعره حللٌ منشرةٌ وكان شريفا في قومه ومن ولده خالد بن صفوان بن عبدالله بن عمرو الأهتم المشهور ومن شعر الاهتم قوله من تمام القصيدة التي ذكرنا شيئا منها فيما سبق

وقمتُ الى البَرْكِ الهواجد فاتقت مقاحيد كوم كالمجادل روق
بأدماء مرباع النتاج كأنها اذا اعرضت دون العشار فنيق
بضربة ساق أو بنجلاء ثرة لها من أمام المنكبين فتيق
وقام اليها الجازران فأوقدا يُطيرانِ عنها الجلد وهي تفوق
فجرّوا اليها ضرعها وسنامها وأزهر يحبو للقيام عتيق

الي أن قال

وكل كريم يتقي الذم بالقرى وللخير بين الصالحين طريق
لعمرك ماضاقت بلاد بأهلها ولكن اخلاق الرجال تضيق

ومن قوله من قصيدة أخرى

أَحِيدكَ لاتلم ولاتزور وقد بانت برهنكم الخدور
كأن على الجمال نعاجَ كوانسَ حُسَّراً عنها الستور
وأبكار نواعم الحقني بعين جُلالةٌ أجدٌ عسير

لقد أوصيتُ رِبْعِيَّ بن عمرٍو ... اذا حَزَبَتْ عشيرتك الأمور
بأن لا تفسدنْ ماقد سعينا ... وحفظ السورة العليا كبير
وجارى لا تهيننه وضيفى ... اذا أمسى وراء البيت كور

الى أن قال

ولوأنى أشاء كنت جسمى ... وغاد أنى شواء أوقدير
ولاعيني على الانماط لسٌ ... عليهن المجاسدُ والحرير
ولكنى الى تركاتِ قوم ... هم الرؤساء والنُّبُلُ االبحور
سُمَيٌّ والأشدُّ فشرٌفانِى ... وجدى الأهتمُ الموُفى المجير

ووفد هو والأحنف بن قيس على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأقرع بينهما في الرئاسة على بنى تميم فسقط الأحنف ووقعت القُرعة لآل الاهتم فقال عمرو فى ذلك

ولما دَعتني الرئاسة معشر ... لدى مجلس أضحى به النجمُ باديا
شددتُ لهاأزْرِى وقد كنت قُبلها ... لامثالها قدماً أشدُّ لمازاريا

وهو معدود فى الصحابة ومن فضائله المأثورة أنه ممن حرّم الخمر في الجاهلية فلم يشربها وقال عجبا لمن يشترى الحمق بماله فيدخلهُ فى رأسه فيقئٌ فى جَيبه ويسلحُ فى ذَيله وقد اكتفينا من أخباره بما نقلناه خوف الاطالة ومات فى سنة سبع وخمسين هجرية أنتهى ومعنى كلام ابن زيدون إن من حاز نصيبا من الادب المقرون بغنى النفس (وهذا فى الناس قليل) متى أمَّ بلداأوقصدَ مكانا فنزل به نال من أهله خيرا وفضلا فرحبوا به وأظهروا البشر والسرور له قبل أن يحط رحالهُ وحكموه فى برهم ومعروفهم تحكم الصبيّ على أهله وأراد بهذا الوصف نفسه فى معرضِ المدح لهاأي أن من كان مثلهفى الادب وغنى النفس كان محترما معظماأينماحل وسار

(المتن)غيرَ أنَّ الوَطَنَ محْبُوبُ والمَنشأ مألوفٌ والَّبيب يَحِنُّ إلى وَطَنِهِ حَنِين النَّجِيبِ الَى عطَنِهِ والكَرِيمَ لاَيَجْفُو أرْضاً فيهَا قَوابِلُهُ ولاَيَنْسَى بَلَدًا

فيها مَراضِيعُهُ

(الشرح)الوطن معلوم والمنشأ المربى والنجيب العاقل والنجيب الفحل الكريم من الابل ويقال الناقة نجيب ونجيبة بالتذكير والتأنيث والجمع نجائب والعطن مبرك الابل حول الحوض والجمع أعطان والكريم الرجل السخي من الناس وضده اللئيم والجفاء الهجر والقوابل جمع قابلة وهي التي تتلقى المولود عند ولادته وقوله والنجيب يحن الى وطنه الخ أخذه من قول بعض الاعراب لاتجفُ أرضا فيها قوابلك ولا تشكُ بلدا فيها قبائلك ومن قول الآخر يحنُّ النجيب الى وطنه حنينَ النجيبِ الى عطنه وقد أكثر الناس في حب الوطن والفتخارهم بالمحال قال الجاحظ إنا وجدنا الناس بأوطانهم اقنعُ منهم بأرزاقهم وترى الأعراب تحن الى البلد الجدب والمحل القفر وتستوخم الريف وترى الحضريّ يولد بأرض وباء ومَوَتان وقِلّة خِصبٍ فاذا وقع ببلاد أريَف من بلاده وجناب أخصب من جنابه واستفاد غنًى حنّ الى وطنه ومستقرّه وكان يقال لولا حبّ الناس الأوطان لخربت البلدان وقال بعضهم لاتَنهَضْ عن وَكرِكَ فتنغصكَ الغربةُ وتُضيمك الوَحدة وكانت العرب اذا غزَتْ حَملتْ معها من تُربة بلادها رَملا وعفرا تَستَنشقُ به عند نزلة أو زكام وقيل لبعض الاعراب ماالغبطة عندكم قال الكفاية مع لزوم الاوطان والجلوس مع الاخوان قيل فما الذلّة قال التنقلُ في البلدان والتنحّي عن الأوطان وأنشد

طَلَبُ المعاش مفرّق ... بين الاحبّة والوطن
ومُصيِّرٌ جِلْدَ الرّجا ... ل الى الضراعة والوهن
حتى يُقاد كما يقا ... دُ النِّضوُ في ثِني الرّسن

وقال الحكماء اكرم الخيل أجزعها من السوط وأكيس الصبيان ابغضهم للكتاب وأكرم الصفايا أشدها ولها الى أولادها وأكرم الابل أشدها حنينًا

الى أوطانها وأكرم المهارى أشدها ملازمة لأمهاتها وخير الناس آلفهم للناس وقال آخر من أمارة العاقل برُّه لاخوانه وحنينه الى أوطانه قالوا ومن العرب من يُعَدُّ شريفا فى نفسه وفخرا فى حسبه ومن العجم من يُرَي أطْيَبُ عُنْصُرًا وأنفسُ جوهرا هُمُ الأشد حَنيناً الى أوطانهم ونزاعاً الى تُرْبَتهم وقال فى حياة الحيوان له ان الحمامَ يحنّ الي وطنه ولا ينساه مهما بَعُدَ عنه وتغرب فى بلاد أخرى وربما باعه صاحبه فيقصه المبتاع حينا فما هو إلا أن يجِدَ فى جناحه قُوّة على النهوض أتاه جادفا أوغير جادف وربما فعل بهذلك مرارا فلا يزداد إلاوفاء لِلعَودِ اليه وما ذاك الالحنينه الى عشه الذى درج منه والى وكره الذى تربّى فيه وليس ذلك فيه فقط بل كل قواطع الطير والسباع اذا قطعت رجعت الى بلادها وجبالها واكوارها وغياضها وأعشاشها لاتخلىه مواقعها ثم لايكون اهتداؤها على تمرين وتعليم وقد ساوى الله عز وجل بين حب الوطن وقتل النفس فقال تعالى (وَلَو أنّا كَتَبْنَا أن اقتلُوا أنفُسَكُم أوِ اخرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَافَعلوهُ إلاّ قَليلٌ) وقال تعالى (ومَا لَنَا ألاّ نُقاتِلَ فى سَبيلِ اللهِ وقَدْ أُخرجنَا مِن دِيَارِنا وأبنائِنَا) على أن بعضهم يذم السكون ويؤثر الغربة على لزوم الوطن * قيل لأعشى بنى بكر الى كم هذه النُّجْعَةُ والاغتراب أما ترضى بالخَفضِ والدّعة قال لو دامت عليكم الشمس لمللتموها أخذ هذا المعني حبيب بن أوس الطائى فقال

وطُولُ مقام المرء فى الحيّ مخلق لِديبَاجتَيه فاغترب تتجدد
فانّى رأيت الشمسَ زيدت محبةً إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

وقال مسلم بن الوليد الأنصارى

لايمنعنّكَ خفض العيش فى دَعَة من أن تُبدّلَ أوطاناً بأوطان
تلقى بكل بلادٍ إن حللتَ بها أهلا بأهل وإخونا باخوان

وقال أبو القاسم بن عليّ الحريريّ صاحب المقامات

لاتصبونَّ الى وطن ... فيه تضام وتمتهن
وجب البلادَ فأيها ... أرضتك فاختر موطن
ودع التذكُّرَ للما ... هدوالحنين الى السكن
واعلم بأنّ الحُرَّ فى ... أوطانه يلقى الغَبَن
كالدُّرّ فى الأصداف يُستنرى ويُبخس فى الثمن

انتهى قلت والقول ماقال الجاحظ فان حب الوطن من الايمان وان المرء لم ينزح عن بلده إلا لطلب المعاش فاذا وجد الكفاية أو اثرى رجع اليها أو اذا مرض خارجا تمنى أن يموت فيها وكثيرون ذكروا الوطن عند الموت وأوصوا بدفنهم فى بلادهم فاذا لم ينسوها حين حل الموت فجدير بهم أن لاينسونها فى الحياة انتهى ومعنى ابن زيدون انه بعد أن بيّن عدم خوفه اذا ترك وطنه رجع الى الحنين اليه قال إلا أن الوطن محبوبٌ والمربى مألوف والعاقل يحن الى بلده حنين الفحل الكريم الى مبركه والكريم النفس يأبى فراق بلد وُلِدَ فيه وارتضع من ألبانه

(المتن) قَالَ الأَوَّلُ

أُحِبُّ بِلاَدِ اللهِ مَابَيْنَ مَنْعِجٍ ٭ الَىَّ وَسَلْمَى أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا
بِلاَدٌ بِهَا حَلَّ الشَّبَابُ تَمَائِمِي ٭ وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابُهَا

(الشرح) قوله قال الأول يحتمل انه أراد محب الوطن فى قوله (غير أن الوطن محبوب) وعلى هذا يكون قد عنى نفسه متمثلا ويحتمل انه أراد واحد الأوائل من قولهم ما تركت الأوائل كلمة لقائل أو ماترك الأول للآخر شيئاً ومنعج واد كثير المياه وبينه وبين بلاد بنى عامر اكثر من مسيرة شهر وقيل موضع آخر وسلمى موضع بنجد أوجبل لطيىّء وصوب السحاب وقع مطره كناية عن تمنيه الخصب لبلد كائن بين ذينك الموضعين (منعج وسلمى) والحل هنا ضد العقد يقال حلت تميمته ببلد كذا أزيلت عنه حين يكبر والتميمة خرزة تعلق على الولد يتّقى بها العين

قال قيسُ بن الرُّقيات الشاعر

يتقى أهلُها العيونَ عليها فعلى جيدها الرُّقَى والتَّميمُ

وقد ورد النهى عن لبسها فى الحديث الشريف من علق تميمة فلا أتم الله عليه والبيتان ذكرهما الجاحظ فى رسالته الحنين الى الاوطان باختلاف قليل وهما

أحَبُّ بلاد الله مابين صارةٍ الى غطفان ان يصوب سحابها

بلاد بها نيطت على تمائمى وأول أرض مس جسمى ترابها

وقال أنشدنيهما حماد ابن اسحاق الموْصلى وذكرهما المبرد فى الكامل وزاد عليهما بيتا ثالثا وعزاها الى قول الشاعر ولم يذكره والأبيات بنصّها

ألم تعلمى يادار بلجاء اننى اذا أجدبت أو كان خصباً جنابها

أحب بلاد الله مابين مُشرفٍ الى وسلمى ان يَصُوبَ سحابها

بلاد بها حقّ الشباب تمائمى وأول ارض مس جلدى ترابها

ومراد ابن زيدون أنى احب بلدى وأتمنى له الخير والنعيم فقد خلَعتُ فيه لباس الصبا ولَبِستُ برد الشباب ويشق على فراقه

(المتن) هَذَا إلى مُغَالَاتِي بِعَقْدِ جِوارِكَ وَمُنَافَسَتِي بِلَحْظَةٍ مِنْ قُرْبِكَ واعتِقَادِي أنَّ الطَّمَعَ فى غَيرِكَ طَبَعٌ وَالغِنَا مِنْ سِوَاكَ عَنا وَالبَدَلَ أعْوَرٌ والعِوَضَ لَفَا

(الشرح) هذا مركبة من حرف واسم فالهاء للتنبيه وذا اسم إشارة وهى كلمة يشار بها الى مقصود بعينه والمغالاة مصدرغالى يغالى اذا بالغ فى الامروالعقد بالفتح العهد والضمان والجوار وبالكسر الاحماء واصله ان تعطى الرجل ذِمّةً فيكون بها جارك فتجيره والمنافسة من النفيس الذى يُضَنُّ به واللحظة النظرة بالعين والقرب ضدالبعدوالاعتقاد الجزم بالأمروالطمع الحرص واكثرمايستعمل فيما يقرب حصوله وقد يستعمل بمعنى الأمل يقال طمع فى غير مطمع أى أمل فيما

يمد حصوله والطبع بالتحريك من باب تعب الدنس مأخوذ من قولهم طَبِعَ السيف وهو سيف طبع اذا ركبه الصدأ حتى غطى عليه . قال الشاعر

لاخير فى طمع يهدى الى طبع وغفة من قوام العيش تكفينى

قوله يهدى الى طبع أي الى خسة والغناء هنا بمعنى النفع يقال مافيه غناء بالمد أي نفع فقصره ليظهر الجناس المصحف فى غنا وعنا كما جانس فى طمع وطبع والعناء بالمد الذل والخضوع والبدل تغيير شيء بشيء كالمبادلة والعور اصله عور العين فاستعمل مجازا السوءة أي القبح والقفا أصله بالمد وهو الشيء الخسيس الحقير فقصره ليحسن السجع به فى آخر الجملة وقوله (البدل أعور) مثل قاله أهل خراسان فى قُتَيْبَةَ بن مسلم الباهلى وكان قد وُلِّيَ خراسان بعد انصراف يزيد بن المهلب بن أبى صفرة عنها سنة ست وثمانين وكان قتيبة شحيحا فقالوا بدل أعور فذهب مثلا يضرب للرجل المذموم يخلف الرجل المحمود أو لمن لا يُرْتَضَى بدلا من الذاهب وفى ذلك يقول عبدالله بن هُمام السلولى

أقُتَيْبُ قد قلنا غداة أتيتنا بدلٌ لَعَمْرُكَ من يزيد أعور

ان المهلب لم يكن كأبيكم هيهات شأنكم ادق واحقر

شتان من بالصنج يضرب والذى بالسيف شمر والحروب تسعر

حُولان باهلة الالى فى ملكهم مات الندى فيهم وعاش المنكر

الصنج آلة تتخذ للملاهى تشبه كاسات الموسيقى اليوم وحولان جمع أحول وكان قتيبة فى بدء امره يضرب بالصنج وكان أحول وهذه الأبيات ينسبها بعضهم لنَهَار بن تَوْسعة اليشكرى لا الى عبد الله بن همام هجا بها قتيبة فلما بلغته طلبه فهرب عنه وأتى أم قتيبة فأخذ منها كتابا لقتيبة بالرضا عنه فتركه ويقال أن المثل (بدل اعور) مثل قديم وانما تمثل به أهل خراسان تمثيلا وقال آخر فى هجاء قتيبة

كانت خراسان أرضا اذ يزيد بها ... وكل باب من الخيرات مفتوح

حتى أتانا ابو حفص بأسرته ... كأنما وجهه بالخل منضوح

ابو حفصة كنية قتيبة على أن قتيبة أظهر من النجدة والحزم وضبط الأمور والهيبة في نفوس الأعاجم مالم يبلغه يزيد بن المهلب حتى سموه ملك العرب لكثرة فتوحاته وتدابيره فقد ذكر الطَّبَرِىُّ في تاريخه انه بلغ في غزو الترك والتوغل في بلاد ما وراء النهر وافتتاح القلاع واخذ الأموال وقتل الفتاك مالم يبلغه المهلبُ ابن أبي صفرة المشهور بحروبه ولقد سئل الأصْبَهْبَذُ صاحبُ طَبرستان بعد قتل يزيد وقتيبة أيهما كان اعظم واهيب عندكم فقال لو كان قتيبةُ بالمغرب باقصى جُحر في الأرض مكبلا بالحديد ويزيد معنا في بلادنا ووال علينا لكان قتيبة أهيبَ في صدورنا واعظمَ من يزيد انتهى ولا عيب فيه الا انه باهلى والعرب تستنكف الانتساب لباهلة وفي ذلك يقول شاعرهم

سل الله ذا المن من فضله ... ولا تسألن أبا وائله

فما سأل الله عبدٌ له ... فخاب ولو كان من باهله

وقال آخر

أباهلُ يَنْبَحُنِى كلبكم ... واسدكم ككلاب العرب

ولو قيل للكلب يا باهلى ... عوى الكلب من لؤم النسب

سئل حسين بن بكر الكلابي النسابة عن السبب في اتضاع غنى وباهلة عند العرب فقال لقد كان فيهما غناء وشرفٌ ولم يضعهما إلا اشراف إخوتهما فزارة وذبيان عليهما بالمآثر. فدنا بالاضافة اليهما انتهى وقول ابن زيدون والعوض لنا مأخوذ من المثل القائل (رضى من الوفاء باللفاء) أى بالقليل التافه عن الكثير الوافي وللبحترى قوله في هذا المعنى

ولو ضربوا في المكرمات بسهمة ... لكان لهم فيها اللَّفَا ولك الكُثْرُ

(والمعنى) يقول ابن زيدون هذا الذي قلته فيك آنفاً يضاف اليه مبالغتي بتقدير عقد جوارك ومنافستي بنظرة من قربك واعتقادي ان الأمل الذي آمله من غيرك دنس ورجس والنفع الذي التمسه من سواك ذل وخضوع والبذل الذي استبدله منك سوأة وقبح والعوض الذي اعتاضه عنك خسيس محتقر يريد إنه شديد التمسك بولاه اوالاعتماد عليه يعني يعز عليه فراقه

(المتن) وَاذَا نَظَرْتُ الَى أَمِيرى زَادَنِى * ضَنًّا بِهِ نَظَرِى إِلَى الأُمَرَاء

الشرح وهذا في معني ماتقدم من إجلاله لمولاه وتفضيله له عمن سواه فهو لايعدل به احدا ولا يؤثر عليه نظيرا من الامراء والبيت لعدي بن الرِّقَاع العاملى من قصيدة يمدح بها عمر بن الوليد الاموي يقول فيها من ابيات

واذا نظرت الى أميرى زادنى ضنا به نظري الى الامراء
تسمو العيون اليه حين يرونه كالبدر فرج بهمة الظلماء
والأصل يُنْبِتُ فرعه متأثلا والكف ليس بنانُها بسواء

متأثلا ومتأصلاً بمعنى أى أن الفرع ينبت كأصله ان كان شريفا فشريفا أو وضيعا فوضيعا والفرع هنا الأبناء من الآباء يريد أن ممدوحه نشأ من بيت كريم من آباء كرماء

ذكر عديّ بن الرّقاع العاملىّ الشاعر وبعض أخباره

هو عَدِىُّ بن زيد بن مالك بن عدى بن الرّقاع وينتهى نسبه الى قضاعة ويقال له العاملىُّ نسبة الى جدّته عاملة بنت وديعة من قضاعة ويقال له ابن الرقاع نسبة الى جده الرقاع بن أعصر كان شاعرا مقدما عند بنى أمية مدّاحا لهم . خاصا بالوليد ابن عبد الملك وجعله محمد بن سلام فى الطبقة الثالثة من شعراء الاسلام وكان منزله بدمشق وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم وقد تعرّض لجرير بن الخطفى الشاعر وناقضه فى مجلس الوليد بن عبد الملك فحلف الوليد لجرير إن هوشتم عدياً لَيُسْرِجَنَّهُ ويُلْجِمَنَّهُ حتى يركبَهُ عَدِىٌّ فتحاماه جرير ولم يهجه الا تعريضا فى

قصيدته السينية التى يقول فيها

قد جَرَّبَتْ عركى فى كل معتَرَكٍ غُلْبُ الاسود فما بالُ الضغابيس

أقْصِرْ فان نزاراً لن يفاخرهم فرع لئيم وأصلٌ غير مغروس

وابن اللَّبُون اذا ما لُزَّ فى قَرَنٍ لم يستطع صولة البُزْل القناعيس

الضغابيس من الضُّغاب وهو صوت الذئب أو الأرنب كالضغيب ويقال للرجل ضاغب اذا كان يختبىء فيُفَزِّعُ الانسان بصوت كصوت الوحش وأراد الشاعر به ضعفاء الرجال كالفرق بين الأسد والذئب أو بين الأسد والأرنب وابن اللبون ولد الناقة الذى بلغ سِنه حَوْلَيْن والبُزْل القناعيس من عظام الابل التى بزل نابها

ومن قوله من قصيدة يمدح بها الوليد ومطلعها

طار الكَرَى وأَلَمَّ الهمّ فاكتنعا وحيل بينى وبين النوم فامتنعا

يقول فيها

فان تكن مَيْعَةٌ من باطل ذهبت واعقَبَ الله بعد الصَّبْوَةِ الوَرَعا

فقد أبيتُ أراعى الخودَ راقدةً على الوسائدِ مسروراً بها وَلِعَا

برّاقَةُ الثغْر تشفى القلب لذَّتُها اذا مُقَبِّلُها فى ريقها كَرَعا

كالاقحوان بضاحى الروض صبَّحه غَيْثٌ أرشٌّ بتَنْضاحٍ وما نقعا

صلى الذى الصلوات الطيبات له والمؤمنون اذا ما جَمَّعُوا الجمُعا

على الذى سبق الأقوام ضاحيةً بالأجر والحمد حتى صاحباه معا

هو الذى جمع الرحمنُ أمتهُ على يَدَيْه وكانوا قبله شيعا

عذْنا بذى العرش أن نحيى ونفقدهُ وأن نكون لراع بعده تبعا

إن الوليدَ أمير المؤمنين له مُلْكٌ عليه أعان الله فارتفعا

لا يمنع الناس ما اعطى الذين هم له عباد ولا يُعطون ما منعا

ومن قوله أيضاً فى مدحه وهى من مختاراته

عَرَفَتَ الديار توهماً فاعتادها من بعد ما شغل البلى أبلادها

آبادها جمع بلد ومعنى شملها عفى آثارها الخرائب

وترُبٌ واضحة العوارض طفلة كالرئم قد ضربت به أوتادها

انى اذا ما لم تَصِلنى خُلَّتى وتباعدت منى اغتفرتُ بعادها

صلّى الاله على امرىءٍ وَدَّعتُه وأتمّ نعمتهُ عليه وزادها

واذا الربيع تتابعت أنواؤه فسقى خُناصِرَةَ الاحصّ فجادها

خناصرة الأحص بلد بالشام من أعمال حلب

نزل الوليد بها فكان لاهلها غيثا أغاث أنيسها وبلادها

أوَلاَ ترى أن البريةَ كلّها ألقت خزَامها اليه فقادها

ولقد أراد الله اذ ولاّكها من أمةٍ إصلاحها ورشادها

أعمرتَ أرض المسلمين فأقبلت وكففتَ عنها من يروم فسادها

وهى طويلة ومنها وهو من جيد الوصف فى ظبية وولدها

تُزجِى أغنّ كأن إبرةَ روقِهِ قلم أصاب من الدّواةِ مدادها

ومنها يفتخر ببلاغته وعزته

وقصيدةٍ قَدْ بِتُّ أجمع بينَها حتى أقوّمَ ميلَها وسنادها

السّناد فى الشعر اختلاف الردفين وهو من عيوبه

نظر المثقف فى كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منآدها

ولقد أصبتُ من المعيشة لذةً ولقيت من شظف الخطوب شدادها

وعلمتُ حتى ما أسائل واحداً عن علم واحدة لكي أزدادها

أدعى فى البيت الأخير ما لم يتفق لغيره من الناس فقيل أنه لما أنشد هذه القصيدة حتى بلغ هذا البيت وكان كُثيِّر عزّة موجودا قال له كذبت وربّ البيت فليمتحنك أمير المؤمنين بأن يسألك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبيّنَ له جهلُكَ وما

كنت قبل أحمق منك الآن حيث تظن هذا بنفسك فأخزاه ومن قوله يهنىء
عبد العزيز بن الوليد لما عقد له جده عبد الملك بن مروان على أم حكيم

قمر السماء وشمسها اجتمعا ... بالسعد ما غابا وما طلعا
ما وارت الأستار مثلهما ... ممن رآى هذا ومن سمعا
دام السرور له به وبها ... وتهنيا طول الحياة معا

وقال يمدح عبيدة بن عبد الرحمن حينما عزله الوليد عن الأردن ويتوجع له

فما عزلوك مسبوقا ولكن ... الى الخيرات سبّاقا جوادا
وكنت أخى وما ولدتك أمى ... وصولا باذلا لى مستزادا
وقد عيضت لنكبتك القدامى ... كذاك الله يفعل ما أرادا

ولما قتل مصعبُ بن الزبير بدير الجاثليق فى الوقعة التى كانت بينه و بين عبد الملك
ابن مروان قال يصف الوقعة

لعمرى لقد اصحرت خيلنا ... بأكناف دجلة للمُصعب
يهزون كل طويل القنا ... ةِ لَدْنٍ ومعتدل الثعلب
فداؤك أمّى وأبناؤها ... وان شئت زدتُ عليها أبى
وما قلتها رهبةً إنما ... يَحلُّ العقاب على المذنب
اذا شئت نازلت مستقتلا ... ازاحم كالجمل الاجرب
فمن يك منا يبت آمنا ... ومن يك من غيرنا يهرب

ولم نقف على تاريخ وفاته وقد اكتفينا بما نقلناه هنا من أخباره وفيها مَقْنع انتهى

(المتن) كلُّ الصَّيْدِ فى جَوْفِ الفَرَا وَفى كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ وَاسْتَمْجَدَ المَرْخُ وَالعَفَار

(الشرح) الفرا بالفتح والقصر الحمار الوحشى والمرخ والعفار نوعان من
الشجر أكثر ورْيٍ من غيرهما وهذه الجملة تحوى مثلين الأول قوله كل الصيد

في جوف الفرا يضرب لمن يفضل على أقرانه وأصله أن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين فاصطاد أحدهم ظبيا والثانى أرنبا والثالث حمارا وحشيا فاستبشر صاحب الظبي وصاحب الأرنب بما نالا وتطاولا على صاحب الحمار فقال لهم كل الصيد فى جوف الفرا اى هذا الذى ظفرتُ به ورزقته يشتمل على كل ما عندكما وذلك أنه ليس مما يصيده الناس اعظم من الحمار الوحشى وقد تألف النبى صلى الله عليه وسلم اباسفيان ابن حرب بهذا القول حينما استأذنه الدخول عليه فحجب قليلا ثم أذن له فلما دخل عليه قال ما كدت تأذن لى حتي تأذن لحجارة الجلهتين (اى جانبي الوادى) فقال صلى الله عليه وسلم ياأباسفيان انت كما قيل كل الصيد فى جوف الفرا فاذا حجبتك فتح كل محجوب فعلي هذا يكون المثل قديما والثانى قوله وفى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار ومعناه ان النار توجد فى جميع الشجر ولكنها فى المرخ والعفار اكثر منها فى غيرهما وهذا معنى استمجد المرخ والعفار اي استكثرا من النار فصار مثلا يضرب فى تفضيل بعض الشىء على الآخر ولمن يكثر العطاء طلبا للمجد لأنهما يسرعان الورْىَ كما ذكرنا يقال أمجدته مدحا وامجدته سبا اى اكثرت من ذلك وجاء فى مثل آخر أرْخ يدك واسترخ ان الزناد من مرخ والزند العود الذى يقدح به وهو الأعلى والزندة السفلى فيها ثقب وهى الانثي فاذا اجتمعا قيل زندان ولا تقل زندتان والجمع زناد وأزند وجاء فى مثل آخر ورت بك زنادى يضرب لمن أنجد وغاث قيل وليس فى الشجر كله أورى زنادا من المرخ فربما اجتمع ملتفا وهبت الريح فحك بعضه بعضا فأورى فاحترق الوادى كله ولم يُر هذا فى شجر سواه فلذلك ضرب به المثل قال الاعشي

زنادك خير زناد الملو ك صادف منهن مرخ عفارا

ولو بتَّ تقدح فى ظلمة حصاةً بنبْع لأوريْتَ نارا

النبع فى قول الأعشى شجر في قلة الجبل(رأسه)ولا نارفيه كالمرخ والعفار وانما أراد المبالغة فى وصف ممدوحه بالحذق فى الأمور وجودة الرأى وابن زيدون

بعد أن ذكر فى كلامه المتقدم شدة تمسكه بذمام مولاه ومنافسته باللحظة من قربه وإيثاره له على من عداه من الملوك والامراء عاد الى ذكر الاسباب التي فضّلته على أقرانه منهم فأتى بالمثابين تأييداً لذلك وحاصلهما أن مولاه جمع فى شخصه كل مزايا الملوك وان شركوه فى بعضها كما جمع الصائد كل الصيد فى جوف الفرا وان شركه الصيادون فى الصيْد وأنه أمجد منهم عطاءا كالمرخ والعفار فى الورى وان كانت النار توجد فى جميع الشجر يريد انه لم يجتمع فى سواه من الملوك ما اجتمع فيه من جودة الرأي والحذق بالامور والسخاء فلذلك كان عليه أن يَضنّ بمفارقته وان يكن فى استطاعته أن يعيش فى الغربة عزيزا محترما

(المتن) فَمَا هَذِهِ الْبَرَاءةُ مِمَّنْ يَتَوَلاَّكَ وَالمَيْلُ عَمَّنْ لاَ يَمِيلُ عَنْكَ وَهَلاَّ كَانَ هَوَاكَ فِيمَنْ هَوَاهُ فِيكَ وَرِضَاكَ فِيمَنْ رِضَاهُ لَكَ

(الشرح) التفت من الغيْبة الى الخطاب كعادته مستفهما عما دعا مولاه الى البراءة منه الخ والبراءة التنازُلُ عن الشيء أو التخلص منه وقوله ممن يتولاك أى يتّخذُكَ وليّا اى نصيرا أو سيدا والمَيْل الانحراف وهلا مركبة من هل ولا وهى كلمة استفهام عن النفى والهوى مقصور إرادة النفس وحب الشيء والرضا بلاهمز ضد السُّخط من رضى برضى وحاصل المعنى يقول ماهذا التخلص ممن ينتصر بك ويعتمد عليك والانحراف عمن لاينحرف عن التعلق بك ولِمَ لم يكن حبك أولى بمن حبه مبذول لك ورضاك أليق بمن رضاه فى جميع أموره يتوقف على رضاك عليه يريد لاأرضى منك بما دون الرضا عنى

(المتن) يَامَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ * وِجْدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ

هذا البيت للمتنبى من قصيدة يعاتب بها سيف الدولة بن حمدان ومعناه يا من يعز علينا فراقه بما أولانا من نعمه ومتّعنا بقربه وجداننا كل موجود نافع بعدكم عدَمٌ لانفرح به ولا نبتهجُ له يريد لايخلفكم احد وقد أنذره فى هذه

القصيدة بالارتحال عنه اذا لم ينصفه ممن ظلمه بقوله

ما كان اخلقنا منكم بتكرمة | لو انّ امركم من أمرنا أَمَمُ
ان كان سرّكم ماقال حاسدنا | فما لجرح اذا أرضاكم ألم
وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة | إن المعارف فى أهل النهى ذمم
كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم | ويكرهُ الله ما تأتون والكرمُ
أرى النوى تقتضينى كلّ مرحلةٍ | لا تستقل بها الوخادة الرسم
لئن تركن ضُميرا عن ميامننا | ليحدُثنّ لمن ودعتهم ندم

معنى البيتين الأخيرين أن الارتحال عنه يجشّمهُ مشاقا لا تستبد بها الابل لبعد منالها وانه ان ترك ضُميْرا وهو جبل عن يمين طالب مصر من الشام قريب من دمشق ندم سيف الدولة على رحيله عنه فلما لم يبال بانذاره رحل عنه وقصد كافورَ الاخشيدى بمصر كما مر عليك فى ترجمته واستشهادُ ابن زيدون ببيت المتنبى وان يكن من قبيل التوجع لفراق مولاه ففيه إشارةٌ لطيفة الى ماأضمر فى نفسه من مفارقته لابن جهور على كل حال يأسا من رجوعه الى سابق حالته عنده وقد حصل ذلك لأنه لما لم يجدِ استعطافُه وتذلُّله شيئاً وظل مسجونا مهانا تمكن من الهروب من سجنه ولحق بعبَّاد بن محمد صاحب إشبيليَةَ كما ذكرناه فى ترجمته انتهى

(المتن) أُعيذُكَ وَنَفسِي مِنْ أَنْ أَشيمَ خُلَّباً واستَمطِرَ جَهاماً وأُكرِمَ غيرَ مُكرَمِ

(الشرح) الظاهر ان ابن جهور وعده بالعفو عنه ثم تراخى كما يؤخذ من قوله أشيم خُلّباً وأستمطر جهاما وهو مثل يضرب لمن يعد ولا يفى ذكره الميدانى أو لعلّه يريد بالاستعاذة نفْى ما لا يحسن وقوعه من ملكٍ مثله قادر على العفو عنه كرما وفضلا وأشيم بمعنى انظر تقول شمتُ البرق اذا نظرت سحابته اين تمطر والخُلّبُ من البرق مالا غيث معه من الخلابة اى الخديعة كأنه يوهم بالمطر ولا مطرُ

معه واصل المثل (انما أنت كبرق خُلَّب) والجهام من السحاب مالا ماء فيه ومكرم مثل مخْرَجٌ من الاكرام ويروى (وأَكدُمُ فى غير مكدمٍ) من الكدم وهو العض وهو مثل أيضا واصله (كدَمْتَ فى غير مكدم) وكلاهما يضرب لمن يطالب مالا مطلب فيه والمعنى أعينك اى اعصمك وأبعِدُ عنك اخلاف الوعد اوعدم الفائدة من استجلابى رضاك وعفوك وأعيذ نفسى ان أراك بهذه العين

(المتن) وَأَشْكُوَ شَكْوَى الجَرِيحِ إِلَى العِقْبَانِ والرَّخَمِ

الشرح وهذا أبلغ فى الاستعاذة لأن العقبان من جوارح الطير والرَّخمُ من بُغاثها (شرارها) فاذا رأت جريحا عاجزا عن الحركة اجتمعت عليه لتأكل لحمه فكأن الشكوى اليها شكوى لمن لا يرحم وهذا المعنى أخذه من قول أبى الطيب المتنبى

ولا تَشَكَّ الى خَلق فَتُشْمِتَهُ شكوى الجريح الى الغربان والرخم

فأبدل ابن زيدون العقبان بالغربان ولعله رأى هذه الرواية فى بيت المتنبى فاثبتها والمعنى واحد فى الشكوى لمن لا يرحم وهذا البيت من قصيدة يرثى بها أبا شجاع فاتك الكبير المعروف بالمجنون [1] يقول فيها قبل هذا البيت

(١) كان فاتك هذا روميا أُخذ صغيرا من بلاد الروم من موضع قرب حصن يعرف بذى الكلاع فتعلم الخط بفلسطين ثم اغتصبه الاخشيدى صاحب مصر من سيده بالرملة فكان فى خدمته ونشأ كريم النفس بعيد الهمة شجاعا وكان رفيق كافور فى خدمة الاخشيد فلما مات الاخشيد وعلت رتبة كافور لم يرض ان يركب فى خدمته فانتقل الى الفيوم لانها كانت اقطاعا له فمرض بها واضطر للعودة الى مصر للمعالجة فيها وكان كافور يخافه ويحترمه واتفق وجود المتنبى بمصر ضيفا لكافور وكان يسمع بكرم فاتك ولا يقدر على التقرب منه خوفا من كافور فراسله المتنبى بالسلام ثم التقيا بالصحراء مصادفة وتفاوضا فى الحديث فلما رجع فاتك الى داره حمل اليه هدية قيمتها الف دينار وأتبعها بهدايا أخرى فحينئذ استأذن المتنبى

لا فاتك آخر فى مصر نقصده ... ولا له خلفٌ فى الناس كلهم
من لا تشابهه الأحياء فى شيم ... أمسى تشابهه الاموات فى الرمم
عدمته وكأنى صرت أطلبهُ ... فما تزيدنى الدُّنيا على العدم
ما زلتُ أضحكُ إبلى كلما نظرتْ ... الى من اختضبتْ أخفافُها بدم
أُسيرُها بين أصنام أشاهدها ... ولا أشاهد فيها عِفّة الصَّنم
حتى رجعت واقلامى قوائل لى ... المجدُ للسَّيف ليس المجدُ للقلم

وما أحلى قوله بعد ذلك

وكن على حذَر الناس تستره ... ولا يغرُّك منهم ثغرُ مبتسم
غاض الوفاء فما تلقاه فى عِدَةٍ ... وأعوز الصدق فى الأخبار والقسم
سبحان خالق نفسى كيف لذَّتُها ... فيما النفوس تراه غاية الألم
الدهر يعجب من حملى نوائبه ... وصبرَ جسمى على أحداثه الحُطَمُ
وقت يضيع وعمر ليت مُدَّتَهُ ... فى غير أمته من سالف الامم
أتى الزَّمانَ بنوهُ فى شبيبته ... فسرَّهم وأتيناه على الهرم

فى البيتين الاخيرين يشكو من أهل دهره ويأسف على ضياع الزمن فى مخالطتهم ومصاحبتهم لأنهم أنذال ويتمني لو أن مدة عمره كانت فى أمة أخري من الامم السالفة الذين شهدوا حِدْثان الدهر وَجِدَّتَهُ فسرَّتهم أيامُهُ وأتاه هو فى وقت هرمه فلم يجد عنده ما يسره قلت وليت المتنبي عاش الى زمننا هذا وقد مضى

كافورا فى مدحه فأذن له فمدحه بالقصيدة التى أولها لا خيل عندك تهديها ولا مال وهى من غرر قصائده ثم توفى فاتك فى شوال سنه ٣٥٠ بمصر فحزن عليه المتنبى حزنا شديدا كما يظهر ذلك من مراثيه فيه بالقصيدة التى منها البيت المتقدم وبالقصيدة التى مطلعها (الحزن يقلق والتجمل يردع وهى أيضامن المراثى الفاتحة وله فيه مدائح أخرى فليرجع اليها من شاء

عليه تسمائة وثلاث وثمانون سنة أى ٣٥٤ زائد ٩٨٣ يساوى ١٣٣٧ ليري رأيه فيه وقد سمعت من بعض الأدباء أن شاعرا فى القرن الحادى عشر ذكره لى فنسيته لما قرأ بيت المتنبى الأخير قال

وهم على كل حال صادفوا زمنا ونحن جئناه بعد الموت والعدم

وهذا غير مقبول عندى وكان الأليق أن يقول اذا انقادت له القافية ونحن أتيناه بعد الخرف وذهاب طيباته ولو عن بعد فاما بعد الموت والعدم فلا لأن الزمان لم يمت ولم يعدم بعد

(المتن) فَمَا أَبْسَسْتُ لَكَ إِلاَّ لِتَدِرَّ وحَرَّكْتُ الْحُوَارَ إِلاَّ لِتَحِنَّ وَنَبَّهْتُكَ الاَّ لِأَنَامَ وَسَرَيْتُ إِلَيْكَ الاَّ لِأَحْمَدَ السُّرَى لَدَيْكَ

(الشرح) الابساس تسكين الناقة عند الحَلَبِ وهى حكاية بَسْ بَسْ ويقال الناقة بسوس اذا لم تدر إلا على الابساس وبه سُمِّيت البسوس بنت مُنْقِذٍ خالة جساس بن مرة التى وقع الحرب بسببها بين بكر وتَغْلِب أربعين سنة فضُرب بها المثل فى الشؤم وأصل المثل الذى عناه ابن زيدون (الايناس قبل الابساس) يضرب للرفق بالأمور أو فى المداراة عند الطلب ذكره الميدانى والدَّر تكوين اللبن فى الضرع والحُوار ولد الناقة مازال رضيعاً فاذا انفصل فهو فصيل قال عمرو بن العاص لمعاوية بن أبى سفيان لما أراد أن يستنصر بأهل الشام على حرب الامام علىّ رضى الله عنه (حَرِّكْ لَهَا حُوَارَهَا تَحِنّ) أى ذَكِّره ببعض أشجانه يَهِجْ فذهب مثلا أو لعله مثل قديم تمثل به تمثيلا والاصل فيه أن العرب اذا أرادت حلب الناقة وضعوا حُوَارَها أمامها لِتَرْأَمَهُ (تعطف عليه فتحن اليه وتَدُر اللبن وقول ابن زيدون ونبَّهتُك لِأنام أخذه من قول بشار بن برد الشاعر من قصيدة يمدح بها عمر بن هُبَيْرَة يقول فيها :

قل للخليفة إن جئته نصيحا ولا خير فى المتهم

اذا أيقظتك حروب العدا　　فنبه لها عمراً ثم نم

فتى لايبيت على غرة　　ولا يشرب الماء إلا بدم

وقيل　　فتى لا يبيت على دمنة　　ولا يشرب الماء إلا بدم

الغِرَّة الغفلة والدمنة الموضع القريب من الدار والمراد بشراب الماء بالدم قتله الاعداء حتى تجرى دماؤهم على النهر فتختلط بالماء يصفه بالحزم والشجاعة وقيل لا يبيت على دمنة أي سخيمة أو حِقد ومنها يفتخر بان أصله من العجم ويتعصب لهم

ونُبئتُ قوما بهم جِنَّةٌ　　يقولون من ذا وكنتُ العلم

ألا أيها السائلي جاهداً　　ليعرفني أنا أنف الكرم

نمتْ فى الكرام بني عامر　　فروعي وأصلي قريش العجم

ذكر بَشّار بن برد الشاعر وبعض أخباره

هو بشار بن بُرد بن يرجوخ بن ازدكُرد بن شروستان من الاعاجم ويكنى أبا مُعاذ ويُلَقَّبُ المُرَعَّثُ وجدّه يرجوخ من سَبْيِ المهلَّب بن أبى صُفرة ويقال أن أباه بُرد من فَيْءِ خَيْرَةَ القُشَيرِية امرأة المهلب بن أبى صفرة فوهبته لامرأة من بني عُقيل بعد أن زوَّجته أمَّ بشار فولد بشارا وهو فى مِلكها ثم أعتقته واسمها أم الظباء السَّدُوسية العُقَيلية فعرف بشار بالعقيلي لذلك ومحله فى الشعر وتقدمهُ فى طبقات المحدثين ورئاستهُ عليهم من غير اختلاف فى ذلك يغني وصفه عن الاطالة ويقال أنه قال الشعر ولم يبلغ عشر سنين ثم بلغ الحُلُم وهو مُخشيٌّ مَعَرَّةُ لسانه وولد اكمَهَ أي أعمى وهو من مخضرمي الدَّولتين الاموية والعباسية وكان ضخما عظيم الخَلق والوجه مُجَدَّراً طويلا فاذا أراد أن ينشد صفق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتي بالعجب وقد أدرك جرير بن الخَطَفَى الشاعر المشهور وهو حدثٌ وكان يقول هجوتُ جريراً فاستصغرني ولو أجابني لكنتُ أشعرَ أهل زماني ويُنسَبُ لبشار إثنا عشرة الف بيت من الشعر وذكره الجاحظ فى البيان

والتبيين فقال كان بشار خطيبا صاحب منثور ومزدوج وسجع ورسائل وهو من المطبوعين أصحاب الابداع المتفننين فى الشعر القائلين فى اكثر أجناسه وضروبه وقال فى حياة الحيوان له وقد ذكر قول بشار

كأن مُثَارَ النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوي كواكبه

وقوله

كأنما النقْعُ يوما فوق أرؤسهم سقْفٌ كواكبُهُ البيضُ المباتير

ان هذا المعنى غلب عليه بشار كما غلب عنترة العَبْسى على قوله

فترى الذُّباب بها يُغَنِّى وحده هَزَجاً كفعل الشارب المترنم

غَرِداً يَحُكُّ ذِرَاعَهُ بذراعه فِعلَ المكب على الزناد الاجذم

فلو أن أمرأ القيس عرض فى هذا المعنى لعنترة لافتضح وقول بشار فى هذا المعنى الذى عناه انه شبه مثار النقع بظلمة الليل والسيوف بالكواكب فى لمعانها وقيل شبه الهيأة الحاصلة من النقع الأسوَد والسيوف البيض بالهيأة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة وهو تشبيه بديع انفرد بوحده والبيت الاول من قصيدة طويلة يمدح بها عمر بن هبيرة وهى من جياده يقول فى ابيات منها

رويداً تصاهل بالعراق جيادنا كأنك بالضحاك قد قام نادبُهْ

وحلت به أُمُّ المنايا بناتها باسيافنا إنا ردي من نحاربه

وكنا اذا دب العدو لِسُخْطِنا وراقبنا فى ظاهر لا نراقبه

رَكِبنا له جهرا بكل مثقف وابيض تستسقى الدماء مضاربه

فلما تولى الحر واعتصر الثرى لظى الصيف من نجم توقد لاهبه

وطارت عصافير الشقائق واكتسى من الآل امثال المجرة ناضبه

غدت عانة تشكو بابصارها الصدي الى الجأب إلا انها لا تخاطبه

ومنها وقد تخلص الى المدح ووصف الجيش

ألا ايّها الملك الذي شقوا العمى بسيوفهم ... عن العين حتى ابصر الحق طالبه
وجيش كجنح الليل يزحف بالحصى ... وبالشوك والخطّي حمرا ثعالبه
غدونا له والشمس فى خدر أمها ... تطالعنا والطل لم يجر ذائبه
بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه ... وتدرك من رام الفرار مثالبه
كأن مثار النقع فوق رؤسنا ... وأسيافنا ليل تهاوي كواكبه
فراح فريق فى الأسار ومثله ... قتيل ومثلٌ لاذ بالبحر هاربه
اذا الملك الجبّار صعّرَ خدَّهُ ... مشينا اليه بالسيوف نعاتبه

ومنها وهو من الحكم

اذا كنت فى كل الامور معاتبا ... صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا أو صل أخاك فانه ... مقارِفُ ذنب مرة ومجانبه
اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ... ظمئت وأيُّ الناس تصفو مشاربه
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلا أن تعد معائبه

قيل له لما قال كأن مثار النقع الخ كيف تصف الأشياء ولم تنظر من الدنيا شيئا قال لم أزل منذ سمعت قول امريء القيس فى تشبيه شيئين بشيئين فى بيت واحد حيث يقول

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ... لدى وكرها العناب والحشف البالى

أعمل نفسى فى تشبيه شيئين بشيئين حتى قلت البيت المذكور وقال ان عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء فيتوفر حسه وتذكو قريحته ثم انشدهم قوله

عَميتُ جنينا والذكاء من العمى ... فجئتُ عجيب الظن للعلم موئلا
وغَيضُ ضياء العين للعلم رافد ... بقلب اذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنور الروض لاءمت بينه ... بقول اذا ما أحزن الشعر اسهلا

وكان الأصمعي يصفه بانه مطبوع لا يكلف طبعه شيئا ويشبهه بالأعشى والنابغة الذبياني وقال آخر عهدي بالبصرة وليس فيها غَزِلٌ ولا غَزِلَةٌ الا ويروي من شعر بشار ولا نائحة ولا مُغَنِّيَة الا وتتكسب بشعره ولا ذو شرف إلا وهو يهابه ويخاف لسانه ومن قوله يمدح أبا جعفر المنصور العباسي

سراج لعين المستضيء وتارة يكون ظلاما للعدو المزاحم
اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأيِ نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشوري عليك غضاضة فان الخوافي قُوَّةٌ للقوادم
وما خير كف أمسك الغُلُّ أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخَلِّ الهوَينا للضعيف ولا تكن نؤوما فان الحزم ليس بنائم
وحارب اذا لم تُعط الا ظلامة شبا الحربِ خير من قبول المظالم
وأدنِ على القُربى المقرَّبَ نفسه ولا تُشهِدَ الشُّورى امرأً غير كاتم
فانك لم تستطرِدِ الهم كامنا ولم تبلُغَ العُلْيا بغير المكارم
وما قارع الابطالَ مثلُ مشيَّعٍ أريبٍ ولا جلَّى العمى مثلُ عالم

فقيل له أبا معاذ إن الناس يعجبون من أبياتك فى المشورة فقال أن المُشاوِرَ بين صواب يفوز بثمرته أو خطأٍ يُشارِكُ فى مكروهه فقيل له وأنت فى هذا اشعر منك فى شعرك وحضر يوما عُقْبة بن سَلْم وعقبة بن رُؤْبة بن العَجَّاج الراجز ينشد أرجوزة فاستحسنها بشار فقال له رؤبة طِرازٌ لا تحسنه أنت يا أبا معاذ فغضب بشار وقال لمثلي يقال هذا والله لأنا أرجزُ منك ومن أبيك ومن جدك ثم غدا على عقبة بقصيدته التي أولها

يا طلل الحيِّ بذات الصمد بالله خَبِّرْ كيف كنتَ بعدى

يقول فى أبيات منها

قامت تراآى إذ رأتنى وحدى كالشمس تحت الزبرج المنقد

صدت بخد وجلت عن خد ... ثم انثنت كالنفس المرتد
عهدى بها سقيا له من عهد ... تخلف وعداً وتفى بوعد
فنحن من جهد الهوى فى جهد ... وزاهر من سبط وجعد
وافق حظا من سعى بجد ... ماضر أهل النوك ضعف الجد
الحر يلحى والعصا للعبد ... وليس للملحف غير الرد
والنصف يكفيك من التعدى ... وصاحب كالدمل الممد
حملته فى رقعة من جلدى ... أرقب منه مثل يوم الورد
حتى مضى غير فقيد الفقد ... وما درى ما رغبتى من زهدى

وهي طويلة اكتفينا منها بهذه الأبيات فانشدها لعقبة بن سلم وكان ابن رؤبة موجودا عنده فطرب عقبة منها وخرج ابن رؤبة عن المجلس بخزى وهرب من ليلته تلك فلم يعد اليه ومن مدحه فى عقبة أيضاً قوله

يا واحد العرب الذي ... أمسى وليس له نظير
لو كان مثلك آخر ... ما كان فى الدنيا فقير

ومن قوله فى الفخر وهو من الغلو

إذا ما غضبنا غضبة مضرية ... هتكنا حجاب الشمس أو قطر الدما
إذا ما أعرنا سيدا من قبيلة ... ذرى منبر صلى علينا وسلما

ومن قوله فى الحكم

خليلى ان المال ليس بنافع ... اذا لم ينل منه أخ وصديق
وكنت اذا ضاقت على محلة ... تيممت أخرى ما على تضيق
وما خاب بين الله والناس عامل ... له فى التقى أو فى المحامد سوق
وما ضاق فضل الله عن متعفف ... ولكن أخلاق الرجال تضيق

ومن قوله فى الغزل

حوراء ان نظرت اليـ ... ـك سقتك بالعينين خمرا
وكأن رجع حديثها ... قطع الرياض كسين زهرا
وكأن تحت لسانها ... هاروت ينفث فيه سحرا
وتخال ما جمعت عليـ ... ـه بنانها ذهبا وعطرا
وكأنهـا برد الشرا ... ب صفا ووافق منك فطرا

وقوله أيضا

قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم ... ما في التلاقي ولا في قبلة حرج
من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

سرق هذا المعنى سلم الخاسر فقال واجاد

من راقب الناس مات غما ... وفاز باللذة الجسور

وقوله أيضا

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة ... والأذن تعشق قبل العين احيانا
قالوا بمن لا ترى تهذى فقلت لهم ... الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

ومن قوله ايضا البيت السائر المشهور

هل تعلمين وراء الحب منزلة ... تدني اليك فان الحب اقصاني

وقوله وهو أغزل بيت قاله المولدون

انا والله اشتهي سحر عينـ ... ـيك واخشى مصارع العشاق

ولما مدح الخليفة المهدي العباسي بقوله من قصيدة

قلبي الهموم تنل بها نجحا ... والليـل ان وراءه صبحا
لا يؤيسنك من مخبأة ... قول تغلظه وان جرحا
عسر النساء الى مياسرة ... والصعب يمكن بعد ما جمحا

نهاه الخليفة عن الغزل فذلك حيث يقول

لن الخليفة قد أبى ‏ وانا أبى شيئاً ابيته
وغصب رخص البنا ‏ ن بكى على وما بكيته
بعثت الى تسومنى ‏ ثوب الشباب وقد طويته
وانا المطل على العدا ‏ واذا غلا الحمد اشتريته

الى أن قال

ويشوقني بيت الحبيـب اذا غدوت وابن بيته
حال الخليفـة دونه ‏ فصبرت عنه وما قليته

وقال ايضا يمدحه من قصيدة اخرى

وأخرجنى من وزر خمسين حجة ‏ فتى هاشمى يقشعر من الوزر
دفنت الهوى حياً فلست بزائر ‏ سليمى ولا صفراء ما قرقر القمرى
ومصفرة بالزعفران جلودها ‏ اذا جُليت مثل المقرطمة الصفرى
تركت لمهدى الانام وصالها ‏ وراعيت عهداً بيننا ليس بالختر
ولولا امير المؤمنين محمـد ‏ لقبلت فاها أو لـكان بها فطرى

فأما قوله فى الهجاء فلم نر ازوما التوسع فى نقله وانما نأتى له بقليل منـه اتماما للفائدة فمن أخبث هجائه قوله فى حماد عجرد وكانت بينهما أهاج فاحشة

اذا جئته العرف اغلق بابه ‏ فلم تلقـه الا وأنت كمين
فقل لابى يحيى متى تدرك العلى ‏ وفى كل معروف عليك يمين

ومن قوله يهجو العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس وانما اتينا به لجودته وحثه على بذل المعروف

ظل اليسار على العباس ممدود ‏ وقلبه ابدا بالبخـل معقـود
ان الـكريم ليخفى عنك عسرته ‏ حتى تراه غنيـا وهـو مجهود
والبخيـل على امواله علل ‏ زرق العيون عليها أوجه سـود

اذا تكرهت أن تعطي القليل ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود
أورق بخير ترجى للنوال فما تُرجَى الثمار اذا لم يورق العود
بث النوال ولا تمنعك قلته فكلّ ماسد فقرا فهو محمود

وكان يدين بالرجعة ويصوب رأى ابليس فى تفضيل النار على الطين بقوله

الارض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

ولهذه المناسبة نذكر ماقيل فى تعظيم الامم قديما النار قال الجاحظ كان الناس كافة والامم قاطبة مولعين بتعظيم النار حتى ضلّ كثير منهم لافراطهم فى عبادتها حتى جاء الاسلام فأبطلها وقد يجىء فى الاثر وفى سنَّةِ بعض الانبياء تعظيمُها على جهة التعبد والمحنة وعلى إيجاب الشكر على النعمة بها وفيها فيغلطُ كثيرٌ من الناس فيجوزون الحدّ ويزعم أهلُ الكتاب أن الله أوصاهم بها وقال لاتُطفِئوا النيران من بيوتى فلذلك لاتجد الكنائسَ والبِيَعَ وبيوتِ العبادات تخلو من نار أبداً ليلا ونهاراً حتى اتخذتْ للنيران البيوت والسدَنةُ ووقفوا عليها الغلاتِ الكثيرةَ وقد وقد ذهب زَرَادشْتُ إلى أن العقاب فى الآخرة انما هو بالبرد والزمهرير والدمَقِ (الثلج والريح) قال وكان العرب فى الجاهلية ثلاثُ عشرة ناراً وهي نار المزدلفة ونار الاستمطار ونار الحَلِف ونار الحرب ونار الحَرَّتَين ونار السَّعالي ونار الصَّيد ونار الأُسد ونار القِرَى ونار السليم (الملدوغ) ونار الفداء ونار الموسم وانما سموا احداها بنار الحلف لان منفعتها تخص الانسان لايشركه فيها أحدٌ من الحيوان انتهى فالظاهر أن بشاراً افتتن بها ففضلها على الطين وهذا ضلال منه ومن هجائه فى الخليفة المهدى العباسى قوله

خليفةٌ يزني بعماته يلعب بالدبوق والصَّولجان

الدبوق كتنور لُعبة معلومة هكذا فى القاموس قلت لعله السائل الغَرَوِيّ الذي يصاد به الطيور لأنه يلزق بارجلها وأجنحتها فيعيقها عن الطيران

أبدلنا الله به غيره ودسّ موسى في حِرِ الخيزُران

فكان هذا الهجاء سببا في هلاكه إذ سعى به أعداؤه الى يعقوب بن داؤد وزير المهدى وكان بشار قد هجاه أيضا بقوله

بنو أمية هبّوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داؤد
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا خليفة الله بين الزّق والعود

وهجا صالحا أخاه بقوله يخاطب يعقوب

هُمُوا حملوا فوق المنابر صالحا أخاك فضجّتْ من أخيك المنابر

فأخبر يعقوبُ الخليفة بما هجاه بشار به فانحدر من بغداد الى البصرة للنظر فى أمرها وماقصده غير بشار فلما بلغ البطيحة سمع أذانا فى ضحى النهار فقال انظروا ما هذا فاذا بشار سكران يؤذن فطلبه وقال له يازنديق ياماص بظر أمّه عجبا أن يكون هذا غيرك أتلهو بالاذان فى غير وقت صلاة وأنت سكران ثم دعا بابن نَهيكٍ وأمره بضربه فضربه بين يديه على صدر الحرّاقة (السفينة) سبعين سوطا أتلفه فيها فبان الموت فيه فأُلقِيَ فى سفينة ثم رُمِيَ به الى البطيحه فجاء بعض أهله فحملوه الى البصرة وقد مات فدفن بها وبعث الخليفة الى منزله من يفتشه وكان متهما بالزندقة فوجدوا طوماراً مكتوبا فيه بسم الله الرحمن الرحيم إنى أردت هجاء آل سليمان بن علي لبُخلهم فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسكت إجلالا له على أنى قلت

دينارُ آلِ سليمانٍ ودِرهمُهم كالبابليّينِ حُفّا بالعفاريت
لا يُبصِرانِ ولا يُرجى لقاؤهما كما سمعت بهاروت وماروت

فلما قرأه المهدي ندم على قتله وقال لاجزى الله ابنَ داؤد خيراً لفّق عندى شهوداً على أنه زنديق فقتلته وكان قتله فى سنة سبع وستين ومائة وقد نيّف على التسعين انتهى وقول ابن زيدون وسريت اليك لأحمد السُّرى بذلك السُّرى كالمهدى سَيَّرَ

ظلمة الليل كما أن التأويب سير ظلمة النهار وهذا مأخوذ من المثل (عند الصَّباح يَحمَدُ القومُ السُّرَى) يضرب للترغيب في سفر الليل قال المفضل الضّبي وأول من قاله خالد بن الوليد المخزومي رضى الله عنه لما بعث اليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو باليمامة أن سِر الى العراق فأراد سلوك المفازة فقال له رافع بن عُمَيرة الطائى قد سلكتها فى الجاهلية هى خِمسٌ للابل الواردة ولا أظنك تقدر عليها إلا أن تحمل الماء فاشترى مائة شارف فعطّشها ثم سقاها الماء حتى رَوِيَتْ ثم كتبها (ختم حياءها) وكم أفواهها ثم سلك المفازة من قُراقر وهى ماء لكلب الى سُوَى وهى ماء لبهراء بينهما خمس ليال حتى اذا مضى يومان وخاف العطش على الناس والخيل وخشى أن يذهب ما فى بطون الابل نحر الابل واستخرج ما فى بطونها من الماء فسقى الناس ومضى فلما كان فى الليلة الرابعة قال رافع انظروا هل ترَوْن سدرا عظاما فان رأيتموها والا فهو الهلاك فنظر الناس فرأوا السِّدْرَ فأخبروه فكبّر وكبّر الناس ثم هجموا على الماء فقال خالد

لله دَرُّ رافع أنّى اهتدي	فوّزَ من قُراقر الى سُوَي
خِمساً اذا سار به الجيش بكى	ما سارها من قبله إنس يُرى
عند الصباح يحمد القوم السُّرى	وتنجلى عنهم غيابات الكرى

وقيل أن قائل هذا الشعر خلافه ممن كان معه قال الميدانى وهذا مثل يضرب للرجل يتحمل المشقة رجاء الراحة ومعنى كلام ابن زيدون ما كان استئناسى بك إلاّ لارتفاقك بي وحنيني اليك الا لحنوّك علىّ ونومى لك لا لأمانى منك واحتمالى المشقة في خدمتك الا لحصولى على راحة تعقبها يريد أنه لم يتضرع اليه ويذلل يبسط أعذاره ويكلف طبعه ويُرهِفُ قلمَهُ الا استجلابا لرضاه وطلباً للعفو عنه

(المتن) وَانَّكَ إِنْ سَنَّيْتَ عَقْدَ أَمْرِى تَيَسَّرَ وَمَتى أَعذَرتَ فِي فكِّ أَسْرِى لَمْ يَتَعذَّرْ

الشرح سنيت بمعنى فتحت وسهلت تقول سانيت الرجل اذا داريته واحسنت معاشرته والعقد بالفتح ضد الحل ثم استعمل فى أنواع العقود والمبايعات لأنه يربط المتعاقدين . واليسر ضد العسر ومتى ظرف غير متمكن وهو استفهام عن زمان وهنا اسم شرط وجوابه قوله تيسر واعذرت واعتذرت بمعنى أى صرت ذا عذر فى فك أسرى ولم يتعسر عليك والأسر أصله الأخذ فى الحروب وعبّر به هنا عن السجن والعذاب اللاحقين به والفقرة الأولى من الجملة أخذها من قول بشار بن برد

فبالله ثق ان عزّ ما تبتغى وقل لذا الله سنى عقد أمر تيسرا

ومن قول الآخر

واعلم علما ليس بالظن أنه اذا الله سنى عقد أمر تيسرا

ولم أقف على اسم قائله ويحكي أن معاوية بن أبي سفيان كان قد ولّى رَوْح بن زنباع فعتب عليه فى جناية فكتب اليه بالتقدم فلما قدم أمر بضربه بالسياط فلما أقيم ليضرب قال ناشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تهدّ منى ركنا أنت بنيته أو تضع منى خسيسة أنت رفعتها أو تشمت بى عدوّا أنت وقمته واسألك بالله الا أتى حلمك وعفوك دون افساد صنائعك فقال معاوية (اذا الله سنّى عقد أمر تيسرا) خلوا سبيله وعلى ذلك يكون المثل قديما والفقرة الثانية أخذها من المثل (أعذر من أنذر) أى صار ذا عذر فيما يفعل بعد الانذار يضرب لمن يُحذّرُ أمرا يخافه سواء حذر أو لم يحذر وابن زيدون تصرف فيه بما ناسب المقام والمعنى لم أكلف مولاي شططا ولم أطلب اليه متعذرا وانما طلبت أمراً سهلا عنده اذا سهّله وميسورا اذا يسّره يريد أنه متى شاء أمرا نفّذهُ

(المتن) وَعِلْمُكَ مُحِيطٌ بِأَنَّ المَعْرُوفَ ثَمَرَةُ النِّعْمَةِ وَالشَّفَاعَةَ زَكَاةُ المُرُوءَةِ وَفَضْلَ الجَاهِ تَعُودُ بِهِ صَدَقَةٌ

وَإِذَا امْرُؤٌ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً ۞ مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ

الشرح الاحاطة بالشيء كالعلم به والمعروف بذل الخير والاحسان والنعمة خَفْضُ العيش ورفاهته والشفاعة المطالبة بوسيلة أو ذمام واسم الفاعل شفيع وفى قول الله تعالى (ومن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً) معناه من يزد عملا الى عمل ومنه الشُّفعة في الدار ونحوها لأن صاحبها يشفع فيما يطلب فيضمه الى ما عنده فيشفعه أى يزيده والزكاة من الذكاء وهو النماء والزيادة ومنه سمى القدر المخرج من المال زكاة لأنه سبب يرجي به الزيادة والمروءة آداب نفسانية تحمل مراعاتُها الانسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات والجاه القدر والمنزلة ومن كلام الحسن بن سهل وقد كتب لرجل كتاب شفاعة فجعل الرجل يشكره يا هذا عَلَامَ تشكرنا انا نرى الشفاعة زكاة مروءتنا وجاء فى المثل زكاة الجاه رِفْدُ المستعين والصنعة اصطناع المعروف وفى الحديث اصطناع المعروف يقى مصارع السوء والبيت الذى الذي استشهد به ابن زيدون أخذه من قول أبى تمام حبيب بن أوس فى الأبيات الآتية

ان الأمير دعاك فى أحواله ۞ فرآك أمزَعه غداة نِضاله
آسيته فى المكرمات ولم تزل ۞ ركنا لمن هو ممسك بحباله
فغدوت محبوبا الى همامه ۞ وغدوت مقليا الى عذاله
فتى النهوض بحق شكرك ان جنت ۞ بالغيب كفك لى ثمار نواله
فلقيتُ بين يديك حلو عطائه ۞ ولقيتَ بين يديه مرَّ سؤاله
واذا امرُؤٌ اهدى اليك صنيعة ۞ من جاهه فكأنها من ماله

يمدح بها اسحق بن رِبْعىّ كاتب أبى دُلَف المشهور والمعنى انك تعلم علما تاماً بأن ثمرة النعمة البذ والاحسان وزكاة المروءة حفظ الذمام ومضاعفة الحسنات وزينة الجاه بذل المعروف واغاثة الملهوف يريد انك لا تجهل نتيجة الأفعال المحمودة

والفضائل المأثورة وأتى ببيت الشعر توكيدا لذلك وحاصله أن إهداء الصنيعة (ولو من غير المال كالوساطة فى نوال خير أو دفع ضر) كاهداء المال انتهى

(المتن) لَعَلِّى أُلْقِى العَصَا بِذَرَاكَ وَتَسْتَقِرُّ بِيَ النَّوَى فِى ظِلِّكَ وَأَسْتَأْنِفُ التَّأَدُّبَ بِأَدَبِكَ . وَالإِحْتِمَالَ عَلَى مَذْهَبِكَ

الشرح لعل من حروف الترجى وقد تكون للتمني أى ليتنى ألقى العصا بذراك وإلقاء العصا كناية عن الاقامة بالمكان والاطمئنان اليه يقال ألقى زيدٌ العصا اذا أقام بالمكان الواحد والذرى بفتح الذال ما يُسْتَكَنُّ به أو كلُّ ساتر يستتر به ويطلق على الظل ايضا والاستقرار الثبات والنوى الوجهة التى يقصدها المسافر أى ينوى الوصول اليها وهذا المعنى حل بيت من شعر المُعَقَّرِ البارقى من قصيدة مطلعها

امن آل شعثاء الحمول البواكر ... مع الليل إن زالت قبيل الأعاصر

يقول فيها أبيات

فألقت عصاها واستقربها النوي ... كما قر عينا بالإياب المسافر
وصبحها أملاكها بكتيبة ... عليها اذا امست من الله ناظر
معاوية بن الجون ذبيان حوله ... وحسان فى جمع الركاب مكاثر
فمروا باطناب البيوت فردهم ... رجال باطراف الرماح مساعر
وقد جمعوا جمعا كأن زُهاءه ... جراد هوي فى هبوة متطاير
صبحناهم عند الشروق كتائبا ... كأركان سلمى شبرها متواتر
كأن نعام الدو باض عليهم ... واعينهم تحت الحبيك جواحر
من الضاربين الكبش يمشون مقدما ... اذا غص بالريق القليل الحناجر

الى أن قال

ولم ينج الا من يكون بطمرة ... بوائل أو نهد مُلِحٌّ مشابر
يفرج عنا كل ثغر نخافه ... مسح كسرحان القصيبة ضامر

وكل طموح فى العنان كأنها   اذا اغتمست فى الماء فتخاء كاسر

ذكر المعقر البارقى وبعض اخباره

هو سفيان بن اوس بن حماد وقيل بن حمار وسمى معقرا لقوله في القصيدة المذكورة آنفا

لها ناهض فى المهد قد نهدت له   كما نهدت للبعل حسناء عاقر

وانما خص الحسناء العاقر بالذكر لأنها تتحبب الى زوجها أكثر من الولود وقد ذكر صاحب الاغانى ان هذه القصيدة قالها يوم جَبلَة من أيام العرب قبل الاسلام بنحو تسع وخمسين سنة وقيل بل فى السنة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت اذاً تكون الوقعة فى عام الفيل أي سنة ٥٧٠ ميلادية وجبلة هذه هضبة حمراء بين ماءين لبنى نمير وبنى كلاب ولها شعب عظيم متسع فى داخلها وكانت هذه الوقعة من اعظم أيام العرب انتصر فيها بنو عامر وحلفاؤهم على بني تميم وحلفائهم وفيها قتل لقيط بن زرارة التميمى واسر حاجب اخوه وبسط حكايتها طويل ليس من غرض الكتاب ذكرها وكان المعقر البارقى يومئذ شيخا كبيرا اعمى تقود جمله ابنة له خلف القوم وتقول له هؤلاء بنو فلان هذا ما وقفت عليه من اخباره ولم أقف على تاريخ وفاته وحاصل المعنى الذى أراده ابن زيدون رجائى ومنائى الاقامة بفنائك واستئناف التأدب بأدبك وحمل نفسى على سلوكها طريقتك فاذا حصلت على ذلك كنت الوفى بالطاعة لك والانقياد لمرادك

(المتن) فَلَا أُوجِدُ لِلْحَاسِدِ مَجَالَ لَحْظَةٍ وَلَا أَدَعُ لِلْقَادِحِ مَسَاغَ لَفْظَةٍ وَاللهُ مُيَسِّرُكَ مِنَ اطِّلَابِي بِهَذِهِ الطَّلِبَةِ وَإِشْكَائِي مِنْ هَذِهِ الشَّكْوَى بِصَنِيعَةٍ تُصِيبُ مِنْهَا مَكَانَ الْمَصْنَعِ وَتَسْتَوْدِعُهَا أَحْفَظَ مُسْتَوْدَعٍ حَسْبَمَا أَنْتَ خَلِيقٌ لَهُ وَأَنَا مِنْكَ حَرِيٌّ بِهِ وَذَلِكَ بِيَدِهِ وَهَيِّنٌ عَلَيْهِ

(الشرح) لا أوجد من الايجاد والحاسد معلوم والمجال اسم للمكان الذى يجول فيه الجائل تقول جال الفرس فى الميدان وجال الرجل فى الحرب اذا قطعا نواحيهما واللحظة النظرة بالعين ولا ادع لا أترك والقادح الطاعن فى غيره بذم أو نحوه والمساغ اسم لما يساغ أي يسهل مدخله فى الحلق يقال ساغ الشراب سوغا ومساغا باسم المصدر والطلاب والطلبة من الطلب واشكائى من الشكوى أى سماع شكيتي والصنيعة المعروف قال الشاعر

ان الصنيعة لا تكون صنيعة   حتى تصيب بها مكان المصنع

اراد فعال الخير وتستودعها تحفظها وحسبا أى عدد ما وما موصولة وصلتها قوله انت خليق له والخليق الجدير بالشيء والحرى الحقيق به ومنه بالحرى يكون ذاك وانه لَحَرِىٌّ وحراً وحرٍ بالفتح والكسر والمعنى اذا حصلت على مارجوته وأملته فلا جرم لايجد الحاسد فى مجال حسده لحظة يحسدنى فيها ولا القادح فى مساغ قدحه لفظة يتقول على بها والله مسهل لك اجابة طلبتى وازالة شكيتى حسبما أنت جدير به من المعروف وانا احق به من غيري واولى وكلما رجوته سهل عليك فسهله هين عليك نفاذه

(المتن) وَلَمَّا تَوَالَتْ غُرَرُ هَذَا النَّثْرِ وَاتَّسَقَتْ دُرَرُهُ فَهَزَّ عِطْفَ غُلَوَائِهِ وَجَرَّ ذَيلَ خُيَلَائِهِ عَارَضَهُ النَّظْمُ مُبَاهِياً بَلْ كَايَدَهُ مُدَاهِياً حِينَ أَشْفَقَ مِنْ أَنْ يَعْطِفَكَ اسْتِعْطَافُهُ وَيَمِيلَ بِنَفْسِكَ أَلْطَافُهُ فَاسْتَحْسَنَ الْعَائِدَةَ مِنْهُ وَاعْتَدَّ بِالْفَائِدَةِ لَهُ وَمَا زَالَ يَسْتَكِدُّ الذِّهْنَ الْعَلِيلَ وَالْخَاطِرَ الْكَلِيلَ حَتَّى زَفَّ إِلَيْكَ مِنْهُ عَرُوساً مَجْلُوَّةً فِي أَثْوَابِهَا مَنْصُوصَةً بِحُلِيِّهَا وَحُلَاهَا

(الشرح) لَمَّا ظرف يقع لوقوع فعل سابق وهى بمعنى حين وتوالت تتابعت والغرر جمع غُرَّة وهى من كل شيء أحسنه واتسقت انتظمت والدرر الجواهر والمراد به الكلام البديع مجازا وَهَزَّ عطفه بكسر العين مال بجانبه تيها والغلواء

من الغلو أي تجاوز الحد وَجَرُّ الذَّيْلِ سحبه يطلق في الاصل على طرف الثوب مما يلي الارض وان لم يمسها فاستعاره النثر مجازا والخيلاء من الخَيْلَةِ والخِيلَةَ بفتح الخاء وكسرها وهو الكِبْرُ وعجب النفس وعارضه جوابُ لما أى تعرض له في طريقه ليعوقه ويتقدم عليه والنظم الكلام المقفى الموزون كما أن النثر الكلام المفرق من قولك نثرت العقد أي فرقت نظمه والاسم النثر ومباهيا من البهاء وهو الحسن وبل حرف إضراب للخروج من قصة الى قصة من غير ابطال الاولى ومكايدا من الكيد وهو الخدع ومداهياً من الدهاء وهو النُّكر وجودة الرأى والحينُ الوقت طال أو قصر والاشفاق الخوف والعطف بفتح العين الميل الى الشيء كالأنعطاف والألطاف جمع لطف أى البر والرفق ومنه قيل للهدايا ألطاف والعائدة المنفعة واعتد احتسب ويستكد من الكد وهو الطلب بشدة والذهن الفهم والعليل المريض والخاطر حديث النفس والكليل من الكلال وهو التعب والمراد بالذهن العليل والخاطر الكليل الفكر المشغول مجازا وزف اليك أهدى مأخوذ من زفاف العروس الى زوجها والمراد به النظم مجازا تشبيها له بالعروس وهي كلمة يستوى فيها المذكر والمؤنث ومجلوّة من الجلاء والجلوة وأصل الجلاء الوضوح فاستعمل للزينة مجازا ومنصوصة أى قاعدة على كرسي زينتها والحُلى المصوغ والملاب الطيب وقيل الزعفران يقول ولما تتابعت بدائع نثرى في مديحك وانتظمت قلائد الدرر منه فشنف الآذان وملأ الأذهان حتى شمخ بانفه واستطال بقدمه اعجابا بنفسه عارضه النظم مباهيا بحسنه ليعوقه عن طريقه بل ليخدعه ويتقدم عليه بدهائه وجودة رأيه حين خاف من أن يعطفك عطفه ويستميلك ميله بما أهداه اليك من براعة القول واحكام المعنى فاستحسن أن يأتى منه بالاحكم المعجب واحتسب الفائده له فيما جارى النثر فيه ومازال يطلب بقسوة ويكلف بشدة عقلى المريض وهو لجبي المضطرب حتى أهدي اليك من بنات فكرى عروسا مزينة بأثوابها

فالمغنة على كرسيها بحليها وطيبها وأولد بها قصيدته الآتية بعد وقد أتى في هذه الجملة من حيل الكلام الجالب للاستعطاف وتليين القلب واهتزازه طوعا أو كرها ما أضل الافهام فى تيه معانيه وتقف حيرى فى أودية رقته ودقة مبانيه قال الشيخ حمزة فتح الله نقلا عن الصلاح الصفدى أن هذا الكلام يسميه البديعيون الاسجال بعد المغالطه لأنه غالط ابن جمهور بما خدعه من الكلام المتقدم ثم أسجل عليه بعد ذلك أن هذا الذى قصدته . عطفك وأمال نفسك فأشفق النظم منه فبرز يكايده ويساعده الى اخره قلت وعندى أن هذا الكلام ينطبق على معنى التسهيم أو المساهمة وهو قسم من أقسام البديع وتعريفه أن يتقدم من الكلام مايدل على ما تأخر تارة بالمعنى وتارة بالفظ مأخوذ من الثوب المسهم أي المخطط الذى يدل أحد سهامه على الآخر الذى قبله لكون لونه يقتضى أن يليه لون مخصوص لمجاورته اللون الذى قبله ومن أمثلته قول أخت عمرو ذى الكلب

فأقسم ياعمرو لو نبهاك   إذاً نبها منك داءا عضالا
اذاً نبها ليثَ عريسة   مفيتاً مفيداً نفوسا ومالا

فتشبيهها أخاها بالداء العضال وبليث العريسة مدح له وانما الداء العضال أمدح لعدم إمكان مغالبته والتوقى منه بخلاف ليث العريسة فان التوقى منه ممكن وعلى ذلك يكون الوصف الأول قد بزّ الثانى كما يريد ابن زيدون أن الشعر ناضل النثر فغلبه ولا تنس المقصود بهذا البيان أنه المساهمة وهو مشاطرة النثر والنظم المديح والله أعلم والمعنى أقدم لك شفاعتى وأشفعها بذراعتى نثرا ونظما فلا تهمل أمري ولا تخيب أملى ثم بدأ بالنظم فقال

(من بحر الخفيف)

الهوى فى طلوع تلك النجوم   والمنى فى هبوب ذاك النسيم
سرنا عيشنا الرقيق الحواشي   لو يدوم السرور للمستديم .

الهوى مقصور ميل النفس وحب الشيء وطلوع النجوم ظهورها وسمى النجم نجما لطلوعه ومنه يقال نَجَمَ السن اذا طلع والمى من النمى وهبوب النسيم ثوران الريح اللينة والرقيق من الرقة والحواشي جمع حاشية وهو جانب الشيء يقال ثوب رقيق الحواشي أى الجوانب وأتى الأمير بحاشيته أى بجماعته الملتفين حوله وكنى بطلوع النجوم وهبوب النسيم عن صفاء الوقت واعتدال هوائه لان النجوم إنما تظهر ساطعة لألاءة فى ليالى الصحو والنسيم يهب عليلا في الايام المعتدلة بين الحر والبرد فينعش الفؤاد ويروّح النفس (والمعنى) هوى نفسي ومناها فى زمن صفا جوه واعتدل هواؤه فسرني فيه طيب العيش ونعومته فلو كان سرور يدوم لأحد لدام لى

وطرٌ ما انقضى الى أن تقضى زمن ماذمامه بالذميم

إذ ختام الرضا المسوغ مسك وَمِزَاجُ الوصال من تسنيم

الوطر حاجة النفس لمهم تطلبه فاذا بلغته قيل قضت وطراً وانقضى وتقضي بمعني أي انتهى والذمام العهد والذميم المذموم وختام الرضا آخره والمسوغ المسهل والمزاج الخلط والتسنيم أصله ضد التسطيح وفسّرَ بأنه ماء فى الجنة يجرى فوق غرف القصور على التشبيه من قول الله تعالى (ومزاجه من تسنيم) يقول لم أقض وطرى الى أن انقضي عهد ذلك الزمن حين كان رضا المحبوب سهلا ميسرا أتمتع فيه بالاختلاط معه وأحظى بوصاله (والمعنى) أتأسف على زمن انتهى قبل أن ينتهى وطرى من المحبوب وقد جرت عادة الشعراء أن يفتتحوا قصائدهم بالغزل ثم يتخلصون منه الى المدح وفي قوله انقضى وتقضى جناس الاشتقاق وفى ذمامه وذميم جناس شبه الاشتقاق

وغريض الدلال غَض جنى الصبـوة نشوان من سلاف النعيم

طالما نافر الهوى منه غِرٌّ لم يطُلْ عهدُ جيده بالتميم

الغريض الطّرىُّ والدلال من الدَّل وأصله ماتفعله المرأة مع زوجها جراءة عليه

كأنها تخالفه وما بها خلاف والغض الناضر والجنى أصله ما يجتنى من الثمار فى إبان نضجها واستعاره للطراءة والنافر المذعور وبه توصف الظباء لانها تنفر من الصائد والغر الحدث أى الصغير السن والتميم والتمائم جمع تميمة وهى عوذة تعلق للصبي لتقيه شر العين يصف سروره الماضي بمضي ذلك الزمن حيث محبوبه كثير الدّل جميل الطلعة حلو الجنى وكأنه لدلاله الظبي النافر ويكاد لصغر سنه لم تمط عنه التمائم

(زار مستخفيا وهيهات أن يخفى سنى البدر فى الظلام البهيم

فوشي الحلىُ اذ مشى وهفا الطيبُ الى حس كاشح بالنسيم

هيهات كلمة تبعيد وسنى البدر ضوءه والظلام البهيم خاصٌ بالليل دون سواه ووشى من الوشاية أى نم واستعاره لصوت الحلى أى وسوسته والكاشح العاذل وهفا أى ذهب فى الهواء طيبه وهذا المعنى كقول الشاعر

ثلاثة منعتها من زيارتنا خوف الرقيب وعين الحاسد الحنق

ضوء الجبين ووسواسُ الحلىّ وما حوت معاطفها من عنبر العرق

هب الجبين بفضل الكمّ تستره والحلى تنزعه ماحيلة العرق

(والمعنى) زارني الحبيب ليلا خوفا من أعين الرقباء ولما كان شبيها بالبدر وهو القمر الممتلىء فى سطوع ضوئه لم يخف عن العيون شخصه فنمّ عليه وسواسُ الحُلِيّ وهفا نسيمُ عرقه الطّيب فحسٌ به العذول

(أيها المؤذنى بظلم الليالى ليس يومى بواحد من ظلوم)

(قمر الأفق ان تأملت والشمـ ـس هما يكسفان دون النجوم)

عدل عن وصف المحبوب الى خطاب العاذل والمؤذن من الايذان وهو الاعلام والظلوم الظالم فعول بمعنى فاعل وقوله ليس يومى بواحد من ظلوم مثل من أمثال المولدين ذكره الميدانى فى مجمع الامثال فى حرف اللام اى ليس يومى واحدا فى الظلم بل كل أيامى ظالمة لى وقد كرر هذا المعنى فى حرف الميم بقوله مايومى منك

بواحد اى ليس الظلم علىّ من جهة واحدة والأفق الناحية بين السماء والارض والكسوف يشمل القمر والشمس ولكن ارباب المعانى ميزوا بينهما بين الخسوف بأن الأول ذهاب الكل والثانى ذهاب البعض والاجود ان يقال خَسَفَ القمر وكسفت الشمس (والمعنى) أيها العاذل الذى انذرنى بظلم الليالى ليس ظلمى من يوم واحد بل كل أيامي ظالمة لى ولى أسوة بالقمر والشمس اللذين بنيران الافق فانهما يكسفان دون سائر الكواكب أراد أن الظلم كثير وهو بكبار الرجال اكثر كما أن الكسوف خاص بهذين الكوكبين النيرين دون الكواكب الاخرى ويعجبنى فى هذا المعنى قول الأمير شمس المعالى قابوس بن أبى طاهر صاحب جرجان لما خلع عن الملك وعاداه الدهر

قل للذي بصروف الدهر عيّرنا   هل حارب الدّهرَ إلا من له خطر

أما ترى البحر تعلو فوقه جيفٌ   وتستقر بأقصى قعره الدرر

فان تكن عبثت ايدي الزمان بنا   ومَسَّنا من تمادى بؤسه ضرر

ففى السماء نجوم لاعداد لها   وليس يكسف الا الشمس والقمر

وهذا من أحسن مايقال فى تصريف الأيام

(وهو الدهر ليس ينفك ينحو   بالمصاب العظيم نحو العظيم)

الدهر يطلق على معان شتّى كالامد المحدود ومدة عمر الدنيا والزمان الطويل وهو المراد هنا وليس ينفك اى ليس ينقطع من قولهم فككتُ الشىء اذا ابنتُه عن بعضه والنحو القصد والجهة والطريق والمراد الاول ومنه سموا اعراب كلام العرب نحوا لأن المتكلم ينحو به منهاج كلامهم افرادا وتركيبا والمصاب من المصيبة وهى النازلة القبيحة والعظيم الأول نعت لمصاب والثانى اسم للرجل الرفيع القدر (والمعنى وهذا الزمن من عادته أنه يقصد بمصابه العظيم عظام الرجال

(بوّأ الله جهورا اشرف السو   دد فى السرو واللباب الصميم)

(واحد سلم الجميع له الأمـ ـر فكان الخصوص وفق العموم)
(قلد الغمر ذا التجارب فيه واكتفى جاهل بعلم العليم)
(خطر يقتضي الكمال بنوعي خلق بارع وخلق وسيم)

بوأ اي أنزل من المباءة وهي منزل القوم في كل موضع ومنه يقال لكناس الثور الوحشي مباءة وجهور ممدوحه واسمه ابو الوليد محمد بن جهور بن محمد بن جهور ابن عبد الله بن محمد الغمر بن يحيى بن أبي المغافر بن عبيدة الكلبي وأبوه رئيس الجماعة بقرطبة وهو الذي استولى على قرطبة حينما خلع الجند آخر خليفة من بني أمية بالاندلس فكان من ملوك الطوائف ولما مات خلفه هذا الممدوح والسرو السخاء والقماقم جمع لبيهم وهو قلب الشيء وخالصه والصميم مثله ويوصف به الرجل الشجاع وسيد القوم وبهذا البيت الاول تخلص من الغزل بالمحبوب وشكوى الزمن والمنول الى المدح ولكنه اقتضبه اقتضابا وكان يجب أن يكون تخلصه احسن من هذا (وقد وصف نظمه بعروس مجلوة في أثوابها منصوصة بحليها وملابها) كتخلص ابي تمام في قوله

مازلت عن سنن الوداد ولا غدت نفسي على إلف سواك تحوم
لا والذي هو عالم ان النوى مر وان أبا الحسين كريم

وأحسن منه تخلص أبي عبادة البحتري في قوله في وصف البركة

تغنى بساتينها القصوى برؤيتها عن السحائب منحلا عزاليها
كأنها حين جلت في تدفقها يد الخليفة لما سال واديها

وكقول أبي الطيب المتنبي

ومطالب فيها الهلاك أتيتها ثبت الجنان كأنني لم آتها
أقبلتها غرر الجياد كأنما أيدي بني عمران في جبهاتها

وقوله واحد سلم الجميع له الامر اي ملك منفرد ألقت الناس زمام امورهم اليه

وعنى بالخصوص وفق العموم تساوي الخاص والعام فى تسليم الامور اليه والنفر بالفتح والسكون جماعة الناس والخطر الشرف والخُلق البارع السجية الفائقة والخَلق الوسيم الصورة الجميلة (والمعنى) انزل الله ابن جهور اعظم منازل الشرف فى السخاء والمروءة والعز الكامل تفرد بالسلطان فسلم الخاص والعام بل الجماعة كلهم قيادهم اليه حين وجدوا فى شخصه ملكا عالما بتدبير سياستهم فكان عالمهم كالجاهل بالقياس اليه مع ماتحلى به من حسن الخلال خلُقا وَخِلقةً وفى قوله الواحد والجميع والخصوص والعموم والجاهل والعليم المقابلة بالاضداد

(اسوة الروض من بطيبك يحظى نظرى ماعتدته وشميمى)

أي ان مليكه مثال روضة تفتحت ازهارها وعبق فى الجو شذاها تحظى برآها نظرى وبطيب شذاها شميمه (والمعنى) ان مولاه طيب النفس كريم المحتد وسيم الطلعة

(أيهذا الوزير ها انا أشكو والعصا بعد قرعها للحليم)

لما فرغ من المدح التفت الى العتاب مشيرا ومخاطبا مولاه بلفظة الوزير وهو اللقبُ الصحيح لملوك الطوائف وانما رفعه الى منازل الملوك فيما تقدم زيادة التعظيم والتفخيم والحليم أحد حكام العرب فى الجاهلية واسمه ذوالحلم واراد به مافى قول الحرث بن وعلة اليشكري

أقتلت سيدنا بلاترة إلا لتوهن قوة العظم
ووطأتنا وطأ على جنف وطأ المقيد نابت الهَرْمِ
وزعمت انا لاحلوم لنا إن العصا قرعت لذى الحلم

ذكر ذلك ابن نباتة السعدى فى شرح الرسالة الهزليه وذكر الميدانى فى مجمع الامثال للمتلمس

لذى الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا وما علم الانسان الا ليعلما

وقد ذهب قرع العصا مثلا يضرب لمن اذا نُبهَهُ انتبه قال الميداني واول من

قرعت له العصا عمرو بن مالك بن ضُبَيْعَةَ قرعها له اخوه سعد بحضرة النعمان ابن المنذر مشيرا اليه ان يقول قولا فيه نجاته وكان النعمان قد آلى إن هو اختلف قتله وحكايتها طويلة هذا مختصرها وفى ذلك يقول سعد

قرعت العصا حتى تبين صاحبي ... ولم تك لولا ذاك فى القوم تقرع

فقال رأيت الارض ليس بممحل ... ولا سارح فيها على الرعي يشبع

سواء فلا جدب فيعرف جدبها ... ولا صابها غيث غزير فتمرع

فنجى بها حوباء نفس كريمة ... وقد كان لولا ذاك فيهم تقطع

واختلفو فى ذي الحلم فبعضهم يقول هو عامر بن الظرب العدوانى وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهما ولا بحكمه حكما فلما طعن فى السن انكر من عقله شيئاً فقال لبنيه انى كبرت سنى وعرض لى سهو فاذا رأيتمونى خرجت من كلامى واخذت فى غيره فاقرعوا لى المجن بالعصا وقيل كانت له جارية يقال لها سُخَيْلَةَ فقال لها اذا انا خولطت فاقرعى لى العصا فأتى اليه بخنثى ليحكم فيه فلم يدر ما الحكم فجعل ينحر لهم ويطعمهم ويدافعهم بالقضاء فقالت سخيلة مالك قد اتلفت مالك فخبرها انه لا يدرى ما حكم الخنثى فقالت له اتبعه مباله قال الشعبي فحدثنى بها ابن عباس فلما جاء الاسلام صارت سنة وتزعم ربيعة انه قيس بن خالد ذى الجدين وتقول تميم بل هو ربيعة بن مخاشن واليمن تقول هو عمرو بن حَمَمَةَ الدَّوْسى والله اعلم (والمعنى) اشكو اليك شدة الحال وسوء النكال لتعدل فى حكمك على فقد قرعت العصا قبلك لذى الحلم فانتبه

(المتن) ماعَنَانَا نأْنَ يأْنَفَ السَّابِقُ المَرْ * بِطَ مِنْهُ فِى العِتْقِ وَالتَّطْهِيمِ

وَثَوَاءُ الحُسامِ فِى الجَفْنِ يَثْنِى * مِنْهُ بَعْدَ المَضاءِ وَالتَّصْمِيمِ

أَفَصَبْرٌ مُثَنَّى خَمْسٍ مِنَ الأَيَّا * مِ نَاهِيكَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمِ

الشرح ماعنانا أي ما اهمنا والانفة الاباء والسابق من الخيل ما احرز الرهان

فى السبق والمربط اسم الموضع الذى يربط فيه والعتق والتطهيم من صفتى الفرس الكريم يقال فرس عاتق اذا سبق الخيل وفرس مطهم اذا كان حسن الخلقة تام الجمال وقد ذكروا ان الفرس الكريم اذا شُكِّلَ بالشكال صهل شوقا الى الحركة قال المتنبي

وان تكن محكمات الشكل تمنعني   ظهور جرْيٍ فلي فيهن تصهال

والثواء الاقامة بالمكان واستعاره للحسام مجازا ويثني منه أي يصرفه عن عمله الذى خلق له لأن بقاءه في جفنه أي غمده حَبْسٌ له كالفرس المربوط وقوله فى المضاء والتصميم أى فى القطع يقال له سيف مصمم وسيف ماض أى قاطع ضرب مثلا لنفسه وهو فى السجن بالفرس الكريم المربوط والسيف القاطع المغمد وكلاهما معطل عما خلق له وقوله تاهيك كلمة تعجب واستعظام للشيء أى ما أشده من عذاب أليم (والمعنى) ما أهنى السجن لذاته وان كانت نفس الحر تأباه وتعافه وانما اهنى طول البقاء فيه فكيف الصبر عليه خمسمائة يوم معذبا مهانا وأى عذاب مثله

(ومُنِّيَ من الضنى بِهَنَاتٍ   نكأَت بالكلوم قرح الكلوم)

المنى المتعب والضنى المرض الثقيل والهنات جمعها هنوات وهى الداهية وعبَّر بها عن المصيبة التى حلت به ونكأَت أى قشرت وفى المثل نكءُ القَرح بالقرح أوجع قال مسعود بن عقبة

ولم ينسني أوفَى المصيبات بعده   ولكن نكءَ القَرْح بالقرح أوجع

أوفى اسم لهشام أخي ذى الرمة الشاعر قالوا أن الجرح اذا جلَبَ أى علته قشرة رقيقة عند البُرْء ثم صدمها صادم فقشرها كان ذلك أشد ايجاعا (والمعنى) واصبحت متعبا بشر حال من المرض الثقيل كالجريح الذي نكيء قَرحه فاشتد أَلمهُ

(سقم لا أعاد منه وفي العا   ئد أنس يفي ببرْءِ السقيم)

(نادبغي سعى الى جنة الأنس لظلها فأصبحت كالصريم)

سقم تفسير أو توكيد الضنى فى البيت السابق لهذا ولا أعاد بالبناء المجهول أى لا أزار وقوله وفى العائد أنس يعنى يبرء السقيم أى أن فى الزيارة له ازالة الوحشة بما يكاد يقوم مقام الشفاء والبغى الظلم والظلي لهيب النار وقد استعار النار للبغى والجنة للأنس مجازاً وقوله فأصبحت كالصريم لفظ القرآن الكريم قال الله تعالى (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم) قال المفسرون كان رجلا باليمن كانت له جنة يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقى وكان يترك للمساكين ما أخطأه المنجل من الزرع والتفاف من العنب والنخل وما بقى على البساط الذى يبسط تحت النخل فلما مات شح بنوه على المساكين بما كان يتركه أبوهم وحلفوا على قطعها فى الغلس كيلا يعرف بهم الفقراء فأصابتها نار فى الليل فاحترقت واصبحت كالصريم أى سوداء كالليل المظلم (والمعنى) وذلك الضنى سقم نزل بى لا يعودنى فى السجن عائد يخفف عنى من آلامه وظلم لحقنى من أهل البغي والعدوان أبدل من نعمتى بؤسا ومن أنسى وحشة وفى قوله سقم وسقيم رد العجز على الصدر

(بأبى أنت ان تشأ تك بردا وسلاما على كنار ابراهيم)

الضمير للنار أى أفديك بأبى ان أردت خيرا بى كانت هذه النار بردا وسلاما علىّ كنار ابراهيم خليل الرحمن التى القاه فيها نمروذ فنجاه الله (والمعنى) ان شئت خلاصى من السجن سلمتُ من الهلاك

(للشفيع الثناء والحمد فى صو ب الحيا للرياح لا للغيوم)

الثناء وصف بمدح أو ذم وقيل خاص بالمدح وهو المراد هنا والحمد الشكر وصوب الحيا وقع المطر وقوله للرياح لا للغيوم أى أن الحمد فى نزول المطر للرياح لا للسحب وهى الغيوم لانها تسوق السحاب فتخرجه ثم تنشره وتبسطه فى السماء فيسيل ماؤها

قال الله تعالى (وهو الذى يرسل الرياح بُشْرا (وقرىء نُشُرًا) بين يدى رحمته حتى اذا أقلّتْ سحابا ثقالا سقْناهُ الى بلدٍ ميّتٍ فأنزلْنا به الماء) فمن ذلك كان الفضل فى نزول المطر للرياح لا للغيوم (والمعنى) الثناء لشافعى عندك استحقه منى كما استحق الرياحُ المدحَ فى نزول الغيث وأراد بالشافع مولاه

(وزعيم بان ينيل لى الصعـ ـب مثابى الى الهمام الزعيم)

الزعيم الأول الكفيل وهو خبر مقدم ومثابى أى رجوعى مبتدأ . مؤخر والزعيم الثانى سيد القوم (والمعنى) ورجوعى الى باب مولاي الزعيم زعيم بان يمهد لى صعاب الامور فا كون عنـد ظنه بى وفى زعيم وزعيم الجناس التام ورد العجز على الصدر

(وثناء أرسلته سلوة الظا عن عن شوقه ولهو المقيم)
(وودادٍ يغيّر الدهر ما شا ء ويبقى بقاء عهد الكريم)
(فهو ريحانة الجليس ولا غرْ وَ وفيه مزاج كأس النديم)

الظاعن المسافر تقول ظعن فلان اذا سار (والمعني) وهذا ثناء أرسلته اليك يُنْسِى المسافر شوقَهُ لأهله ويروّحُ قلب المقيم أنسه لطلاوته وحسنه وحب صادق يغير الدهر ماشاء ولا يغيره بل يبقى بقاء وفاء الكريم بعهده فهو كالريحان فى مجلس أنسك والمزاج فى كأس نديمك

لم يزل مغضيا على هفوة الجا نى مصيخا الى اعتذار المليم
ومتى تبـدإ الصنيعة يولـك تمام الخصـال بالتتميم

الاغضاء خفض الطرف والمراد به تناسى الذنب والهفوة الزلّة والمصيخ المستمع والمليم من يلام وهو مذنب بخلاف الملوم فانه الملام ولا ذنب له وانما قال المليم ولم يقل الملوم اعترافا منه بالذنب جدلا ويوليك يعطيك والتتميم التكميل قال البحترى

ومثلك ان أبدى الفعال أعاده وان صنع المعروف زاد وتمّما

(والمعنى) لم يزل مولاى موفقا مسددا يتناسى بحلمه المعهود زلة الجانى ويقابلها بالصفح والستر سامعا اعتذار المذنب المعترف بذنبه ومتى بدأ فى عمل الخير أغرته خصاله الشريفة على اتمامه أحسن تتميم انتهت القصيدة ثم قال

(المتن) هَــكَهَا أَعَزَّكَ اللهُ يَبْسُطُهَا الأَمَلُ وَيَقْبِضُهَا الخَجَلُ لَهَا ذَنْبُ التَّقْصِيرِ وَحُرْمَةُ الإِخْلَاصِ فَهَبْ ذَنْباً لِحُرْمَةٍ وَاشْفَعْ نِعْمَةً بِنِعْمَةٍ لِيَتَأَتَّى لَكَ الإِحْسَانُ مِنْ جِهَاتِهِ وَيَسْلُكُ إِلَى الفَضْلِ مِنْ طُرُقَاتِهِ

الشرح ها كها أى خذها اليك والضمير للقصيدة واعزك الله جملة معترضة دعائية ويبسطها ينشرها والامل الرجاء والقبض ضد البسط والحرمة من الاحترام والاخلاص ترك الرياء واشفع أى زد نعمة الى نعمة ويتأتى لك أي يتهيأ والاحسان ضد السيئات أو فعل الخير وجهاته نواحيه ويسلك يدخل والطرقات مؤنثة جمع طريق وحاصل المعنى خذها اليك قصيدةً غراء تمدها يدُ الأمل فيك ويثنيها عامل الحياء منك حوت ذنب العجز عن استقصاء محامدك والتزمت الاخلاص فى صدق خدمتك فهب ذنب تقصيرها لحرمة اخلاصها وزد نعمتك السابقة بنعمة العفو اللاحق ليتهيأ لك الاحسان من نواحيه ويدخل بك الفضل من طرقاته يريد تقبل منى ما بسطته من اعتذارى وتنقلى جاهدا فى سبيل رضاك طامعا فى عفوك وبرك ومثله في حسن الاعتذار للجاحظ قوله فان كنت لا تهب عقابى لحرمتى فهبه لأياديك عندى فان النعمة تشفع فى النعمة وفى رواية فان النعمة تشفع فى النقمة فان لم تفعل ذلك الحرمة فافعله لحسن الأحدوثة وعد الى حسن العادة وان لم تفعل ذلك لحسن العادة فأت ما انت أهله واعلم أنى وإياك اذا تحاكمنا الى كرمك قضى لى عليك ومتى لم ترفعنا الى عدلك حسن العفو لى فهذا من أحسن ما يقال فى هذا المعنى

انتهى الشرح بحمد الله وحسن توفيقه

يقول العبد المفتقر الى ربه الكريم عبـد الله المعروف بأبي بكر بن محمد بن عثمان
ابن عليم تصغير علم المصرى الشرقاوى الحسينى نسبا قد فرغت بعون الله
وتوفيقه من هـذا الشرح فى يوم الجمعة المبارك لتسع خلون من شهر
ذى القعدة الحرام سـنة سبع وثلاثين وثلثمائه والف من الهجرة
النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية الموافق ١٦
من شهر أغسطس الافرنجى سنة ثمانى عشرة وتسعمائه
بعد الألف الميلادية والحمد لله أولا وآخراً وصلى
الله على سيدنا محمد سيد الأولين وختام
الأنبياء والمرسلين وعلى آله
وصحبه أجمعين آمين آمين

التقاريظ

لما فرغت من اتمام هذا الكتاب واعددته للقراء رأيت من أول واجبى أن أعرضه على أنظار السادة العلماء والكتاب الأدباء لاستنير بأفكارهم واسترشد بملحوظاتهم فيما يرونه من حيث الاسلوب الذى توخيته فى الشرح والتطبيقات التي رأيتها تناسب أغراض الرسالة فقد يطغى القلم فيسبح فى الفكر ويغوص الفكر فينصرف عن التقاط المستدف وانى على درك مالم يفتنى أقدر منى على رد ما فاتني وما كنت أحسبنى ألاقي ما لاقيت من كرم أخلاقهم وجميل عطفهم من التشجيع على نشره واستحسانهم لمواضيعه الأمر الذى أعجزنى من ايفاء شكرهم والاعتراف بفضلهم فقد تناولوه بحثا وتمحيصا ولم يضنوا بوقتهم الثمين فى تصفحه واستقصاء أخباره و بعثوا الىّ بتقاريظهم الدالة على تفننهم بهذا العاجز الذى لا يستحق شيئا مما كتبوه فحق علىّ أن أذيل كتابي بلآلىء أقوالهم ومحاسن نفثاتهم والله سبحانه يجزيهم عنى وعن الأدب خير الجزاء ويسبل بجميل ستره عليهم الغطاء

وانى مع حفظ المقامات أقدم التاريخ فيما وصلني من كتاباتهم فاول من تفضل فبعث الى بكتابه حضرة العالم المحقق والأديب المدقق الشيخ الجليل والقدوة النبيل الطبيب احمد هاشم مفتى السودان وقد توفى رحمه الله وغفر له (قبل طبع هذا الكتاب) قال فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم يا من خلقت الانسان وعلمته البيان وفتقت منه اللسان فجعلته

دليلا على ما فى الجنان وقصصت علينا أحسن القصص فى كتابك المجيد وتلوت علينا من أخبار السابقين ما به نعتبر ونستفيد ونصلى على نبيك محمد منبع الأحكام والحكم ومعدن الفصاحة والرجاحة والفضل والكرم وعلى آله السادة الكرام واصحابه الأكابر الأعلام

أما بعد فقد سرحت طرفى فى الشرح المسمى بالدر المخزون على رسالة ابن زيدون للأديب الكاتب الماهر المصقع والناثر البارع الواضح المبيع الشيخ أبى بكر بن محمد بن عليم نجاه الله تعالى من كل ضيم فوجدته شرحا وافيا واضحا جامعا للآداب ولسيرة الأدباء جانحا طويلا غير ممل كما أنه فى بيانه غير مخل فهو الوسط المطلوب للأشراف لا الطرف الأول ولا الآخر[1] اللذان هما من سمة الأطراف فهو كاسمه الدر المخزون بل الجوهر المكنون يحتاج اليه الأديب ولا يستغنى عنه العالم الاديب فجزاه الله تعالى أحسن ما يجازى مؤلفا عن تأليفه وعن بيانه وترصيعه وترصيفه وأطال عمره وأكرمه فى الحال والمآل وادام عليه ستره والبسه حلل الكمال وقد قلت شعرا

زالت شواغل قلب كان محزونا	لما رأيت كتاب الدر مخزونا
فحين سرحت طرفى فى محاسنه	غدوت منشرحا بالشرح مفتونا
وشمتُ دُرّ المعانى لا ينافسها	در نفيس بجيد ظل مكنونا
فذاك شرح ابى بكر العليمى على	رسالة الفاضل الحبر ابن زيدونا
لما تصفحته ثافنت[2] من سبقوا	نظما ونثرا وآدابا وتبيينا
شرح به غرر التاريخ واضحة	وكل فن به جاد المجيدونا
شرح حوى جملا من كل شاردة	فكان فلكا بكل العلم مشحونا
فهو الوسيط بلا طول ولا قصر	تراه فى سائر الحالات موزونا

(١) يريد كلا طرفى الامور ذميم وخير الامور الوسط

(٢) جالست ولازمت

فكان عقداً فريداً لانظير له　　وكان كنزاً عن الابصار مدفونا
أحسنت يا ابن عليم فى تنمقه　　فزادك الله احساناً وتحسينا
أودعت شرحك هذا كل نادرة　　وزنته بعظات الدهر تزيينا
جلبت فيه تقول السابقين وما　　ألوت جهداً وما قصرت تدوينا
دامت فضائلك اللاتى كلت بها　　ودام شرحك مقبولا ومخزونا

الخرطوم فى يوم الخميس المبارك ٣ محرم الحرام سنة ١٣٣٩ و١٦ ستمبر سنة ١٩٢٠
كتبه الفقير اليه (الطيب احمد هاشم)

وكتب الى حضرة الاديب الماهر والشاعر القادر صالح افندى بطرس من متخرجي القسم العالى بكلية غردون واحد موظفى المصلحة القضائيه السودانية بقصيدته الآتيه والمتأمل فيها يرى انه ينحو فى مناحيه اساليب الشعراء المتقدمين فى افتتاحياتهم بغزل المؤنث مع متانة الفاظها وجودة معانيها قال

ان كنت لأنمى بآية ما　　عطلت جيدك من حلى الشعر
هاتى فزيني العطل واستغنى　　بعقود (در) من أبى بكر
واستعرضى (المخزون) منه ترى　　ما شئت من نظم ومن نثر
قدرام فى الخسين[1] ان يجري　　فشأى[2] واحرز نابه الذكر
واستوجب المدح المضاعف ما　　اوتيه من جد ومن صبر
وسعى الى تلك العجوز[3] وقد　　شابت واخنتها يد الدهر
ما زال يرتاد الثمين لها　　من خير زخرف صاغة الشعر
ويحوك من وشى البلاغة ما　　يكسى ثياب السندس الخضر

---

(١) يريد بالخسين سنى عمر الشارح (٢) شأى سبق (٣) العجوز الرسالة

حتى اعاد لها زمان صبا ولى بقوة ذلك السحر
فغدت تجر الذيل من مرح تروى حكاية سالف العصر
حتى اذا وافتك تخطر فى بردى فتاة غضة العمر
ورأيتها اهلا لما يرضي طبع (الاديب)مددت بالشكر

الخرطوم فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٢٠ (صالح بطرس)

ووفانى الكتاب الآتي من حضرة العالم العلامة والحبر البحر الفهامة عمدة الفقهاء المحققين وصفوة الاخيار العاملين الشيخ محمدأمين قراعه السيوطي المصري قاضى قضاة السودان وهو ازهرى من بيت نبغ منه علماء أجلاء بالقطر المصرى يقول فيه

حضرة الأديب الفاضل . . .

لوكان لى متسع من الوقت أتمكن فيه من تصفح كتابك الذي ارسلته الى من شرح رسالة ابن زيدون لأمكنني ان امتع نظرى بالاطلاع على كثير مما كتبته وأعطيك رأيى فيه ولكنى لم اتمكن الا من القاء نظرة بسيطة تيسر لى بها معرفة انك بذلت جهدا مشكورا فى سبيل شرح هذه الرسالة البديعة والاتيان بالقصص التى يشير اليها صاحبها على الوجه الأكمل وانك بالغت فى ان تكون عباراتك له رقيقة رقة الرسالة التى تصديت لشرحها مع عدم تقصير فى اظهار ما استتر فى زواياها فصدق المثل (وافق شن طبقه وافقه فاعتنقه)

فبينا يراك القارىء مشتغلا بتبيين الفاظها اللغوية اذ يراك لم تهمل ما يتعلق بها من النحو وعلوم البلاغة ولقد تضاعف احسانك أذ أتيت بتاريخ الرجال الذين كانت لهم كلمات او أبيات فى الرسالة تاريخا وافيا مع بعض ما أخترته من أشعارهم واذا كان التأليف فى وقتنا هذا قد خلا فى الأكثر من الابتكار وانما فضله لحسن

الاختيار فان فى اختيارك التعرض لشرح هذه الرسالة والاسلوب الذى اتخذته فيه مايشهد لك بغزارة المادة الأدبية وسعه الاطلاع فجزاك الله عن الادب وأهله خير الجزاء ونفع المطلعين بكتابك وأكثر فى الامة أمثالك

ويحسن بك عند الطبع أن تراعى بالدقة خلو العبارات عما قد يكون بها من خطا لاينطبق علي القواعد العربية هذا وأرجو فى الختام أن تتقبل عذرى والسلام عليكم ورحمة الله م؟ محمد أمين قراعه

الخرطوم فى ١٦ محرم سنة ١٣٣٩ — ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٠

وتكرم حضرة العالم الكامل والورع العامل الذي جمع الى علوم الشريعة علوم الأدب نثراً ونظما الشيخ أبوالقاسم بن أحمد بن هاشم شيخ علماء السودان بالمعهد العلمى بام درمان فبعث الىّ بكتابه الآتى يقول فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الأدب حرفة أهل النهى وحلية أهل التقى والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بُعث متمما لمكارم الأخلاق وعلى آله وصحبه الحائزين فى الأدب قصب السباق وبعد فقد سرّحت طرفي فى شرح الدر المخزون على رسالة الامام ابن زيدون تأليف الأديب الأريب واللوزعى النجيب الافندى أبى بكر بن محمد بن عليم فأكبرته إذ ألفيته شرحا مفيدا ممتعا وافياً بحل ألفاظها من الوجهة اللغوية حلا صحيحاً وبيان معانيها المرادة لمؤلفها بيانامقبولا مليحاً مع وجازة وحلاوة وفصاحة وطلاوة معززا لذلك ببيان مضارب الأمثال ومواقع الحوادث التى لمح لها صاحب الرسالة مع الاستطراد لبيان تواريخ الرجال الذين لهم إلمام بتلك الحوادث بحالة دلّت علي سعة اطلاع ذلك المؤلف وعلو كعبه وغزارة مادّته فى الأدب على أن فيما أجادته قريحته الوقّادة فى مقدمة شرحه العجيبة كفاية

ولعمر الحق لقد كان ذلك المؤلف كنزاً مخبوءاً تحت طيلسان مهنته لم يعرف إلا بعد ابرازه لذوه المحزون وهكذا الرجال تعرف بأعمالهم ولعل فى تسميته لشرحه بذلك تلميحاً لهذا المعنى

وقد ذيلت تقريظى لهذا الشرح بعد سبره بهذه الأبيات فقلت

لله در أبى بكر وفطنته	قد نظم الدرفى عقد من الكلم
شرحا بديعاً مفيدا ثم ألبسه	رسالة لابن زيدون فى القلم
أجاد فى شرحها شرحاً أبان به	ماقد حوته من التلميح والحكم
فالزم قراءته يغنيك عن كتب	شتى واعرض عن العذال فى صمم
دللتنا ياأبا بكر المليمى على	ماقى أديبك من فضل ومن همم
وباه شرحك عنوانا وتذكرة	على انفرادك بالآداب والشيم
أرقتك همتك الشما لشرح كتا	ب لا يدانيك غير الحاذق الفهم
أوضحت مشكله بينت مجمله	بسطت تاريخ مايجرى من الامم
جوزيت عنا بنى السودان قاطبة	خيراً وكوفئت بالاحسان والنعم
لك الثناولك الشكر الجزيل على	جميل صنعك فاسلم للعلى ودم

ابو القاسم أحمد هاشم

خادم العلم والعلماء بالمعهد العلمى

أم درمان فى ٢٦ محرم الحرام سنة ١٣٣٩ — ١٩ اكتوبر سنة ١٩٢٠

وجاءنى الكتاب الآتى باللغة الانكليزية من جناب المستشرق الشهير والعالم المؤرخ الكبير المتضلع فى علوم لغات جمّة الاستاذ المستر س . هليلسون مدرس اللغات والتاريخ بالقسم العالى بكلية غردون بعد أن اطلع على كتابنا بالعربية فأدرجناه بحروفه وسنأتى على ترجمته بعد

Ahmed B. Abdallah, Known as Ibn Zaidun (A,D. 1003 – 1071) was a famous poet and litterateur of Muslim Spain, and held high office at the courts of Several rulers He enjoys a high reputation as the author of RISALAHS or epistles in ornate prose in which he employs all the thetorical artifices of the Arabic Language. the most famous of these was that addressed to his rivah Ibn Abdus on which Ibn Nubata composed a famous commentary in the 14th Century. The Epistle to Ibn Jahwar which is now before us was published in 1889 with aLatin translation by Besthorn. but does not seem hitherto to have Found an Arabic Commentator It is therefore a matter of Satisfaction that Abdalla Abu Bakr Eff, Mohammed Oleim has undertaken to explain the historical allusions and linguistic difficulties of the text; a task for which he appears to be well Fitted by his wide reading and by his enthusiasm for his Subject. The Book Certainly deserves to be printed and should be read by all intrested in the byways of Arabic literature.

Sd. S. HILLELSON,

Gordon College,

Khartoum.

28, 10. 1920.

وهذه ترجمة الكتاب الى اللغة العربية قال

أحمد بن عبدالله المعروف بابن زيدون المولود فى سنة ١٠٠٣ والمتوفى فى سنة ١٠٧١ ميلادية شاعر من فحول شعراء الأندلس ومشاهير لخطبائها المسلمين وقد قلد وزارة الدولة فى خلافة حكام عديدين وطار صيته وذاع اسمه برسائله التى صاغها فى قالب من النثر البليغ جمع فيه طرائف اللغة العربية ومحسناتها البديعية وأشهر تلك الرسائل رسالته التى وجه بها الى قرنه ومناظره ابن عبدوس التى الف فيها ابن نباتة شرحه المشهور فى القرن الرابع عشر اما الرسالة التى ازجى بها الى ابن جهور وهى هذه التى بين ايدينا فقد طبعت عام ١٨٨٩ ميلادية مع ترجمتها اللاتينية بقلم بستهورن ولكنها لم تصب على ماأظن الى اليوم شرحا وافيا من العربية ولهذا كان من بواعث السرور ان تناولها عبدالله ابو بكر أفندي عليم بالشرح الوافى مميطا القناع عن شواهدها التاريخية ومبينا ماغمض من معانيها اللغوية لسعة اطلاعه وغزارة مادته وهو أهل لهذا العمل الشاق فى هذا المبحث الخطير فالكتاب جدير بان ينشر على الناس ويقرأه جميع محبي الأدب العربي ورواد مناحيه المتشعبة الشائقة كلية غردون فى ٢٣ اكتوبر سنة ١٩٢٠ الامضا (س . هليلسون)

ووافتني الأبيات الآتية من نظم حضرة شاعر العرب الكبير وخطيبها المصقع الشهير الشيخ فؤاد الخطيب بعد ان اطلع على كتابنا ولعمرى انها لتنم عن عرفه وتنبىء عن طيب غرسه فقد حوت من القدرة الشعرية وسعة الخيال مايشهد له بالسجية الفائقة قال

قل ياابا بكر فأنت مصدّق ... ملك النفوس بيانك المتدفق
واشرح من الادب العتيق خريدة ... عصماء يشرق نورها المتألق
أوحى ابن زيدون اليك بسره ... فشرحت من مكنونه مايغلق
وجعلتَ من تلك الرسالة جنةً ... غنّاء تأرج بالعبير وتعبقُ

انشرتها ورويت غرس بيانها — فتكاد أوراق الرسالة تورق
وجلوت من ألفاظها فكأنما — فى كل لفظ عبرة تترقرق
وذكرت شجو حديثها فكأنما — فى كل معنى منه قلب يخفق
جددت للادب القديم عهوده — ومضيت فى مضماره لاتلحق
لله درك شارحا ومحققا — ماان يفوقك شارح ومحقق
فاسلم وعش كنز البيان فكلنا — طرب الى (مخزون درك) شيق

الخرطوم فى ٢٨ يونيه سنة ١٩٢١ و ٢٣ شوال سنة ١٣٣٩

ونشرت جريدة حضارة السودان بعددها الرقيم ٤٨ الصادر فى ٢٤ شوال سنة ١٣٣٩ هـ و ٢٠ يونيه سنة ١٩٢١ م كلمات عن كتابنا تحت عنوان (كتاب الدر المخزون فى شرح رسالة ابن زيدون) ذكرت فيها فذلكة من ترجمة مؤلف الرسالة وطريقته فى الكتابة التى تفوق فيها على غيره وان لم ينسب اليه ابتكارها كتضمينه رسائله الملح التاريخية والاشارات العلمية بما تغدو به امتنا جامعا لعدة علوم ودائرة شاملة لجملة فنون عدا مافيها من النكات والحكم والامثال ولآلئ اللغة المفرغة فى أساليب البلاغة ثم قالت أما رسالته التى كتبها فى السجن ووجه بها الى ابن جهور يستعطفه فيها فهى هذه التى ألف فى شرحها هذا الكتاب الذى بين أيدينا الآن ونعنى به الدر المخزون فى شرح رسالة ابن زيدون بقلم الاديب أبى بكر أفندى عليم من موظفى الحربية بالخرطوم يشرح فيه كلما اشتملت عليه الرسالة من لغة وأدب وتاريخ بعبارات سلسة واسلوب عذب ويستند فى رواياته ومنقولاته على أوثق المصادر من المؤلفات المتعلق بها موضوع الكتاب فنثنى على اجتهاد مؤلفه ونرجو أن يروج كتابه وأن ينتفع به أبناء الضاد

فهرس الكتاب

مطبوعات

مصطفى محمد

صاحب المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر

ص	
٢٠	الفضيلة ـ أو بول وفرجيني
٦٠	النظرات (٣) أجزاء
٢٠	الشاعر
١٥	العبرات
٢٠	مجدولين
٢٠	الاخلاق عند الغزالي للدكتور زكي مبارك مجلد قماش
٢٠	ديوان ابن الرومي اختيار وتصنيف كامل كيلاني (مجلد قماش)
١٥	مطالعات في الكتب والحياة العقاد
١٠	القانون الدستوري وتطور نظام الدولة المصريه
١٥	رسالة الغفران المعري شرح وايجاز كامل كيلاني ثلاثة أجزاء
١٠	نظرات في تاريخ الادب الاندلسي مجموعة محاضرات القاها في الجامعة كامل كيلاني

ص	
٢	الانتقام
١٠	سر تقدم الانكليز
٨	سر تطور الامم
٨	روح الاجتماع ورق صقيل
١٠	المفضليات الضبي
٨	التمثيليات
٤	الاسلام سوانح وخواطر
٤	جوامع الكلم
٢	من أمير الى سلطان
١٠	مذكرات لودندورف جزآن
١٠	مذكرات هندنبرج
٦	رسائل الغرة المقدسه
٤	تهذيب الادب
٨	رباعيات عمر الخيام تعريب السباعي
١٠	الابطال جزآن تعريب السباعي
[illegible]	بلاغة العرب في القرن العشرين
	[illegible]ران خليل جبران

ص

١٥ الساق على الساق فى ماهو الفاريق

٨ الفصول للعقاد

٢٥ ديوان حافظ ابراهيم ٣ أجزاء

٧ مذكرات بنى

٦ نهج البردة لاحمد بك شوقي

٤ الحركة الاستقلاليه فى ايطاليا

٢٠ صحف مختارة من الشعر التمثيلى لطهحسين

٨ الارواح لطنطاوى جوهري

١٥ جمهرة أشعار العرب

خصم بعيد الأعماق من الافكار الجلية يحوى نيفا وأربعين فصلا ممتعا تصحبه الروية والخيال وثمنه ١٥ قرشاً صاغاً